



قسم اللغة والأدب العربي

التطور اللغوي في معجم مختار الصحاح لأبي بكر الرازي

أطروحة معدة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في اللغة والأدب العربي  
تخصص: المعجمية العربية

إشراف الأستاذ:

رزيق بوزغاية

إعداد الطالبة:

آمال بوزنادة

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
01	الطيب جبايلي	أستاذ	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة	رئيسا
02	رزيق بوزغاية	أستاذ	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة	مشرفا ومقررا
03	صالح خديش	أستاذ	جامعة عباس الغرور - خنشلة	ممتحنا
04	عادل محلو	أستاذ	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	ممتحنا
05	رشيد وقاص	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله	ممتحنا
06	عبد الله باوني	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2026/2025



# هَدَايَا

إلى من لم تطأ أقدامهما عتباتِ  
المدارس، غير أنّ قلبيهما كانا  
معلقين بسُدّةِ العلم، فأحبّاه ومهدّاه  
سُبُلَهُ لأبنائهما.. والدي -تغمّده الله

بواسع رحمته-

وعماد بيتنا ..والدتي..

والى زوجي...

والى بهجة روعي وامتداد أملِي،

مصعب وباسم...

والى إخوتي..

# شُكْرُكَ رَبِّ

أَتَقَدَّمُ بِأَسْمَى آيَاتِ الشُّكْرِ وَالْعُرْفَانِ، وَأَصْدَقِ مَعَانِي  
الامْتِنَانِ، إِلَى أَصْحَابِ الْفَضْلِ وَمَنَارَاتِ الْهُدَى، أَسَاتذَتِي  
الكَرَامِ فِي جَمِيعِ مَرَاهِلِي الدِّرَاسِيَّةِ، مِنْ مَقَاعِدِ الْإِبْتِدَائِيِّ  
إِلَى رِحَابِ الْجَامِعَةِ؛ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ غَرَسُوا فِي نَفْسِي حُبَّ  
الْعِلْمِ، وَأَذَكُوا فِي رُوحِي شَغْفَ الْمَعْرِفَةِ، فَكَانُوا نَبْرَاسًا  
يُضِيءُ الدَّرَجَاتِ، وَسِنْدًا يَشُدُّ الْعِزْمَ، وَمَعِينًا لَا يَنْضُبُ مِنَ  
التَّوْجِيهِ وَالْإِلْهَامِ.

وَأُخْصُّ بِالذِّكْرِ أَسَاتذِي الْمَشْرِفِ، رَزِيقَ بُوْزْغَايَةِ، فَلَهُ مِنِّي  
خَالِصُ التَّقْدِيرِ وَوَافِرُ الثَّنَاءِ.

كَمَا أُعْرِبُ عَنْ بَالِغِ امْتِنَانِي لِكُلِّ مَنْ مَدَّ لِي يَدَ الْعَوْنِ مِنْ  
زَمَلَاءِ وَإِدَارِيِّينَ، وَإِلَى سَائِرِ الْقَائِمِينَ عَلَى تَغْوَرِ الْعِلْمِ..

# مقدمة

### مقدّمة:

يُعدّ التطوّر اللغوي ظاهرةً ملازمةً لجميع اللغات الحيّة الممتدّة زمانياً ومكانياً، إذ لا تعرف اللغات الثباتَ إلا نظرياً، بينما يكشف الاستعمال المتجدّد للألفاظ عن حركةٍ مستمرةٍ تمسّ جميع المستويات تبعاً لاختلاف قوى التغيير فيها، فاللغةُ بوصفها ظاهرةً اجتماعيةً ونظاماً متشابكاً الأنساق، تتأثر بعوامل خارجية ترتبط بالبيئة والثقافة والتاريخ، وأخرى داخلية تتعلق ببنيتها.

وقد عُنيَت الدراسات التاريخية والمقارنة بتتبّع ظاهرة التطوّر في اللغات، فركّزت على البحث في أصولها المشتركة، والكشف عن الروابط التي تجمعها في عائلات لغوية كبرى، واستنباط القوانين الصوتية التي تحكم تغييرها عبر الزمن. وأسهمت هذه الدراسات في إرساء المنهج العلمي في تتبّع الظواهر اللغوية، وفي تفسير التحولات الصوتية والصرفية والدلالية والنحوية على أساس المقارنة المنهجية بين اللغات المتقاربة من جهة، والمقارنة بين الأطوار المختلفة للغة الواحدة من جهة أخرى.

ومع تقدّم البحث اللساني، ظهر اتجاه يتجاوز الوصف التاريخي إلى تحليل البنى اللغوية في ذاتها، فانبثق المنهج البنوي الذي نظر إلى اللغة بوصفها نسقاً يقوم على العلاقات الداخلية بين وحداته، ممّا حوّل الاهتمام من تتبّع الأصول إلى فهم آليات الاشتغال اللغوي في لحظته الآنية.

ثم تتابعت التحولات المنهجية مع اللسانيات التوليدية، التي رأت في التطوّر اللغوي انعكاساً لتحولات أعمق في البنى القواعدية الكامنة في ذهن البشري، وصولاً إلى المقاربات العرفانية التي ربطت التطوّر اللغوي بالخبرة الإدراكية والتمثيل الذهني، معتبرةً إياه نتيجةً لطريقة تنظيم الإنسان للمعرفة وبناء المفاهيم؛ فانقل تفسير التطوّر من منطق المقارنة الخارجية إلى منطق التفاعل بين اللغة والعقل والسياق الثقافي.

## مقدّمة

وتأتي دراسة التطوّر اللغوي لتكون مدخلاً لفهم آليات تفاعل اللغات البشرية مع التغيّرات التاريخية والثقافية والاجتماعية، ورصد مظاهر تجددّ البنى اللغوية في ضوء تراكم التجربة الإنسانية. كما تُظهر -في سياق اللغة العربية- قدرة العقل العربي على التكيف مع بيئته واستيعاب تحولات الحياة المختلفة، وما يعكسه ذلك من نموّ في الثروة اللغوية وتجديدٍ في استعمالاتها، وذلك بالاستناد إلى تراثها المدون الذي حفظ مسيرتها عبر العصور بثرائه وغزارة موضوعاته.

ويُعدّ التراث المعجميّ العربيّ من أوفى الشواهد على مسيرة اللغة وتحولاتها، بما يعكسه من تطوّر فكريّ وحضاريّ. ويبرز معجم "مختار الصحاح" بوصفه مثالاً دالاً على هذا التطوّر، في مادته اللغوية وبنيته المعجمية؛ وفي هذا الصدد يأتي هذا البحث الموسوم بـ: "التطوّر اللغوي في معجم مختار الصحاح لأبي بكر الرازي"، محاولاً الكشف عن مظاهر التطوّر في واحدٍ من أهمّ المعاجم العربية التي مثّلت حلقةً واصلت بين التقيد التراثي والنزعة التجديدية. فقد جاء اختصاراً لمعجم "صاح اللغة وتاج العربية" لإسماعيل بن حماد الجوهري، وكان غرض محمد بن أبي بكر الرازي من تأليفه واضحاً، ابتداءً من العنوان المنبئ عن الدور الذي اختاره لمعجمه، والذي كان انتقائياً، معبراً عن وعيه باختلاف فئات المستعملين وتباين مقاصدهم. إذ صرّح الرازي في مقدّمة المعجم أنّه اقتصر على «ما لا بدّ لكلّ عالمٍ فقيهٍ أو حافظٍ أو محدّثٍ أو أديبٍ من معرفته لكثرة استعماله وجريانه على الألسن». ويكشف هذا الوعي الانتقائيّ أن مختار الصحاح ذاته يعدّ تمثلاً عملياً لظاهرة التطوّر اللغوي؛ بما يعكسه من تفاعلٍ للغة مع متغيّرات الحياة العلمية والاجتماعية والثقافية في زمنه، وما يجسّده من انتقالٍ للتأليف المعجميّ من مرحلة الجمع الشامل إلى مرحلة الانتقاء الوظيفي.

وينطلق هذا البحث من إشكالية محورية هي:

## مقدّمة

ماهي مظاهر التطور اللغوي في مختار الصحاح؟ وكيف يكشف التطور الصوتي والدلالي في معجم مختار الصحاح عن حيوية اللغة العربية وتجدها عبر الزمن؟ وما هي أسباب التحولات الصوتية والدلالية؟

وينبثق عن السؤال الرئيس إشكالات فرعية، منها:

- كيف يمكن للقوانين الصوتية أن تفسّر تطوّر الأصوات في اللغة العربية وتحديد آليات هذا التطوّر عبر الزمن؟
- ما هي أبرز مظاهر التطوّر الدلالي في اللغة العربية كما سجّلها معجم مختار الصحاح؟
- ما طبيعة العلاقة بين التطوّرات الصوتية والدلالية، وبين باقي مستويات اللغة المختلفة؟ وكيف يتبادل كل منها التأثير ضمن النظام اللغوي الكلّي؟
- كيف تجلّى وعي محمد بن أبي بكر الرازي بظاهرة التطوّر اللغوي في اختياره للمادة المعجمية وتوظيفه للشواهد؟
- كيف يمكن الربط بين الدراسة التراثية والرؤى اللسانية الحديثة في تفسير ظاهرة التطوّر اللغوي؟

ولإجابة عن الإشكالات المطروحة اتّبع البحث المنهج التاريخي في تتبّع تطوّر المداخل مبنّى ومعنى عبر الزمن، بتوظيف الآليات الإجرائية من وصف وتحليل مع الاستعانة بالمقارنة مع اللغات السامية أحياناً؛ فقد تمّ أولاً وصف الظواهر الصوتية والدلالية في معجم مختار الصحاح كما وردت في نصوصه الأصلية، مع تحديد مواضع التطوّر فيها، ثم تحليلها للكشف عن طبيعة التحولات وأسبابها واتجاهاتها في ضوء ما أقرّته الدراسات اللسانية الحديثة. وبهذا سعى البحث إلى بناء رؤية علمية متكاملة تُبرز خصائص التطوّر الصوتي والدلالي في المعجم المدروس، بوصفه مرآةً للتحوّل اللغوي في العربية.

## مقدّمة

ويرجع اختيار الموضوع إلى قصد الإسهام في رسم مسار تطوّر اللغة العربية عبر الزمن، وكشف التحوّلات التي اعتزّتها من حيث الأصوات والدلالة، خاصّة وأنّ اللغة العربية حديثة عهدٍ بوجود المعاجم التاريخية. كما يعود اختيار المدونة إلى خصوصية معجم مختار الصحاح الذي يمثّل حلقة انتقالية بين مرحلة الاستقصاء في المعاجم الكبرى ومرحلة الاختصار والانتقاء؛ ممّا جعله أنموذجاً مناسباً لدراسة أثر التغيّر في الوظيفة المعجمية على التطوّر الصوتي والدلالي في العربية، إضافة إلى الرغبة في الإسهام -ولو بالقسط اليسير- في تجديد المقاربة اللسانية للتراث المعجمي العربي وإعادة قراءته في ضوء المفاهيم الحديثة للتطوّر اللغوي.

اشتملت خطة البحث على مقدّمة ومدخلٍ نظري وفصلين تطبيقيين وخاتمة. فقد تمّ في المدخل تناول متغيّرات العنوان من تعريفٍ للتطوّر اللغوي وعلاقاته بالدراسات التاريخية والمقارنة، وعرض آراء بعض اللسانيين حول التطوّر اللغوي وطبيعته، وذكر أقسامه، وكذلك أسبابه ولا سيّما الخارجية منها.

أما الفصل الأوّل، الموسوم بـ "التطوّر الصوتي في معجم مختار الصحاح"، فقد خُصّص لدراسة مظاهر التطوّر الصوتي في المعجم وخصائصه والقوانين التي تحكمه، مع تحليل صور هذا التطوّر في ضوء مفاهيم الدرس الصوتي الحديث.

وحُصّص الفصل الثاني لـ "التطوّر الدلالي في معجم مختار الصحاح"، وتمّ فيه عرض مفهوم التطوّر الدلالي، وأسبابه التاريخية واللغوية والاجتماعية والنفسية، ثم أثره على العلاقات الدلالية من ترادف واشتراك لفظي وتضاد، مع إرفاق كلّ عنصر من تلك العناصر بأمثلة داعمة من مدونة البحث. وختم الفصل بعرض أقسام التطوّر الدلالي في معجم مختار الصحاح بحسب التقسيم المنطقي البلاغي، ثم بحسب تقسيم غوستاف ستيرن، الذي بيّن سبب اختياره دون غيره من التقسيمات في متن العمل.

## مقدمة

وخُتم البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التي أسفر عنها التحليل في شقيه الصوتي والدلالي.

وقد استند هذا البحث إلى جملة من المراجع التراثية والمعاصرة التي مثّلت الأساس النظري والمنهجي في دراسة ظاهرتي التطور الصوتي والدلالي. ففي الجانب الصوتي، تمّ الاعتماد على العديد من المؤلفات، أبرزها : معجم العين (المقدمة) للخليل بن أحمد الفراهيدي، والكتاب لسيبويه لبيان النهج العربي في تآلف الأصوات داخل الكلمة، وكذلك كتب عثمان بن جني : الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحتسب في إبراز كيفية تأثر الأصوات ببعضها. كما تمت الاستعانة بكتب القراءات، ولا سيما الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي، في بيان الجانب الفونيتيكي والمسلك الفونولوجي للأصوات العربية. واعتمد إلى جانب ذلك على مراجع حديثة، منها *Traité de phonétique* لموريس غرامون، الذي قدّم قوانين عامة لمسارات التطور الصوتي في اللغات والعوامل المؤثرة فيه.

أمّا في الفصل الثاني، فقد كان الاعتماد على المؤلفات الأجنبية أوضح، نظرًا لاهتمام الدارسين الغربيين المبكر برصد التطور الدلالي وتفسيره. فكان من أبرزها *Essai de sémantique* لميشال بريال، الذي وضع فيه الأسس الأولى لمفهوم التطور الدلالي، وكذلك كتب ستيفن أولمان *The Principles of Semantics* و *The Words and Their Use*، و *Semantics*. إضافة إلى ذلك، كتاب *La Sémantique* لبير جيرو، و *Meaning and Change of Meaning* لغوستاف ستيرن. وقد أدمجت هذه المراجع في التحليل بغية تحقيق توازن بين الرؤية التراثية واللسانية الحديثة، بما يسمح بتفسير ظواهر التطور اللغوي في مختار الصحاح تفسيرًا علميًا متكاملًا.

وقد دُعِم الشقّ التطبيقي للبحث — إلى جانب المدونة — بمعاجم أخرى، أهمها معجم العين للخليل بن أحمد، ومقاييس اللغة لأحمد بن فارس. كما عُدّ توقّر المعاجم التاريخية للغة

العربية مكسبًا كان لا بدّ من الاستفادة منه؛ لذا فقد تمّ الرجوع إلى كلّ من معجم الشارقة ومعجم الدوحة التاريخيين لتوثيق العديد من التطوّرات الدلالية والتحقّق من التسلسل الزمني الذي يُعين على تحديد أدق لمسار التطوّر. كما تمت الاستفادة من العديد من المدونات التراثية، على غرار البيان والتبيين للجاحظ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي، وغير ذلك ممّا سُجّل في قائمة المراجع.

وقد تناولت مؤلفات عديدة موضوع التطوّر اللغوي في العربية، أهمها التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه لرمضان عبد التواب، والتطور اللغوي التاريخي لإبراهيم السامرائي، اللذان وضعوا الأطر النظرية لظاهرة التطوّر اللغوي في العربية، مع إرفاق المادة النظرية بأمثلة من مصادر متفرقة. وكذلك كتاب النمو اللغوي من خلال لسان العرب: دراسة دلالية تحليلية لبلقاسم ليارير، الذي اقتصر فيه على معالجة المستوى الدلالي في اللغة العربية، متخذًا لسان العرب مدونة له، فيما اقتصرت مؤلفات أخرى على دراسة أحد مستويات اللغة، مثل كتاب التطور الصوتي في الألفاظ: أسبابه وعلله لمحمود عكاشة، أو تناول لغة من لغات العرب حصرًا، ككتاب لغة تميم: دراسة تاريخية وصفية لصاحي عبد الباقي.

ويتميّز هذا البحث عن مجمل الدراسات السابقة التي تعرّضت لموضوع التطوّر اللغوي بكونه يتناول التطوّر تناوّلًا مزدوجًا يجمع بين المستويين الصوتي والدلالي معًا، متخذًا معجم مختار الصحاح مدونة له؛ فالدراسات السابقة -على تنوعها- إمّا أنها قد ركّزت على الجانب النظري، أو أنها تناولت مستوى واحدًا من مستويات اللغة، أو عالجت ظاهرة لغوية ضيقة.

وقد واجه هذا البحث بعض العراقيل، أهمها تشعب المادة المعجمية وصعوبة حصر الظواهر الصوتية والدلالية في المعجم، ممّا تطلّب جهدًا كبيرًا في الانتقاء والتحليل والمقارنة، وكذلك صعوبة الجمع بين التحليل الصوتي والدلالي في آن واحد، نظرًا لاختلاف أدوات كلّ مستوى، ممّا اقتضى التوفيق بين المقارنتين للحفاظ على انسجام العمل واتساقه.

## مقدّمة

وفي الختام أحمدُ اللهَ عزَّ وجلَّ حمدَ الشاكرين، وأثني عليه بما هو أهلُّ له، أن يسرَّ لي بعونه وتوفيقه إتمام هذا البحث. وأتقدّم بأصدق عبارات الشكر والعرفان إلى المشرف، الأستاذ الدكتور رزيق بوزغاية، على ما أظهره من متابعة دقيقة، وتوجيه سديد، ونصح كريم، أسهم في إخراج هذا العمل في صورة مشرّفة. كما أتقدّم بجزيل الامتنان إلى أساتذتي في جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي بتبسة، وإلى أساتذتي في جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الذين كان لهم الفضل — بعد الله تعالى — في تكويني العلمي وإعدادي لهذا المقام. ولا يفوتني أن أتوجّه بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من وقتٍ وجهدٍ في قراءة هذا العمل وتقييمه.

وأسألُ اللهَ العليَّ القديرَ أن يجعلَ هذا الجهدَ خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزيَنَا عن طلب العلم خير الجزاء، وأن ينفَعَ بسعيْنَا.

مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

مدخل: الإطار المفهومي للتطور الدلالي

1. التطور اللغوي
2. التطور اللغوي والدراسات اللسانية التاريخية والمقارنة
3. عوامل التغير والثبات في اللغة
4. أسباب التطور اللغوي

### تمهيد:

يشكّل التطور إطارًا عامًا لتفسير التغيرات المتدرجة التي يشهدها الكون في مكُوناته وظواهره المختلفة، بما فيها اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية يعكس تطورها مسار حياة الإنسان وتفاعله المستمر مع محيطه الثقافي والاجتماعي. وقد عُيبت الدراسات التاريخية والمقارنة منذ بداياتها بتتبع مظاهر التطور اللغوي، من خلال الكشف عن أصول اللغات المشتركة وتصنيفها ضمن عائلات لغوية، واستنباط القوانين الصوتية التي تحكم تغييرها عبر الزمن؛ مما أسهم في تأسيس المنهج العلمي لفهم التحولات اللغوية وتحليلها. وقد أبرزت الدراسات اللسانية الحديثة عناصر الثبات والتحول في اللغة، مؤكدةً أن اللغة تُعدّ نظامًا من العلامات يتفاعل فيه الثابت مع المتغير، كما تتأثر اللغة بالعوامل السياسية والبيئية والثقافية والاجتماعية التي تشكّل محرّكات داعمة للتجديد اللغوي.

### 1. التطور اللغوي:

أطلق الباحثون على التبدل الذي يصيب اللغة عبر الزمن تسميات عديدة، تختلف باختلاف نظرتهم لذلك التحول فسموه "تطوراً"<sup>1</sup> و"نمواً"<sup>2</sup> و"تغيراً" أو "لحناً"<sup>3</sup>، ولقد ارتأى البحث اطلاق لفظ "التطور اللغوي" على التغيرات التي تلحق مستويات اللغة عبر الزمن على اعتبار أن عامل الزمن من أهم العوامل التي تسهم في تبدل اللغات المستعملة، ولما تحمله كلمة "التطور" من دلالة على الامتداد في الزمن.

وإنه وقع الاختيار على مصطلح "التطور" دوناً عن غيره من المصطلحات آنفة الذكر لغلبة استعماله في التعبير عن هذا النوع من الدراسات اللسانية ( *linguistique évolutive* )، وما في اللفظ العربي من دلالة على التبدل مرحلة بعد أخرى، وما فيه من اللطف في توصيف حال اللغة وهي تكتسي حلاً جديدة في كل طور من أطوارها دون أن

---

1- من المؤلفات العربية التي استعملت مصطلح التطور: "التطور اللغوي التاريخي" للدكتور إبراهيم السامرائي، والتطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه" للدكتور رمضان عبد التواب، "في التطور اللغوي" للدكتور عبد الصبور شاهين، كما اختصت بعض المراجع بمستوى بعينه من مستويات اللغة، على غرار: "التطور الصوتي في الألفاظ" للدكتور محمود عكاشة.

2- من الذين استعملوا مصطلح "النمو اللغوي" الأستاذ بلقاسم لبيارير في كتابه "النمو اللغوي في لسان العرب".

3- وظف الدكتور رمضان عبد التواب كلا من مصطلح "اللحن" و"التغير" في عنوان كتابه: "لحن العامة والتطور اللغوي".

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

تتسلخ عن الأصل، فهي كلمة توحى بالتغير مع ثبات في الأصل والنظام، وذلك هو نوع التغير الذي اعتري اللغة العربية عبر تاريخها المدون بدءاً من العصر الجاهلي؛ إذ حافظت على نظامها في مقابل تلبيتها لاحتياجات مستعملها بما أتاحتها من آليات كفلت مواكبتها لمستجدات الحياة.

أما "النمو اللغوي" فقد ارتبط باكتساب الطفل للغة والتدرج الذي تتم به العملية، فالنماء لغة هو الزيادة، حيث جاء في لسان العرب: «نَمِيَ يَنْمِي نَمِيًّا وَنُمِيًّا وَنَمَاءً: زَادَ وَكَثُرَ»<sup>1</sup>، ويعبر النمو اللغوي عن ازدياد حصيلة الطفل من الكلمات بتقدمه في العمر. فيما يشير "التغير" إلى الانسلاخ التام عن الأصل؛ «تَغَيَّرَ الشَّيْءُ عَنْ حَالِهِ: تَحَوَّلَ. وَغَيَّرَهُ: حَوَّلَهُ وَبَدَّلَهُ كَأَنَّهُ جَعَلَهُ غَيْرَ مَا كَانَ»<sup>2</sup>، وهو ما لا يمكن أن يُطلق على دراسة لغة واحدة في مرحلتين مختلفتين، إذ يؤدي التغير اللغوي إلى نشوء لغات جديدة ذات أصل موحد كاللغات السامية المختلفة التي انبثقت عن اللغة السامية الأم، فالانتقال من السامية إلى الآرامية مثلاً أو من السامية إلى العربية يعد تغيراً للاختلافات الجوهرية بين اللغتين لحد لا يمكن لغير المتخصصين كشف أوجه الشبه بينها، أو ربط الفرع بالأصل، ولم تبلغ العربية منذ بداية عصر التدوين هذه الدرجة من التحول.

### 1.1. تعريف التطور:

#### 1.1.1. لغة:

ذكر أحمد بن فارس (ت395هـ) في مقاييس اللغة: «طَوَّرَ الطَّاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلًا صَاحِحًا يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ الْإِمْتِدَادُ فِي شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ. مِنْ ذَلِكَ طَوَّارُ الدَّارِ، وَهُوَ الَّذِي يَمْتَدُّ مَعَهَا مِنْ فَنَائِهَا. وَلِذَلِكَ يُقَالُ عَدَا طَوْرَهُ، أَي جَاَزَ الْحَدَّ الَّذِي هُوَ لَهُ مِنْ دَارِهِ. ثُمَّ اسْتُعْبِرَ ذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُتَعَدَّى. وَالطُّورُ جَبَلٌ [...] وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ اِمْتِدَادٍ طَوَّلًا وَعَرْضًا. وَمِنْ الْبَابِ قَوْلُهُمْ: فَعَلَ ذَلِكَ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ. فَهَذَا هُوَ الَّذِي

1- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب (فصل النون)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 1993م، ج15، ص341.

2- المرجع نفسه (فصل الغين): ج05، ص40.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

ذَكَرْنَا مِنْ الزَّمَانِ، كَأَنَّهُ فَعَلَهُ مُدَّةً بَعْدَ مُدَّةٍ<sup>1</sup>، وجاء في لسان العرب: «الطَّوْرُ: النَّارَةُ، تَقُولُ: طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ أَيْ نَارَةً بَعْدَ نَارَةٍ [...] والطَّوْرُ: الحالُ، وَجَمَعُهُ أَطْوَارٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا؛ مَعْنَاهُ ضُرُوبًا وَأَحْوَالًا مُخْتَلِفَةً»<sup>2</sup>، يفيد "الطَّوْرُ" في اللغة معنى الامتداد في المكان بمحاذاة الحدود كامتداد الأسوار والأفنية والجبال وكل ما له أبعاد محسوسة من طول وعرض وارتفاع، كما يعبر به عن البعد الزمني بما يحويه في جريانه من تقلبات للأشياء طورا بعد طور وتارة بعد تارة، كخلق الإنسان المختلف من مرحلة إلى أخرى في تكوينه وبعد خروجه للحياة، فيكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم تُكسى المضغة عظاما فيستوي خلق الإنسان، ثم يكون طفلا ثم يبلغ أشده ويرجع إلى أرذل العمر، وتتميز كل مرحلة من تلك المراحل عن التي تسبقها والتي تليها، وفي ذات الوقت ترتبط المراحل بعضها ببعض إذ تسلم السابقة منها لللاحقة متبعة خط سير حتمي في الزمن، وقد أغنى التوصيف القرآني للأطوار عن كل مثال غيره.

### 2.1.1. اصطلاحا:

مصطلح التطور من المصطلحات التي تتقاطع في استعماله علوم شتى، إلا أنه ارتبط أكثر ما ارتبط بالعلوم الطبيعية وبحقل البيولوجيا على وجه الخصوص، خاصة بعد صدور المؤلف الشهير "في أصل الأنواع" (*On The Origin Of Species*) لعالم البيولوجيا تشارلز داروين (1809-1882 Charles Darwin) عام 1859م، والذي تناول فيه مواضيع الانتقاء الطبيعي، والتنوع الوراثي وتكيف الكائنات مع أوساطها، وقدم أدلة عن التطور، وأحدث هذا الكتاب ضجة في الأوساط العلمية بين مؤيد ومعارض.

إلا أن «مذهب التطور» (*Evolutionnisme*) مذهب قديم ترجع جذوره التاريخية إلى الفلسفة اليونانية (أماذوقليس وأرسطو)، والفلسفة العربية (إخوان الصفا، وابن خلدون) غير أنه لم يصبح مذهباً علمياً إلا في العصور الأخيرة، يوم أخذ العلماء يعللون نشوء الأنواع الحية بقانون تنازع البقاء، وقانون الانتخاب الطبيعي (داروين)، أو يرجعون تبدلها التدريجي البطيء إلى تأثير البيئة والوراثة (لامارك) أو يجعلون التطور قانوناً كلياً محيطاً بكل شيء

1- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة (باب الطاء والواو وما يتلثهما)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط02، 1969م، ج03، ص430/431.

2- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب (فصل الطاء)، ج04، ص507.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

من السديم إلى الشمس والكواكب السيارة، ومن الأنواع الكيميائية إلى الأنواع الحية، ومن الوظائف العضوية إلى الملكات العقلية»<sup>1</sup>، فمبدأ تطور الكائنات لم يكن وليد الفكر الدارويني، فقد وجدت له إرهابات في تاريخ الفكر البشري بدءاً من الفلسفة اليونانية مع أمبادوقليس (من 490 ق.م - 430 ق.م)، وأرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) وغيرهم.

وقد حوت كتابات بعض فلاسفة الحضارة الإسلامية شذرات عن فكرة تطور الكائنات ومراتبها في سلسلة الخلق من خلال تصوّراتٍ فلسفية تتسجم مع الرؤية الإسلامية لمبدأ الخلق، ويُعدّ عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) من أوائل من أشاروا إلى هذا التصوّر، إذ تحدّث عن «تبدّل حال الحيوان إذا أُخرج من موطنه»<sup>2</sup>، في إشارةٍ إلى أثر البيئة في أجسام الكائنات الحيّة وما ينشأ عنه من تغيّر في صفاتها، ثم جاءت "رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء" في القرن الرابع الهجري (نحو 350هـ)، لتقدّم معالجةً أوسع لفكرة الترقّي في الوجود ضمن "الرسائل الطبيعية"<sup>3</sup>، حيث عرض أصحابها تصوّراً متدرّجاً للكائنات من الجماد إلى النباتات، ومن النبات إلى الحيوان، ثم إلى الإنسان، في سلسلة وجودية مترابطة تعبّر عن انتظام الخلق وتكامله، كما عبر عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ) في المقدمة السادسة من كتابه عن رؤية فلسفية قريبة من ذلك، إذ أشار إلى اتصال الموجودات بعضها ببعض في نظامٍ محكم الحلقات، وذلك في قوله: «اعْلَمْ: أَرْشَدَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا عَلَى هَيْئَةٍ مِنَ التَّرْتِيبِ وَالْإِحْكَامِ، وَرَبُّطِ الْأَسْبَابِ بِالْمُسَبَّبَاتِ، وَاتِّصَالِ الْأَكْوَانِ بِالْأَكْوَانِ، وَاسْتِحَالَةِ بَعْضِ الْمَوْجُودَاتِ إِلَى بَعْضٍ، لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا تَنْتَهِي غَايَاتُهُ»<sup>4</sup>، وعلى الرغم من أن هذه التصوّرات تحمل في طياتها نزعةً تطوريةً واضحة، فإنها لم تتجاوز حدود التأمل الفلسفي الوجودي، ولم ترقَ إلى مستوى النظرية العلمية بالمعنى الدقيق الذي استقرّ في الفكر الحديث.

1- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م، ج1، ص295.

2- عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط02، 1965م، ج07، ص100.

3- ينظر: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء: تح: عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت لبنان، ج03، ص137 وما بعدها.

4- عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سورية، ط01، 2004م، ص206.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

وقد عرّف مجمع اللغة العربية بالقاهرة التطور بأنه: «نمو بطيء متدرج يؤدي إلى تحولات منظمة ومتلاحقة تمر بمراحل مختلفة يؤذن سابقها بلحاقها، كتطور الأفكار والأخلاق والعادات، ولا يكون التطور مسبقاً بتخطيط ولا مستهدفاً لغاية على عكس التقدم، وهو في الجملة انتقال من المختلف إلى المؤتلف ومن غير المتجانس إلى المتجانس، ومن اللامحدود إلى المحدود، أو بالعكس. ولا يتضمن التطور في ذاته فكرة التقدم أو التقهقر، وإنما يعبر عن التحولات التي يخضع لها الكائن العضوي أو المجتمع سواء أكانت ملائمة أو غير ملائمة»<sup>1</sup>، وقد تناول هذا التعريف مفهوم التطور من زاوية وصفية عامة، تُبرز طبيعته التدريجية المنتظمة، وتفصله عن مفهوم التقدم الذي يفترض القصد والغاية، كما يفهم منه أن التطور لا يحمل في ذاته حكماً قيمياً، وإنما يعبر عن حركة التحول المستمرة التي تطرأ على الكائنات أو المجتمعات أو الظواهر الفكرية، في إطار سيروية طبيعية تخضع لقوانين التغيير والانتظام.

وتبرز اللغات البشرية بوصفها إحدى أهم الميادين التي يتجلى فيها هذا النمط من التطور، إذ تخضع بدورها لتحولاتٍ تدريجيةٍ متواصلة تمسّ جميع مستوياتها، تحت تأثير عوامل داخلية وأخرى اجتماعية وثقافية، وتتبدّل تبعاً لحاجات الناطقين بها وتفاعلاتهم مع مستجدات الحياة.

### 2.1. تعريف التطور اللغوي:

يعرف التطور اللغوي بأنه «مجموع التعديلات التي تطرأ على لغة ما بين لحظتين من تاريخها، أي هو التعاقب المستمر لحالات التوازن بين الجمود المادي والفكري للإنسان واحتياجات التواصل»<sup>2</sup>، يتم خلال عملية تطور اللغات التوفيق بين جنوح اللغة بوصفها نظاماً من العلامات إلى الثبات والاستقرار لتمكين المستعملين من التفاهم وتحقيق التواصل الذي يقوم على الموازنة بين أفراد اللسان الواحد؛ إذ يعد كل خرق للقواعد المتفق عليها سلفاً إرباكاً للمتكلمين، وبين حاجة المستعملين المتغيرة بتغير نمط الحياة.

1- مجمع اللغة العربية القاهرة: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د ط)، 1983م، ص 47.

2- Georges Mounin : Dictionnaire De La Linguistique, Quadrigue, Presses Universitaires De France, Boulevard Saint-Germain, Paris, 2<sup>ed</sup>, 1995, p131.

لقد استأثرت ظاهرة التطور اللغوي باهتمام الباحثين الذين سعوا إلى تفسير آلياتها وضبط قوانينها، فظهرت الدراسات التاريخية والمقارنة بوصفها الإطار المنهجي الأول الذي تناول تطور اللغات في ضوء أصولها وتحولاتها عبر الزمن، محاولةً الكشف عن القوانين العامة التي تحكم تغييرها الصوتي والدلالي والنحوي.

### 2. التطور اللغوي والدراسات التاريخية والمقارنة:

ارتبط البحث في ظاهرة التطور اللغوي بتأمل الإنسان في تنوع اللغات واختلافها، ومحاولته تفسير أسباب هذا الاختلاف، ومع تراكم الملاحظات والاحتكاك بين الشعوب، أخذ التفكير في تطور اللغات منحى أكثر علمية، مما مهّد لظهور اتجاهات تبحث في نشأة اللغات وصلات بعضها ببعض، تأسست على المقارنة المنتظمة القائمة على الاستقراء، وسنعرض فيما يلي محطات مهمة في تاريخ الدراسات اللغوية والتي شكلت معالم البحث اللغوي في تطور اللغات البشرية.

تأثر علماء اللغة بنظرية التطور لداروين «وكان أكثر اللغويين تحمسا لهذه النظرية العالم الألماني فلهام شلايشر (1868-1821 *wilhem Schleicher*) وكان عارفا بعلم النبات وهو أول من طبق الداروينية بالحرف على اللغات البشرية فكان يأبى أن يقال إنها حدث بشري محض، ويأبى أن يعتبر علم اللسان من العلوم الإنسانية، بل كان يغلو في اعتقاده مدعيا أنه علم طبيعي بحت»<sup>1</sup>، وسادت هذه النزعة جميع مظاهر البحث حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

كان الهدف الأساس من الدراسات التاريخية والمقارنة خلال القرن التاسع عشر هو بيان العلاقات التي تربط لغات العالم، حيث كانوا يطمحون لإرساء العائلات اللغوية الرئيسية في العالم، وتحديد مبادئ تصنيف تلك اللغات، واستشهدوا في فرضياتهم بملاحظة التطابق في القواعد الصوتية في بعض اللغات، فافترضوا أن اللغات التي تظهر تطابقا أو اختلافا نظاميا لا بد أنها تعود لأصل مشترك، وانطلقت هاته الدراسات بشكل منظم مع السير وليام جونز (*Sir William Jones 1794-1746*) الذي لاحظ أثناء إقامته في الهند أن السنسكريتية -لغة الهند القديمة- تحمل تقاربا مع اللاتينية واليونانية بشكل أكبر من أن يكون صدفة،

1- عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، دار موفم للنشر، الجزائر، 2012م، ص 121.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

فاقتراح أن هذه اللغات الثلاث انحدرت من أصل مشترك<sup>1</sup>. وتوالت الأبحاث بعد اكتشاف القرابة بين اللغة اللاتينية واليونانية واللغة الهندية القديمة ليضم فرانز بوب (1867-1791) (*Franz Bopp*) كلا من الفارسية والجرمانية إلى عائلة اللغات الهندية الأوروبية، وقد أكد راسموس راسك (*Rasmus Rask* 1832-1787) هذه النتائج وأضاف كلا من الليتوانية والأرمينية، وكان راسك أول عالم يصف تواتر بعض الاختلافات الصوتية بين اللغات ذات الصلة<sup>2</sup>.

أهم راسموس راسك اللغوي الألماني جاكوب جريم (*Jacob Grimm* 1785-1863) الذي حدد التقارب الصوتي النظامي بين السنسكريتية واللاتينية واليونانية واللغات الجرمانية، وشرح تلك التقاربات من خلال قواعد التغيير الصوتي<sup>3</sup>، ونظرا إلى أن التغيرات الصوتية التي اكتشفها جاكوب غريم كانت منتظمة إلى حد كبير أصبحت معروفة باسم "قانون غريم" (*Grimm's Law*).

ومع أن الدراسات اللسانية خلال القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر قد اصطبغت بالصبغة العلمية إلى حد ما؛ لقيامها على الملاحظة والاستقراء والمقارنة بين النصوص، إلا أن الهدف الخفي وراء تلك الأبحاث كان إثبات تميز كل لغة وأفضليتها على غيرها، وقد سادت هذه النزعة إلا أن ظهرت مدرسة النحاة الطلائعيين (*Neo-grammarians*) سنة 1878م، «وهم أول من نقضوا الأوهام التي سادت في أوساط اللغويين في الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر. وأهمها الاعتقاد بأن اللغات القديمة أشرف من الحديثة [...] وأن التطور اللغوي هو في الواقع تحسن وارتقاء ثم تدهور وانحطاط»<sup>4</sup>، فكان ظهور هذه المدرسة نقطة تحوّل في تاريخ الدراسات اللغوية، إذ نقلت البحث اللغوي من دائرة الأحكام القيمية والفرضيات الميتافيزيقية إلى مجال الملاحظة العلمية الدقيقة للظواهر اللغوية، وأكدت أن التغيير اللغوي ظاهرة طبيعية تخضع لانتظام يمكن تتبعه ووصفه، لا لأحكام تربط بين اللغة والتقدم أو الانحطاط الحضاري.

1- ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص114/115.

2- المرجع نفسه: ص117/118.

3- ينظر المرجع نفسه: ص123.

4- المرجع نفسه: ص125.

لقد أزلت جهود العلماء السالفة -على اختلاف مقاصدهم- المبالغات التي كانت سائدة، والتي كانت تصر على إحقاق اللغة بالعلوم الطبيعية ومعاملتها معاملة الكائنات الحية، واستبدلته بتيار التتبع التاريخي الدقيق الذي اهتم بتقنين التطور وتعليقه، وجعل أساس البحث التحليل والاستقراء، فكان مذهباً عملياً وعلمياً يبني أحكامه على المشاهدة للمجرى التحولي، ويستنبط من هذه المشاهدة القوانين الجزئية والكلية.

### 3. عوامل التغير والثبات في اللغة:

تُوهَم اللغات مستعملها بثباتها، ذلك أن التغيرات التي تحدث لها، تنفذ تدريجيةً وخفيةً بصورة تمنع المستعمل من التقطن لها، إلا أن الوقوف ملياً والمقارنة الدقيقة لبنية اللغة تاريخياً تمكن الدارسين من استجلاء مواطن التحول؛ إذ «لا أحد لديه الانطباع أن اللغة التي يتكلمها تغيرت في حياته أو أن مختلف الأجيال الحاضرة لا تعبر بشكل متطابق، كل شيء يسهم في إقناع الأفراد بثبات وتجانس اللغة الخاصة التي يمارسونها؛ استقرار الشكل الكتابي، والمحافظة على اللغة الأدبية والرسمية، وعدم استطاعة الأفراد التذكر كيف كانوا يتكلمون من عشرة أو عشرين سنة، بالإضافة إلى أنه من مصلحتهم عدم إدراك ما يمكنه التسبب في إعاقة فهم الرسالة وتجاهل كل اختلاف يعيق عملية الفهم»<sup>1</sup>. إن هذا الثبات الظاهري لا يُعبر عن حقيقة اللغة من منظور لساني دقيق، إذ إنّ اللغة حدث اجتماعي متحوّل، تخضع عناصره لقانون الازدواج بين الثبات والتغير، فكل نظام لغوي يحمل في داخله بذور التحول التي تفرضها حركة المجتمع والزمن.

عرّف فردينان دي سوسير (*Ferdinand De Saussure* 1857-1913) التطور اللغوي بأنه التبدل الحاصل في العلاقة بين الدال والمدلول على اعتبار أنهما الركنان الأساسيان للعلامة اللغوية، على خلاف ما كان شائعاً قبله من تسليط الضوء على التغيرات الصوتية فحسب، لأنه المستوى الأكثر انتظاماً واتساقاً مع النهج البيولوجي للدراسات التطورية.

وتحدث دي سوسير في كتابه "دروس في اللسانيات العامة" (*Cours De Linguistique Générale*) عن الدراسة التاريخية للغة، وسماها "زمانية" تارة و"تاريخية" أخرى و"تطورية" طورا آخر، وخصص جزءاً معتبراً من الدروس لبحث مسألة التطور اللغوي،

1- André Martinet: *Eléments De Linguistique Générale*, Armand Colin, Boulevard Saint-Michel, Paris, 1980, p172.

ومما جاء في المؤلف: «إن الثبات المطلق أمرًا وجود له، فكل أجزاء اللغة خاضعة للتغيير، ويوافق كل مرحلة من الزمن تطورًا مناسبًا لها كثر أو قلَّ، يمكن أن تتفاوت تلك التطورات من حيث السرعة والشدة دون أن ينقض ذلك المبدأ نفسه، فنهر اللغة جار دون انقطاع سواء كان جريانه هادئًا أم جارفًا»<sup>1</sup>، معتبرا التطور ظاهرة حتمية تلحق جميع اللغات المتداولة دون استثناء.

لقد درج في عرف علماء اللغة في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر أن التغييرات تلحق الأصوات بدرجة أوضح، فعالج الكثير منهم تطورها وصاغوا القوانين في كيفية تحولها، حتى ارتبط التطور اللغوي بالمستوى الصوتي لكثرة ما صيغت قوانين وتصحيحات لتلك القوانين، إلا أن دي سوسير قد استدرك على أصحاب تلك النزعة تقصيرهم، وأقر بأن التغييرات تلحق كل مستويات اللغة في قوله: «ينبغي بادئ ذي بدء أن لا نخطئ في فهم المعنى المسند إلى كلمة تغير في هذا المجال، فقد تحمل هذه الكلمة على الاعتقاد بأن الأمر يتعلق خاصة بما يصيب الدال من تغييرات صوتية وما يلحق المدلول من تغييرات معنوية. وفي هذه النظرة بعض القصور، فمهما كانت عوامل التغيير وسواء أعمل كل واحد منها على حدة أم عملت معا فإنها تقضي دائما إلى ترحيح العلاقة القائمة بين الدال والمدلول»<sup>2</sup>، إن مفهوم العلامة اللغوية الذي جاء به سوسير غيرت النظرة السائدة في أن التطور اللغوي منحصر إما في الأصوات أو المعنى، فقد سلط سوسير الضوء على الرابط الذي يصل بين طرفي العلامة اللغوية والذي هو الدلالة، وأقر أن التطور اللغوي هو أي تبدل حاصل في تلك العلاقة، ويتم بتبدل أحد طرفيها أي الشكل المادي أو المجرد، أو بأي تغير من أي نوع آخر، وبالتالي فقد وسع سوسير مفهوم التطور اللغوي من مجرد التغيير الذي يلحق أصوات لغة ما أو معاني مفرداتها، إلى أي تبدل نوعي في العلاقة التي تربط الدال اللغوي بمدلوله.

كما أشار دي سوسير إلى مبدأ التغيير بقوله: «إن كل ما هو زمني في اللغة ليس كذلك إلا بواسطة الكلام الذي تكمن فيه بذور جميع التغييرات، وكل تغير فإن منطلقه الأول

1- Ferdinand De Saussure: Cours De Linguistique Générale, Arbre D'or, Genève, La Suisse, 3ème éd, 2005, p150.

2- Ibid: p83.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

عدد محدود من الأشخاص قبل أن يدخل الاستعمال العام»<sup>1</sup>، إن اللغة بوصفها مؤسسة اجتماعية قابلة للتداول من لدن أفراد المجتمع، يجعل منشأ التغيير هو الاستعمال الفردي أي الكلام (*la parole*) ، ذلك أن استعمالاً فردياً واحداً مخالفاً لما درج عليه أهل اللغة قد يؤدي إلى تغيير فيها، بالطبع فإن الأمور لا تسير على هذا النحو من البساطة، فاللغة توفر عوامل دفاعية تضمن استمراريتها وثباتها عبر الزمن على اختلاف مستعمليها، فعلى الرغم من أن منشأ التطور هو استعمال فردي حسب سوسير، إلا أن اعتماده مرهون بإقرار الجماعة اللغوية، فلو أن استعمالاً فردياً خالف المؤلف لقي قبولاً وتم تداوله بين مستعملي اللغة، فإن ذلك يؤدي به إلى الانتقال من المستوى الفردي (الكلام) إلى المستوى الجماعي وبالتالي يتحول من الكلام إلى اللسان، تتم هذه العملية عبر تكرارات عالية للاستعمال الجديد وتوسيع تداوله من نطاق الفرد إلى المجموعة.

تُبدى اللغة ممانعتها في مستوى المفردة والتركيب؛ حيث تتشكل الثروة اللغوية لأي لسان من أزواج (دال/مدلول) مرتبطة بعلاقة تواضع عليها المتكلمون، يستدعي كل طرف من تلك الأزواج الآخر، أما على مستوى التركيب فإن عناصره ترتبط بعلاقات ترتب انتظام وحداته على نحو معين يختلف باختلاف اللغة، ويدين استقرار أي لغة إلى استقرار علاقة الدوال بمدلولاتها وكذا باستقرار النظام التركيبي فيها.

فلو أن لغة استوعبت كل استعمال فردي وأقرته لاستحالت ظاهرة فردية وكان لكل متكلم لغته الخاصة، ولا تمتع بذلك التفاهم بين الناس، وإنما تُدخل اللغة في حياضها التغيير الذي لقي قبولاً من الجماعة اللغوية وأقره أصحابها، حينئذ ينتقل من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي؛ أي من مستوى الكلام الخاص إلى مستوى اللسان العام.

علاوة على تعريفه للتطور اللغوي وإدراجه تحت بند الدراسات التاريخية، وإبراز مبدأ كل تغيير والذي هو الكلام، عدد سوسير عوامل للثبات والتحول في اللغة، والتي جمع بعضها بين المتناقضات ومنها:

1- Ferdinand De Saussure: Cours De Linguistique Générale, p106.

### 1.3. اعتبارية العلامة اللغوية:

ربط دي سوسير بين الطابع الاعتباطي للعلامة اللغوية وبين حدوث التطور اللغوي بقوله: «سبق أن قادنا البحث إلى التسليم بإمكانية التغير من حيث المبدأ، لكنّ التعمق في المسألة يبيّن أنّ الاعتباط نفسه الذي يميّز العلامة هو ما يجعل اللغة في مأمن من أي محاولة لتعديلها»<sup>1</sup>، إن عدم وجود مناسبة طبيعية بين الدوال ومدلولاتها واعتبار الرابط بين ركني العلامة اللغوية رابطاً يقوم على مجرد التواضع والاصطلاح دون وجود علاقة طبيعية أو منطقية، يجعل من التطور اللغوي خياراً متاحاً نظرياً لهشاشة الصلة، في نفس الوقت عد سوسير هذا من عوامل الثبات في اللغة؛ ذلك أن عدم توفر مناسبة منطقية بين الدال والمدلول لا يوجد مسوغاً للعدول عن دليل إلى آخر، لانعدام سبب منطقي أو مستند عقلي لذلك التغيير.

### 2.3. تعدد العلامة اللغوية:

يشير دي سوسير إلى أن تعدد العلامات وتداخلها داخل النظام اللغوي يمثل أحد الأسباب الجوهرية لثبات اللغة واستعصائها على التغيير الجذري فيقول: «إنّ نظاماً كتابياً مؤلفاً من عشرين إلى أربعين حرفاً يمكن في حدود معينة، أن يُستبدل بآخر، وكذلك الشأن بالنسبة إلى اللغة لو كانت تحتوي على عدد محدود من العناصر؛ غير أنّ العلامات اللغوية لا تُحصى»<sup>2</sup>، فبخلاف الأنظمة الرمزية البسيطة، تشكّل اللغات بنية شديدة التعقيد تقوم على شبكة مترابطة من العلاقات بين عدد لا متناهٍ من الوحدات الصوتية والدلالية، بحيث يصبح أي تغيير عام أو مقصود أمراً مستحيلاً دون أن يفضي إلى انهيار النظام ذاته، إنّ هذا التعدد الهائل هو الذي يمنح اللغة طابعها المستقرّ نسبياً، ويجعل تطورها خاضعاً لقوانين داخلية بطيئة الأثر، تنشأ من الاستعمال الجماعي لا من الإرادة الفردية.

### 3.3. الطبيعة المعقدة للنظام اللغوي:

يشدّد دي سوسير على تعقيد النظام اللغوي وارتباطه بالاستعمال الجماعي بحيث يصعب تغييره عمداً، فيقول: «هذا النظام آلية معقدة، لا يمكن فهمها إلا عن طريق التأمل،

1- Ferdinand De Saussure: Cours De Linguistique Générale, p81.

2- Ibid: p81.

وأولئك الذين يستخدمون اللغة يوميًا يجهلون في العمق»<sup>1</sup>؛ اللغة بوصفها نظامًا مترابط البنية، يتجاوز قدرة الأفراد والجماعات على التدخل المباشر في تكوينها أو تعديلها، فعلى الرغم من أن اللغة تملك جانبًا غير اعتباطي، فإن هذا الجانب هو نفسه ما يجعلها عصية على التغيير الجماعي أو الفجائي، ولا يمكن إحداث أي تعديل جوهري إلا بواسطة متخصصين مثل النحاة والمنطقيين، وقد أظهرت التجارب أن التدخلات من هذا النوع لم تحقق نجاحًا يُذكر.

### 4.3. مقاومة الجمود الجماعي لأي ابتكار لغوي:

إن الممارسة اليومية للغة واستخدامها المتواصل من قبل الجماعة يجعلها محصنة ضد أي تغييرات جذرية أو ابتكارات فردية، «فباللغة من بين جميع المؤسسات الاجتماعية، تعد الأقل قابلية للمبادرة الفردية؛ فهي متجذرة في حياة الجماعة، وهذه الأخيرة بطبيعتها تميل إلى الجمود، فتظهر اللغة قبل كل شيء عاملاً حافظاً للنظام الاجتماعي واللغوي على حد سواء»<sup>2</sup>، ويضمن الثبات النسبي للغة بوصفها مؤسسة مشتركة بين الجماعة قدرًا أكبر من التفاهم والتواصل بين أفراد تلك الجماعة.

من خلال تحليل العوامل الأربعة التي حددها دي سوسير لتفسير ظاهرة التغيير اللغوي، يتضح أنه يتجاذب اللغة قوتان متعارضتان في الظاهر: قوة الثبات وقوة التحول؛ فالاعتباطية التي تقوم عليها العلامة اللغوية تجعل التغيير ممكنًا من حيث المبدأ، لكنها في الوقت نفسه تُثبتي النظام اللغوي في حالة استقرار نسبي لغياب الدافع المنطقي نحو التحول، كما أن التعدد الهائل للوحدات اللغوية وتشابكها داخل بنية معقدة يحول دون أي تغيير شامل أو إرادي، إذ إن أي مساس بعنصر واحد يحدث اضطرابًا في النظام بأكمله، ويعزز هذا الثبات عاملان آخران: الطبيعة المعقدة للنسق اللغوي الذي يتجاوز وعي المتكلمين، والمقاومة الجماعية لكل مبادرة فردية تمس البنية المستقرة للغة، فالتغيير اللغوي عند سوسير لا يتم نتيجة لقرار واعٍ أو فعل إرادي، وإنما هو ثمرة تطور بطيء تفرضه قوى اجتماعية وتاريخية تعمل في الزمن، بحيث تغدو اللغة مجالًا تتعايش فيه الضرورة والتغيير ضمن توازن دقيق يحفظ وحدتها واستمراريتها.

1- Ferdinand De Saussure: Cours De Linguistique Générale, p81.

2- Ibid: p84

### 4. أسباب التطور اللغوي:

إن محاولة تعداد العوامل المؤثرة في التطور اللغوي هي محاولة تقريبية، فمن الصعوبة بمكان السعي لحصر كل الدوافع المساعدة على ذلك، كما أن الفصل بين العوامل الداخلية والخارجية من جهة وبين العوامل الخارجية بعضها عن بعض من جهة أخرى، لا يعدو كونه فصلا منهجيا، وإلا فإن اللغة نظام متشابك ومتداخل، من غير اليسير وضع حدود فاصلة بين مستوياتها المختلفة، كما أن ارتباطها بالاستعمال الفردي من جهة والجماعي من جهة وضرورة موافقتها للذوق العام ومقدرتها على تلبية حاجات كل مستعمليها على اختلاف طبائعهم واهتماماتهم وأجناسهم وأعمارهم، كل هذه المعطيات تجعل من العسير تحديد العوامل المؤثرة في تطورها على النحو الأكمل، وما سيُعرض هو محاولة لجمع أهم النقاط التي أسهمت في التطور اللغوي والتي لها ارتباط مباشر باللغة العربية في مسارها التاريخي بشكل عام وبمدونة البحث بشكل خاص.

يرى الباحثون أن اللغات جميعا تتشارك في الأسباب المؤدية لتغيرها؛ «نظراً لأن مستخدمي اللغة في جميع أنحاء العالم لديهم نفس العمليات العقلية، ويستخدمون التواصل لنفس الأهداف أو لأهداف متشابهة جداً، فإن التغييرات التي تحدث في لغات من الأسكا إلى زامبيا تتسجم مع نفس الفئات التي تُرى في اللغة الإنجليزية والفرنسية»<sup>1</sup>، فاللغة ظاهرة اجتماعية ونظام معقد، يسيّر تطورها محوران أساسيان: محور يتعلق بالنظام الداخلي للغة وما تتيحه لمستعمليها من إمكانية للتغيير بما يوافق قوانينها، وآخر خارجي يتعلق بالمستعملين وظروفهم الاجتماعية والبيئية والجغرافية والثقافية، وتتضوي كل تلك العمليات الداخلية والخارجية تحت مظلة الزمن، وسيُخصص الكلام في هذا الجزء على العوامل الخارجية، ويؤجل الحديث عن العوامل الداخلية للفصلين الآتيين واللذان يعدان لب البحث.

### 1.4. العامل السياسي:

غالبا ما يتم تجاوز العامل السياسي أثناء عرض أسباب التطور اللغوي، إلا أننا ارتأينا أن ندرجه على رأس القائمة لأهميته في تاريخ اللغة العربية، وقد يعد العامل الوحيد الذي يكون التطور فيه مقصودا ومسطرا له، بحيث تُوفّر الأسباب ليتخذ التحول فيه اتجاها معينا

1- Joan Bybee : Language change, Cambridge University Press, UK, 1st ed, 2015, (preface).

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

ومدرسا سلفا، وتملك السلطة السياسية سيادة القرارات بحيث تزرع بذور التغيير بالاعتماد على النظام التعليمي والإداري بالدرجة الأولى، إلا أن المضي في النهج المسطر له مرهون بمدى استجابة أفراد المجتمع وقناعتهم وتبنيهم لذلك السبيل، وفي السياسة قد لا تكون اللغات هي المقصودة ابتداءً، ولكنها الوسيلة المثلى للهيمنة التامة على المجتمعات، حيث تفقد المجتمعات أهم ركائز هويتها بفقدان لغاتها، لذلك أولت الدول الاستعمارية في القرن التاسع عشر هذه المسألة عناية قصوى.

إلى جانب الاجتياح العسكري انتهجت الدول الاستعمارية سياسات متنوعة بغية طمس هوية المستعمرات، حيث فرضت لغاتها وحاربت تعليم اللغات الأصلية كما شجعت على ارتياد المدارس التي أقامت على أراضي مستعمراتها من أجل تثبيت وجودها؛ لمعرفتها وتقديرها لقوة الرابط بين اللغة والهوية والانتماء للأرض، تعيش الدول الأفريقية مثلاً تبعات هذه السياسات إلى يومنا الحالي من ازدواجية لغوية.

إنَّ أقرب مثال على تأثير العامل السياسي في تطور اللغة هو المسألة اللغوية في الجزائر وما كان من نتائج السياسة الاستعمارية، إذ «اعتبرت اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية يحظر تعليمها إلا بالحصول على إذن بذلك لا يمنح إلا في الحالات الاستثنائية»<sup>1</sup>، وقد عمدت السلطة الفرنسية إلى خطط مدروسة متدرجة ومرحلية، الهدف منها قطع أواصر الصلة بين الشعب ومقومات هويته العربية الإسلامية، لضمان رضوخه وموالاته للسلطة الاستعمارية وذويانته واجتثاثه من جذوره وسلخه من تاريخه.

إلا أن السياسات الفرنسية لم تحقق أهدافها كما كان مخططاً لها؛ حيث «إن سياسة التمييز العنصري ضد الجزائريين جعلت الخطوات الأولى في نشر التعليم الفرنسي خجولاً؛ إذ لم تستقبل المدرسة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر إلا أربعة أطفال جزائريين بعد ثلاثين عاماً من احتلال الجزائر»<sup>2</sup>، وعلى الرغم من أن الحركات الإصلاحية قد حاولت الوقوف ضد فرنسة الجزائريين والتخفيف ما أمكن من حدة مد اللغة الفرنسية في الجزائر وخلق بديل عن المدارس الفرنسية رغم التضيق الشديد عليها، إلا أن أكثر من قرن من الاستعمار

1- ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر النخب- الهوية- اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، المركز العربي

للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط01، 2021م، ص70.

2- المرجع نفسه: ص72.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

الاستيطاني الساعي لتغريب الجزائري كان كفيلا بأن يترك آثاره على لغة الشعب، الشيء الذي مازلنا نلمس تبعاته حتى اللحظة من ازدواجية لغوية على مستوى الأفراد والمؤسسات والذي يحتاج مرة أخرى إلى إرادة سياسية لإعادة الأمور إلى نصابها.

نذكر للعامل السياسي وأثره في توجيه تطور اللغة العربية حديثين هامين، قد لا يتصدر الجانب السياسي فيهما المشهد، بل الديني تارة والثقافي أو الاقتصادي أخرى، إلا أننا نرى أن السلطة السياسية هي التي أحدثت هذا التغيير ابتداءً.

من المعروف أن أول من جمع القرآن الكريم بين دفتين هو الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت13هـ)؛ وذلك مخافة ضياع سور القرآن عقب استشهاد عدد كبير من الصحابة من حفظة كتاب الله، ثم أعيد الأمر مرة أخرى في عهد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت35هـ)، إلا أن الغرض في الثانية كان مغايراً، «وأن عثمان لم يقصد قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروضة على الرسول، وإلغاء ما لميجر مجرى ذلك»<sup>1</sup>، أراد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تدوين المصاحف توحيد المسلمين على القراءات المتواترة الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتثنية القرآن من العادات النطقية المختلفة للقبائل العربية المنتشرة في شبه الجزيرة العربية، والحد من التوسع في قراءة القرآن على لغات العرب المتباينة درءاً للفرقة.

في خطوة ثانية نحو نبذ الخلاف بين المسلمين في قراءة القرآن، أمر الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحرق ما كان بين أيدي الناس من الرقاع والمصاحف، وإرسال ما تم جمعه وتدوينه على ما يوافق العرضة الأخيرة للرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الأمصار ليعاد نسخها واعتمادها بديلاً موحداً.

صنيع عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو توجيه اللغة باتجاه معين وهو محطة مفصلية في تاريخ العربية، إذ لا يخفى ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم الذي كان العامل الأهم في استمرارها وحفظها من الزوال والانقراض وامتدادها عبر كل هذه القرون، ومن هنا تكتسي هذه الحادثة قيمتها في تاريخ العربية، وتبرز أهمية العامل السياسي في التطور اللغوي.

1- محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي: الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 2001م، ج01، ص65.

وقد تم في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت86هـ) وبأمر منه تعريب الدواوين في الأمصار المتاخمة لبلاد العجم، وإن كان المتصدر للمشهد هنا هو العامل الاقتصادي، إلا أن سلطة الخليفة قد حددت نوع التغيير، إذ كان بالإمكان أن يبقى الوضع على حاله أو أن تُختار لغة من بين لغات الدواوين كالفارسية أو اليونانية أو القبطية بدل العربية، وكان الوضع سيختلف جذرياً. على إثر ذلك أصبحت اللغة العربية لغة التدوين فنقلت إليها كثير من الاصطلاحات الأعجمية، وفتح هذا القرار الجريء من الخليفة الأموي الباب لترجمة العلوم والفنون من اللغات المختلفة أبرزها اليونانية والفارسية، ولا يخفى أثر ذلك على اللغة العربية والثقافة الإسلامية بشكل عام.

### 2.4. العامل البيئي:

"الإنسان ابن بيئته"، مقولة يتردد ذكرها في مواقف عديدة، لتوصيف ارتباط الناس ببيئاتهم التي نشأوا فيها ارتباطاً يمس كل مناحي حياتهم، وتعد اللغة بطاقة التعريف لكل متكلم، حيث يتم تصنيف المرء بمجرد نطقه إلى الجهة التي ينتمي إليها وهو مؤشر واضح على تأثير البيئة في اللغة من حيث الأصوات وطريقة الأداء وكذلك من حيث المعجم، تحضرنا في هذا المقام القصة الشهيرة\* للشاعر العباسي علي بن الجهم (ت249هـ)، وهو يمدح الخليفة بما ألف مشاهدته في البادية، والتحول الذي طرأ عليه بمقامه في المدينة ومعابنته حياة البذخ ورفاهية القصور التي أنتجت أبياته الرقيقة العذبة<sup>1</sup>:

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ \*\*\* جَلْبِنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي  
أَعْدَنَ لِي الشُّوقَ الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ \*\*\* سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنْ جَمراً عَلَى جَمْرٍ  
سَلِمَنْ وَأَسْلَمَنْ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا \*\*\* تُشَكُّ بِأَطْرَافِ الْمُتَّقَةِ السُّمْرِ

تطبع البيئة معجم المتكلمين فتُغَلَّبُ توارد مفردات مقابل أخرى، وتؤثر في انتقاء الناس لكلماتهم بحسب ما توافر لهم من المحسوس المشاهد حولهم، فمن ألف حياة البادية حفل معجمه بالمفردات الدالة على معيشة أهلها من جمال وسيوف ورمال وخيام ووحوش وغيرها، بشكل يوحي بالتأثر الشديد للبدوي ببيئته الضيقة والمحدودة جداً، فيعوض فقر الطبيعة

\*- يشكك البعض في صحة الحادثة، ما يهمنا هنا هو قوة تأثير البيئة على معجم الشعراء.

1- علي بن الجهم : الديوان، تح: خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي بدمشق، (دط)، 1949م، ص252.

والأحداث في حياته بتركيزه على التفاصيل الدقيقة، وقد عولجت مسألة تأثير البيئة على المتكلمين قديماً وحديثاً فتحدث عنها ابن خلدون وغيره، وعبر الدكتور جودة الطحلاوي عن الأمر بقوله: «فأهالي الجبال والصحراوات أصفى ذهنًا وأنقى قريحة وأعظم لحيين لعرك الكلام الفصيح الجزل من أهل الحضر والمدن والسهول وذلك لتأثير البداوة فيهم بالنشاط والحركة وجودة الذهن وشفاء الحس [...] على حين نجد لأهل الحجاز رقة وغزلاً ولينا في أخلاقهم ودعة في أقوالهم»<sup>1</sup>، موضحاً أثر تباين البيئات الطبيعية على تنوع لغات العرب واختلاف أساليبهم.

ومن أمثلة تأثير البيئة في التطور اللغوي انتقال معاني الألفاظ وموافقة دلالاتها الجديدة للطبيعة المحيطة بالمتكلمين، من ذلك ما أورده محمد أبو بكر الزبيدي (ت379هـ) في مؤلفه "لحن العوام"، والذي خص به لحن أهل الأندلس فيما وضعته العامة في غير موضعه وما يوقعه العامة على الشيء وقد يشركه فيه غيره، كقولهم للخمار لما خمرت به المرأة رأسها من شقاق الحرير خاصة، والخمار كل ما خمرت به الرأس من ثوب وما أشبهه<sup>2</sup>، وذلك لاستعمال نساء الأندلس الأقمشة الحريرية بشكل خاص في تغطية رؤوسهن، وكذلك قولهم "الوادي" للنهر خاصة، وهو كل بطن مطمئن من الأرض سواء استقر فيه الماء أم لم يستقر، ولأنه يغلب على الأماكن المنخفضة في تضاريس الطبيعة الأندلسية تواجد الماء فيها، خصص لفظ الوادي عندهم للمجرى المائي متأثراً بما يعاينونه في بلادهم. ويذكر الزبيدي أمثلة متعددة لألفاظ نقلها سكان الأندلس عن معانيها الأصلية وخصصت دلالاتها بما يوافق بيئة الأندلس بترفها وتمدنها وسحرها وتضاريسها.

### 3.4. العامل الثقافي والديني

يندرج العامل الثقافي ضمن أبرز العوامل المسيرة للتطور اللغوي، حيث تعد الحواضر ذات الهيمنة الثقافية منطلق التحولات اللغوية في المجتمعات، إذ «تبدأ التغييرات اللغوية في المدن الكبيرة ذات الأهمية الثقافية، ثم تؤثر على المدن الأصغر التي تهيمن عليها، ومع

1- جودة محمود الطحلاوي: تاريخ اللغات السامية، مطبعة الطلبة، مصر، (د ط)، 1932م، ص160.

2- محمد بن حسن أبو بكر الزبيدي: لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 2000م، ص257.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

مرور الوقت، تنتسب هذه التغييرات إلى المناطق الريفية والبلدات الصغيرة وحتى القرى»<sup>1</sup>، كثيراً ما يكون هذا الشكل من الانتشار مدفوعاً بالكثافة السكانية وتأثير المراكز الحضرية الكبرى، التي تعمل بوصفها نواة للتغيرات الثقافية والاجتماعية، وربما ينتشر التغيير مباشرة من مدينة إلى أخرى، متجاوزاً -ولو لفترة من الزمن- المجتمعات الأصغر التي تقع بينهما، مع ملء الفجوات لاحقاً.

لقد تأثر مسار اللغة العربية بالعامل الثقافي منذ العصر الجاهلي، أين كان الشعراء يلقون قصائدهم بلغة قريش حين قدومهم مكة في مواسم الحج والتجارة، إذ كانت مكة حاضرة الجزيرة العربية آنذاك، لتواجد البيت العتيق ذو القداسة الخاصة عند العرب قاطبة، وكان سادة قريش سدنة البيت وخدمة الحجيج، «حيث كانت قبائل العرب تتوافد على البيت الحرام لمشاهدة المجتمعات العربية والأندية الأدبية في أسواقها العامة فكان كل شاعر أو خطيب يحرص أن تكون لغته وألفاظه مما تستسيغها الأوتار القرشية حتى يكون ذكره أشيع وفضله أنبه»<sup>2</sup>، ومع نزول القرآن فتن بلغاء العرب ببيانهم وحاولوا محاكاة أسلوبه، فأخذ الشعراء والخطباء ينسجون أشعارهم وكلامهم على ضوئه ويقتبسون من سحر بلاغته، ويتخلصون شيئاً فشيئاً من الحوشي من الألفاظ، وكذا المستهجن من التنوعات النطقية إما بشكل تلقائي أو موجه كما كان من توحيد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس على مصحف واحد.

وكذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت23هـ) «أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿عَنِّي حِينَ﴾، فقال: مَنْ أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقرأئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام»<sup>3</sup> كما أسهم انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية والحث على قراءة القرآن وحفظه وتدريس علومه، وتأثر لغات العرب المختلفة بلغة القرآن، في ظهور ألفاظ ارتبطت بالأحكام

1- Ronald Wardhaugh And Janet M. Fuller: An Introduction To Sociolinguistics, Willy Black Well, 7<sup>th</sup> ed, 2015, p202.

2- جودة محمود الطحلاوي: تاريخ اللغات السامية، ص115.

3- عثمان بن جنى أبو الفتح: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط02، 1966م، ج01، ص343.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

الشرعية والعبادات والمعاملات لم يكن للعرب سابق عهد بها، أو انتقال دلالة بعضها من الدلالة الوضعية إلى دلالة شرعية، عرفت فيما بعد بالألفاظ الإسلامية. وأثر اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول الأعاجم في الإسلام وما نتج عنه من احتكاك ثقافي واسع في اللغة العربية، التي شهدت تحولات معجمية وحضارية عميقة، فقد أدت حركة الترجمة إلى إثراء العربية بألفاظ جديدة، منها ما دخل بصيغته الأصلية فعدّ دخيلاً، ومنها ما خضع لقواعدها الصوتية والصرفية فصار معرّباً، وبرز هذا التغير بوضوح في الحواضر الإسلامية الكبرى، كَبغداد ودمشق، حيث امتزج العنصر العربي بالأعجمي وتعددت المؤثرات الثقافية، فانقلبت إلى اللغة أسماء الأشياء والمظاهر الحضارية التي لم يعرفها العربي البدوي من قبل، مثل الديباج والنرجس والقرطاس، وأدت موجة التفاعل الحضاري إلى تجديد المعجم العربي وتوسيعه، قبل أن تمتد آثارها تدريجياً إلى البوادي التي ظلت رداً من الزمن في منأى عن هذا التحول.

### 4.4. العامل الجغرافي (الاتصال اللغوي *linguistic contact*):

يؤدي التقارب الجغرافي إلى الاتصال اللغوي بين الشعوب وهو «حالة يكون فيها متحدثو لغات مختلفة على اتصال وثيق في حياتهم اليومية، فقد تقوم المجتمعات المختلفة لمتحدثي اللغات باستعارة مفردات وخصائص صوتية وتراكيب نحوية من لغات بعضهم البعض، ولكن إذا كانت إحدى المجتمعات مهيمنة، فإن لغتها ستستمر في البقاء، في حين قد تصبح لغة المجتمع غير المهيمن منقرضة»<sup>1</sup>، يؤدي العامل الجغرافي دوراً هاماً في تطور اللغات، حيث تعد مناطق الاتصال اللغوي وهي المناطق التي تكون فيها الحدود الفاصلة بين لغة وأخرى، مناطق تفقد فيها اللغات نقائها وتتلون بقدر ما احتك به أصحابها من اللغات الأجنبية، غالباً ما تكون لغة ساكني الحدود مزيجاً من لغتين أو أكثر بحسب ما توفر لهم من اتصال، وكلما اقتربنا من المركز كلما خف التأثير وكشفت اللغة عن النسخة الأكثر محافظة ونقاء.

وقد يحدث أن يتفرق مستعملو اللغة الواحدة وينتشروا في الأرض ويخف تواصلهم، فتتسأ عادات كلامية خاصة بكل فرقة من تلك الفرق، وبتباعد الأزمان والأوطان تزداد الهوة

1- Keith Brown and Jim Miller: The Cambridge Dictionary Of Linguistics, Cambridge University Press, UK, 1<sup>st</sup> ed, 2013, p253.

بين ما كان في عهد سابق لغة واحدة حتى تصير وكأنها لغات مختلفة تماما، تحتاج لكشف العرى التي تربط بعضها ببعض إلى دراسة علمية رصينة.

ولم يعدم علماء العربية الأولون هذه النظرة العلمية، فقد وصفوا تقارب اللغات كما في قول ابن حزم الأندلسي (ت456هـ): «إِلَّا أَنَّ الَّذِي وَقَفْنَا عَلَيْهِ وَعَلِمْنَاهُ يَقِينًا أَنَّ السُّرْيَانِيَّةَ وَالْعَبْرَانِيَّةَ وَالْعَرَبِيَّةَ الَّتِي هِيَ لُغَةٌ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ، لَا لُغَةٌ حَمِيرٌ، لُغَةٌ وَاحِدَةٌ تَبَدَّلَتْ بِتَبَدُّلِ مَسَاكِنِ أَهْلِهَا، فَحَدَّثَتْ فِيهَا جَرَشٌ كَالَّذِي يَحْدُثُ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّ إِذَا رَامَ نِعْمَةَ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ، وَمِنْ الْقَيْرَوَانِيِّ إِذَا رَامَ نِعْمَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ، وَمِنْ الْخُرَّاسَانِيِّ إِذَا رَامَ نِعْمَتَهَا. وَنَحْنُ نَجِدُ مَنْ سَمِعَ لُغَةَ أَهْلِ فَحْصِ الْبَلُوطِ، وَهِيَ عَلَى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ قُرْطَبَةَ، كَادَ أَنْ يَقُولَ إِنَّهَا لُغَةٌ أُخْرَى غَيْرُ لُغَةِ أَهْلِ قُرْطَبَةَ. وَهَكَذَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ، فَإِنَّهُ بِمُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْبُلْدَةِ بِأُمَّةٍ أُخْرَى تَتَبَدَّلُ لُغَتُهَا تَبَدُّلًا لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ»<sup>1</sup>، لقد ربط ابن حزم بين العربية والعبرية والسريانية وهي لغات تنضوي تحت أسرة اللغات السامية بحسب ما أقرته الدراسات اللسانية الحديثة، وعلى الرغم من أنه لم يفصل في الكيفية التي استطاع بها أن يستيقن ويصدر هذا الحكم، ولم يكشف أوجه الشبه التي نص على إثرها بأنها لغات انحدرت من أصل واحد، إلا أنه ولا ريب رأي نابع عن تدبر منه لتلك اللغات وخصائصها، كما أوعز ابن حزم سبب التطور في اللغات ذات الأصل الواحد إلى تطاول الزمن واختلاف الأمصار ومجاورة أقوام مختلفين، وكلها اعتبارات علمية صحيحة أثبتت الدراسات اللسانية الحديثة أثرها البالغ في تطور اللغات الإنسانية.

وقد زاد لطيفة عارف محقق حين فرق بين العربية التي هي لغة مضر وبين العربية التي هي لغة حمير وهي عربية أهل اليمن ويؤيد هذا قول أبي عمرو بن العلاء (ت154): «مَا لِسَانُ حَمِيرٍ وَأَقَاصِي الْيَمَنِ لِسَانُنَا، وَلَا عَرَبِيَّتُهُمْ عَرَبِيَّتُنَا»<sup>2</sup>، وعلاوة على ما ذكرنا فإن للتضاريس الجغرافية دورا في توجيه التطور اللغوي، حيث تلعب الجبال والمرتفعات الوعرة دور الحواجز الطبيعية لمنع التواصل اللغوي وبالتالي الحد من التأثير

1- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج01، ص31

2- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م، ج01، ص137.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

المتبادل بين جهتي تلك التضاريس، وقد تعد الأنهار والمجاري المائية فاصلا بين الضفتين كما قد تلعب الدور المعاكس، فتكون نقطة النقاء وسببا في التأثير اللغوي.

### 5.4. العامل الاجتماعي:

تتال العوامل الاجتماعية النصيب الأكبر من أسباب التغير اللغوي نظرا لطبيعة اللغات، وتتشابك مع بقية العوامل بشكل يصعب عزلها وتحديدتها منفردة لارتباطها بحياة الجماعة اللغوية.

يؤثر السن في التباين في مستوى الكلام حيث «يعد مستعملو اللغة الأحدث سنا أكثر انفتاحا وإقبالا على مستجدات الحياة ومسمياتها، بينما يكون الكبار أكثر محافظة وتمثيلا للغة النقية، وتمكننا المقارنة بين أسلوب الكبار والصغار في الكلام عن الكشف عن الشكل الذي كانت عليه اللغة قبل جيل، كما تساعد المهن المشتركة في صنع معجم خاص وضيق داخل معجم اللغة الواسع يسمح بتسهيل التواصل فيما بين المجموعة الخاصة»<sup>1</sup>، وتطبع العلاقات الاجتماعية كعلاقة المصاهرة لغة الفرد، إذ يكتسب الطفل لغته من والديه وبالأخص من أمه، ولذا سميت اللغة التي ينطق بها على السجية وفي المعاملات اليومية العادية باللغة الأم، ولقد كان شرفاء العرب يحضون على الزواج من العربية لتستقيم السنة أبنائهم، ومن عدم أمّا عربية وُقّر له معلم يقوم لسانه، وسيبرز أثر العامل الاجتماعي بصورة أكبر في الفصلين التطبيين.

بعد عرض أسباب التطور اللغوي، نرى بأن العوامل الاجتماعية والثقافية والبيئية وكذا السياسية والاقتصادية تتداخل وتتضافر لتحديد مسار التطور اللغوي، ويحضرنا ونحن نسرده تلك العوامل وعي علماء اللغة العرب بكل هذه المؤثرات على مسيرة اللغة في الزمن، لذلك نجدهم قد وضعوا شروطا للفصاحة وهم يجمعون اللغة متلمسين النقاء ما أمكنهم ذلك، فقد رسموا لأنفسهم حدودا مكانية مجانبين مناطق الاتصال اللغوي في أطراف شبه الجزيرة، وقصدوا البوادي النائية في قلب الجزيرة العربية، كما أعرضوا عن الأخذ عن الحضر المتأثرين بالثقافات الوافدة، وأضافوا لحدودهم المكانية حدودا زمانية، لدرائتهم بأن الزمن وحده كفيل بأن ينقل كل تلك التغيرات وينشرها في جميع أنحاء البلاد العربية حواضرها وبواديها.

1- Ronald Wardhaugh And Janet M. Fuller: An Introduction To Sociolinguistics, p203/204.

## مدخل: الإطار المفهومي للتطور اللغوي

ويرتبط الحديث عن التطور اللغوي ارتباطاً وثيقاً بنظرية أصل اللغات، فالتطور ممكن ومستساغ لمن تبنى اعتبارية العلاقة بين الدوال ومدلولاتها، حيث تكون الوشائج بين طرفي العلامة اللغوية هشة دون مناسبة واضحة وهو ما سهل على اللسانيات الحديثة تقبل التطور اللغوي دونما تحفظ، وسارعت اللغات الأوروبية إلى وضع معاجمها التاريخية، بينما انكب أغلب الباحثين العرب على تأليف كتب التنقية اللغوية محاولين إعادة اللغة إلى المركز بتعبير ماريو باي<sup>1</sup> الذي يرى أن اللغات تميل دوماً للابتعاد عن النسخة الأولى منها. وربما أخذ على علماء اللغة العرب التزامهم الشديد بشروط الفصاحة وإعراضهم عن كل ما بدا لهم فيه لحن أو زيغ عن الفصاحة، لكنهم كانوا في مرحلة التقعيد للغة العربية، فلا يعقل أن يقعد للغة ما بغير تلك اللغة!

إن عملهم كان عملاً علمياً ومنهجياً، فقد حددوا المجال المكاني والزمني، وقاموا بتدوين ما جمعه ووصفه واستقرائه استقرائاً تاماً، ثم بناء قواعد تسيير على هديه، فالغاية الأولى من جمع اللغة لم تكن حصر مفردات العربية لأن التدوين لم ولن يحمي أي لغة من التغيير، وإنما كان سعيهم هو التوثيق لأنهم كانوا يوقنون بالتغيير، فأرادوا التوثيق كما نوثق في زماننا الأحداث المهمة في حياتنا، والتي نود لو أنها لا تتقضي، توثيقاً فيه إقرار ضمني بحتمية زوال الحدث. وكذلك فعل الرواة العرب الذين راعهم أن تتدرس معالم العربية بفُشو اللحن، فما كان منهم إلا أن جمعوا ما قدروا على جمعه ليكون معلماً ومرجعاً للأجيال القادمة، ولا يخفى ما للغة العربية من خصوصية عند المسلمين لارتباطها بالقرآن الكريم الذي هو كلام الله الحامل لرسالة لن تبلغ حق التبليغ إلا بالفهم الصحيح لمراد الله باللغة التي نزل بها كلام الله.

---

1- Mario Pei: Invitation To Linguistics A Basic Introduction To The Science Of Language, Doubleday & Company Inc, Garden City, New York, 1965, p35.

\* هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت نحو 666هـ تقريباً)، لغويّ ومعجميّ بارز من علماء القرن السابع الهجري، يُنسب إلى الرّيّ، وقد تميز بثقافة لغوية واسعة واشتغال عميق بالتصنيف في علوم اللغة، عاش في فترة اتسمت بازدهار الحركة العلمية، وبرزت فيها الحاجة إلى معاجم لغوية مختصرة تلبي حاجات المتعلمين والدارسين، في سياق انتشار المدارس النظامية وتطور مناهج التعليم، ويُعدّ الرازي من العلماء الذين انصرفوا إلى خدمة المادة المعجمية بالاختصار والانتقاء.

وكان من ثمرات هذا الجمع ظهور معاجم اللغة، والتي من بينها معجم مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت666هـ) \*، الذي اختصر فيه معجم "صاح اللغة وتاج العربية" لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ)، مع المحافظة على بنيته العامة، وانتقاء المواد الأكثر استعمالاً، وتيسير عرضها، مع الاستفادة من غيره من المعاجم المطولة، وقد صرح في مقدمة كتابه بمصادر مادة معجمة والمنهج الذي اتبعه بقوله: «هَذَا مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ جَمَعْتُهُ مِنْ كِتَابِ الصَّاحِ لِلْإِمَامِ الْعَالِمِ الْعَلَّامَةِ أَبِي نَصْرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَادِ الْجَوْهَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لَمَّا رَأَيْتُهُ أَحْسَنَ أُصُولِ اللُّغَةِ تَرْتِيبًا وَأَوْفَرَهَا تَهْذِيبًا وَأَسْهَلَهَا تَتَاوُلًا وَأَكْثَرَهَا تَدَاوُلًا، وَسَمَّيْتُهُ "مُخْتَارَ الصَّاحِ" وَاقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى مَا لَا بُدَّ لِكُلِّ عَالِمٍ فَقِيهِ، أَوْ حَافِظٍ، أَوْ مُحَدِّثٍ، أَوْ أَدِيبٍ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَحِفْظِهِ: لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ وَجَرِيَانِهِ عَلَى الْأَلْسُنِ مِمَّا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ خُصُوصًا أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَاجْتَنَبْتُ فِيهِ عَوِيسَ اللُّغَةِ وَغَرِيبَهَا طَلَبًا لِلِاخْتِصَارِ وَتَسْهِيلًا لِلْحِفْظِ. وَضَمَمْتُ إِلَيْهِ فَوَائِدَ كَثِيرَةً مِنْ تَهْذِيبِ الْأَزْهَرِيِّ، وَغَيْرِهِ مِنْ أُصُولِ اللُّغَةِ الْمُوثُوقِ بِهَا وَمِمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيَّ»<sup>1</sup>، ويسعى هذا البحث للكشف عن أشكال التطور اللغوي في معجم مختار الصحاح، من خلال تتبع آثار التطور الصوتي والدلالي في مداخل المعجم.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط05، 1999م، ص07.

الفصل الأول: التَّطَوُّر الصَّوْتِي فِي

مَخْتَار الصَّحَّاح

الفصل الأول: التَطُّور الصَّوتِي فِي مَخْتَار الصَّحَّاح

1. علم الأصوات والتطور الصوتي: المفاهيم والأسس والقوانين
2. التطور الصوتي في مختار الصحاح، المفهوم والخصائص والأسباب
3. أقسام التطور الصوتي في مختار الصحاح وقوانينه
4. المخالفة الصوتية في مختار الصحاح
5. المماثلة الصوتية في مختار الصحاح
6. الإبدال والقلب المكاني والحذف في مختار الصحاح

### تمهيد:

يُعدّ التطور الصوتي من أبرز مظاهر التغيير اللغوي وأكثرها وضوحًا في تاريخ العربية وسائر لغات العالم، إذ تمس آثاره بنية الأصوات، ويتجلى في صورٍ متعددةٍ تحفظها لنا المدونات اللغوية. وقبل الشروع في عرض أهم أشكال التطور الصوتي التي تجلت في معجم "مختار الصحاح"، رأينا أن نمهد لهذا الفصل بالوقوف على جملة من المفاهيم الأساسية؛ بدءًا بعلم الأصوات وما يتصل به من تحديد لمفهوم الصوت اللغوي والفونيم باعتباره وحدةً مميزة، ثم الانتقال إلى بيان معنى التطور الصوتي وخصائصه العامة التي تجعله منتظمًا ومتدرجًا وخاضعًا لضرورات النطق والاتصال.

ثم نلج إلى ذكر القوانين التي تتحكم في مساره، مثل قانون الأقوى، وقانون الجهد الأدنى، وقانون ضعف الطرف، وقانون القياس أو الطرد على النظير، لما لها من دورٍ فعّالٍ في تفسير التحولات الصوتية وضبطها. ثم ننتقل إلى عرض أهم أشكال التطور الصوتي كما تجلت في العربية، من مخالفةٍ ومماثلة، ومن حذفٍ وإبدالٍ وقلبٍ صوتي، ويُعدّ كلٌّ منها ظاهرةً مستقلةً بذاتها، بيد أنها تشترك جميعًا في تجسيد نزوع المتكلم إلى التيسير ومراعاة السلاسة في النطق.

وستدعم كل تلك الأنماط بشواهد من "مختار الصحاح"، بما يتيح تتبّع هذه الظواهر في نصوص اللغة نفسها، وجعل التحليل قائمًا على الملاحظة المباشرة والمعطيات الموثقة.

### 1. علم الأصوات والتطور الصوتي: المفاهيم والأسس والقوانين

#### 1.1. علم الأصوات:

يُعدّ علمُ الأصوات أحدَ الفروع الأساسية في الدراسات اللغوية، إذ يهتم بدراسة أصوات الكلام، فهو «العلم الذي يدرس أصوات الكلام وخصائصها الفيزيائية، ويهدف إلى وصف وتمييز جميع الأصوات التي تُستخدم في لغات البشر»<sup>1</sup>، وقد قسم علماء اللسانيات هذا العلم إلى فرعين أساسيين هما:

#### 1.1.1. علم الأصوات النطقي (*la phonétique*):

يهتم هذا الشق بدراسة الصوت من حيث كونه ظاهرة فيزيائية، فهو «علم يعتمد أساساً على التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم الصوتيات الفيزيائية، ويختص بدراسة إنتاج أصوات اللغات البشرية وإدراكها، في مجمل خصائصها الفيزيائية»<sup>2</sup>، هذا بالنسبة للفرع الأول، أما الفرع الثاني من علم الأصوات فهو علم الأصوات الوظيفي.

#### 2.1.1. علم الأصوات الوظيفي (*la phonologie*):

أما علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا) فيتجاوز الجانب الفيزيائي ليبحث في البنية الصوتية الخاصة بكل لغة، حيث يفرق بين «الأصوات الأصلية والأصوات الدخيلة، كما يوضح توليفة الأصوات التي من الممكن أن تشكل كلمات محتملة في لغة ما، سواء أكانت كلمات فعلية، أو مفترضة، ويبين أيضاً تركيبية الأصوات التي لا يمكن أن تكون كلمات في لغة ما، كما يفسر أهمية بعض الخصائص الصوتية في التعرف على الكلمات»<sup>3</sup>، ويمكن إسقاط ما تضمنه التعريف السابق للفونولوجيا على أبحاث علماء العربية الأوائل، الذين درسوا اللغة من وجهة نظرٍ وظيفيةٍ - لا ندعي أنهم عرفوا الفونولوجيا في زمانهم - وقد عدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) رائد هذا الميدان، إذ وضع معجمه الذي اجترح فيه الترتيب الصوتي، واستفحه بمقدمة كانت ولا تزال مرجعاً في الدرس الصوتي العربي.

وقد أحصى فيها أصوات العربية، ولم تقتصر المقدمة على بيان منهج الخليل في ترتيب معجمه من حيث الأصوات والتقاليب وأبنية الكلام العربي، وكذلك تحديد مخارج

1- Victoria Fromkin, Robert Rodman, and Nina Hyams: An Introduction To Language, Wadsworth Cengage Learning, USA, 10th ed, 2014, p216.

2- Georges Mounin: Dictionnaire de La Linguistique, p260.

3- Victoria Fromkin, Robert Rodman, and Nina Hyams: An Introduction To Language, p225.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الأصوات وصفاتها بما يمثل حجر الأساس للدرس اللغوي عمومًا، والصوتي على وجه الخصوص؛ بل زاد على ذلك إشارات عالم موسوعيّ خَبر الكلام العربي، وفرّق بين ما هو أصيلٌ وما كان دخيلًا على لسان العرب بالنظر إلى بناء الكلام من حيث الأصوات. وليبيان ما ذهب إليه، قسم الخليلُ الأصواتِ إلى: "ذُلق"، و"طُلق"، و"صُتم". والأصواتُ الذُّلقُ هي التي لا يخلو بناءٌ رباعيٌّ أو خماسيٌّ منها، حيث قال: «فإن وَرَدَتْ عليك كلمة رباعيّة أو خماسيّة معرّاة من حروف الذُّلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنّ تلك الكلمة مُحدّثة مُبتدّعة، ليست من كلام العرب»<sup>1</sup>، حجته في ذلك أنها أيسر الأصوات نطقًا وأخفها على اللسان، «فلما ذلّقت الحروفُ السنّة، ومدّلَ بهنّ اللسان وسهّلت عليه في المنطقِ كثُرَتْ في أبنية الكلام»<sup>2</sup>، على أنّ ما ذهب إليه الخليلُ من عدم أصالة أبنية الرباعي والخماسيّ المعرّى من أصوات الذَّلَاقَة، لا يجري على كلّ ما تكلمت به العرب؛ فقد شدّ عن هذه القاعدة بعضُ ألفاظهم، نحو: «العَسَجْدُ، والفَسْطُوسُ، والفُدَاحِيسُ، والدُّعْشُوقَةُ، والهُدْعةُ، والزُّهْرُوقَةُ»<sup>3</sup>. واستعويض عن الأصوات "الذُّلق" بـ "الطُّلق"، وهي عند الخليل: "العين" و"الذال"، ذلك أنهما «لا تدخلان في بناءٍ إلا حسّننّاه، لأنهما أطلقا الحروف وأضخمها جرسًا»<sup>4</sup>. إن تقرير الخليل ما هو أصيل في كلام العرب وما كان محدثًا مبتدعًا لا ينبع عن ذوق تحكّمي ذاتي، وإنما عن دراية وإحاطة بكلام العرب ومقاييسهم في بناء ألفاظ لغتهم واستقراء تام لما سُمع عن فصحاء الجزيرة العربية.

وعلاوة على ربطه أصالة الألفاظ بالنظر إلى ما تركبت منه من أصوات، نبه الخليل إلى قوانين صوتية تتعلق بتألف الأصوات في السلسلة الكلامية، موضحًا ما تستحسنه العرب في البناء مثل: توافق صدر المضاعف في الحكايات مع عجزه<sup>5</sup>، وما تمجّه أذواقهم وينفرون

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (دط)، (دت)، ج01، ص52.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج01، ص52.

3- المرجع نفسه (المقدمة): ج01، ص53.

4- المرجع نفسه (المقدمة): ج01، ص60.

5- المرجع نفسه (المقدمة): ج01، ص55.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

منه على غرار تجاور الأصوات المتقاربة في المخرج في بناء واحد، ومثل لذلك بلفظة "الهُعُخُع" التي تتابع في تأليفها أصوات الحلق<sup>1</sup> كما بين ما هو متعذر كالاتداء بالساكن<sup>2</sup>، والنقاء الساكنين، وما يجوز عندهم بشروط؛ كاجتماع "الضاد" و"الكاف" دون فصل في حكاية المضاعف<sup>3</sup>؛ مُمَيِّزًا بين الأصوات الأصيلية والدخيلة، مُحَدِّدًا ما يمكن أن يُشكَّل كلمةً محتملةً أو مُهْمَلَةً، ومُبَرِّزًا الدورَ الوظيفيَّ للسمات الصوتية في التفريق بين الكلمات، بما يبيِّن بأنَّ علمَ الأصوات بشقيه الوصفيِّ والوظيفيِّ يمثلُ الأرضيةَ الأولى لفهم آليات التطور الصوتي.

### 2.1. تعريف الصوت:

ارتبط مفهومُ الصوتِ في اللغةِ بالدعاءِ والصِّيَاحِ والغناءِ، حيثُ جاء في معجم العين: «صَوَّتَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ تَصَوَّبَتَا، أَي دَعَاهُ. وَصَاتَ يَصُوتُ صَوْتًا، فَهُوَ صَائِتٌ بِمَعْنَى صَائِحٍ. وَكُلُّ ضَرْبٍ مِنَ الْأَعْنِيَاتِ صَوْتُ مِنَ الْأَصْوَاتِ. وَرَجُلٌ صَائِتٌ: حَسَنُ الصَّوْتِ شَدِيدُهُ. وَرَجُلٌ صَيِّتٌ: حَسَنُ الصَّوْتِ»<sup>4</sup>.

أما في الاصطلاح فقد قُدِّمت له تعريفات متنوعة؛ فهو عند عثمان بن جني (ت392هـ): «عَرَضٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّفْسِ مُسْتَنْطِيلًا مُتَّصِلًا، حَتَّى يَعْرِضَ لَهُ فِي الْحَلْقِ وَالْفَمِّ وَالشَّفَتَيْنِ مَقَاطِعُ تَنْبِيهِ عَنِّ امْتِدَادِهِ وَاسْتِطَالَتِهِ، فَيَسْمَى الْمَقْطَعُ أَيَّمَا عَرَضَ لَهُ حَرْفًا»<sup>5</sup>، وقد ميز ابن جني في كلامه السابق بين الصوت بوصفه ظاهرة فيزيائية، وبين الأصوات اللغوية وهي الحروف.

والحرف عند الحسين بن سينا (ت427هـ) «هَيْئَةٌ لِلصَّوْتِ عَارِضَةٌ لَهُ يَتَمَيَّزُ بِهَا عَن صَوْتٍ آخَرَ مِثْلِهِ فِي الْحِدَّةِ وَالنَّقْلِ تَمَيِّزًا فِي الْمَسْمُوعِ»<sup>6</sup>، بحيث تختلف الحروف في كيفية

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج01، ص55.

2- المرجع نفسه (المقدمة): ج01، ص49.

3- المرجع نفسه (المقدمة): ج01، ص56.

4- المرجع نفسه (باب الصاد والتاء): ج07، ص146.

5- عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط01، 2000م، ج01، ص19.

6- الحسين بن عبد الله بن سينا: أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية، (دط)، (دت)، ص60.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

حدوثها وتتباين في مخارجها وصفاتها تباينا يمكن من استعمالها في التأليف محققة بذلك غرض الإفهام، إذ تعد الحروف اللبنة الأساسية في بناء الكلام.

وقد سبق الجاحظ في إبراز البعد الوظيفي في تعريفه للصوت قائلاً: «والصوتُ هو آلة اللَّفْظِ، والجَوْهَرُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ النَّقْطِيعُ، وَبِهِ يُوجَدُ التَّأْلِيفُ. وَلَنْ تَكُونَ حَرَكَاتُ اللِّسَانِ لَفْظًا وَلَا كَلَامًا مَوْزُونًا وَلَا مَنُثُورًا إِلَّا بِظُهُورِ الصَّوْتِ، وَلَا تَكُونُ الحُرُوفُ كَلَامًا إِلَّا بِالنَّقْطِيعِ وَالتَّأْلِيفِ»<sup>1</sup>، فقد ربط الجاحظ الصوت مباشرةً بالوظيفة اللغوية، واعتبره آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به النقطيع والتأليف؛ فلا يتحقق الكلام إلا بظهور أصوات حروف التوقييمه إلى وحدات مؤلفة.

وعليه، يتضح من خلال هذه التعريفات أن الصوت - وإن كان في أصله ظاهرةً فيزيائيةً - فإن قيمته الحقيقية لا تتجلى إلا في بعده اللغوي والوظيفي، أي حين يتحول إلى أداة للنقطيع والتأليف وتحقيق المعنى في الكلام، وهذا ما يفتح المجال للانتقال إلى مفهوم آخر أكثر تجريدًا في الدرس الصوتي، هو الفونيم (*phoneme*)، بوصفه الوحدة التمييزية التي يقوم عليها النظام اللغوي.

### 3.1. تعريف الفونيم:

يُعدّ الفونيم من أبرز المفاهيم التي أفرزتها الدراسات الصوتية الحديثة في إطار المقاربة البنوية والوظيفية للغة، فقد نظر إليه اللسانيون، وخاصة رواد مدرسة براغ، بوصفه وحدة صوتية ذات وظيفة مميزة داخل النظام اللغوي، فعُرف بأنه: «الوحدة التمييزية الدنيا في المستوى الثاني من التحليل -المستوى الصوتي- وهو وحدة وظيفية قادرة بحد ذاتها أن تستخدم في لغة معينة لتمييز المعاني الذهنية. ويتكون الفونيم من سمات مميزة خاصة بكل لغة تجعله مغايرًا للفونيمات الأخرى في تلك اللغة»<sup>2</sup>. وعلى الرغم من محاولة تقريب المفهوم، فإن صياغة حد جامع له بقيت عصية على العلماء والدارسين، لاختلاف توجهاتهم ووجهات نظرهم؛ فمنهم من عرفه من منطلق نفسي على غرار بودوان دي كورتناي (*Boudouin De Courtenay 1845-1929م*)، الذي رأى أن الفونيم هو: «المكافئ النفسي

1- عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج01، ص79.

2- Georges Mounin: Dictionnaire de La Linguistique ,p259.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

للسوت الكلامي»<sup>1</sup>، وكذا نيكولاس فان فيك (*Nicolaas Van Wijk* 1880-1941) الذي عدّ الفونيمات «فئة من العناصر اللسانية الموجودة في نفسية جميع أعضاء الجماعة اللسانية»<sup>2</sup>، غير أن هذه التعريفات المرتبطة بالجانب النفسي لم تلق الترحيب لدى اللسانيين الذين اعتبروا الفونيم مفهوماً لسانياً في المقام الأول، ويجب تعريفه بوصفه كذلك.

على هذا الأساس، اقترح نيكولاي تروبتزكوي (*Nicolai Trubetzkoy* 1890-1938) أحد رواد مدرسة براغ تصوراً أكثر انسجاماً مع المنهج الوظيفي، وخصّص له مؤلف "مبادئ الفونولوجيا" (*Principles of Phonology*)، حيث عرض تعريفات متعددة قبل أن يخلص إلى أن: «الفونيم قبل كل شيء مفهوم وظيفي، ولا بد من تعريفه انطلاقاً من وظيفته»<sup>3</sup>. وركز عمله على التقابلات الفونولوجية التي تبرز ملامح الفونيم، وهو التوجه الذي وافقه فيه أندري مارتييني (*Andrée Martinet* 1908-1999)، مؤكداً أن الفونيم يتميز أساساً بالوظيفة التي يؤديها داخل النسق اللغوي.

يتضح إذن أن "الفونيم" يمثل نقطة التقاء بين الصوت بكونه ظاهرة فيزيائية، واللغة بوصفها نظاماً وظيفياً؛ فهو البنية التي تمنح الأصوات قيمتها التمييزية داخل الكلام، ومن هذا المنطلق، يصبح أي تبدل يطرأ على الفونيم أو خصائصه مدخلاً أساسياً لفهم ظاهرة التطور الصوتي التي تُعنى بدراسة مسارات تغير الأصوات عبر الزمن والبيئة اللغوية الحاضنة لذلك التغير.

1- Nicolai Trubetzkoy: principles of phonology, translated by Christiane A.M. Baltaxe, University Of California Press, USA, 2nd ed, 1971, p37.

2- Ibid: p38.

3- Ibid: p39.

### 2. التطور الصوتي في مختار الصحاح: المفهوم والخصائص والأسباب

يُعدُّ التطور الصوتي من أهم الظواهر التي تناولتها الدراسات اللسانية خاصة الزمانية منها، إذ يكشف عن حركية اللغة وتفاعلها المستمر مع العوامل الفسيولوجية والاجتماعية والتاريخية. ويشكّل هذا المفهوم مدخلاً أساساً لفهم التحولات التي تطرأ على بنية الأصوات عبر الزمن، سواء في لغة بعينها أو حتى صياغة قوانين كلية تصف السير الزمني للألسنة البشرية بوصفها كياناً متغيّراً. وفي سياق البحث اللساني، لا يمكن فهم البنية الصوتية الحالية للغات دون تتبع المسارات التاريخية التي مرت بها أصواتها، وهو ما يجعل من دراسة التطور الصوتي ضرورةً علمية لفهم الأنظمة الفونولوجية من جهة، ومسارات التغيير اللغوي من جهة أخرى.

#### 1.2. تعريف التطور الصوتي:

يقضي تناول ظاهرة التطور الصوتي الوقوف على حدها، فتطور الصوت هو «مراحل تغييره وأطواره، والتحول المتعاقب في مادته في التفاعل التواصلي بين أصحاب اللغة»<sup>1</sup>، وهو تعريف يوجز حقيقة الظاهرة بوصفها سيرورة متعاقبة تصيب الصوت في سياق الاستعمال التواصلي، فتجعله خاضعاً لحركة التبدّل المستمرة، ويكتسب هذا التعريف المقتضب مزيداً من الإيضاح حين بيان أن التطور الصوتي هو: «التغير في نطق مقطع وأحياناً أكثر من مقطع داخل الكلمة، حيث يتم تكيف الصوت حسب البيئة الصوتية؛ أي الأصوات المحيطة والتطور الصوتي عادة ما يكون منتظماً؛ بمعنى أنه يؤثر على جميع الكلمات في المفردات التي تحوي ذلك الصوت في البيئة الصوتية المطلوبة، والمقطع المعني يمكن تغييره بطرق مختلفة، أو حتى فقده تماماً»<sup>2</sup>، ويكشف الجمع بين هذين التعريفين عن جوهر الظاهرة، مبرزاً الطابع المنتظم والسياقي للتغيير الصوتي، فاللغة بوصفها نظاماً قائماً على العلاقات، تُظهر استجابة تلقائية للتجاورات الصوتية التي قد تؤدي إلى تكيف معين للصوت، كأن يُدغم أو يُبدل أو يُحذف.

1- محمود عكاشة: التطور الصوتي في الألفاظ: أسبابه وظواهره، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، (دط)، 2009م، ص09.

2- Joan Bybee: Language change, Cambridge University Press, United Kingdom, 1<sup>st</sup>ed, 2015, p15.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ومما يلفت النظر هنا هو التأكيد على انتظام التغيير، وهو ما يجعل الظاهرة قابلة للرصد والتعليل من منظور لساني، حيث إن تغيير الصوت لا يكون حدثاً منعزلاً، بل يمتد ليشمل كل المواضع التي تتكرر فيها نفس البيئة الصوتية، ما يفسح المجال أمام التأريخ الدقيق والتحليل المقارن بين اللغات واللهجات، ومن الناحية العملية يُتيح هذا التصور فهم التحولات الصوتية الكبرى التي شهدتها لغات العالم؛ مثل التغيرات التي شهدتها العربية بين لهجاتها القديمة والحديثة. ويسوق التعريف السابق للتطور الصوتي إلى التطرق إلى خصائصه:

### 2.2. خصائص التطور الصوتي:

إن معرفة خصائص التطور الصوتي تعد مفتاحاً لفهم سيروية التغيرات التي تطرأ على الأنظمة الصوتية في اللغات الطبيعية، وفيما يلي عرض لأهم خصيصة تميزان هذا النوع من التطور استناداً للتعريف السابق:

#### 1.2.2. الانتظام:

تغيّرات الصوت منتظمة، بمعنى أنه بمجرد اكتمالها، ستؤثر على جميع كلمات اللغة التي تحتوي على الأصوات المتأثرة في البيئة التي تسبب التغيير. ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن جميع الكلمات تتأثر في الوقت نفسه أثناء حدوث التغيير<sup>1</sup>. فظاهرة الانقلاب في اللغة العربية وهي «إبدال النون الساكنة والتنوين ميما عند الباء»<sup>2</sup>، في مثل "عَنْبَر" و"أَنْبِئُهُمْ" تعد تطوراً صوتياً منتظماً في اللغة العربية، إذ نجدها متحققة في كل سياق صوتي مماثل. إلا أن بعض التطورات لا تكون شاملة لجميع النماذج، فوزن "فُعُول" مثلاً في العربية لا يكون إلا مفتوح الفاء، إلا أنه قد شذ منه «أَزْبَعَةَ أَحْرَفٍ جَاءَتْ نَوَادِرَ وَهِي: سُبُوحٌ وَقُدُوسٌ وَذُرُوحٌ وَسُتُوقٌ فَإِنَّهَا تُضَمُّ وَتُفْتَحُ»<sup>3</sup>، وبهذا فإنه على الرغم من الطابع العام للتطورات الصوتية والذي يتصف بالانتظام والاتساق، فإنه لا مناص من وجود هامش للشذوذ في تلك القواعد.

1- Joan Bybee: Language change, p17.

2- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، الأردن، ط03، 1996م، ص266.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص142.

### 2.2.2. التدرج:

تغيرات الصوت أيضاً تدرجية وليست فجائية، وهناك طرق تمكننا من اختبار هذا التدرج والمرحلية، فهي تتقدم بخطوات صغيرة مصحوبة بتباين بسيط في كل مرة<sup>1</sup>؛ فتحول القاف الفصيحة إلى كاف مجهورة عند بعض قبائل العرب، أو إلى همزة في عدد من الحواضر العربية لم يحدث فجأة، بل انتشر على مراحل، وتفاوت استخدامها بين الأجيال والمناطق، ما يعكس البعد الاجتماعي للتغير الصوتي، والتبديل الحاصل في صفات بعض الأصوات كتحويل الكاف من مجهورة إلى مهموسة في العربية المعاصرة، أو تحول الجيم بسبب فقدها للجهر في بعض السياقات الصوتية، هو الآخر دليل إضافي على التدرج الزمني للتطور الصوتي، وتداخل عوامل عديدة لبلورته.

ويتجلى هذا التدرج بوضوح في الصيغ المتعددة لعبارة "أَيْمُنُ اللهُ"، في الشاهد الآتي من مادة (ي م ن): «(أَيْمُنُ) اللهُ اسْمٌ وَضِعَ لِلْقَسَمِ هَكَذَا بِضَمِّ الْمِيمِ وَالنُّونِ [...] وَرُبَّمَا حَذَفُوا مِنْهُ النُّونَ فَقَالُوا: (أَيْمُ) اللهُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِهَا. وَرُبَّمَا أَبْقَوْا الْمِيمَ وَحَذَفَهَا فَقَالُوا: مُ اللهُ، وَم اللهُ، بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا. وَرُبَّمَا قَالُوا: مُنُ اللهُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَالنُّونِ، وَمَنْ اللهُ بِفَتْحِهَا، وَمِنْ اللهُ بِكَسْرِهَا.»<sup>2</sup>، إذ يُلاحظ مسار مرحلي للحذف الصوتي يعكس الانتقال المتدرج من صورة أثقل إلى أخرى أخف، فقد بدأ الحذف بإسقاط النون تخفيفاً من ثقل التقاء النون بالهمزة في "الله"، فصارت الصيغة "أَيْمُ اللهُ"، ثم تلا ذلك حذف الألف، لتظهر صيغ مثل: "مُنُ اللهُ" و"مَنْ اللهُ" و"مِنْ اللهُ"، بحيث جرى التعويض عن الثقل الأصلي بتنوع حركي يضمن التوازن الإيقاعي، وبلغ الحذف مداه في الاختصار على الميم وحدها، كما في "مُ اللهُ" و"م اللهُ"، وهي الصورة الأشد اختزالاً والأكثر اقتصاداً في الجهد الصوتي، مع بقاء الوظيفة الدلالية للقسم محفوظة، ويكشف هذا المثال عن الطابع المرحلي للتغير الصوتي، حيث تتوالى عمليات الحذف خطوة بعد أخرى، محكومة بقوانين التخفيف والاقتصاد في النطق.

### 3.2. أسباب التطور الصوتي:

يتحكم في تطور الأصوات في اللغات مجموعة من الأسباب المشتركة، والتي يجوز إجراؤها على جميع اللغات دون استثناء، وقد ذكر موريس غرامون (*Maurice Grammont*)

1- Joan Bybee: Language change, p17

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص350.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

جملة منها<sup>1</sup>، يُذكر بعضها ويُحتفظ بالأهم منها ليُعرض ضمن قوانين التطور الصوتي:

### 1.3.2. العرق:

إن الاختلافات البسيطة في أعضاء النطق بين الأعراق البشرية مثل: شكل الحنك واللسان، قد تسهم في تغيير نطق بعض الأصوات، إلا أن امتزاج الشعوب في العصر الحديث جعل من هذا العامل أقل العوامل تأثيراً، وإن كان لا يزال موجوداً على مستوى بعض النماذج السكانية النقية.

ولعل المقصود بالعرق هنا ليس الأصول الجينية الصرفة، بقدر ما هو الأثر الذي تتركه اللغة الأم في جهاز النطق، إذ تطبعه على أصواتها الخاصة، فيصعب على الناطق بغير العربية مثلاً أن ينطق بعض أصواتها التي لا وجود لها في لغته، فتظهر عنده "لكنة الأعجمي"، ومن الشواهد على ذلك ما أورده محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح في مادة «ش م ع»: «(الشَّمْعُ) بِفَتْحَتَيْنِ الَّذِي يُسْتَصْبَحُ بِهِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: هَذَا كَلَامُ الْعَرَبِ وَ يُسَكَّنُونَهُ»<sup>2</sup>، حيث يكشف هذا الأثر اختلاف نطق المولدين عن نطق العرب الخُلص، وهو ما يؤكد دور التعود وترويض نقاط معينة من جهاز النطق في تشكيل الأصوات.

### 2.3.2. البيئة (المناخ/التضاريس):

تؤثر الطبيعة الجغرافية على طريقة الكلام؛ فساكن الجبال والمناطق المفتوحة يتحدثون بقوة وجهر مما يعزز الوضوح الصوتي، بينما يتحدث سكان المدن والمناطق المغلقة بلين لعدم الحاجة إلى بذل جهد في إسماع الأصوات، ففوة إخراج الصوت تتناسب مع الصعوبات التي تعترضه للوصول إلى هدفه، وهذا الجنوح نحو الإيضاح السمعي قد يغير بعض صفات الأصوات.

ونمثل لتأثير العامل البيئي بما اشتهرت به القبائل العربية البدوية على غرار "تميم" من نبر لـ"الهمزة" في مواضع كثيرة على ما في صوت "الهمزة" من مشقة وصعوبة في النطق، في مقابل تسهيلها عند "أهل الحجاز" في نفس المواضع<sup>3</sup>، كما همز "بنو تميم" ما لم

1- Maurice Grammont: Traité De Phonétique, Librairie Delagrave, Paris, 1933, p175-179.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: في مختار الصحاح، ص169.

3- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط05، 1975م، ص99.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

يهمز غيرهم كقولهم: أَجْرَأْتُ عَنْهُ شَاةً بِالْهَمْزِ، يريدون جَرَّتْ<sup>1</sup>. فالعوامل البيئية، تؤدي دوراً غير مباشر في توجيه الأداء الصوتي بما يؤكد أن الميل إلى الإيضاح السمعي قد يفضي إلى تعديل في بعض صفات الأصوات تبعاً لمقتضيات البيئة والتواصل.

### 3.3.2. الأخطاء:

كثير من التغيرات تبدأ من جيل الأطفال الذين يعجزون عن تقليد نطق الكبار بدقة، ويُشيعون أنماط نطق جديدة، فالأطفال يميلون لتعميم النطق "العفوي" الذي يسمعونه في المنزل أكثر من النطق "النمطي".

ويمكن ارجاع جملة مما عُدَّ من المترادفات في اللغة العربية إلى أخطاء الأطفال، على غرار (النقيمة / النقيبة)، جاء في مختار الصحاح: «وَفُلَانٌ مَيْمُونٌ (النَّقِيمَةُ) وَهُوَ إِبْدَالُ النَّقِيبَةِ»<sup>2</sup>، فقد تبادلت كل من الباء والميم الأماكن في اللفظتين السابقتين، وذلك لتشابههما واشتراكهما في المخرج، حيث أن الميم «أُخْتُ الْبَاءِ فِي الْجَهْرِ وَالشَّدَّةِ، غَيْرَ أَنَّ الْمِيمَ فِيهَا غِنَةٌ إِذَا سَكَنْتَ [...] فَلَوْلَا تِلْكَ الْغِنَةُ وَالنَّفْسُ الْخَارِجُ مَعَهَا لَكَانَتْ الْمِيمُ بَاءً»<sup>3</sup>، وهذا التقارب بين الصوتين قد يدفع الأطفال إلى إبدال واحدة بأخرى، وربما استقرت الصيغتان في الاستعمال حتى تدخل معجم اللغة، ويكون المنشأ خطأ الأطفال.

### 4.3.2. الوضع السياسي والاجتماعي:

غالبا ما يسير التطور اللغوي بوتيرة بطيئة في المجتمعات المنغلقة والمستقرة، ويحتاج لحدوث تطورات صوتية ملموسة إلى التزاوج والاختلاط مع شعوب أخرى أو إلى فرض لغة جديدة عن طريق الاستعمار أو اتباع أنظمة تعليمية تعزز إقحام لغات أجنبية.

وقد كان علماء العربية وخاصة أئمة المدرسة البصرية على وعي بأثر هذا العامل لذلك رسموا حدودا مكانية للفصاحة، واقتصرُوا في أخذ اللغة عن القبائل الموغلة في البداوة، وكانوا يَعِيبُونَ على أصحاب مدرسة الكوفة توسعهم في الرواية ويعدون ذلك مثلبة، وقد اشتهرت مفاخرتهم بقوة منهجهم في الرواية في مقابل ضعف منهج الكوفيين، وأثر عنهم قولهم: «نحن نأخذ اللغة عن حرشة "أكلة" الضباب وأكلة اليرابيع أي: البدو الخالص، وأنتم

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص58.

2- المرجع نفسه: ص318.

3- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص232.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ أي: عرب المدن»<sup>1</sup>، ويكشف هذا المسار في مجمله عن وعي مبكر بعلاقة نقاء الظاهرة اللغوية بطبيعة الوسط الاجتماعي ومداخل الاحتكاك الحضاري.

### 5.3.2. الموضحة والتقليد:

يمكن أن يحدث التطور الصوتي بسبب تقليد طبقات عليا أو شخصيات مؤثرة مثلما حدث في فرنسا بعد الثورة، حيث أصبح نطق الفرنسي الباريسي هو النموذج، بدلاً من نطق بلاط الملك.

أما في اللغة العربية فنجد للتقليد أثراً بينا على الأداء والاختيارات المختلفة للأدباء والشعراء، وحتى في الكلام اليومي، وقد فسر يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ) همز بعض الكلمات في العربية مما لا همزة فيها بمحاولة البعض مجازاة الفصحاء من القبائل العربية الذين اشتهروا بالهمز، حيث جاء في المدونة: في مادة «ل ب أ»: «لَبَّأً بِالْحَجِّ (تَلْبِيَّةً) وَأَصْلُهُ غَيْرُ مَهْمُوزٍ. قَالَ الْفَرَّاءُ: رُبَّمَا خَرَجَتْ بِهِمْ فَصَاحَتْهُمْ إِلَى هَمْزٍ مَا لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ قَالُوا: لَبَّأً بِالْحَجِّ وَحَلَّ السَّوِيْقَ وَرَثًا الْمَيْتَ»<sup>2</sup>، فقد أدى التقليد الاجتماعي للمكانة اللسانية المرموقة إلى إحداث التغيير الصوتي، بما يحول الظاهرة من سمة لهجية جزئية إلى نمط أدائي شائع بفعل المحاكاة والتداول.

تسهم هذه العوامل وغيرها في حدوث التطور الصوتي، فالتغيرات الصوتية تتصف بالانتظام والتدرج ما يضيف على دراستها طابع العلمية، كما أنها تنتج عن تظافر مزيج من العوامل الداخلية الخاصة بأنظمة اللغة، والخارجية عضوية كانت أو اجتماعية أو سياسية.

1- شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط07، (دت)، ص160.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص278.

### 3. أقسام التطور الصوتي في مختار الصحاح وقوانينه

تكتسي التطورات الصوتية حلا متباينة، وتختلف طبيعتها وأثرها على الأنظمة الصوتية للغات، وتحكم سيرها قوانين منضبطة، يمكن معاينة أثرها على أصوات اللغة منعزلة أو مرتبطة بغيرها، وفيما يلي بيان أقسام التطورات الصوتية في اللغة العربية وأهم القوانين التي تحكم تلك التغيرات مع إيراد الشواهد الداعمة من مختار الصحاح.

#### 1.3. أقسام التطور الصوتي:

تتباين التغيرات الصوتية التي تلحق الأصوات أثناء تطورها، وتنقسم إلى قسمين أساسيين هما:

##### 1.1.3. تطورات حرة:

وأطلق عليها بعض الدارسين العرب وسم «المطلقة»<sup>1</sup> أو «التاريخية»<sup>2</sup> أو «المنفصلة»<sup>3</sup>، وفي هذا القسم «يتحول الفونيم دون أن يكون للفونيمات المجاورة أي دور في ذلك، والأمر هنا يتعلق بطفرة نطقية تؤثر على فونيم واحد أو على فئة من الفونيمات»<sup>4</sup>؛ فهو تطور يصيب الصوت منفردا بحيث يتحول إلى صوت آخر مغاير للأصل وذلك بمعزل عما يجاوره من أصوات في درج الكلام، أي أن هذا النوع من التطور يلحق الفونيم في كل السياقات الصوتية.

وقد عرفت اللغة العربية هذا النوع من التطور وأصاب أصواتها، وبخاصة صوت "الجيم"، الذي شهد تغيرات عديدة بداية من الأصل السامي، حيث يرى بعض الدارسين أنه كان ينطق شبيها بالجيم القاهرية، «فإن مقارنة اللغات السامية كلها، تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت كان بغير تعطيش كالجيم القاهرية تماما»<sup>5</sup>، ومع مرور الزمن اختلف نطق الجيم في العربية عن السامية الأم في المخرج والصفة، ليوثق من لدن علماء اللغة في

1- فوزي حسن الشايب : أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2004م، ص25.

2- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعقله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط03، 1997م، ص24.

3- أحمد عبد المجيد الهريدي: ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي، مكتبة الخانجي، (دط)، 1989م، ص17.

4- Maurice Grammont: Traité De Phonétique, p183.

5- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعقله وقوانينه، ص25.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

القرن الثاني الهجري على أنه صوت شديد مجهور مخرجه من وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى<sup>1</sup> على ما وصفه سيبويه، حيث انتقل «نطق هذا الصوت من الطباق إلى الغار، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج يبدأ بدال من الغار ثم ينتهي بشين مجهورة»<sup>2</sup>، هذا في النطق الفصيح، على أنه قد تم تسجيل شكل مغاير لـ"الجيم الفصيحة المركبة" وهو "الجيم البسيطة"، الذي اختفت فيه صفة الجهر وتحولت إلى شين خالصة، فروى سيبويه في الكتاب عن بعض العرب أنهم جعلوا الجيم بمنزلة الشين من ذلك قولهم في الأجر: الأشر.<sup>3</sup>

ومن أشكال التطور التي لحقت الجيم في بعض البلاد الإسلامية، اختفاء الجزء الشبيه بالشين المجهورة وبقاء الدال؛ فأثر عن عامة صقلية في القرن السادس الهجري أنهم كانوا «يقولون: تدشيت. والصواب: تجشأت، بالجيم والهمزة»<sup>4</sup>، وفي خضم كل تلك التطورات فإن من العرب من حافظ على النطق السامي الأصلي، فقد ذكر محمد بن أحمد المقدسي (ت380هـ) أن أهل عدن باليمن كانوا «يجعلون الجيم كافا فيقولون لرجب ركب ولرجل ركل؟ وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بروثة عند الاستجمار فألقاها وقال هي ركس وقد تعنى الفقهاء هذا فيجوز ما قالوه ويجوز أن يكون استعمل هذه اللغة»<sup>5</sup>. لقد شهد صوت الجيم تطورات مطلقة عديدة، بداية من الجيم السامية الشبيهة بالكاف المجهورة التي تحولت في النطق العربي الفصيح إلى جيم مجهورة شديدة مركبة، لتفقد أحد مكوناتها فتتطرق قريبا من الدال عند فئة من المتكلمين، وتنطق شينا عند آخرين، وبملاحظة اللهجات المختلفة في بلادنا -الجزائر- نلمس أن نطق الجيم يختلف من منطقة إلى أخرى،

1- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1988م، ج4، ص432/433.

2- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعقله وقوانينه، ص25.

3- ينظر: عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج4، ص489.

4- عمر بن خلف بن مكي الصقلي: تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص75.

5- محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 1991م، ص96.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

فيعد نطق سكان الوسط -العاصمة- أقرب إلى الجيم الفصيحة المركبة، بينما يقترب نطقها من الشين المجهورة في تبسة وضواحيها مثلاً.

إضافة إلى صوت الجيم فإن القاف هي الأخرى قد نالها ما نال سابقتها من التطور عبر الزمن؛ «فإن مقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهموس، ينطق برفع مؤخرة اللسان، والتصاقها باللهاء لكي ينحسب الهواء عند نقطة هذا الالتصاق، ثم يزول هذا السد فجأة مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية»<sup>1</sup>، وقد عد سيبويه القاف من الأصوات المجهورة<sup>2</sup>، وإن كان الأمر كذلك فإن تحول القاف من صوت مهموس إلى مجهور يعد محطة من محطات تطورها التاريخي، كما تحولت القاف إلى همزة خالصة عند بعض العرب فقالوا: «أَشْبَهُ يَأْشِبُهُ أَشْبًا وَقَشْبَهُ يَفْشِبُهُ قَشْبًا»<sup>3</sup>، ولا يزال هذا النطق مستعملاً في حواضر البلدان الإسلامية كالقاهرة وبيروت ودمشق من دول المشرق، ونجده ماثلاً في لهجة أهل مدينة تلمسان في الجزائر.

وقد تطورت القاف عند بعض العرب إلى كاف غليظة، ونُسب ذلك لبني تميم فجاء في الصحابي: «فَأَمَّا بَنُو تَمِيمٍ فَإِنَّهُمْ يُلْحِقُونَ الْقَافَ بِاللَّهَاءِ حَتَّى تَغْلُظَ جِدًّا، فَيَقُولُونَ: "الْقَوْمُ"، فَيَكُونُ بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ، وَهَذِهِ لُغَةٌ فِيهِمْ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَا أَكُولُ لِكَدْرِ الْكَوْمِ قَدْ نَضَجَتْ \* \* \* وَلَا أَكُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَكْفُولُ»<sup>4</sup>، وأورد الفراء في معاني القرآن أنه قد دَوَّن الصحابة سور القرآن الكريم بهذه اللغة، فقال: «وَهِيَ فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ: "فَلَا تَكْهَرُ"، وَسَمِعْتُهَا مِنْ أَعْرَابِيِّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ قَرَأَهَا عَلَيَّ»<sup>5</sup>. هذا ولم يقتصر تطور القاف على تحولها إلى صوتي الكاف الغليظة والهمزة، بل صارت غينا في بعض المناطق كالسودان وجنوب العراق، وأبدلت جيما مزدوجة في بعض مناطق دول الخليج

1- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص28.

2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج04، ص434.

3- عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي: الإبدال، تح: عز الدين التتوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (دط)، 1961م، ج02، ص561.

4- أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1997م، ص30.

5- يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، تح: أحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط01، 1955م، 1955م، ج03، ص274.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

كالبحرين<sup>1</sup>، ويوعز الدكتور رمضان عبد التواب هذه التطورات إلى تأثير قانون "الأصوات الحنكية" في تحول صوت القاف إلى جيم مزدوجة أشبه بالجيم الفصيحة، وإلى ضياع الانفجار وتزحزح مخرجها إلى الأمام قليلا مما أدى إلى انقلابها غينا، أما نطقها كافا فمرده إلى زحزحة مخرجها إلى الأمام قليلا مع ترقيقها واحتفاظها بصفة الشدة في نطقها<sup>2</sup>، هذا وإن التطورات المطلقة لم تصب الجيم والقاف فحسب، بل طالت الضاد والكاف وغيرهما من أصوات العربية، وإنما ذكر هنا صوتا القاف والجيم حصرا؛ لأنهما الصوتان الأكثر زخما من حيث تنوع أشكال النطق بهما من لدن مستعملي العربية من جهة، وللرغبة في توضيح هذا القسم من التطور وتعويض الغياب شبه التام للتطورات المطلقة في المدونة، على خلاف القسم الثاني.

### 2.1.3. تطورات تابعة:

وتعرف أيضا بـ«المقيدة»<sup>3</sup> أو «التركيبية»<sup>4</sup>، في هذا القسم من التطور الصوتي «لا تتحول الفونيمات إلا تحت تأثير فونيمات أخرى مجاورة لها، ومن المهم التمييز بين الحالات التي تكون فيها الفونيمات المسببة للتغيير على اتصال مباشر بالمتغير، وتلك التي تكون على مسافة معينة منه، إذ إن الظاهرة الفيزيولوجية النفسية ليست نفسها»<sup>5</sup>، فالتطورات المقيدة مرهونة بتتابع الأصوات في درج الكلام، هذا التتابع ينتج تفاعلا بين تلك الأصوات يؤدي إلى تأثير بعضها في بعض.

وغالبا ما يكون هذا التأثير منتظما بحيث يفضي اجتماع شروط معينة في كل مرة إلى حدوث الظاهرة عينها، خلاف ما قد يُتوهم من أن الانتظام في هذا القسم من التطور الصوتي مستبعد بسبب تداخل عوامل عديدة، الشيء الذي يضعف احتمال تكرار الحالة عينها بتفاصيلها ودقائقها أكثر من مرة، وأن الانتظام هو سمة للتطورات المطلقة فحسب لعدم ارتباط الصوت فيها بما دونه من الأصوات، «إن القوانين الصوتية التي تصوغ التغييرات

1- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، ص29.

2- رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط01، 1982م، ص11.

3- فوزي حسن الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص25.

4- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، ص24.

5- Maurice Grammont: Traité De Phonétique, p183.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

التابعة صارمة بقدر صرامة تلك التي تصوغ التغييرات المستقلة. فكلا النوعين من هذه التغييرات يتحقق دائماً، ما لم يعترض تحقيقه عائقٌ ما<sup>1</sup>، على هذا فإنه يمكن القول بأن التطورات الصوتية المقيدة أو التابعة أو التركيبية هي تطورات تخضع لقوانين تنظمها وتعلل حدوثها.

### 2.3. قوانين التطور الصوتي:

إن الاستقراء الدقيق لمظاهر التطور الصوتي وأشكاله مكن العلماء من استنباط القوانين التي تتحكم في سير تلك التطورات، فكان منها ما هو عام يسري على جميع اللغات؛ ذلك أن «تشابه الظروف التشريحية، والعضوية، والنفسية بين الأنواع البشرية المختلفة كبير جداً لدرجة أن السمات الأساسية للبنية اللغوية تكاد تكون هي نفسها في كل مكان: كل البشر يستخدمون أساليب صوتية مشابهة بشكل عام»<sup>2</sup>، ومنها ما تختص به لغة أو مجموعة من اللغات المتقاربة، وأبرز تلك القوانين:

### 1.2.3. قانون الأقوى (La Loi Du Plus For):

ينسب هذا القانون للعالم الفرنسي موريس غرامون، الذي اجترحه وأرسى مبادئه عام 1895م، وتقوم فكرة هذا القانون على أن تفاعل الأصوات داخل السياق الكلامي يتولد عنه تأثير متبادل فيما بينها، وهنا لا بد من أن يتفوق أحد تلك الأصوات عن البقية بما يحويه من ملامح قوة وهيمنة، وحتى يفرض الصوت سطوته لا بد أن «يمتلك قوة أو مقاومة أو ثباتاً أو قبولاً أعلى، وهذه الصفات يمكن تحديدها سلفاً بناء على نظام اللغة، وبالتالي يمكن التنبؤ بالاتجاه الذي ستم فيه عملية التطور مما ينفي فكرة العشوائية والتبسيط، ويمكن جمع هذه الصفات كلها تحت مصطلح واحد هو: القوة. فإن المماثلة تخضع لقانون واحد: هو قانون الأقوى»<sup>3</sup>، وقد عرض موريس غرامون هذا الكلام أثناء حديثه عن ظاهرة المماثلة ( la similation) التي تعد إحدى ثمرات هذا القانون، ولنستبين سبيل نظام اللغة العربية في تحديد ملامح القوة في الصوت، كان لا بد من دراسة مستفيضة ومعقدة لصفات الأصوات

1- Ibid: p183.

2- Antoine Meillet et Marcel Cohen: Les Langues Du Monde, Librairie Ancienne Edouard Champion, Paris, 6<sup>ème</sup> éd, 1924, p12.

3- Maurice Grammont: Traité De Phonétique, p185.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

في العربية والتوليفة التي تميز كل فونيم عن غيره للخروج بمعايير علمية دقيقة تمكن من الحكم على صوت ما بالقوة أو بالضعف؛ ذلك أن الأصوات يتباين بعضها عن بعض بجملة ما يشكلها من عناصر تتمثل في المخرج والصفات، وأن كل فونيم من فونيمات اللغة تتشكل ملامحه وينفرد عما عداه بما حوى من صفات مميزة، ولقد كفانا علماء العربية مؤونة البحث وعناء المقارنة بين جميع الصفات لاستتباط مواطن القوة في الأصوات، وأبانوا عن معايير علمية دقيقة استندوا إليها للحكم على صوت ما بالقوة أو الضعف، وقد أجمل مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) في "باب صفات الحروف وألقابها وعلها" علامات قوة الصوت فقال: «فالجهرُ والشدةُ، والصفيرُ، والإطباقُ، والاستعلاءُ من علاماتِ قُوَّةِ الحرفِ»<sup>1</sup>، ثم أرف: «والهمسُ، والرَّخاوةُ، والخفاءُ، من علاماتِ ضعفِ الحرفِ. فاعرفِ»<sup>2</sup>، وبالتالي تكون الغلبة للصوت الذي اجتمعت فيه أكبر عدد من صفات القوة. وبالاستناد إلى ما تقرر من علامات للقوة يمكن التنبؤ بشكل التطور الصوتي واتجاهه. أما ثاني القوانين فهو:

### 2.2.3. قانون الجهد الأدنى:

تعود فكرة هذا القانون للعالم "جورج كينغسلي زيف" (*George Kingsley Zipf* 1902-1950م) الذي درس السلوك اللغوي للإنسان في سعيه نحو التعبير عن أفكاره ببذل أدنى جهد<sup>3</sup>، وقد تبنى اللغوي الفرنسي أندري مارتيني ذو الاتجاه الوظيفي هذا التوجه، حيث يرى أن التطور اللغوي بشكل عام محكوم بالتضاد الدائم بين الحاجات التواصلية والتعبيرية للإنسان من جهة، وبين نزوعه إلى تقليل نشاطه العقلي والبدني إلى أدنى حد من جهة أخرى<sup>4</sup>، فقانون الاقتصاد في الجهد عند أندري مارتيني هو السبب وراء الاكتفاء بعدة عشرات من الفونيمات في كل لغة، على الرغم من كون الإنسان قادرا نظريا على إنتاج عدد لا نهائي من الأصوات البسيطة، ولكن القيود الفيزيولوجية والسمعية تفرض حدودا على عدد الفونيمات، كما أن نزوع الإنسان إلى تقليل الجهد أدى به إلى أن يستعيز عن العدد

1- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص118.

2- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

3- George Kingsley Zipf : Human Behavior And Principle Of Least Effort- An Introduction To Human Ecology, Addition-Wesley Press Ink, USA, 1949, p19.

4- André Martinet: Economie Des Changements Phonétique, A. Francke AG Verlag, Bern, 3<sup>ème</sup> éd, 1970, p95.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

اللانهائي من الفونيمات، ويدخل بدل ذلك تعديلات تركيبية على الفونيمات الأصلية، مع محاولة خلق توازن بين الاقتصاد في الجهد والإبانة، ولذلك فإن قانون الاقتصاد في الجهد يعمل على تمييز الفونيمات أو ما يعرف بالمخالفة الصوتية.

ومما تقدم يتبين أن كلا من القانونين يركز عمله على مظهر من مظاهر التطور الصوتي، فقانون الأقوى يعمل على مماثلة الأصوات وتقريب المتنافر منها، ببسط سيطرة صفات الفونيم الأقوى على التركيب، فيما يعمل قانون الاقتصاد في الجهد على التمييز بين المتماثلات وتحقيق أكبر قدر من الإيضاح بأقل عدد من الفونيمات وكذلك بأدنى جهد، وقد يتظافر القانونان معا فيتدخل أحدهما كمرحلة أولى وينهي القانون الثاني عملية التطور.

ويتجلى هذا النزوع إلى التخفيف في العربية في شواهد معجمية عديدة، من ذلك ما أورد في مختار الصحاح: «(عَشْرَةٌ) رِجَالٍ بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَ(عَشْرٌ) نِسْوَةٌ بِسُكُونِهَا. وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يُسَكِّنُ الْعَيْنَ لِطُولِ الْإِسْمِ وَكَثْرَةِ حَرَكَاتِهِ فَيَقُولُ: أَحَدٌ عَشَرَ وَكَذَا إِلَى تِسْعَةٍ»<sup>1</sup>. ويكشف هذا المثال عن أن تسكين العين لم يكن تحكيمياً، بل جاء استجابة لضغط الطول وكثرة الحركات، فكان إسقاط الحركة وسيلة لتقليل الجهد مع المحافظة على الإبانة. وتتأكد هذه النزعة أكثر في ثنائيات شاعت في العربية، حيث يرد الشكلان المحقق والمخفف معاً في الاستعمال، مثل: (فَخِذٌ/فَخِذٌ/فَخِذٌ)، (وَخِمٌ/وَخِمٌ)، (رَنِقٌ/رَنِقٌ)، (نَبِيقٌ/نَبِيقٌ)، (كَدِرٌ/كَدِرٌ)، (وَرِكٌ/وَرِكٌ)، (الْكَبِدُ/الْكَبِدُ)، (وَرِقٌ/وَرِقٌ)، (سَبِطٌ/سَبِطٌ)، (مَلِكٌ/مَلِكٌ)، وهذه الأمثلة وغيرها تكشف بمجملها عن تحقق فعلي لقانون الاقتصاد في الجهد، حيث يستجيب المتكلم لضغط النقل الصوتي بتخفيف الحركات أو إسقاط بعض الأصوات، وبخاصة في مواضع الطرف، دون أن يخل ذلك بالتواصل ولا بسلامة الفهم.

### 3.2.3. قانون ضعف الطرف:

يُعدّ قانون "ضعف الطرف" من القوانين العامة التي تحكم التطور الصوتي، وهو قانون تؤكدُه الشواهد القديمة والحديثة على السواء، فقد بيّن اللسانيون أنه «بصرف النظر عن القيمة الصرفية للكلمة، أو عن حجمها، أو عن نبرها، فإن القطعة النهائية - بما هي نهائية - تكون ضعيفة. وهذا المبدأ العام لضعف النهايات يختلف تطبيقه من لغة إلى أخرى؛ فقد

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص209.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

تكون درجة الضعف أكبر أو أقل. غير أن في هذه الأشكال المتنوعة التي يخضع لها المبدأ ما يؤكد صحته»<sup>1</sup>، وهو ما يشي بأن الطرف يحتل موضعاً أقل ثباتاً في بنية الكلمة، مما يجعله عرضة للتحويلات الصوتية أكثر من الوسط أو القلب، وهذا ما أدركه اللغويون العرب قديماً، حيث يقول ابن جني: «وَمِنْ حَقِّ الْحَذْفِ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَطْرَافِ لَا فِي الْوَسَطِ لِأَنَّ طَرَفَ الشَّيْءِ أضعفُ مِنْ قَلْبِهِ وَوَسَطِهِ»<sup>2</sup>، وتدل الشواهد المعجمية على ذلك بجلاء، إذ يورد الرازي في مختار الصحاح عدداً من الألفاظ التي شهدت حذف الصوت الأخير طلباً للخفة، من قبيل: (فُوهُ ← فَمِّ)، (دَمَوْ/دَمَيَّ ← دَمِّ)، (يَدَيَّ ← يَدِّ)، (غَدَوْ ← غَدِّ)، (أَخَوْ ← أَخِّ)، (حَمَوْ ← حَمِّ)، (أَبَوْ ← أَبِّ)، (بَنَوْ ← ابْنِّ)، إلى غير ذلك من الأمثلة التي تؤكد أن الطرف في البنية الصرفية كثيراً ما يتعرض للسقوط أو التبدل، بينما يحافظ الجذر على صلابته نسبياً.

ويبدو هذا المسار أوضح ما يكون في "حروف العلة" التي تقع في نهاية الكلمات، حيث يشير القدماء إلى خصوصيتها بقولهم: «وَأَنَّما سُمِّيَتْ بِحُرُوفِ الْعِلَّةِ لِأَنَّ التَّغْيِيرَ وَالْعِلَّةَ وَالانْقِلَابَ لَا يَكُونُ فِي جَمِيعِ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا فِي أَحَدِهَا»<sup>3</sup>، فهي أصوات كثيرة التبدل، ومع وقوعها في الطرف يزداد احتمال تعرضها للحذف أو التغيير، ويتجلى من خلالها تأثير قانون ضعف الطرف في العربية بوصفه مبدأً صوتياً عاماً يمكن الاستناد إليه في تفسير عدد كبير من الظواهر التطورية داخل العربية وفي اللغات الأخرى.

### 4.2.3. القياس (الطرد على النظر):

يُعدّ القياس من الآليات التي تُسهم في تفسير بعض مظاهر التطور الصوتي في اللغة، وقد أشار ليونارد بلومفيلد (Leonard Bloomfield 1881-1949) إلى أن كثيراً من الصيغ التي تظهر في تاريخ اللغات لا يمكن تفسيرها بالتحويلات الصوتية المنتظمة وحدها، بل تعود

1-Joseph Vendryes: le langage introduction linguistique a l'histoire, La Renaissance Du Livre, Boulevard Saint Michel, Paris, 1921, p68.

2- محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر، ط1، 1957م، ج3، ص115.

3- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص128.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

إلى ما سماه "analogic change"<sup>1</sup> أي إبداع المتكلمين لصيغ جديدة على منوال قائم، فيتضح أن القياس يعمل بوصفه عاملاً داخلياً في النظام اللغوي يدفع نحو التعميم والتسوية. وتظهر هذه النزعة في اللغة العربية في أكثر من موضع، أبرزها حذف الهمزة من الفعل مهموز الفاء قياساً على حذفها حين إسناده إلى ضمير المتكلم لاجتماع الهمزتين، يبين ذلك أبو علي الفارسي (ت377هـ) بقوله: «والإعلال إذا لزم مثلاً أتبع سائر الأمثلة العارية من الاعتلال، كإعلالهم يكرم من أجل أكرم»<sup>2</sup>؛ أي إن المتكلمين، لما حذفوا الهمزة في "أَكْرِمُ" عند إسناده لضمير المتكلم، قاسوا عليه صيغة "يُؤَكِّرِمُ" فحذفوا همزتها أيضاً، فتحولت إلى "يُكِّرِمُ"، فالتطور هنا لم يكن صوتياً محضاً، وإنما جاء نتيجة القياس العفوي الذي عمم الحذف على نظائر لم تجتمع فيها العلة نفسها.

وقريب من ذلك ما ورد في مادة «ل ب ن»: «و(اللَّبْنَةُ) الَّتِي يُبْنَى بِهَا وَالْجَمْعُ (لَبْنٌ) مِثْلُ كَلِمَةٍ وَكَلِمٍ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ لَبْنَةٌ وَلَبْنٌ مِثْلُ لَبْدَةٍ وَلَبْدٍ»<sup>3</sup>، فالتغيير في بنية (لَبْنَةٌ/لَبْنَةٌ) و(لَبْنٌ/لَبْنٌ) إنما وقع بالقياس على (لَبْدَةٌ/لَبْدٌ) حيث سُكِّنَتِ الْعَيْنُ عَفْوًا لِتَشَابَهِ الْبِنْيَةِ.

يتبين من هذين الشاهدين أن القياس -في بعده العفوي غير المقصود- يُمَثِّلُ أَحَدَ الْقَوَانِينِ الْفَاعِلَةِ فِي التَّطَوُّرِ الصَّوْتِيِّ، إِذْ يَدْفَعُ بِالْمَتَكَلِّمِينَ إِلَى تَوْحِيدِ الْأَبْنِيَةِ وَتَقْرِيبِهَا مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَقْتَضِ الْعِلَّةُ الصَّوْتِيَّةُ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً.

يتضح مما سبق أنّ القوانين الصوتية تمثل آليات فاعلة في توجيه مسار التغيرات التي تطرأ على أصوات اللغة؛ ف"قانون الأقوى" يبرز نزعة النظام اللغوي إلى ترجيح الصوت الأكثر ثباتاً وقوة، بينما يوضح "قانون الجهد الأدنى" ميل المتكلمين إلى الاقتصاد الحركي وتبسيط المسار النطقي، أما "قانون ضعف الطرف" فيكشف عن هشاشة المواقع الطرفية في الكلمة وتهيبها للتغيير، في حين يبرهن "قانون القياس أو الطرد على النظير" على أثر

1-Leonard Bloomfield: Language, Routledge, London, 2010, p404.

2- الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي وبشير جويجايي، دار المأمون للتراث بيروت، لبنان، ط02، 1993م، ج01، ص240.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص279.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

العمليات الذهنية في إعادة بناء البنى الصوتية على نحو منتظم، واجتماع هذه القوانين يؤكد أنّ التطور الصوتي محكوم بضوابط تكشف عن طبيعته المنتظمة وتفند القول بعشوائيته. وتعد تلك القوانين هي الأشهر فيما يخص تفسير التطورات الصوتية، والتي عرضتها الدراسات اللسانية، والمستقاة بالأساس من تعليقات التغييرات الصوتية المختلفة، على أن اللغات تتمايز فيما بينها وتتفرد بنواميس تحكم تآلف أصواتها وتتناسب مع خصوصيتها، وقد عرض عبد الرحمان الحاج صالح قوانين التلفظ في اللغة العربية، وأجملها في أربعة قواعد هي:

### 3.3. قواعد التلفظ في اللغة العربية:

لا يمكن أن ينطق بمتحرك وحده وهذا يقتضي امتناع الوقوف على متحرك، كما أنه لا يمكن الابتداء بساكن، ولا يلتقي ساكنان، ولا تستقل الحركة بنفسها<sup>1</sup>، هذه القواعد الأربعة هي في حقيقتها ضوابط طبيعية يفرضها النظام الصوتي للغة، فتحدد إمكانات التآلف بين الأصوات وتمنع التراكم التي يعجز جهاز النطق عن أدائها أو التي يُستقل إخراجها، فممنع الوقوف على متحرك يعكس الحاجة إلى سند صوتي يحقق التوازن، ومنع الابتداء بساكن ضرورة تفرضها انعدام القدرة على إنتاج الصوت من غير انطلاقة حركية، في حين أن منع التقاء الساكنين يبرز محدودية المسار النطقي في احتمال الانسداد التام دون حركة فاصلة، أما عدم استقلال الحركة بنفسها فدليل على أن وظائف الحركات في العربية مرتبطة بالصوامت وليست وحدات مكتفية بذاتها، وسيأتي بيان أثر هذه القواعد في تحديد مسار التطورات الصوتية في اللغة العربية من خلال الظواهر الصوتية التي سيتم تناولها.

1- عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دار موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، (دط)، 2012م، ج2، ص186.

### 4. المخالفة الصوتية في مختار الصحاح

تمثل المخالفة أحد تجليات التطورات الصوتية المقيدة، وهي ظاهرة تنشأ عن تفاعل الأصوات المتجاورة في بنية الكلمة الواحدة أو في السياق الكلامي، وتقوم المخالفة على نزوع المتكلم إلى تجنب التماثل التام أو التقارب الشديد بين الأصوات، فيسعى إلى إحداث اختلاف بينها تحقيقاً لسهولة النطق وانسجام المقاطع، فهي تعد مظهرًا من مظاهر قانون الاقتصاد في الجهد الذي يوجه آليات النطق في اللغة، وتتداخل في إحداث المخالفة وتحديد مسارها عوامل ترتبط بطبيعة النظام الصوتي، وخاصة قوانين التلغظ وعلاقة الأصوات بعضها ببعض.

#### 1.4. مفهوم المخالفة الصوتية (dissimilation):

عُرِّفت المخالفة بأنها كل «عملية فونولوجية يتغير فيها مقطع صوتي معين ليصير أقل شبهاً بمقطع آخر ضمن البنية الصوتية للكلمة نفسها»<sup>1</sup>، وتتم المخالفة بين المقاطع المتشابهة أو المتماثلة إما بتغيير ملامح الفونيم واستبداله بأحد تمثلاته -ألوفون-، أو باختلافه التام وإحلال فونيم آخر محله وذلك لاعتبارات سيأتي تفصيلها، أو بحذفه جملة. وقد عرّف علماء العربية القدامى المخالفة مفهومًا، وعبروا عنها باصطلاحاتهم، فاستعملوا «كراهة التضعيف، أو اجتماع المثليين، أو التكرير»<sup>2</sup>، وقدرُوا جودة التأليف فيما تباعدت فيه الأصوات، فهذا ابن جني يقول: «فَقَدْ تَحَصَّلَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الْقَضَايَا أَنَّ الْحُرُوفَ فِي التَّأْلِيفِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَابٍ: أَحَدُهَا تَأْلِيفُ الْمُتَبَاعِدَةِ، وَهُوَ الْأَحْسَنُ»<sup>3</sup>، ومثل أبو سنان الخفاجي (ت466هـ) تأليف الكلام مما تباعدت أصواته في غير تنافر باللوحه الفنية الساحرة، وعبر عنها بأجود عبارة في معرض حديثه عن شروط الفصاحة فقال: «أَنْ يَكُونَ تَأْلِيفُ تِلْكَ اللَّفْظَةِ مِنْ حُرُوفٍ مُتَبَاعِدَةٍ الْمَخَارِجِ [...]، وَعِلَّةُ هَذَا وَاضِحَةٌ، وَهِيَ أَنَّ الْحُرُوفَ الَّتِي هِيَ أَصْوَاتٌ تَجْرِي مِنَ السَّمْعِ مَجْرَى الْأَلْوَانِ مِنَ الْبَصَرِ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْأَلْوَانَ

1- R. L. Trask: A Dictionary of Phonetics and Phonology, Routledge, London and New York, 1<sup>st</sup> ed, 1996, p116.

2- عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الوثقائي للدراسات القراءانية، حلب، سورية، ط1، 2006م، ص259.

3- عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، ج01، ص431.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

المُتَبَايِنَةَ إِذَا جُمِعَتْ كَانَتْ فِي الْمَنْظَرِ أَحْسَنَ مِنَ الْأَلْوَانِ الْمُتَقَارِبَةِ، وَلِهَذَا كَانَ الْبَيَاضُ مَعَ السَّوَادِ أَحْسَنَ مِنْهُ مَعَ الصُّفْرِ لِقُرْبِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَصْفَرِ، وَبُعْدِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسْوَدِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا مَوْجُودًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ لَا يَحْسُنُ النَّزَاعُ فِيهِ، كَانَتْ الْعِلَّةُ فِي حُسْنِ اللَّفْظَةِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُتَبَاعِدَةِ هِيَ الْعِلَّةُ فِي حُسْنِ النُّفُوسِ إِذَا مُزِجَتْ مِنَ الْأَلْوَانِ الْمُتَبَاعِدَةِ»<sup>1</sup>، وتكون المخالفة بالحذف والتعويض أو ما يصطلح عليه القدامى بالإبدال، أو بالحذف دون تعويض.

وقد أثبت العلم الحديث صحة ما ذهب إليه القدامى من ثقل المتماثلات، ويرروا ذلك بأن «عملية الكلام بالغة التعقيد؛ فبينما ينطق المتكلم عبارة معينة، يظل العقل منهمكاً في الوقت نفسه في التحضير لما سيقال لاحقاً، [...] فَيَصْدُرُ أَمْرٌ إِلَى عَضْوٍ مَعِينٍ إِمَّا فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ أَوْ مُتَأَخِّرٍ قَلِيلًا عَمَّا يَنْبَغِي، وَيَزْدَادُ مِيلَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى الْوُقُوعِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ بِصِفَةِ خَاصَّةٍ حِينَ تَتَكَرَّرُ الْأَصْوَاتُ الْمُتَشَابِهَةُ أَوْ الْمُتَطَابِقَةُ دَاخِلَ السِّيَاقِ نَفْسِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ تَوَكَّدَهُ التَّجْرِبَةُ الْعَمَلِيَّةُ فِيمَا يُعْرَفُ بِاخْتِبَارَاتِ "كِسَارَةِ اللِّسَانِ" الَّتِي يَتَدْرَبُ بِهَا النَّاسُ فِي لُغَاتٍ وَتَقَاتِفَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ»<sup>2</sup>، وبذلك يتبين أن ما قد يبدو أخطاءً عابرةً في الأداء النطقي ليس في جوهره إلا انعكاساً للآليات الدقيقة التي تتحكم في تفاعل الأصوات داخل الكلمة أو السياق الكلامي، ومن هذا المنطلق تكتسب دراسة "المخالفة الصوتية" أهميتها، بوصفها شكلاً من أشكال هذا التفاعل، حيث تميل الأصوات المتجاورة أحياناً إلى التباعد بدل التقارب، فينشأ عن ذلك عدد من الأنماط الصوتية المخالفة.

وتتجلى المخالفة الصوتية في العربية في أكثر من صورة، بحسب طبيعة الأصوات المتجاورة وموقعها في البنية الصرفية، فقد تحدث بفك التضعيف عبر قلب الحرف الثالث من المتماثلات ياءً، أو من خلال مماثلة فاء البناء لعينه بغرض التخفيف، كما تظهر أحياناً في صورة تخفيف للحركات المتتابعة عن طريق التسكين، وتمثل هذه الأنماط جميعاً مظاهر واضحة لتدخل قانون الاقتصاد في الجهد النطقي، حيث يسعى النظام الصوتي إلى تحقيق قدر من الانسجام والتوازن بين الأصوات والحركات المتوالية.

1- عيد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1982م، ص64.  
2- Otto Jespersen: Language Its Nature Development And Origin, George Allen &Unwin LTD, London, Uk, 1<sup>st</sup> ed, 1922, p279/280.

### 2.4. المخالفة بفك التضعيف:

المضاعف في اللغة هو اسم مفعول من الفعل ضاعف، «وَأَضَعَفَ الشَّيْءَ وَضَعَّفَهُ وَضَاعَفَهُ: زَادَ عَلَى أَسْلِ الشَّيْءِ وَجَعَلَهُ مِثْلِيهِ أَوْ أَكْثَرَ، وَهُوَ التَّضْعِيفُ وَالْإِضْعَافُ، وَالْعَرَبُ يَقُولُ: ضَاعَفْتُ الشَّيْءَ وَضَعَّفْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ»<sup>1</sup>. وفي اصطلاح الصرفيين فإن المضاعف هو «الفعل الذي ضعف، أي كررت عينه أو لامه، وقد يكون ثلاثيا كما يكون رباعيا كذلك»<sup>2</sup>، فقد استمد المضاعف تسميته من تكرار الأصوات في بنائه، غير أنه لم يكن بالبناء المفضل عند العرب، فهي تكره تتابع الأمثال؛ قال سيبويه: «إِعْلَمَنَّ أَنَّ التَّضْعِيفَ يَقُولُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَأَنَّ اخْتِلَافَ الْحُرُوفِ أَحْفُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ»<sup>3</sup>، ولذلك فإنه لم يجرى في الكلام العربي بناء تماثلت كل حروفه إلا ما ذكره الحسين بن خالويه (ت370هـ) في قوله: «لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ تَامَةٌ حُرُوفُهَا كُلُّهَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فَأُدْغِمَ اسْتِنْقَالًا، إِلَّا حَرْفَيْنِ: غَلَامٌ بَبَّةً، أَيْ سَمِينٌ [...]، وَالْحَرْفُ الثَّانِي قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "لَنْ يَبْقِيَتْ إِلَيَّ قَابِلٌ لِأَجْعَلَنَّ النَّاسَ بِيَابًا وَاحِدًا"»<sup>4</sup>؛ ولذا فقد ارتبط بناء المضاعف في اللغة العربية بظاهرة المخالفة الصوتية، وسلك التطور فيه منحى معيناً للتخلص من ذلك التكرار أو التخفيف منه، ولأجل ذلك فقد برزت أشكال عديدة لفك التضعيف منها ما بان أثره في معجم مختار الصحاح.

### 1.2.4. قلب ثالث المتماثلات "ياءً":

يجمع الجدول الآتي شواهد المخالفة بفك التضعيف عن طريق إبدال ثالث المتماثلات ياءً في معجم مختار الصحاح.

- 1- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب (فصل الضاد)، ج9، ص204.
- 2- محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 01، 1985م، ص134.
- 3- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج4، ص417.
- 4- الحسين بن أحمد بن خالويه: ليس في كلام العرب، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مكة، المملكة العربية السعودية، ط2، 02، 1979م، ص37/36.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الصيغ	الشاهد من مختار الصحاح على إبدال من ثالث الأمثال ياء
تَسْرَر/تَسْرَى	س ر ا: «(تَسْرَى) [...] أصله تَسْرَر من السُرورِ فَأَبْدَلُوا مِنْ إِحْدَى الرِّاءَاتِ يَاءً» <sup>1</sup>
تَقْضُض/تَقْضَى	ق ض ي: «(تَقْضَى) البَازِي انْقَضَ. وَأصله تَقْضُضَ فَلَمَّا كَثُرَتْ الضَّادَاتُ أَبْدَلُوا مِنْ إِحْدَاهُنَّ يَاءً» <sup>2</sup>
تَسْنَن/تَسْنَى	س ن ا: «(تَسْنَى) تَغَيَّرَ. [...] فَأَبْدَلَ مِنْ إِحْدَى النُّونَاتِ يَاءً مِثْلُ تَقْضَى مِنْ تَقْضُضَ» <sup>3</sup>
تَمَطَّط/تَمَطَّى	م ط ا: «(التَّمَطَّى) التَّبَخُّرُ وَمَدُّ اليَدَيْنِ فِي المَشْيِ، وَقِيلَ: أصله التَّمَطُّطُ فُلِبَتْ إِحْدَى الطَّاءَاتِ يَاءً» <sup>4</sup>
تَظَنَّ/تَظَنَّى	ظ ن ي: «(تَظَنَّى) مِنَ الظَّنِّ فَأَبْدَلَ مِنْ إِحْدَى النُّونَاتِ يَاءً» <sup>5</sup>
لَبَّب/لَبَّى	ل ب ي: «(لَبَّى) [...] ثُمَّ قَلَبُوا البَاءَ الثَّانِيَةَ إِلَى اليَاءِ اسْتِنْقَالًا كَمَا قَالُوا: تَظَنَّى وَأصله تَظَنَّ» <sup>6</sup>
تَصَدَّد/تَصَدَّى	ص د ي: «(تَصَدَّى) لَهُ تَعَرَّضَ وَهُوَ الَّذِي يَسْتَشْرِفُهُ نَاطِرًا إِلَيْهِ. قُلْتُ: وَقِيلَ أصله تَصَدَّدَ مِنَ الصَّدَدِ وَهُوَ القُرْبُ فُقِلِبَتْ إِحْدَى الدَّالَّاتِ يَاءً.» <sup>7</sup>
تَدَلَّل/تَدَلَّى	د ل ا: «(تَدَلَّى) مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: 8] أَيْ تَدَلَّلَ» <sup>8</sup>
رَبَّب/رَبَّى	ر ب ب: «(رَبَّبَهُ) وَ(رَبَّبَهُ) بِمَعْنَى أَي رَبَّاهُ. [...] وَ(مَرَّبَى) أَيْضًا مِنَ التَّرْبِيَةِ» <sup>1</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 147.

2- المرجع نفسه: ص 255.

3- المرجع نفسه: ص 156.

4- المرجع نفسه: ص 295.

5- المرجع نفسه: ص 197.

6- المرجع نفسه: ص 279.

7- المرجع نفسه: ص 174.

8- المرجع نفسه: ص 107.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

عَنْ / عَنِّي	«ع ن ن»: «(عَنُونَ) الْكِتَابَ يُعْنُونُهُ وَ(عَنَّهُ) أَيْضًا وَ (عَنَاهُ) أَبَدَلُوا مِنْ إِحْدَى النُّونَاتِ يَاءً» <sup>2</sup>
السَّادِسُ / السَّادِي	«(السَّادِي) السَّادِسُ بِإِبْدَالِ السَّيْنِ يَاءً.» <sup>3</sup>

إن من صور المخالفة الصوتية التي رُصدت في المدونة، المخالفة بحذف أحد حروف التضعيف وإبداله بآخر وذلك في عدة مداخل، منها ما جاء في مادة «ق ض ي»: «(نَقَضَى) الْبَازِي أَنْقَضَ. وَأَصْلُهُ تَقَضَّضَ فَلَمَّا كَثُرَتِ الضَّادَاتُ أَبَدَلُوا مِنْ إِحْدَاهُنَّ يَاءً»<sup>4</sup>، ولقد تناول علماء اللغة القدامى هذه المسألة وعلى رأسهم سيبويه (ت180هـ) وذلك في باب سماه «بَابُ مَا شَدَّ فَأَبْدَلَ مَكَانَ اللَّامِ الْيَاءُ لِكِرَاهِيَةِ التَّضْعِيفِ»<sup>5</sup>، وعقد له ابن السكيت (ت244هـ) بابا سماه «بَابُ حُرُوفِ الْمُضَاعَفِ الَّتِي تُقَلَّبُ إِلَى الْيَاءِ»<sup>6</sup>، كما خصص ابن سيده (ت458هـ) في معجمه بابا هو «بَابُ الْمُحَوَّلِ مِنَ الْمُضَاعَفِ»<sup>7</sup>، وقد نقل فيه كلام سيبويه وأضاف عليه شواهد من القرآن الكريم ومن كلام العرب.

وقد أشار كل من سيبويه وابن السكيت في تسمية أبوابهما إلى الصوت البديل عن المضاعف وهو: "الياء"، وعلل ابن يعيش (ت643هـ) اختيار الياء دون غيرها من الأصوات، ودون باقي أصوات الإبدال التي قرروها بـ«أَنَّهَا حَرْفٌ مَجْهُورٌ، مَخْرَجُهَا مِنْ وَسَطِ اللِّسَانِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ مَخْرَجُهَا الْفَمَ، وَكَانَ فِيهَا مِنَ الْخِفَةِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهَا، كَثُرَ إِبْدَالُهَا كَثْرَةً لَيْسَتْ لِغَيْرِهَا»<sup>8</sup>. وكانت علة التخفيف ابتداءً ثقل تتابع الأمثال، وللتخلص منه عُمد إلى

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص116.

2- المرجع نفسه: ص220.

3- المرجع نفسه: ص145.

4- المرجع نفسه: ص255.

5- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج04، ص424.

6- يعقوب بن إسحاق بن السكيت: الكنز اللغوي في اللسان العربي (كتاب القلب والإبدال)، تح: أوغست هفتر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، (دط)، 1903، ص58.

7- علي بن إسماعيل بن سيده: المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1996م، ج04، ص193.

8- يعيش بن علي بن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، سوريا، ط01، 1973م، ص241.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

استجلاب صوت بديل كان لابد أن تتوفر فيه من الصفات ما يحقق المنشود والغاية، فوقع الاختيار على الياء، والياء من أصوات اللين حيث «تَخْرُجُ مِنَ اللَّفْظِ فِي لَيْنٍ مِنْ غَيْرِ كُفَّةٍ عَلَى اللِّسَانِ وَاللَّهَوَاتِ، بِخِلَافِ سَائِرِ الحُرُوفِ، وَإِنَّمَا يَنْسَلِلْنَ بَيْنَ الحُرُوفِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِنَّ أُنْسِلًا لَا بِغَيْرِ تَكْأَفٍ»<sup>1</sup>، وبهذا فُضِيَ الغرض وتحققت الغاية من فك التضعيف، والتفسير الصوتي لهذا التطور بالمخالفة هو أن تتابع الأمثال الثلاثة في بناء واحد يتقل على اللسان كما ذكر سابقا، والمسلك الطبيعي الذي يتبعه النظام الصوتي في اللغة العربية عادة أن يتم الاختزال والتقليص بطريق إدغام الأصوات، إلا أنه قد عُمد هنا إلى الإبدال.

أما والحال كذلك، فقد كان حريا بعلماء اللغة أن يبينوا سبب العدول عن الإدغام إلى الإبدال، قال الرضي الأسترابادي (ت686هـ): «أَوْ ثَلَاثَةٌ أَمْثَالٍ أَوْلَاهَا مُدْعَمٌ فِي الثَّانِي، فَلَا يُمَكِّنُ الإِدْغَامُ فِي الثَّالِثِ، نَحْوُ: "قَصَّيْتُ" وَ"تَقَضَّى" البَازِي، فَيُكْرَهُ اجْتِمَاعُ الأَمْثَالِ، وَلَا طَرِيقَ لَهُمْ إِلَى الإِدْغَامِ، فَيَسْتَرِيحُونَ إِلَى قَلْبِ الثَّانِي يَاءً لِرِيزَادَةِ الإِسْتِثْقَالِ»<sup>2</sup>، يفصل الرضي هنا سبب إبدال الياء في الرباعي المزيد على نحو "قَصَّيْتُ" الذي أصله "قَصَّصَ" و"تَقَضَّى" الذي أصله "تَقَضَّضَ"، والذي لا يجوز فيه الإدغام، وكأنا به يقصد إلى أن الإدغام في اللغة أولى من الإبدال، لأن عينه مدغمة أصلا وبالتالي لم يكن بُدُّ من الإبدال.

ويرى محمد بن أبي بكر الرازي أن الأصل في البناءين هو المزيد المضاعف، وقد قرر ذلك في جميع المداخل تقريبا، حيث جاء في مادة (ص د ي): «وَقِيلَ أَصْلُهُ تَصَدَّدَ»<sup>3</sup>، وفي (م ط ط): «وَقِيلَ: أَصْلُهُ التَّمَطُّطُ»<sup>4</sup>، وفي (س ر ر): «أَصْلُهُ تَسَرَّرَ»<sup>5</sup>، والمداخل التي لم يصرح فيها بالأصل أشار إلى عملية التطور فقال في (ظ ن ي): «فَأَبْدَلَ مِنْ إِحْدَى الثُّنَوَاتِ يَاءً مِثْلَ تَقَضَّى مِنْ تَقَضَّضَ»<sup>6</sup>، أو إلى علته على نحو ما أورد في (ل ب ي): «ثُمَّ قَلَّبُوا

1- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص126.

2- محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1975م، ج3، ص210.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص174.

4- المرجع نفسه: ص295.

5- المرجع نفسه: ص147.

6- المرجع نفسه: ص197.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الْبَاءُ الثَّانِيَّةَ إِلَى الْيَاءِ اسْتِنْقَالًا كَمَا قَالُوا: تَطَنَّى وَأَصْلُهُ تَطَنَّ<sup>1</sup>، وهذا يدل على وعي الرازي التام بالأصل المضاعف والفرع المخفف وموجب التخفيف، وتلخيصا لمسار التطور الصوتي نورد المخطط الآتي:



### الشكل 1: قلب ثالث المتماثلات ياء

لم يعين محمد بن أبي بكر الرازي في كل الشواهد المرصودة رتبة المبدل منه، أهو ثاني الأمثال؟ أم ثالثها؟ لأنه قد يلتبس موقع البديل لتجانس الأصوات، واكتفى في ذلك بذكر وقوعه في أحدها، فيما قرر غيره من العلماء أنه واقع في الثالث منها، فسمى سيبويه الباب مشيرا إلى الموضع بقوله: «هَذَا بَابُ مَا شَدَّ فَأَبْدَلَ مَكَانَ اللَّامِ الْيَاءُ»<sup>2</sup>، و قال يعيش بن يعيش (ت643هـ): « وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: «تَطَنَيْتُ» وَهُوَ «تَطَنَّتُ»، «تَقَعَلْتُ» مِنْ الظَّنِّ، فَأَلْيَاءُ بَدَلٌ مِنَ النُّونِ الْأَخِيرَةِ»<sup>3</sup>، وكذا قال في يتسنن وغيرها<sup>4</sup>، وذلك لأن لام البناء موضع حذف وإبدال لوقوعها آخرا، ولضياح الجهد في نطق ما سبقها من أصوات، فهي ممكن ضعف فكانت أحق بالتخفيف من غيرها.

لقد قرر علماء اللغة أن إبدال الياء من أحد المتماثلات في الثلاثي المضاعف بالتضعيف شاذ، كما هو الشأن عند سيبويه الذي أشار إلى المسألة بدءا من العنوان، ثم أكد ذلك في متن الباب بقوله: «وَبَدَلُهَا شَاذٌ»<sup>5</sup>، ولا يمكن القياس عليه على كثرته، فإذا كان

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص279.

2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج04، ص424.

3- يعيش بن علي بن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، ص252.

4- ينظر: المرجع نفسه: ص252.

5- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج04، ص424.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

موجب المخالفة بالإبدال في هذا الموضع هو الثقل، وكان الإبدال الذي سجلته كتب اللغة والمعاجم على نسق واحد -الإبدال بالياء لخفتها-، فلم رأوا الشذوذ فيه وهم أنفسهم يثبتون أن منه عربي كثير!

### 2.2.4. مجانسة أحد الأصوات المتماثلة لفاء البناء:

ومن أمثلة المخالفة الصوتية بفك التضعيف والتي رُصدت في المعجم، فك التضعيف بإبدال أحد الأصوات المتماثلة فاء البناء، وأشار محمد بن أبي بكر الرازي صراحة إلى هذا التطور الصوتي في أحد المداخل أين جاء على ذكر أشهر الأمثلة، فأورد في مادة (ص ر ر) «وَرِيحٌ (صَرَصَرٌ) أَي بَارِدَةٌ وَقِيلَ: أَصْلُهَا صَرَّرَ مِنَ الصَّرِّ فَأَبْدَلُوا مَكَانَ الرَّاءِ الْوَسْطَى فَاءَ الْفِعْلِ كَقَوْلِهِمْ: كَبَبُوا أَصْلُهُ كَبَبُوا وَتَجَفَّفَ النَّوْبُ أَصْلُهُ تَجَفَّفَ»<sup>1</sup>، وكذلك في «ك ب ب»: «وَكَبَبَهُ، أَي كَبَّهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكُبْكَبُوا فِيهَا﴾ [الشُّعْرَاءُ: 94]»<sup>2</sup>، وقد تحدث الخليل بن أحمد في مقدمة كتاب العين عن هذا البناء، وسماه "المضاعف"، ورأى بأنه بناء محبب في العربية لخفته، وأنه يتوصل به إلى نطق ما تنافر من الأصوات المتجاورة، لو أنها تتابعت في غيره، فقال: «وَالْمُضَاعَفُ فِي الْبَيَانِ فِي الْحِكَايَاتِ وَغَيْرِهَا مَا كَانَ حَرْفًا عَجْزُهُ مِثْلَ حَرْفِي صَدْرِهِ، وَذَلِكَ بِنَاءٌ يَسْتَحْسِنُهُ الْعَرَبُ، فَيَجُوزُ فِيهِ مِنْ تَأْلِيفِ الْحُرُوفِ جَمِيعُ مَا جَاءَ مِنَ الصَّحِيحِ وَالْمُعْتَلِّ، وَمِنَ الذُّلْقِ وَالطُّلْقِ وَالصُّنْمِ»<sup>3</sup>، فالمخالفة في هذه الحالة كانت بصوت من جنس الصوت الأول في الكلمة، ولهذا الشكل من التركيب الصوتي المميز خفة على اللسان، تجعله يبيح ما استكره في غيره، مثل تتابع "أصوات الحلق" أو "الضاد" و"الكاف"، قال الخليل: «وَيَجُوزُ فِي حِكَايَةِ الْمُضَاعَفَةِ مَا لَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهَا مِنْ تَأْلِيفِ الْحُرُوفِ، أَلَّا تَرَى أَنَّ الضَّادَ وَالْكَافَ إِذَا أُلْفَتَا فَبَدِئَ بِالضَّادِ فَقِيلَ: ضَكَ، كَانَ تَأْلِيفًا لَمْ يَحْسُنْ فِي أَبْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ إِلَّا مَفْصُولًا بَيْنَ حَرْفَيْهِ بِحَرْفٍ لَازِمٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، كَالضَّنْكَ وَالضَّحْكَ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَهُوَ جَائِزٌ فِي الْمُضَاعَفِ نَحْوِ الضَّكْضَاكَةِ مِنَ النِّسَاءِ. فَالْمُضَاعَفُ جَائِزٌ فِيهِ كُلُّ عَثٍّ وَسَمِينٍ مِنَ الْفُصُولِ وَالْأَعْجَازِ وَالصُّدُورِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»<sup>4</sup>، وإذا كان ترتيب الأصوات

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص175.

2- المرجع نفسه: ص265.

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج01، ص55.

4- المرجع نفسه (المقدمة): ج01، ص56.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

على هذا النحو يزيل ثقل تجاور الأصوات المتنافرة العصية على النطق، فإنه لتخفيف ثقل المتماثلات أقدر، وذلك لأن «أصل الأصول في إحداث الكلام وإدراكه يكمن في كيفية إدراج الحروف لا في صفاتها المميزة»<sup>1</sup>، وإدراجها على هذا النحو والترتيب سهّل حركة اللسان وهوّن عليه إخراج الأصوات بسلاسة ويسر.

وقد صرح الرازي في الشاهد الذي أوردناه بأصلية البناء مضعف العين، ما يجعلنا نرسم مخطط التطور الصوتي في هذا القسم على النحو الآتي:



### الشكل 2: مجانسة أحد الأصوات المتماثلة لفاء البناء

وبما تقدم يكون محمد بن أبي بكر الرازي متابعا للخليل بن أحمد في رأيه، والذي يرى أن «العرب تشنق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المنقل بحرفي التضعيف»<sup>2</sup>، غير أن العلماء لم يكونوا سواء في هذا، فغالبية البصريين رأوا أن لكل من الثلاثي مضعف العين والرابعي المضاعف وضع مستقل وليس أحد منهما بأصل ولا فرع، حيث جاء في سر صناعة الإعراب لابن جني: «وإنما حنّحت أصل رباعي، وحنّحت أصل ثلاثي، وليس واحد منهما من لفظ صاحبه، إلا أن حنّحت من مضاعف الأربعة، وحنّحت من مضاعف الثلاثة، فلما تضارعا بالتضعيف الذي فيهما، اشتبه على بعض الناس أمرهما، وهذا هو حقيقة مذهبا»<sup>3</sup>، وحنّتهم في ذلك أن الحاء في "حنّحت" والكاف في "كبّكب" وغيرهما ليستا متقاربتين في المخرج ولا الصفات للأصوات التي أبدلت منها، وفي هذا تقيّد

1- عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص197.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج1، ص56.

3- عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، ج1، ص193.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

صارم منهم بالقواعد التي وضعوها من وجوب وجود علاقة قوية بين الصوت المبدل والمبدل منه.

وكان موقف الكوفيين موافقا لما جاء في مقدمة العين، وعرض يحيى بن زياد الفراء رأيه قائلا: «ويقال: من صلصالٍ مُنْتِنٍ، يُرِيدُونَ بِهِ: صَلَّ، فيقال: صلصالٌ، كما يُقال: صرَّ البابُ عند الإغلاقِ، وصرصرَ. والعربُ تُردُّ اللَّامَ في التَّضْعِيفِ، فيقال: كَرَكْرَتُ الرَّجُلِ، يُرِيدُونَ: كَرَّرْتُهُ، وَكَبَّكَبْتُهُ، يُرِيدُونَ: كَبَّبْتُهُ، وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: أَتَيْتُ فَلَانًا فَبَشَبَشَ بِي، مِنَ الْبُشَاشَةِ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ كَرَاهِيَةً اجْتِمَاعِ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ»<sup>1</sup>، وكانت حجة الكوفيين في كراهية التضعيف هي توالي الأصوات المتماثلة، فكان الإبدال للتخفيف.

والظاهر أن مذهب الخليل بن أحمد والكوفيين أقوى لأنه يستند لسنن العرب في كلامهم، ويحتكم لما تكرهه العرب وما تستحسنه، بينما اعتمد البصريون في موقفهم على القواعد التي وضعها أهل اللغة، فإن كانت القوانين التي تحكم تآلف الأصوات سارية في غالبية الحالات، فإنه ولا بد من وجود استثناءات ولعل هذا النوع من التطور أحدها.

ويرد هذا في الأسماء والأفعال؛ حيث جاء في المدونة في مادة «ه ف ف»: «امرأة مهفهفة أي ضامرة البطن، ومهفهفة أيضا»<sup>2</sup>، في هذا المدخل لم يعط الرازي أي إشارة لوجود تطور صوتي، إلا أنه يمكن تلمس وقوعه، فالبناء الأول «هَفْهَفَ» هو مضاعف تشابه صدره مع عجزه، وهو بناء فرعي للثلاثي المضاعف «هَفَفَ».

إن المتتبع للسير الزمني لأبنية المزيد المضاعف يتبين له أنه منطور عن الثلاثي المجرد، وأن الزيادة كانت من جنس عين ولام البناء، وأن هذا النمط مستنقل ولذا عمد العربي إلى التخلص منه بعدة أشكال، فإن كان الحال كذلك فلسائل أن يسأل، لم زيدت مادامت ستحدث ثقلا؟

وقد أجاب الدكتور جواد مصطفى عن هذا التساؤل بقوله: «التضعيف في العربية كان من الأمور الضرورية لتطورها فلم يكن للغة منه مندوحة ولا بد، إلا أنها بعد أن قررت قاعدته وضمنت فائدته ارتأت أن تخفف من شدته وتلطف من حدته، فعالجته وعاجلته

1- يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، ج01، ص114.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص327.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

بالإبدال المحقق»<sup>1</sup>، فالتضعيف ابتداءً كان وسيلة لجأت إليها اللغة العربية لإثراء رصيدها من الألفاظ تلبية لحاجات المستعملين في التعبير عن أغراضهم، فكانت زيادة المباني أقرب الوسائل لزيادة المعاني، وكانت الزيادة من جنس أصوات البناء الأصلي تقوية للدلالة والصدق، إلا أن هذه الزيادة التي استجابت كثافة دلالية استجابت معها ثقلاً نطقياً، وعمدت اللغة للتخلص من هذا الجهد إلى حذف موجب الثقل النطقي مع الحفاظ على قوة المعنى، فكان الحذف والتعويض عن المحذوف أو الإبدال باصطلاح القدامى، بما يؤدي الغرض ويخف على اللسان، وقد سمي بعض الدارسين هذا بالإبدال المحقق، لأنه إبدال وجد سبيله للخط والكتابة، على خلاف غير المحقق الذي لا يبين إلا في النطق.

### 4.2.3. التخفيف بالتسكين:

إنّ التخفيف بالتسكين بما يتفرّع عنه من أنماط يُعدّ أحد مظاهر المخالفة الصوتية التي تكشف عن خضوع النظام الصوتي لمبدأ عام هو "قانون الاقتصاد في الجهد"، إذ يميل المتكلم إلى تجنب ما يتقل على جهاز النطق فيحوّل الحركة إلى سكون طلباً للسهولة والانسجام. وقد خُبرت اللغة العربية هذه الظاهرة على نطاق واسع، فأفرد العلماء لها قسماً من مصنفاتهم، من ذلك ما جاء في الكتاب، حيث أورد سيبويه باباً قال فيه: «هَذَا بَابُ مَا يُسَكَّنُ اسْتِخْفَافًا، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مُتَحَرِّكٌ»<sup>2</sup>، فدلّ بذلك على أنّ التسكين كان قاعدة معتبرة في بنية الكلمة العربية، ومن ثمّ فإنّ تتبّع شواهد هذا الباب يكشف عن وفرة الاستعمال وتنوع المواضع التي لجأت فيها العربية إلى التخفيف بالتسكين، وهو ما يقتضي الوقوف على صورته التطبيقية ومظاهره المختلفة.

### 1.3.2.4. التخفيف بالتسكين في حال توالي فتحة وكسرة:

يوثق الجدول الآتي شواهد التخفيف بالتسكين حين توالي فتحة وكسرة في مختار الصحاح:

1- جواد مصطفى: أثر التضعيف في تطور العربية والإبدال الذي غفل عنه علماء اللغة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1965م، ج19، ص57.

2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج04، ص114.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الصيغ	الشاهد في المدونة على التخفيف بالتسكين عند توالي فتحة ثم كسرة
فَخَذُ/ فَخَذٌ	«ف خ ذ» «(فَخَذٌ) مِثْلُ كَتِفٍ وَ(فَخَذٌ)» <sup>1</sup>
وَخَمٌ/ وَخَمٌ	«و خ م»: «رَجُلٌ (وَخَمٌ) بِكَسْرِ الْخَاءِ، وَ(وَخَمٌ) بِسُكُونِهَا.» <sup>2</sup>
رِنِقٌ/ رِنِقٌ	«و ن ق»: «مَاءٌ (رِنِقٌ) بِالتَّسْكِينِ أَيْ كَدِرٌ [..] وَعَيْشٌ (رِنِقٌ) أَيْ كَدِرٌ»
نَبِقٌ/ نَبِقٌ	«ن ب ق»: «(النَّبِقُ) تَخْفِيفُ (النَّبِقِ) بِكَسْرِ الْبَاءِ.» <sup>3</sup>
كَدِرٌ/ كَدِرٌ	«ك د ر»: «(كَدِرٌ) وَ(كَدِرٌ) مِثْلُ فَخَذٍ وَفَخَذٍ» <sup>4</sup>
وَرِكٌ/ وَرِكٌ	«و ر ك»: «(الْوَرِكُ) مَا فَوْقَ الْفَخْذِ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ وَقَدْ تُخَفَّفُ مِثْلُ فَخَذٍ وَفَخَذٍ» <sup>5</sup>
الْكَبْدُ/ الْكَبْدُ	«ك ب د»: «(الْكَبْدُ) [...] وَيُقَالُ: (كَبَدٌ) بِوَزْنِ فَلَسٍ لِلتَّخْفِيفِ كَمَا يُقَالُ لِلْفَخْذِ: فَخَذٌ» <sup>6</sup>
وَرِقٌ/ وَرِقٌ	«و ر ق»: «وَفِي الْوَرِقِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: (وَرِقٌ) وَ (وَرِقٌ) وَ (وَرِقٌ) مِثْلُ كَبَدٍ وَكَبَدٍ وَكَبَدٍ» <sup>7</sup>
سَبِطٌ/ سَبِطٌ	«س ب ط»: «وَرَجُلٌ (سَبِطٌ) الشَّعْرِ وَ(سَبِطٌ) الْجِسْمِ وَ(سَبِطٌ) الْجِسْمِ أَيْضًا. مِثْلُ: فَخَذٍ وَفَخَذٍ» <sup>8</sup>
مَلِكٌ/ مَلِكٌ	«م ل ك»: «و(مَلِكٌ) وَ(مَلِكٌ) مِثْلُ فَخَذٍ وَفَخَذٍ كَأَنَّ الْمَلِكَ مُخَفَّفٌ مِنْ مَلِكٍ» <sup>9</sup>
الْوَدِيُّ/ الْوَدِيُّ	«و د ي»: «(الْوَدِيُّ) بِالسُّكُونِ مَا يَخْرُجُ بَعْدَ الْبُولِ وَكَذَا (الْوَدِيُّ) بِالتَّشْدِيدِ عَنِ الْأُمُوِيِّ» <sup>1</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 235.

2- المرجع نفسه: ص 335.

3- المرجع نفسه: ص 304.

4- المرجع نفسه: ص 267.

5- المرجع نفسه: ص 336.

6- المرجع نفسه: ص 265.

7- المرجع نفسه: ص 336.

8- المرجع نفسه: ص 141.

9- المرجع نفسه: ص 289.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

<p>ع ق ب: «(عَقِبُ) الرَّجُلِ أَيْضًا وَلَدُهُ وَوَلَدُ وَلَدِهِ وَكَذَا عَقِبُهُ بِسُكُونِ الْقَافِ»<sup>2</sup></p>	<p>عَقِبُ/ عَقَبُ</p>
<p>س ل ف: «(سَلَفُ) الرَّجُلِ زَوْجُ أُخْتِ امْرَأَتِهِ وَكَذَا (سَلَفُهُ) مِثْلُ كَيْدٍ وَكَيْدٍ»<sup>3</sup></p>	<p>سَلَفُ/ سَلَفُ</p>
<p>ل ي ن: «وَشَيْءٌ (لَيْنٌ) وَ (لَيْنٌ) مُخَفَّفٌ مِنْهُ»<sup>4</sup></p>	<p>لَيْنٌ/ لَيْنٌ</p>
<p>ه و ن: «وَشَيْءٌ (هَيْنٌ) أَيْ سَهْلٌ وَ (هَيْنٌ) مُخَفَّفٌ»<sup>5</sup></p>	<p>هَيْنٌ/ هَيْنٌ</p>
<p>خ ي ر: «رَجُلٌ (خَيْرٌ) وَ (خَيْرٌ) [...] مِثْلُ: مَيِّتٌ وَمَيِّتٌ وَهَيِّنٌ وَهَيِّنٌ»<sup>6</sup></p>	<p>خَيْرٌ/ خَيْرٌ مَيِّتٌ/ مَيِّتٌ</p>
<p>ن ي ف: «(النَّيْفُ) بَوْرِنُ الْهَيِّنِ الزِّيَادَةُ يُخَفَّفُ وَيَشَدَّدُ»<sup>7</sup></p>	<p>نَيْفٌ/ نَيْفٌ</p>
<p>ش ه د: «نَقُولُ: شَهَدَ عَلَى كَذَا مِنْ بَابِ سَلَّمَ وَرَبَّمَا قَالُوا: (شَهَدَ) الرَّجُلُ بِسُكُونِ الْهَاءِ تَخْفِيفًا.»<sup>8</sup></p>	<p>شَهَدَ/ شَهَدَ</p>
<p>ن ع م: «ن ع م: فَنِعْمَ مَدْحٌ وَبِئْسَ نَمٌّ. وَفِيهَا أَرْبَعُ لُغَاتٍ: الْأَصْلُ نَعَمَ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ ثَانِيهِ. ثُمَّ نَقُولُ: نَعِمَ فَتُنْبَعُ الْكُسْرَةُ الْكُسْرَةُ. ثُمَّ تَطْرَحُ الْكُسْرَةُ الثَّانِيَةَ فَتَقُولُ: نَعِمَ بِكَسْرِ الثَّوْنِ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: نَعَمَ بِفَتْحِ الثَّوْنِ.. وَ (نَعِمٌ) بِكَسْرِ الْعَيْنِ لُغَةٌ فِيهِ»<sup>9</sup></p>	<p>نَعِمٌ/ نَعَمٌ</p>
<p>ل ي س: «(لَيْسَ) كَلِمَةٌ نَفِيٌّ. وَهُوَ فِعْلٌ مَاضٍ وَأَصْلُهَا لَيْسَ بِكَسْرِ الْيَاءِ فَسُكِّنَتْ اسْتِثْقَالًا»<sup>10</sup></p>	<p>لَيْسَ/ لَيْسَ</p>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 335.

2- المرجع نفسه: ص 213.

3- المرجع نفسه: ص 152.

4- المرجع نفسه: ص 288.

5- المرجع نفسه: ص 329.

6- المرجع نفسه: ص 99.

7- المرجع نفسه: ص 322.

8- المرجع نفسه: ص 169.

9- المرجع نفسه: ص 314.

10- المرجع نفسه: ص 287.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

سِفْلَةٌ/ سِفْلَةٌ	«س ف ل»: «(السِفْلَةُ) بِكَسْرِ الْفَاءِ السُّقَاطُ مِنَ النَّاسِ يُقَالُ: هُوَ مِنْ سِفْلَةٍ وَلَا تَقُلْ: هُوَ سِفْلَةٌ لِأَنَّهَا جَمْعٌ. وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: رَجُلٌ سِفْلَةٌ مِنْ قَوْمِ سِفْلٍ. وَبَعْضُ الْعَرَبِ يُخَفِّفُ فَيَقُولُ فَلَانٌّ مِنْ سِفْلَةٍ النَّاسِ فَيَنْقُلُ كَسْرَةَ الْفَاءِ إِلَى السِّينِ» <sup>1</sup>
--------------------	--

يُعدّ التخفيف بالتسكين في حال توالي الفتحة والكسرة مظهراً جلياً لميل النظام الصوتي إلى تقليل الجهد، وقد فصل سيبويه في تعليقه لهذا المسلك بقوله: «وَأِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا أَنَّهُمْ كَرَهُوا أَنْ يَزْفَعُوا أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْمَفْتُوحِ إِلَى الْمَكْسُورِ، وَالْمَفْتُوحُ أَحْفُ عَلَيْهِمْ، فَكَرَهُوا أَنْ يَنْقُلُوا مِنَ الْأَخْفِ إِلَى الْأَنْثَلِ»<sup>2</sup>، يكشف هذا التعليل عن وعي تشريحي بطريقة إخراج الأصوات وكيفية تناغمها في السياق النطقي، إذ إن الفتحة تضع أعضاء النطق في وضعية طبيعية أكثر راحة، بينما تتطلب الكسرة ارتفاع مقدمة اللسان نحو الحنك الأعلى وتضييق مجرى الهواء، وهو ما يزيد العبء العضلي ويضاعف الجهد التنفسي.

وتتأكد هذه المشقة بالنظر إلى آلية إنتاج المقاطع، حيث يكون الضغط الهوائي في أول البناء أقوى لاعتماده على اندفاع النفس في بدايته، ثم يتناقص تدريجياً في المقاطع اللاحقة؛ فيلزم للانتقال من الفتحة إلى الكسرة تشكيلاً أدق لحركة اللسان في وقت يقل فيه الدفع الهوائي، وهو ما يورث عبئاً نطقياً إضافياً، وبالنظر إلى هذه الملابسات، يتضح أن تسكين العين كان استجابة منتظمة لحاجة الناطق إلى الخفة، انسجاماً مع مبدأ الاقتصاد في الجهد. وقد دون معجم مختار الصحاح شواهد عديدة تعكس هذا المسلك الصوتي، محتفظاً بالصيغتين الأصلية والمخففة، منها ما جاء في مادة «س ف ل»: «(السِفْلَةُ) بِكَسْرِ الْفَاءِ السُّقَاطُ مِنَ النَّاسِ يُقَالُ: هُوَ مِنْ سِفْلَةٍ [...] وَبَعْضُ الْعَرَبِ يُخَفِّفُ فَيَقُولُ فَلَانٌّ مِنْ سِفْلَةٍ النَّاسِ فَيَنْقُلُ كَسْرَةَ الْفَاءِ إِلَى السِّينِ»<sup>3</sup>، يبين الشاهد اختيار بعض العرب للتخفيف حين انتقالهم من الفتحة إلى الكسرة، وذلك في قولهم "سِفْلَةٌ" بدل "سِفْلَةٍ"، حيث تم نقل كسرة الفاء إلى السين، فحدث تسكين في عين البناء، وهو ما يُعبّر عن نزوع صوتي واضح إلى الاقتصاد في

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 149.

2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج 04، ص 114.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 149.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الجهد؛ فالكسرة في الفاء، وهي المقطع الأوسط، تتطلب حركة دقيقة للسان نحو الأمام مع علو، أما حين تُنقل الكسرة إلى السين الأولى ويُسكن ما بعدها، فإن النطق يتم في وضع أكثر استقرارًا وانسيابية، ولهذا كان التسكين في هذا الموضع وغيره آلية تيسير عضوية تهدف إلى تجنب التتابع الحركي الثقيل للفتحة والكسرة المتجاورتين، وخلق توازن إيقاعي بين الحركتين المتعاقبتين وتقليل المقاومة عند الانتقال بينهما.

### 2.3.2.4. التخفيف بالتسكين في حال توالي ضمتين:

يوثق الجدول الآتي شواهد التخفيف بالتسكين عند توالي ضمتين في بناء واحد:

الصيغ	الشاهد من المدونة على التخفيف بالتسكين عند توالي ضمتين
الْكُفُوُ/ الْكُفَاءُ	«ك ف أ»: «(الْكُفَاءُ) وَ(الْكُفُوُ) بِسُكُونِ الْفَاءِ وَضَمِّهَا بِوَزْنِ فُعْلٍ وَفُعْلٍ» <sup>1</sup>
شُعْلُ/ شُعْلُ	«ش غ ل»: «(شُعْلُ) بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَضَمِّهَا» <sup>2</sup>
الضُمْرُ/ الضُمْرُ	«ض م ر»: «(الضُمْرُ) بِسُكُونِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا الْهَزْلُ وَخَفَّةُ اللَّحْمِ» <sup>3</sup>
عُمْرُ/ عُمْرُ	«غ م ر»: «(وَرَجُلٌ) (عُمْرٌ) بِسُكُونِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا أَي لَمْ يُجَرَّبِ الْأُمُورَ» <sup>4</sup>
أُخَذُ/ أُخَذُ	«أ خ ذ»: «وَجَمَعَ الْإِخَاذِ (أُخَذُ) مِثْلُ كِتَابٍ وَكُتِبَ وَقَدْ يُخَفَّفُ فَيُقَالُ (أُخَذُ)» <sup>5</sup>
أُفِقُّ/ أُفِقُّ	«أ ف ق»: «(أُفِقُّ) وَ(أُفِقُّ) مِثْلُ عُسْرٍ وَعُسْرٍ» <sup>6</sup>
الْقُدْسُ/ الْقُدْسُ	«ق د س»: «(الْقُدْسُ) بِسُكُونِ الدَّالِ وَضَمِّهَا الطُّهْرُ اسْمٌ وَمَصْدَرٌ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْجَنَّةِ: حَظِيرَةُ الْقُدْسِ» <sup>1</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 270.

2- المرجع نفسه: ص 166.

3- المرجع نفسه: ص 185.

4- المرجع نفسه: ص 229.

5- المرجع نفسه: ص 14.

6- المرجع نفسه: ص 19.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ع س ر: «(العُسْرُ) بِسُكُونِ السَّيْنِ وَضَمِّهَا ضِدُّ الْيُسْرِ» <sup>2</sup>	العُسْرُ / العُسْرُ
ر ح م: «(الرَّحْمُ) بِالضَّمِّ الرَّحْمَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: 81] وَ (الرَّحْمُ) بِضَمَّتَيْنِ مِثْلُهُ» <sup>3</sup>	الرَّحْمُ / الرَّحْمُ
ح ل م: «(الْحُلْمُ) بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُونِهَا مَا يَرَاهُ النَّائِمُ» <sup>4</sup>	الْحُلْمُ / الْحُلْمُ
ر ب ع: «(الرُّبْعُ) جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَيَنْقَلُ مِثْلُ عُسْرٍ وَعُسْرٍ» <sup>5</sup>	الرُّبْعُ / الرُّبْعُ
ي س ر: «(الْيُسْرُ) بِسُكُونِ السَّيْنِ وَضَمِّهَا ضِدُّ الْعُسْرِ» <sup>6</sup>	الْيُسْرُ / الْيُسْرُ
د س ر: «هِيَ الْمَسَامِيرُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: 13] وَدُسْرٍ أَيْضًا مُخَفَّفًا» <sup>7</sup>	دُسْرٌ / دُسْرٌ
ن ك ر: «(النُّكْرُ) الْمُنْكَرُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: 74] وَقَدْ يُحْرَكُ مِثْلُ عُسْرٍ وَعُسْرٍ» <sup>8</sup>	النُّكْرُ / النُّكْرُ
م د ن: «(مُدْنٌ) وَ (مُدْنٌ) مُخَفَّفًا وَمُتَقَلًّا» <sup>9</sup>	مُدْنٌ / مُدْنٌ
د ب ر: «(الدُّبْرُ) وَ (الدُّبْرُ) مُخَفَّفًا وَمُتَقَلًّا الظَّهْرُ» <sup>10</sup>	الدُّبْرُ / الدُّبْرُ
ق ب ل: «(الْقُبْلُ) وَ (الْقُبْلُ) ضِدُّ الدُّبْرِ وَالِدُّبْرِ» <sup>11</sup>	الْقُبْلُ / الْقُبْلُ
س د س: «(سُدْسٌ) الشَّيْءُ بِسُكُونِ الدَّالِ وَضَمِّهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ» <sup>12</sup>	سُدْسٌ / سُدْسٌ
أ ر ز: «(أُرْزٌ) وَ (أُرْزٌ) كَعُسْرٍ وَعُسْرٍ» <sup>13</sup>	أُرْزٌ / أُرْزٌ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 248.

2- المرجع نفسه: ص 208.

3- المرجع السابق: ص 120.

4- المرجع نفسه: ص 80.

5- المرجع نفسه: ص 116.

6- المرجع نفسه: ص 349.

7- المرجع نفسه: ص 104.

8- المرجع نفسه: ص 319.

9- المرجع نفسه: ص 292.

10- المرجع نفسه: ص 101.

11- المرجع نفسه: ص 246.

12- المرجع نفسه: ص 145.

13- المرجع نفسه: ص 17.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

س ح ت: «(السحت) بسكون الحاءِ وضمها الحرام» <sup>1</sup>	سحت / سحت
ع ن ق: «(العنق) بضم النونِ وسكونها» <sup>2</sup>	العنق / العنق
ر س ل: «(رسول) والجمع (رسل) و (رسل)» <sup>3</sup>	رسل / رسل
ر ط ب: «(الرطب) بضم الراءِ وسكونِ الطاءِ وضمها أيضا الكلاء» <sup>4</sup>	الرطب / الرطب
ه ز أ: «(يهزأ هزأ) و (هزوا) بسكونِ الزاي وضمها أي سخر» <sup>5</sup>	هزوا / هزأ
ح م ق: «(الحمق) بسكونِ الميمِ وضمها قلة العقل» <sup>6</sup>	الحمق / الحمق
ح ر ض: «(الحرض) بسكونِ الراءِ وضمها الأشنان» <sup>7</sup>	الحرض / الحرض
ر س ع: «(الرسع) من الدوابِّ بسكونِ السينِ وضمها الموضع المستدق الذي بين الحافرِ وموصلِ الوظيفِ من اليدِ والرجل» <sup>8</sup>	رسع / رسع
خ ل ق: «(الخلق) بسكونِ اللامِ وضمها السجية» <sup>9</sup>	الخلق / الخلق
ق ر ب: «(قربة) بسكونِ الراءِ و (قربة) بضم الراء» <sup>10</sup>	قربة / قربة
ج م ع: «(الجمعة) بسكونِ الميمِ وضمها يوم العروبة» <sup>11</sup>	الجمعة / الجمعة
ق و ل: «(قول) (قوول) وقوم (قول) مثل صبورٍ وصبرٍ وإن شئت سكنت الواو» <sup>12</sup>	قول / قول
أ س د: «(الأسد) جمعه (أسود) و (أسد) بضمّتين مقصور منه	أسد / أسد

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 143.

2- المرجع نفسه: ص 220.

3- المرجع السابق: ص 122.

4- المرجع نفسه: ص 124.

5- المرجع نفسه: ص 326.

6- المرجع نفسه: ص 81.

7- المرجع نفسه: ص 70.

8- المرجع نفسه: ص 122.

9- المرجع نفسه: ص 95.

10- المرجع نفسه: ص 250.

11- المرجع نفسه: ص 60.

12- المرجع نفسه: ص 262.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

مُنْقَلٌ وَأَسَدٌ مُخَفَّفٌ مِنْهُ» <sup>1</sup>	
ع ط ب: «(العُطْبُ) وَ(العُطْبُ) القُطْنُ» <sup>2</sup>	عُطْبُ/ عُطْبُ

يُعدّ التخفيف بالتسكين في حال توالي الضمّتين مظهراً آخر من مظاهر نزوع النظام الصوتي العربي إلى تقليل الكلفة وتيسير النطق، وقد أوضح سيبويه علته بقوله: «وإذا تَنَابَعَتِ الضَّمَّتَانِ فَإِنَّ هَوْلَاءَ يُخَفَّفُونَ أَيْضًا، كَرِهُوا ذَلِكَ كَمَا يَكْرَهُونَ الْوَاوَيْنِ، وَإِنَّمَا الضَّمَّتَانِ مِنَ الْوَاوَيْنِ، فَكَمَا تَكَرَّرَ الْوَاوَانِ كَذَلِكَ تَكَرَّرَ الضَّمَّتَانِ لِأَنَّ الضَّمَّةَ مِنَ الْوَاوِ. وَذَلِكَ قَوْلُكَ: الرُّسْلُ، وَالطُّنْبُ، وَالْعُنُقُ تُرِيدُ الرُّسْلَ، وَالطُّنْبُ، وَالْعُنُقُ»<sup>3</sup>، ويفهم من هذا النص أن الضمة لصعوبة إخراجها تُستثقل إذا توالى تماماً كما يُستثقل اجتماع الواوين؛ فهي مبدؤها وأصلها، وللتخفيف من هذا العنت لجأ العرب إلى تسكين الثانية، وهو ما قلل من توالي المقاطع القصيرة المغلقة التي تميل العربية إلى اجتنابها<sup>4</sup>. وفي هذا السياق أورد الرازي قاعدة عن عيسى بن عمر (ت149هـ) تكشف عن سعة في الاستعمال، إذ قال: «كُلُّ اسْمٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ أَوَّلُهُ مَضْمُومٌ وَأَوْسَطُهُ سَاكِنٌ فَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يُخَفِّفُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُثَقِّلُهُ. مِثْلُ عُسْرٍ وَعُسْرٍ وَرُحْمٍ وَرُحْمٍ وَحُلْمٍ وَحُلْمٍ»<sup>5</sup>، ويظهر هذا النص أن العرب لم يكونوا على موقف واحد: ففريق أثر التخفيف درءاً لثقل الضمّتين، وفريق آخر أبقى على البنية المثقلة لرسوخها وأصلاتها، ومن هنا تبرز الدلالة الواضحة على أن البناء المثقل هو الأصل، وأن المخفف بالتسكين فرع عنه نشأ استجابةً لميول بعض العرب إلى الاقتصاد في الجهد وتقليل العبء النطقي.

وقد تباينت معالجة محمد بن أبي بكر الرازي لهذه الظاهرة في معجمه؛ فكان يصرح بالتطور أحياناً، ويعلّله ويسوق له الشواهد من كلام علماء اللغة، على غرار قول عيسى بن عمر السابق، وقد يقتصر على ذكر المثال الموحى بالظاهرة دون تعليل، كما في قوله:

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص18.

2- المرجع نفسه: ص211.

3- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج04، ص114.

4- فوزي حسن الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص103.

5- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة (ع س ر)، ص208.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

«(الرُبْع) جُزءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَيُنْقَلُ مِثْلُ عُسْرٍ وَعُسْرٍ»<sup>1</sup>، أو يورد الصيغتين عرضاً على نحو: «(الضُمْر) بِسُكُونِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا»<sup>2</sup>، بل نجده يكتب بالصيغة المنقولة وحدها، كما في قوله: «(الطُّنْبُ) بِضَمِّتَيْنِ حَبْلُ الْخُبَاءِ»<sup>3</sup>، مع أنّ سيبويه ذكر هذا المثال تحديداً بالتخفيف أيضاً، على غرار "رُسْل" و"عُنُق"، ويُحتمل أن يكون ذلك من باب الاختصار.

ومهما يكن، فإنّ تقديمه أحياناً للصيغة المخففة على المثقّلة قد يوهم القارئ بأنها الأصل، وهو ما يثير إشكالاً في ترتيب الأبنية، والأظهر أنّ محمد بن أبي بكر الرازي قد رتبها بحسب معدل تواترها في الاستعمال، حيث قدم المخفف حين كثر دورانه على الألسنة، بينما اقتصر على المثقل إذا غلب في السماع، وهذا التفاوت في عرض الصيغ المختلفة يؤكد أنّ التخفيف بالتسكين قد صار قاعدة قائمة إلى جانب الأصل.

### 3.3.2.4. التخفيف بالتسكين في حال توالي كسرتين:

ومما استنقله العربي أيضاً توالي الكسرتين في مقطعين متتابعين، على نحو ما استنقل توالي الضمّتين أو اجتماع الفتحة والكسرة، فمال إلى التخفيف بالتسكين طلباً للسهولة وتقليل الكلفة، وقد أوضح سيبويه هذا بقوله: «وَكَذَلِكَ الْكَسْرَتَانِ تُكْرَهُانِ عِنْدَ هَوْلَاءٍ كَمَا تُكْرَهُ الْيَاءَانِ فِي مَوَاضِعَ، وَإِنَّمَا الْكُسْرَةُ مِنَ الْيَاءِ، فَكْرَهُوا الْكَسْرَتَيْنِ كَمَا تُكْرَهُ الْيَاءَانِ. وَذَلِكَ فِي قَوْلِكَ فِي إِبِلٍ: إِبِلٌ»<sup>4</sup>، يُفصح هذا النصّ عن وعي عربيّ بصعوبة تتابع حركتين متماثلتين من نوع "الكسرة"، وذلك لأنّ حركة الكسر تتطلّب ارتفاع مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى، وتضييقاً في تجويف الفم، فإذا توالى كسرتان ازدادت الحركة تعقيداً لثقل الانتقال المستمر في الموضع نفسه، وقد شبّهها سيبويه بتوالي "ياءين"، إذ إنّ الكسرة من طبيعة الياء ومبدئها، ف جاء التخفيف بالتسكين لتجنّب هذا التكرار المرهق.

وبعضد ما ذهب إليه سيبويه شواهد معجم مختار الصحاح التي سجّلت ممارسات العرب في هذا الباب؛ فقد ورد في مادة <غ ل ب>: «(تَغْلِبُ) بِكُسْرِ اللَّامِ أَبُو قَبِيلَةٍ. وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهِ (تَغْلِبِي) بِفَتْحِ اللَّامِ اسْتِيحَاشًا لِتَوَالِي الْكَسْرَتَيْنِ مَعَ يَاءِ النَّسَبِ. وَرُبَّمَا قَالُوهُ بِالْكَسْرِ لِأَنَّ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة <ر ب ع>: ص 116.

2- المرجع نفسه مادة <ض م ر>: ص 185.

3- المرجع نفسه مادة <ط ن ب>: ص 193.

4- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج 04، ص 115.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

فِيهِ حَرْفَيْنِ غَيْرِ مَكْسُورَيْنِ فَفَارَقَ النَّسْبَةَ إِلَى نَمِرٍ. قُلْتُ: يَعْنِي أَنَّ فِي نَمِرٍ حَرْفًا وَاحِدًا غَيْرَ مَكْسُورٍ فَلَمْ يَنْسُبُوا إِلَيْهِ بِالْكَسْرِ بَلْ بِالْفَتْحِ فَقَطَّ<sup>1</sup>، وهنا يتجلى الميل إلى التخفيف بتغيير حركة اللام من الكسر إلى الفتح دفعًا لثقل توالي الكسرتين مع ياء النسبة.

وفي مادة «أ ب ل»: «(الإبِل) [...] وَرُبَّمَا قَالُوا إِبِلٌ بِسُكُونِ الْبَاءِ لِلتَّخْفِيفِ<sup>2</sup>؛ كما نصَّ على أَنَّ «النَّسْبَةَ إِلَى الْإِبِلِ (إِبِلِيٍّ) بِفَتْحِ الْبَاءِ اسْتِيحَاشًا لِتَوَالِي الْكَسْرَاتِ<sup>3</sup>، وهذه الأمثلة تدلُّ على أَنَّ التخفيف بالتسكين كان ظاهرة مألوفة رآها العرب حلاً وظيفياً لتجاوز ثقل توالي الكسرة ومثيلتها.

يتبين من خلال هذه الشواهد أَنَّ التخفيف بالتسكين في حال توالي الكسرتين مظهر من مظاهر قانون الاقتصاد في الجهد الذي يحكم آليات النطق، إذ استجاب العربي لصعوبة الانتقال بين كسرتين متتابعتين بتسكين ما يلي الحركة الأولى أو بتحويلها إلى حركة أخفّ، فجاءت البنية الصوتية أكثر تيسيراً وانسجاماً مع الميل الطبيعي إلى تقليل الكلفة العضلية في النطق.

### 4.2.4. المخالفة بالتحريك لالتقاء الساكنين:

يوثق الجدول أدناه أمثلة عن التخلص من التقاء الساكنين بتحريك أحدهما في معجم مختار الصحاح:

الصيغ	الشاهد من مختار الصحاح على تحريك أحد الساكنين
نَحْنُ/ نَحْنُ	«ن ح ن»: «(نَحْنُ) جَمْعُ أَنَا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ وَحُرْكَ آخِرُهُ بِالضَّمِّ لِإِتِّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ لِأَنَّ الضَّمَّةَ مِنْ جِنْسِ الْوَاوِ الَّتِي هِيَ عَلَامَةٌ لِلْجَمْعِ، وَنَحْنُ كِنَايَةٌ عَنْهُمْ <sup>4</sup> »
يَخْصِمُونَ/يَخْصِمُونَ	«خ ص م»: «وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ {يَخْصِمُونَ} [يس: ٤٩] أَرَادَ يَخْتَصِمُونَ فَقَلَّبَ التَّاءَ صَادًا وَأَدْغَمَ وَنَقَلَ حَرَكَتَهُ إِلَى الْخَاءِ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَنْقُلُ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص228.

2- المرجع نفسه: ص11.

3- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه: ص306.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

<p>وَيَكْسِرُ الْخَاءَ لِاجْتِمَاعِ السَّاكِنِينَ لِأَنَّ السَّاكِنَ إِذَا حُرِّكَ حُرِّكَ بِالْكَسْرِ. وَأَبُو عَمْرٍو يَخْتَلِسُ حَرَكَةَ الْخَاءِ اخْتِلَاسًا، وَأَمَّا الْجَمْعُ بَيْنَ السَّاكِنِينَ فِيهِ فَلَحْنٌ»<sup>1</sup></p>	
<p>ك ي ف: «(كَيْفَ) اسْمٌ مُبْهَمٌ غَيْرٌ مُتَمَكِّنٌ وَإِنَّمَا حُرِّكَ آخِرُهُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ وَبُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ دُونَ الْكَسْرِ لِمَكَانِ الْيَاءِ»<sup>2</sup></p>	<p>كَيْفَ/ كَيْفَ</p>
<p>أ م س: «(أَمْسٍ) اسْمٌ حُرِّكَ آخِرُهُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ. وَأَكْثَرُ الْعَرَبِ يَبْنِيهِ عَلَى الْكَسْرِ مَعْرِفَةً»<sup>3</sup></p>	<p>أَمْسٍ/ أَمْسٍ</p>
<p>ح ي ث: «(حَيْثُ) ظَرْفٌ مَكَانٍ بِمَنْزِلَةِ حِينٍ فِي الزَّمَانِ وَهُوَ اسْمٌ مَبْنِيٌّ وَإِنَّمَا حُرِّكَ آخِرُهُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ: فَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَبْنِيهِ عَلَى الضَّمِّ تَشْبِيهًا بِالْعَايَاتِ لِأَنَّهُ لَمْ يُسْتَعْمَلْ إِلَّا مُضَافًا إِلَى جُمْلَةٍ. تَقُولُ أَقُومُ حَيْثُ يَقُومُ زَيْدٌ وَلَا تَقُلْ: حَيْثُ زَيْدٌ وَتَقُولُ حَيْثُ تَكُونُ أَكُونُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْنِيهِ عَلَى الْفَتْحِ اسْتِنْقَالًا لِلضَّمِّ مَعَ الْيَاءِ»<sup>4</sup></p>	<p>حَيْثُ/ (حَيْثُ/ حَيْثُ)</p>
<p>أ م ن: «(أَمِينٍ) فِي الدُّعَاءِ يُمَدُّ وَيُقْصَرُ وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ خَطَأً وَقِيلَ مَعْنَاهُ كَذَلِكَ فَلْيَكُنْ وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ مِثْلُ أَيْنَ وَكَيْفَ لِاجْتِمَاعِ السَّاكِنِينَ»<sup>5</sup></p>	<p>أَمِينٍ/ أَمِينٍ</p>

إذا كان العربي قد استنقل في أنماط سابقة توالي الحركات المتجانسة كاجتماع ضمّتين أو كسرتين، فلجأ إلى التخفيف بالتسكين، فإنه لم يكن أقلّ تحرّراً حين التقاء الساكنين، إذ رأى في ذلك تقلاً يعوق الانسياب النطقي ويعطلّ جريان الأصوات وخاصة في درج الكلام، ولهذا تقرر بأن «التقاء الساكنين لا يجوز، بل هو غير ممكن، وذلك من قبل أن الحرف الساكن كالموقوف عليه، وما بعده كالمبدوء به، ومحالّ الابتدأ بساكن، فلذلك امتنع

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 91.

2- المرجع نفسه: ص 276.

3- المرجع نفسه: ص 22.

4- المرجع نفسه: ص 85.

5- المرجع نفسه: ص 22.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

التَقَاؤُهُمَا»<sup>1</sup>، ومن هنا نشأ نمط آخر من المخالفة هو "تحريك أحد الساكنين عند اجتماعهما"، وغالبًا ما يُحَرِّكُ الثاني، تَخَلُّصًا من هذا التتابع الممنوع في العربية، ولم يكن اختيار الحركة اعتباطيًا، بل كان محكومًا بملاءمتها للسياق الصوتي ومجاورتها لما قبلها.

وقد عرض محمد بن أبي بكر الرازي شواهد لهذا القسم من أقسام التطور الصوتي، نذكر منها: «(كَيْفَ) اسْمٌ مُبْهِمٌ غَيْرٌ مُتَمَكِّنٍ وَإِنَّمَا حُرِّكَ آخِرُهُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ وَبُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ دُونَ الْكَسْرِ لِمَكَانِ الْيَاءِ»<sup>2</sup> فالتحريك هنا كان ضرورة لتيسير النطق، والفتحة اختيرت لأنها أخفّ الحركات وأنسبها بعد الياء، بخلاف الكسرة التي تُثَقِّلُ مجاورتها للساكن في البناء، وكذلك في كلمة: "حيث": «(حَيْثُ) ظَرْفٌ مَكَانٍ [...] وَإِنَّمَا حُرِّكَ آخِرُهُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ: فَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَبْنِيهِ عَلَى الضَّمِّ تَشْبِيهًا بِالْغَايَاتِ [...] وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْنِيهِ عَلَى الْفَتْحِ اسْتِنْقَالًا لِلضَّمِّ مَعَ الْيَاءِ»<sup>3</sup> وهنا يُلْحَظُ تباين الممارسة بين القبائل العربية أو بين الأفراد على اختلاف انتمائهم، فبعضهم آثر الضم تشبيهاً لـ"حيث" بـ"قبل" و"بعد" وغيرها من ظروف الغايات، وبعضهم رجّح الفتح لمناسبته للياء وخفّته بعدها، وهو ما يعكس حساً صوتياً مرهفًا في الموازنة بين البدائل الممكنة.

أما في "أمين" فقد ورد: «(وَأَمِينٍ) فِي الدُّعَاءِ [...] وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ مِثْلُ أَيْنَ وَكَيْفَ لِاجْتِمَاعِ السَّاكِنَيْنِ»<sup>4</sup>، وهو شاهد آخر على أن العرب جعلوا من الفتح خياراً لتيسير النطق عند التقاء الساكنين، لما فيه من خفة وانفتاح ينسجم مع مجاورة الياء. لقد خضعت معالجة التقاء الساكنين في اللغة العربية لاعتبارات صوتية، فكان التحريك وسيلة لتفادي الثقل واستقامة الإيقاع، مع مراعاة ملاءمة الحركة للمجاور، وتندرج هذه الظاهرة ضمن سلسلة المعالجات العربية لمواضع الثقل، لكنها تظلّ قائمة بذاتها بوصفها أحد أنماط المخالفة الصوتية التي تؤكد دقّة النظام الصوتي للعربية وانسجامه.

1- يعيش بن علي بن يعيش: شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2001م، ج05، ص286.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص276.

3- المرجع نفسه: ص85.

4- المرجع نفسه: ص22.

### 5. المماثلة الصوتية في مختار الصحاح

المماثلة هي الشكل الثاني لأشكال التطورات الصوتية المنتظمة، وهي آلية ينشأ عنها تقارب في الصفات أو المخارج بين الأصوات المتجاورة بفعل تفاعلها داخل السلسلة الكلامية، وتكشف دراسة المماثلة عن ميل النظام الصوتي إلى تحقيق قدر أعلى من الانسجام الإيقاعي، عبر تبسيط الحركات الانتقالية بين الأصوات أو عبر خضوع الصوت الأضعف لتأثير الصوت الأقوى في السياق، وتتجلى هذه الظاهرة بأشكال متعددة، وقد تكون تامة أو جزئية، وقد تقع بصورة تقديمية أو رجعية، وتشمل تقارب المخرج أو تماثل الصفات كالجهر والهمس، أو الشدة والرخاوة، أو الاستعلاء والاستفال، ويتيح تحليل المماثلة في العربية فهماً أدق لبنية الكلمة ونظامها الفونولوجي، بحيث تُظهر كيفية استجابة الأصوات لقوانين النطق ولقواعد التلفظ التي تنظم مسار التغيير الصوتي داخل اللغة.

#### 1.5. مفهوم المماثلة الصوتية (*assimilation*):

تعد المماثلة الصوتية أحد أهم تجليات قوانين التطور الصوتي، و«التمائل الصوتي يشير إلى العمليات الصوتية أو الفونولوجية التي يصير فيها مقطع صوتي أكثر شبهاً بمقطع صوتي آخر في الكلمة نفسها أو في العبارة، وهو أنواع: التماثل التلامسي (*contact assimilation*) يتم بين مقاطع متجاورة، التماثل البعيد (*distant assimilation*) بين المقاطع غير المتجاورة، التماثل الرجعي (*regressive anticipatory*) يحدث عندما يتأثر الصوت اللاحق بالصوت السابق، والتمائل التقدمي (*progressive perseverative*) يتأثر فيه الصوت السابق بالصوت اللاحق، التماثل المتبادل (*mutual assimilation*) يحدث فيه التأثير من كلا الاتجاهين»<sup>1</sup>، وعليه فإنه يقال بأن هناك تماثلاً صوتياً عندما يكتسب فونيم واحداً أو أكثر من السمات النطقية لفونيم آخر في السياق الكلامي، سواء كان هذا الفونيم سابقاً أم لاحقاً، وسواء كان مجاوراً له أم بعيداً عنه، ويكون التماثل جزئياً عندما يحتفظ الفونيم المتأثر ببعض سماته المميزة، ويعد تاماً عندما يفقد كل سماته الأصلية، ويأخذ سمات الفونيم المهيمن بالكامل.

1- R. L. Trask: A Dictionary of Phonetics and Phonology, p 36/37.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

وقد عبر علماء العربية القدامى عن المماثلة بمصطلحاتهم فقالوا «بالتقريب، والمجانسة، والتناسب، والموافقة، والتشاكل، والملاءمة، والتشابه في الصوائت والصوامت عامة، وبالإتباع في الصوائت خاصة»<sup>1</sup>، وكلها مصطلحات تدل على تقريب الأصوات بعضها من بعض بغرض تيسير النطق.

وتتم المماثلة بين الصوامت من جهة، وبين الصوامت والحركات من جهة أخرى، والمقصود من المماثلة بين الصوامت والحركات هو «تأثير الصوامت في الحركات عن طريق تحويلها إلى حركات مماثلة لطبيعتها، وتأثير الحركات في الصوامت عن طريق تغيير مخرجها والتعديل في صفاتها»<sup>2</sup>، وقد يقول قائل إن للأصوات مدارج وصفات ثابتة فكيف تغير بعضها من صفات بعض؟

ويقال للإجابة عنه: إن الوصف الذي قدمه علماء اللغة والفلاسفة أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا وحتى المحدثين هو وصف للصوت مجردا منفردا عن السياق النطقي، بحيث يُمَيِّز عن غيره من الأصوات، فالتاء والطاء مثلا صوتان يشتركان في مخرجهما الذي هو النطق: «وَمِمَّا بَيْنَ طَرْفِ اللِّسَانِ وَأُصُولِ النَّثَايَا مَخْرَجُ الطَّاءِ، وَالدَّالِ، وَالتَّاءِ»<sup>3</sup>، فقد اشتركتا في المخرج واشتركتا في الشدة واختلفتا في الإطباق والجره والاستعلاء على مذهب من يرى أن الطاء مجهورة، فالصفات التي حددها العلماء لأصوات اللغة غايتها تشكيل معالم الصوت التي يتميز بها عما شابهه، وهو وصف على دقته غير ثابت، إذ يتأثر أداء الأصوات بعوامل عديدة خارجية (تاريخية وبيئية وتشريحية...) كما أنه يتأثر بما جاوره من أصوات وحركات وهو ما سيبين في هذا الجزء من البحث.

إن الصوت يصبغ على الحركة من صفاته؛ فنتقدم إذا كان شفويا كالباء والميم، وتتأخر إن كان حلقيا كالخاء والحاء، وتقخم إن سبقت بصوت مفخم وترقق إن شكلت مرققا، وعلى هذا فإن الفتحة التي تشكل "بَ" تختلف عن التي تشكل "خَ"؛ إذ تتقدم الأولى إلى منتهى الجهاز النطقي، فيما تتأخر الثانية إلى مبدئه، والفتحة التي تشكل التاء في "تَ" غير التي في "طَ"، فالأولى مرققة والثانية مفخمة تأثرا بصفات الصوت، وبالمجمل فالحركات

1- عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، ص250/249.

2- فوزي حسن الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص244/243.

3- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج04، ص436.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الثلاث المعروفة تتنوع ليس بحسب الطول والقصر فحسب، بل بحسب ما جاورها من أصوات؛ فتنخم مع المفخم وترقق مع المرقق، وتتقدم مع ما كان مخرجه متقدما في الجهاز النطقي، والعكس بالعكس، وإن كان التأثير حاصلًا وفي المقاطع القصيرة المنفردة، فإنه يعظم أثره في التركيب.

### 2.5. الإدغام:

الإدغام في اللغة هو مصدر الفعل أدغم، وهو إدخال شيء في شيء، جاء في العين: «يُقَالُ: أَدْغَمْتُ الْفَرَسَ اللَّجَامَ، أَي: أَدْخَلْتُهُ فِي فِيهِ»<sup>1</sup>، فهو اتحاد شيئين حتى كأنهما ماهية واحدة. أما في الاصطلاح فقد عرفه علماء اللغة بأنه: «رَفَعَكَ اللِّسَانَ بِالْحَرْفَيْنِ رَفْعَةً وَاحِدَةً، وَوَضَعَكَ إِيَّاهُ بِهِمَا مَوْضِعًا وَاحِدًا، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي مِثْلَيْنِ أَوْ مُتَقَارِبَيْنِ»<sup>2</sup>، ويبين هذا التعريف الاصطلاحي كيفية حدوث النطق بالصوتين المدغمين، ومواضع ذلك، ويوثق الجدول الآتي شواهد عن وقوع الإدغام في معجم مختار الصحاح:

الصيغ	الشاهد من مختار الصحاح على حدوث الإدغام
ازتان / ازدان ترزنت / ازينت	«ز ي ن»: «(تَزَيَّنَ) وَ (ازْدَانَ) بِمَعْنَى. وَيُقَالُ: (أَزَيَّنْتَ) الْأَرْضُ بِعُشْبِهَا وَ (أَزَيَّنْتَ) مِثْلَهُ، وَأَصْلُهُ تَزَيَّنْتَ فَأُدْغِمَ» <sup>3</sup>
المُتْصَدِّقِينَ / الْمُتْصَدِّقِينَ	«ص د ق»: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتْصَدِّقِينَ وَالْمُتْصَدِّقَاتِ﴾ [الحديد: 18] بِتَشْدِيدِ الصَّادِ أَصْلُهُ الْمُتْصَدِّقِينَ فَقَلِبْتَ التَّاءَ صَادًا وَأُدْغِمْتَ فِي مِثْلِهَا» <sup>4</sup>
اتخاذ/ اتخاذا	«أ خ ذ»: «(الِاتِّخَاذُ) افْتِعَالٌ مِنَ الْأَخْذِ إِلَّا أَنَّهُ أُدْغِمَ بَعْدَ تَلْيِينِ الْهَمْزَةِ وَابْدَالَ التَّاءَ، ثُمَّ لَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى لَفْظِ الْإِفْتِعَالِ تَوَهَّمُوا أَنَّ التَّاءَ أَصْلِيَّةٌ فَبَنَوْا مِنْهُ فَعَلَ يَفْعَلُ قَالُوا (تَخَذَ) يَتَخَذُ.

- 1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (باب الغين والذال والميم معهما)، ج4، ص395.
- 2- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي: المبدع الملخص من الممتع في علم الصرف، تح: مصطفى أحمد خليل النماس، المكتبة الأزهرية والجزيرة للنشر والتوزيع، مصر، (دط)، 2007م، ص135.
- 3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص139.
- 4- المرجع نفسه: ص174.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

<p>وَقُرِيَ ﴿لَتَخَذَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وَقَوْلُهُمْ أَخَذْتُ كَذَا يُبْدِلُونَ الذَّالَ تَاءً وَيُدْغِمُونَهَا فِي التَّاءِ وَيَعْضُهُمْ يُظْهِرُ الذَّالَ وَهُوَ قَلِيلٌ<sup>1</sup>، من مخلفات الإدغام أن يتوهم فيه الأصل فيشتق منه صيغ جديدة، وهذا أثر الإدغام في نمو اللغة. إضافة إلى الإبقاء على الصيغ الأصلية واستعمالها جنباً إلى جنب مع المدغمة، ما يؤدي إلى التفريق بينها بتخصيص معنى مغاير لكل صيغة</p>	
<p>«ر أ ي»: «وَتَقُولُ: أَنْتِ تَرِينِنِي وَإِنْ شِئْتَ أَدْعَمْتَ فَقُلْتِ: أَنْتِ تَرِينِي بِتَشْدِيدِ النُّونِ مِثْلُ تَضْرِبِنِي»<sup>2</sup></p>	<p>تَرِينِنِي / تَرِينِي</p>
<p>«ع ط ا»: «إِذَا أَرَدْتَ مِنْ زَيْدٍ أَنْ يُعْطِيَكَ شَيْئًا قُلْتَ: هَلْ أَنْتَ (مُعْطِيَهُ) بِيَاءٍ مَفْتُوحَةٍ مُشَدَّدَةٍ. وَكَذَا تَقُولُ لِلْجَمَاعَةِ: هَلْ أَنْتُمْ مُعْطِيَهُ لِأَنَّ النُّونَ سَقَطَتْ لِلإِضَافَةِ وَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً وَأُدْغِمْتَ وَقَفَّحْتَ يَاءَكَ لِأَنَّ قَبْلَهَا سَاكِنًا»<sup>3</sup></p>	<p>مُعْطِينِيهِ / مُعْطِيَهُ</p>
<p>«خ ص م»: «وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ [يس: 49] أَرَادَ يَخْتَصِمُونَ فَقَلَبَ التَّاءَ صَادًا وَأُدْغَمَ وَنَقَلَ حَرَكَتَهُ إِلَى الْخَاءِ»<sup>4</sup></p>	<p>يَخْتَصِمُونَ / يَخِصِّمُونَ</p>
<p>«س و أ»: «(السِّيئَةُ) أَصْلُهَا سَيِّئَةٌ فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً وَأُدْغِمْتَ»<sup>5</sup></p>	<p>سَيِّئَةٌ / سَيِّئَةٌ</p>
<p>«د ر ك»: «(تَدَارَكَ) الْقَوْمُ تَلَاَحَقُوا أَيَّ لِحِقَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف:] وَأَصْلُهُ تَدَارَكُوا فَأُدْغِمَ»<sup>6</sup></p>	<p>ادَّارَكُوا / ادَّارَكُوا</p>
<p>«د ر ك»: «(تَدَارَكَ) الْقَوْمُ تَلَاَحَقُوا أَيَّ لِحِقَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 38]</p>	<p>ادْتَكَّرَ / ادَّكَّرَ</p>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص14.

2- المرجع نفسه: ص115.

3- المرجع نفسه: ص212.

4- المرجع نفسه: ص91.

5- المرجع نفسه: ص156.

6- المرجع نفسه: ص104.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

وَأَصْلُهُ تَدَارَكُوا فَأُدْغِمَ <sup>1</sup>	
تَطَيَّرْنَا/ أَطَيَّرْنَا «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَطَيَّرْنَا بِكَ﴾ [النمل:47] أَصْلُهُ تَطَيَّرْنَا فَأُدْغِمَ <sup>2</sup> »	
«ظ ن ن»: «وَ (الظَّيْنُ) الْمُتَّهَمُ، وَ (الظَّنَّةُ) التُّهْمَةُ يُقَالُ: مِنْهُ أَظَنَّهُ وَ (اِظْنَهُ) بِالطَّاءِ وَالظَّاءِ إِذَا اتَّهَمَهُ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ سِيرِينَ: «لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (يُظَنَّ) فِي قَتْلِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» وَهُوَ يُفْتَعَلُ مِنْ يُظْتَنُّ فَأُدْغِمَ <sup>3</sup> »	اِظْنَتْهُ/ اِظْنَهُ/ اِظْنَهُ
«وَأَلْ»: «(الْأَوَّلُ) ضِدُّ الْآخِرِ وَأَصْلُهُ أَوَّلَ عَلَى وَزْنِ أَفْعَلَ مَهْمُوزُ الْأَوْسَطِ قُلِبَتْ الهمزة واواً وَأُدْغِمَ <sup>4</sup> »	أَوَّلُ/ أَوَّلُ
«وودد»: «(الوُدُّ) بِالْفَتْحِ الْوَتْدُ فِي لُغَةِ أَهْلِ نَجْدِ <sup>5</sup> »	الْوَدِّ/ الْوَدُّ
«ف س ط»: «ف س ط: (الْفُسْطَاطُ) بَيْتٌ مِنْ شَعْرِ. وَفِيهِ لُغَاتٌ: (فُسْطَاطٌ) وَ (فُسْتَاطٌ) وَ (فُسَاطٌ) بِتَشْدِيدِ السِّينِ. وَكَسْرُ الْفَاءِ لُغَةٌ فِيهِنَّ فَصَارَتْ سِتَّ لُغَاتٍ <sup>6</sup> »	فُسْطَاطٌ / فُسْتَاطٌ /فُسَاطٌ
«ط س س»: «(الطَّسُّ) وَ (الطَّسَّةُ) لُغَةٌ فِي (الطَّسْتِ) وَالْجَمْعُ (طِسَاسٌ) وَ (طُسُوسٌ) وَ (طَسَّاتٌ) <sup>7</sup> »	الطَّسْتُ/ الطَّسُّ
«س م ع»: «(اسْتَمَعَ) لَهُ أَيَّ أَصْغَى، وَ (تَسَمَّعَ) إِلَيْهِ وَ (اسْمَعَ) إِلَيْهِ بِالْإِدْغَامِ. وَقُرِئَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ [الصافات: 8] <sup>8</sup> »	اسْتَمَعَ/ اسْمَعَ
«زور»: «وَقُرِئَ: ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ وَهُوَ مُدْغِمٌ تَزَاوَرُ <sup>1</sup> »	تَزَاوَرُ/ تَزَاوَرُ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص104.

2- المرجع نفسه: ص194.

3- المرجع نفسه: ص197.

4- المرجع نفسه: ص331.

5- المرجع نفسه: ص335.

6- المرجع نفسه: ص239.

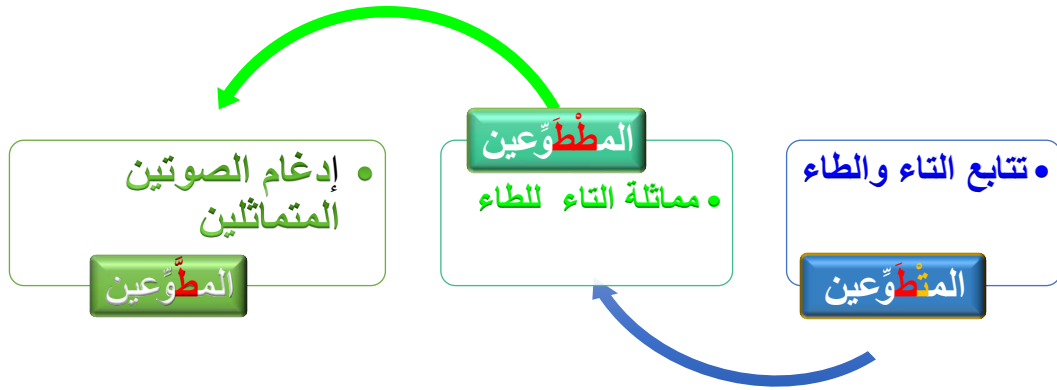
7- المرجع نفسه: ص190.

8- المرجع نفسه: ص154.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

يعد الإدغام من أهم وسائل اللغة العربية لتخليص مستعملها من التتابع المستقبح للمتماثلات أو المتقاربات، والدافع الذي حملهم على هذا هو ثقل النطق بها متجاورة، ويُفسر هذا المسلك الصوتي بالسعي نحو بذل جهد أقل، لما في تتابع الأصوات المتماثلة من عنَتٍ ومشقة على اللسان، قال سيبويه: «وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَنْقَلُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا أَلْسِنَتَهُمْ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَعُودُوا لَهُ، فَلَمَّا صَارَ ذَلِكَ تَعَبًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَارِكُوا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وَلَا تَكُونَ مُهَلَّةً، كَرِهُوا وَأَدْعَمُوا، لِتَكُونَ رَفْعَةً وَاحِدَةً، وَكَانَ أَحْفَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِمَّا ذَكَرْتُ»<sup>2</sup>، وإلا فإن الأصل هو الإظهار، فالإدغام استثناء، وقد بين علماء القراءات الأمر فقال مكي بن أبي طالب القيسي في الكشف: «إِعْلَمَنَّ أَنَّ الإِظْهَارَ فِي الحُرُوفِ هُوَ الأَصْلُ، وَالإِدْغَامَ دَخَلَ لِغَلَّةٍ»<sup>3</sup>، وقد أشار محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح إلى مسألة الإدغام في أكثر من موضع، فقد جاء في مادة (ط وع): «(المُطَوِّعَةُ) الَّذِينَ يَتَطَوَّعُونَ بِالجِهَادِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَوِّعِينَ﴾ [التوبة: 79] وَأَصْلُهُ الْمُتَطَوِّعِينَ فَأُدْغِمَ»<sup>4</sup>، إذ تتابع في بناء كلمة "المُتَطَوِّعِينَ" صوتان هما: التاء (تاء البناء) والطاء (الأصلية)، والتاء والطاء من الأصوات المتقاربة مخرجا، ذلك أنهما يصدران «مِنْ بَيْنِ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأُصُولِ الثَّنَائِيَا»<sup>5</sup>، وهذا التتابع غير محبب في اللغة العربية لنقله كما ذكر، وللتخلص منه يتيح النظام الصوتي العربي آلية الإدغام، إلا أن الإدغام لا يكون إلا في المتماثل من الأصوات؛ لذا فقد قُرِبَ بين الصوتين في خطوة أولى، بأن قُلبت التاء طاءً؛ ذلك لقوة الطاء وغلبته، فهو «مِنْ أَقْوَى الحُرُوفِ لِأَنَّهُ حَرْفٌ مَجْهُورٌ شَدِيدٌ مُنْطَبِقٌ مُسْتَعْلٍ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ كُلُّهَا مِنْ عِلَامَاتِ قُوَّةِ الحَرْفِ مَعَ انْفِرَادِهِ، فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِي حَرْفٍ كَمَلَتْ قُوَّتُهُ»<sup>6</sup>، وبإبدال التاء طاءً يتتابع في الكلمة صوتان متماثلان أولهما ساكن والثاني متحرك، وهذا من موجبات إدغام الأول في الثاني، وكتلخيص لما تم ذكره نورد المخطط الآتي:

- 1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 139.
- 2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: ج 04، ص 417.
- 3- مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1981، 02م، ج 01، ص 134.
- 4- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 412.
- 5- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: ج 04، ص 433.
- 6- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص 198.



### الشكل 3: تطور "المطووعين" إلى المطووعين" بالمماثلة الكلية ثم الإدغام

إن الإدغام في المثال السابق والذي مرده إلى تتابع الأصوات المتقاربة في البناء الواحد يعد مماثلة كلية لأن الصوت المتأثر قد فقد جميع مميزاته فاستحال بذلك صوتاً آخر تماماً، وقد تم هذا التطور كالاتي:

حدث أولاً تقريب للتاء من الطاء بتأثير من قانون الاقتصاد في الجهد، ويتم التقريب بين الصوتين إذا كانا يشتركان في واحد أو أكثر من العناصر النطقية، والتاء والطاء تشتركان في المخرج إلا أن التاء متقدمة قليلاً على نظيرتها، وبفعل صفات القوة التي في الطاء من جهر واستعلاء وإطباق وشدة، كان حُكْمُ التاء أن تُقَرَّبَ من الطاء بتراجعها إلى الورا، فتستحيل بذلك طاءً ثانية، وإذا كان تتابع المقاربات مستقلاً، فإن تجاور المتماثلات أشد وطأة وأعسر في النطق، وقد شبه علماء اللغة المشقة التي يلاقيها اللسان في محاولته إخراج الأصوات المتماثلة إذا تجاوزت بمشي المقيد، «أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ مَرَّتَيْنِ يَحْتَاجُ أَنْ يُدِيرَ لِسَانَهُ فِي مَوْضِعِ ذَلِكَ الْوَاحِدِ مَرَّتَيْنِ، فَيَصِيرُ كَتَقْيِيدِ اللِّسَانِ، وَيُشْبِهُ تَصَرُّفُهُ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ إِذَا أَعَادَ رِجْلَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ رَفَعَهَا مِنْهُ»<sup>1</sup>، وما هذا التشبيه إلا تعبيراً منهم على مقدار العنت الذي يلاقيه المتكلم في سبيل إظهار الصوتين المتماثلين إذا تجاوزا، فكان أسهل عليهم أن يدغموا أحدهم في الآخر.

1- أحمد بن محمد المرزوقي: الأمالي، تح: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 01، 1995م، ص68.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ويختتم تحليل هذا المثال بالإشارة إلى أنه قد اشترك في هذا التطور الصوتي كل من قانوني الاقتصاد في الجهد والأقوى، وما قيل على "المطوَّعين" ينسحب على بقية الأمثلة، إذ يتغلب الصوت القوي على الضعيف فيُفَرِّبه منه ثم يُدْغَم فيه، وهذا الغالب الأعم.

وقد يأخذ التطور مسارا آخر على نحو ما ورد في: (ادَّكَرَ) بَعْدَ أُمَّةٍ أَيْ ذَكَرَهُ بَعْدَ نِسْيَانٍ وَأَصْلُهُ (ادْتَكَّرَ) فَأُدْغِمَ<sup>1</sup>، حيث يُلحظ غياب صوت الذال في الصيغة المتطورة، إذ الأصل "ادْتَكَّرَ" كما هو مبين، والتعليل هو أن تاء البناء المهموسة حين جاورت الذال المجهورة ماثلتها لقوة الصوت المجهور، فقلبت إلى النظير المجهور لها وهو الدال؛ إذ المعلوم أن التاء والدال من مخرج واحد، وأن ما يفرقهما هو أن أحدهما مجهور والآخر مهموس. يقول مكي بن أبي طالب القيسي واصفا صوت التاء: «وَلَوْلَا الهمسُ الَّذِي فِيهِ لَكَانَ دَالًا»<sup>2</sup>، وبتقريب التاء إلى مجاورتها في بناء الكلمة وهي الذال، وانقلابها إلى نظيرتها المجهورة وهي الدال، ينتج "ادْدَكَرَ" الذي ينتاب فيها ذال ثم دال، وهما صوتان متقاربان أيضا، لاشتراكهما في صفة الجهر، إلا أن مخرجيهما ليسا قريبين حد التنافر؛ فالدال نطعية والذال لثوية<sup>3</sup>، وهنا كان مستعمل اللغة على الخيار:

- إما أن يوقف سير التطور ويظهر الذال والدال فينطق بها "ادْدَكَرَ".  
- أو أن يقلب الذال دالا، وذلك لقوة الدال؛ فالدال «قَوِيٌّ لِأَنَّهُ مَجْهُورٌ شَدِيدٌ»<sup>4</sup> في مقابل ذلك فإن «الدَّالَ فِيهَا رَخَاوَةٌ تُضْعِفُهَا»<sup>5</sup>، وبالتالي تتطور "ادْدَكَرَ" إلى "ادِّكَرَ" المذكورة في هذا المدخل من المعجم، لأن «أَفْصَحَ الإِبْدَالِ فِي ادِّكَرَ. وَهُوَ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [سُورَةُ الْقَمَرِ: 15] كَمَا فِي الصَّحِيحِ»<sup>6</sup>، والتي اكتفى محمد بن أبي بكر الرازي بها.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 241.

2- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص 204.

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج 01، ص 58.

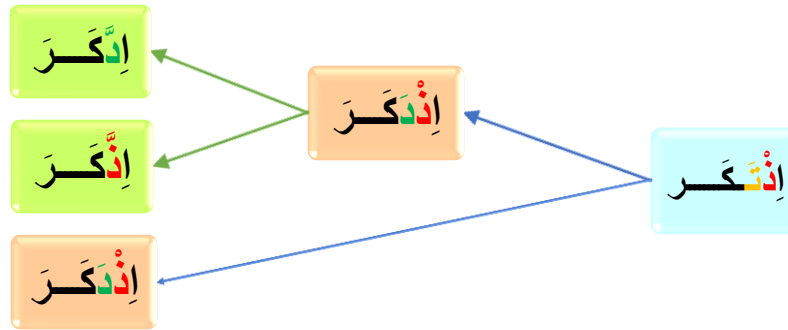
4- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص 201.

5- المرجع نفسه: ص 224.

6- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984م، ص 283.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

- والاحتمال الثالث أن تقلب الدال ذالا، وذلك لقوة الذال المنبورة الواقعة نهاية المقطع [ذ]، ليتتابع على إثر ذلك صوتان متماثلان ويدغم الأول منهما في الثاني والحاصل: "أذكر"، وهي كلمة لم يوردها صاحب المعجم، ولكنها مذكورة في غيره من المعاجم وكتب اللغة، وهي بحسب قول الرضي الأسترباذي أقل الصيغ الثلاثة ورودا: «فَيَجُوزُ فِيهِ حِينَئِذٍ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهٌ: الإِظْهَارُ، وَالإِدْغَامُ بِقَلْبِ الدَّالِ ذَالًا، وَالإِدْغَامُ بِقَلْبِ الدَّالِ ذَالًا، وَأَقْلُ الثَّلَاثَةِ الإِدْغَامُ بِقَلْبِ الدَّالِ ذَالًا»<sup>1</sup>. ولقد اختصر الرازي مراحل التطور في الإدغام، بذكر أفصح الصيغ الثلاثة وأكثرها ورودا لارتباطها بالقراءات القرآنية الصحيحة، فكان لزاما أن تُسدَّ الفجوة الناتجة عن التباين في الأصوات بين الأصل والفرع، ويُقصد هنا غياب الذال وظهور الدال في الفرع: "أذكر" بعد القلب والإدغام، وتلخيصا لما تم ذكره آنفا نورد المخطط الذي يوضح مسار التطور الصوتي في هذا المدخل.



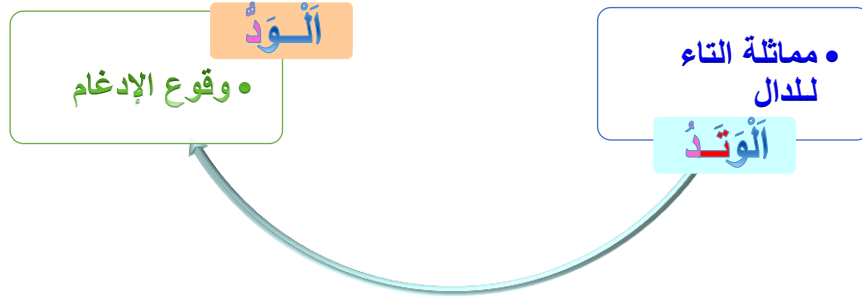
الشكل 4: تطور "أذكر" بالمماثلة الكلية ثم الإدغام

في المثالين السابقين كان الصوت المبدل من أحرف الزيادة (تاء مُفْتَعَلْ وأفْتَعَلْ)، وقد يُحمل الأمر على أن حذف التاء وتعويضها بصوت آخر مسألة صرفية بحتة، بسبب أنها غير أصلية في البناء، لكن الأمر مستبعد؛ ذلك أن القوانين الصوتية تسري على الأصوات بصرف النظر عن أصلتها في الكلمة، وأن كل أصوات الكلمة أصليةا وزائدها يخضع لقوانين صوتية تحكم تألفها في التركيب، ولتعزير هذا المذهب نورد مثلا أخيرا.

1- محمد بن الحسن الرضي الأسترباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ج03، ص 139.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

جاء في مادة «و ت د»: «(الْوَتْدُ) بِكَسْرِ التَّاءِ وَاحِدٌ (الْأَوْتَادِ) وَفَتْحُهَا لُغَةٌ فِيهِ. وَكَذَا (الْوَدُّ) فِي لُغَةٍ مِّنْ يُدْغِمُ»<sup>1</sup>، تتابع في كلمة «وَتَد» تاء ثم دال، وهما أصليان في جذر الكلمة، وهما أيضا صوتان متقاربان جدا؛ إذ يتشاركان المخرج ذاته، ويكاد أحدهما يطابق الآخر لولا أن التاء مهموسة، وهذا ما يجعل من هذا البناء ثقيلًا على اللسان، ولتخفيف الجهد قلبت التاء الضعيفة إلى دال وسكنت؛ «لِأَنَّ الْأَضْعَفَ يُرَدُّ إِلَى الْأَقْوَى، وَلَا يُرَدُّ الْأَقْوَى إِلَى الْأَضْعَفِ»<sup>2</sup>، ثم أدغمت الدالان على نحو ما هو مبين في المخطط:



### الشكل 5: تطور "الْوَتْدُ" إلى "الْوَدُّ" بالمماثلة الكلية ثم الإدغام

وقبل اختتام تحليل هذا المثال تجدر الإشارة إلى أن «وَتَد» بالفتح متطورة عن «وَتِد» بالكسر، فقد ماثلت حركة التاء حركة الواو قبلها، للنقل الناجم عن إخراج الكسرة بعد الواو المشكّلة بالفتحة.

لقد أدرج الإدغام ها هنا ضمن أشكال المماثلة لكونه يتم بمماثلة الأصوات المتجاورة وتأثر بعضها ببعض تأثرا يفني أحدها في الآخر، لكن الإدغام لا يقع إذا لم يكن أول المثليين ساكنا وثانيهما متحركا، وذلك ما وقع في «تتري»، حيث جاء في مادة «و ت د ر»: «(تَتْرِي) [...] وَأَصْلُهَا وَتْرِي مِنَ الْوَتْرِ وَهُوَ الْفَرْدُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرِي﴾ [المؤمنون: 44] أَيَّ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ»<sup>3</sup>، فقد أبدلت الواو تاء، فتتابع بذلك تاءان إلا أن هذا

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 332.

2- عبد الله بن محمد البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تح: محمد السقا وحامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1996م، ج 02، ص 197.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 332.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

لم يمنع من إظهارهما معا، والمانع على الإدغام أن الأولى متحركة والثانية ساكنة، فهذا التطور الصوتي يعد مماثلة كلية لم تفض إلى الإدغام.

### 3.5. المماثلة الجزئية:

لا تظهر المماثلة بين الأصوات المتجاورة في اللغة العربية بالإدغام فحسب، بل أيضاً في صورة تغير جزئي، وهو ما يعرف بـ"المماثلة الجزئية" أين يقترب الصوت من مجاوره من غير أن يتماهى فيه تماماً، بحيث يكتسب بعض خصائصه مثل الجهر أو الإطباق أو الاستعلاء وغيرها من السمات التي تميز الفونيمات بعضها عن بعض، ويجري هذا التقارب وفق القوانين الصوتية التي تحكم انتظام الظواهر في اللغة، ولا تتجلى هذه القوانين في بنية الألفاظ العربية الأصلية فحسب، بل في كيفية تكيف الألفاظ الوافدة أيضاً، حيث تُخضعها العربية لمعاييرها الصوتية الخاصة، فتعدل من طبيعة أصواتها أو من تتابعها بما يتلاءم مع نظامها الفونولوجي ويضمن انسجام التركيب الصوتي وسهولة النطق، ويوثق الجدول أدناه بعضاً من شواهد المماثلة الجزئية في مختار الصحاح:

مماثلة جزئية	الشاهد من المدونة
ازتار / ازدار	زور: «(ازْدَارَ) افْتَعَلَ مِنَ الزِّيَارَةِ» <sup>1</sup>
اصتبح / اصطلح	ص ل ح: «وَقَدْ (اصْطَلَحَا) وَ(تَصَالَحَا)» <sup>2</sup>
فسطاط / فُسْتَاطٌ	ف س ط: «(الْفُسْطَاطُ) بَيْتٌ مِنْ شَعْرِ. وَفِيهِ لُغَاتٌ: (فُسْطَاطٌ) وَ(فُسْتَاطٌ) وَ(فُسَاطٌ) بِتَشْدِيدِ السَّيْنِ. وَكَسْرِ الْفَاءِ لُغَةٌ فِيهِنَّ فَصَارَتْ سِتَّ لُغَاتٍ. وَ(فُسْطَاطٌ) مَدِينَةٌ مِصْرَ» <sup>3</sup>
إصنَّبَر / إصنَّبَر	ص ب ر: «(التَّصَبُّرُ) تَكَلُّفُ الصَّبْرِ. وَتَقُولُ: (اصنَّبَر) واصبَّرَ وَلَا تَقُلْ: اطْبِرَّ» <sup>4</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 139.

2- المرجع نفسه: ص 178.

3- المرجع نفسه: ص 239.

4- المرجع نفسه: ص 172.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

س ر ط: «(الصَّرَاطُ) وَ (السَّرَاطُ) وَالزَّرَاطُ الطَّرِيقُ» <sup>1</sup>	السَّرَاطُ/ الصَّرَاطُ
ل ز ق: «(لَزِقَ) بِهِ بِالْكَسْرِ (لُزُوقًا) (بِالضَّمِّ) وَالتَّرَقَ بِهِ أَي لَصِقَ» <sup>2</sup>	لَصِقَ/ لَزِقَ
ر ج س: «(الرَّجْسُ) الْقَدْرُ [...] وَهُوَ مُضَارِعٌ لِقَوْلِهِ «الرَّجَزُ»، قَالَ: وَلَعَلَّهُمَا لُغَتَانِ أُبْدِلَتِ السَّيْنُ زَايَا كَمَا قِيلَ لِلْأَسَدِ الْأَزْدُ» <sup>3</sup>	الرَّجْسُ/ الرَّجَزُ الْأَسَدُ/ الْأَزْدُ
د ر ق: «(الدَّرِيَاقُ) لُغَةٌ فِي التَّرِيَاقِ» <sup>4</sup>	التَّرِيَاقُ/ الدَّرِيَاقُ
ق ت ر: «(الْقُتْرُ) الْجَانِبُ وَالتَّاحِيَةُ لُغَةٌ فِي الْقُطْرِ» <sup>5</sup>	الْقُتْرُ/ الْقُتْرُ
س ر ط: «(السَّرَاطُ) لُغَةٌ فِي الصَّرَاطِ» <sup>6</sup>	السَّرَاطُ/ الصَّرَاطُ
ع ر ط ز: «(عَرَطَزَ) لُغَةٌ فِي عَرَطَسَ أَي تَنَحَّى» <sup>7</sup>	عَرَطَسَ/ عَرَطَزَ
س ق ع: «(السُّفْعُ) بَوَزْنِ الْفُفْلِ لُغَةٌ فِي الصُّفْعِ. وَحَطِيبٌ (مِسْفَعٌ) مِثْلُ مِصْفَعٍ» <sup>8</sup>	الصُّفْعُ/ السُّفْعُ

تُظهر المعالجة العربية للألفاظ الدخيلة حسًا دقيقًا في تكييف الأصوات بما ينسجم مع بنيتها الداخلية، إذ تتجنب التتابعات التي لا يقرها نظامها الصوتي، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما ورد في تعريف اللفظ الفارسي "الهِنْدَاز"، والذي يشتمل على تتابع صوتي غريب عن العربية هو اجتماع الدال والزاي متعاقبتين، وقد وقف محمد بن أبي بكر الرازي عند هذه المسألة فقال في مادة «ه ن د ز»: «(المُهَنْدِزُ)، وَهُوَ الَّذِي يُقَدِّرُ مَجَارِيَ الْفُنْيِ وَالْأَبْنِيَةِ إِلَّا أَنَّهُمْ صَيَّرُوا الزَّايَ سَيْنًا فَقَالُوا: مُهَنْدِسٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ زَايٌ قَبْلَهَا دَالٌ»<sup>9</sup>، فالأصل

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 175.

2- المرجع نفسه: ص 282.

3- المرجع نفسه: ص 118.

4- المرجع نفسه: ص 104.

5- المرجع نفسه: ص 247.

6- المرجع نفسه: ص 146.

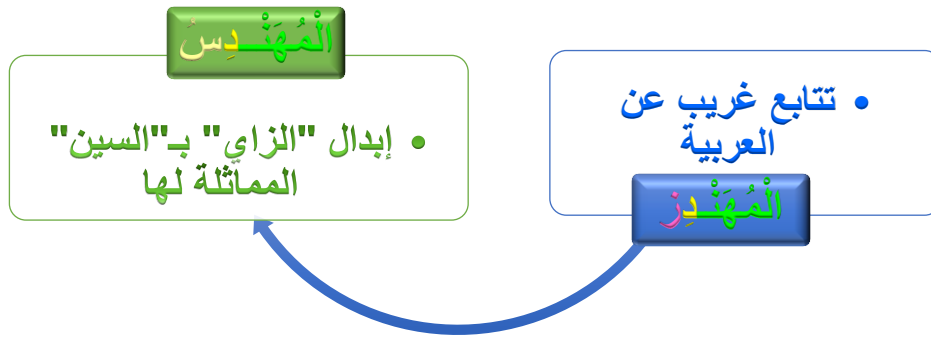
7- المرجع نفسه: ص 106.

8- المرجع نفسه: ص 150.

9- المرجع نفسه: ص 328.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الفارسي يشتمل إذن على تتابع (د+ ز)، وهو تركيب مستثقل على العربي السليقي، إذ لا تعرف العربية مثل هذا التجاور، وللتخلص من التنافر الصوتي قرّبت العربية الزاي من الدال، فحوّلتها إلى نظيرتها المهموسة السين، وهكذا تحققت المماثلة الجزئية، حيث تأثر الصوت اللاحق -الزاي- بالسابق -الدال- لتعارض صفاتهما؛ فالدال صوتٌ مَجْهُورٌ شَدِيدٌ وَقَوِيٌّ<sup>1</sup>، بينما الزاي صوتٌ مَجْهُورٌ صَفِيرِيٌّ وَرَخْوٌ<sup>2</sup>، وهو وإن كان يمتلك بعض صفات القوة إلا أنّ موقعه الطرفي أضعف أثره، وبذلك غلبت قوة الدال على الزاي، فانساق الأخير إلى التخفيف عبر تحوله إلى السين وهي «أُخْتُ الزَّايِ فِي الْمَخْرَجِ وَالصَّفِيرِ»<sup>3</sup>، ليتسق مع قوانين النظام الصوتي للعربية، ويضمن الانسجام الفونولوجي بين الأصوات. ويلخص المخطط الآتي تكييف بنية اللفظ الأعجمي بالمماثلة الجزئية عن طريق إبدال الزاي بمماثلتها السين لتخفيف ثقل تتابع الدال والزاي.



الشكل 6: تطور "المُهَنْدِز" إلى "المُهَنْدِس" بمماثلة الزاي للسين

وكما عملت المماثلة في تكييف الألفاظ الدخيلة بما ينسجم مع النظام الصوتي العربي، فإنها تعمل كذلك في صلب الألفاظ العربية نفسها، لتعيد تهذيب البنية حين تتجاور أصوات متنافرة أو متباعدة في صفاتها، غير أن الفرق هنا أنّ الظاهرة في العربية الأصيلة قد ترتقي إلى مستوى الاطراد، حتى تغدو قاعدة عامة تضبط بنية المشتقات، لا مجرد معالجة فردية

1- ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص 201.

2- ينظر المرجع نفسه: ص 209.

3- المرجع نفسه: ص 211.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

أو استثناء عارض، ومن أبرز الأمثلة ما نجده في بنية الأفعال المزيدة على وزن "افْتَعَلَ" حين تكون فاؤها أحد الأصوات المطبقة المستعلية.

جاء في مختار الصحاح في مادة (ص ب ر): «(التَّصَبَّرُ) تَكَلَّفُ الصَّبْرُ. وَتَقُولُ: (اصْطَبَّرَ)»<sup>1</sup>، والأصل في الفعل هو "اصْتَبَّرَ" على وزن "افْتَعَلَ"، غير أن التاء قلبت طاءً لتناسب الصاد في النطق، فصار الفعل "اصْطَبَّرَ"، وقد أشار الرضي الأستراباذي إلى هذا التحول بقوله: «وَالطَّاءُ مِنَ التَّاءِ لِأَرَمَ فِي اصْطَبَّرَ، وَشَادُّ فِي فَحَصَطُ»<sup>2</sup>، وتوحي كلمة "لازم" بأن هذا التطور الصوتي قد اطرده في جميع نظائره، حتى غدا قاعدة في النظام الصوتي العربي، ثم يفسر التطور الصوتي في مثل هذا الموضع بقوله: «إِذَا كَانَ فَاءَ "افْتَعَلَ" أَحَدَ الْحُرُوفِ الْمُطَبَّقَةِ الْمُسْتَعْلِيَةِ، وَهِيَ: الصَّادُ، وَالضَّادُ، وَالطَّاءُ، وَالظَّاءُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّاءَ مَهْمُوسَةٌ لَا إِطْبَاقَ فِيهَا، وَهَذِهِ الْحُرُوفُ مَجْهُورَةٌ مُطَبَّقَةٌ، فَاخْتَارُوا حَرْفًا مُسْتَعْلِيًّا مِنْ مَخْرَجِ التَّاءِ، وَهُوَ الطَّاءُ، فَجَعَلُوهُ مَكَانَ التَّاءِ، لِأَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِلتَّاءِ فِي الْمَخْرَجِ، وَالصَّادِ وَالضَّادِ وَالظَّاءِ فِي الْإِطْبَاقِ»<sup>3</sup>، ويزيد علي بن عصفور الإشبيلي (ت669هـ) الأمر توضيحاً بقوله: «وَالتَّبَاعِدُ الَّذِي بَيْنَ التَّاءِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْحُرُوفِ أَنَّ التَّاءَ مُنْفَتِحَةٌ مُنْسَفِلَةٌ، وَهَذِهِ الْحُرُوفُ مُطَبَّقَةٌ مُسْتَعْلِيَةٌ، فَأَبْدَلُوا مِنَ التَّاءِ أُخْتَهَا فِي الْمَخْرَجِ، وَأُخْتِ هَذِهِ الْحُرُوفِ فِي الْإِسْتِعْلَاءِ وَالْإِطْبَاقِ، وَهِيَ الطَّاءُ»<sup>4</sup>، وبهذا تتحقق المماثلة الجزئية على مستوى السمات، حيث تم الاحتفاظ بوحدة المخرج، مع تغير في الصفات ليغدو الصوت أشد انسجاماً مع الصاد.

وهذه الظاهرة علاوة على أنها تكشف عن انتظام صوتي، فإنها تبرز أيضاً أثر الأصوات في صياغة القواعد الصرفية؛ فقلب التاء طاءً عند مجاورة الأصوات المستعلية المطبقة في صيغة "افْتَعَلَ" دليل على أن البنية الصرفية تخضع بدورها لقوانين النطق، وتُجَلِّي التداخل العميق بين المستويين الصوتي والصرفي في العربية، بحيث يصبح التطور

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص172.

2- محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ص226.

3- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

4- علي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي: الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص321/320.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الصرفي انعكاسًا مباشرًا للتطور الصوتي، والانسجام المورفولوجي محكومًا بالانسجام الفونولوجي.

بعد الوقوف على أمثلة عن المماثلة الجزئية الناشئة عن تكييف الألفاظ الدخيلة مع النظام الصرفي للغة العربية، وكذا الناتجة عن التتابع المستقل للأصوات بفعل البنية الصرفية، يُعرج لعرض مثال عن وقوع المماثلة في الألفاظ التي تجاوزت فيها أصوات أثر القوي منها في الضعيف وألبس عليه شيئاً من صفاته وتحول على إثر ذلك إلى صوت آخر يماثله.

جاء في مادة «ر ج س»: «(الرَّجْسُ) الْقَدْرُ [...] وَهُوَ مُضَارِعٌ لِقَوْلِهِ «الرَّجَزُ»، قَالَ: وَلَعَلَّهُمَا لُغْنَانِ أُبْدِلَتِ السَّيْنُ زَايَاً كَمَا قِيلَ لِلْأَسَدِ الْأَزْدُ»<sup>1</sup>، تتابع في بناء كلمة "الرَّجْسُ" جيم ثم سين، وإذا تأملنا هذا التركيب الصوتي وجدنا أن الجيم هو الصوت الأقوى في السياق، إذ يتصف بكونه مجهورًا شديدًا<sup>2</sup> ذو طبيعة مركبة تمنحه قوة تأثير على الأصوات المجاورة، ولا سيما من حيث الجهر، أما السين فهو صوت مهموس رخو<sup>3</sup> أضعف نسبيًا من الجيم، هذا التباين بين صوت مجهور قوي وصوت مهموس ضعيف يؤدي إلى تنافر في البنية الصوتية، فيخلق هذا التنافر ضغطًا على السين لتلائم صوت الجوار، وبما أن التعديل لا بد أن يحافظ على المخرج والكيفية، فإن البديل الأنسب هو الزاي؛ ذلك أن السين «أُخْتُ الزَّايِ فِي الْمَخْرَجِ وَالصَّفِيرِ، لَكِنَّ السَّيْنَ أضعفُ مِنَ الزَّايِ، لِأَنَّ الزَّايَ حَرْفٌ مَجْهُورٌ، وَالسَّيْنَ حَرْفٌ مَهْمُوسٌ، وَلَوْلَا الْهَمْسُ الَّذِي فِي السَّيْنِ لَكَانَتْ زَايَاً»<sup>4</sup>، وهذا تحديداً ما يتطلبه السياق، صوت يماثل السين في المخرج والصفات من جهة، ويتواءم والجهر الذي في الجيم من جهة أخرى. فتتحققت على إثر ذلك مماثلة جزئية موجّهة، حيث أثر الصوت الأقوى -الجيم- في الأضعف -السين-، فانقلبت هذه الأخيرة إلى نظيرتها المجهورة -الزاي-، وبذلك نفسر وجود صيغتين متداولتين: "الرَّجْسُ" و"الرَّجَزُ"، ويكشف هذا التحول عن دقة النظام الصوتي في

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص118.

2- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص176.

3- المرجع نفسه: ص209.

4- المرجع نفسه: ص211.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

تحقيق الانسجام بين الأصوات المتجاورة، ومحافظة على البنية الصرفية من جهة، وضمانه انسياب النطق وسهولته من جهة أخرى.

### 4.5. إيثار الأصوات الحلقية للفتح:

كما سبق أن ذكر، فالأصوات في اللغة العربية تتبادل التأثير والتأثر بالمجاورة في السلسلة الكلامية وفي الكلمات المعزولة، إذ «تتأثر الحركات الثلاث الأصلية: الفتحة والكسرة والضمة، في كل لغة من اللغات السامية، وعلى الأخص في العربية بما حولها من الأصوات الصامتة»<sup>1</sup>، هذا التأثير الناجم عن سعي المتكلم العربي إلى انسيابية قصوى حين التنقل من صوت إلى آخر، بشكل لا تمجه الأسماع ولا تستثقله الألسن، وفي سعيه نحو الانسجام قد تغلب أصوات على أخرى بما توفر لديها من صفات قوة وهيمنة، ومن أبرز مظاهر تأثير الصوامت في الحركات ظاهرة "إيثار أصوات الحلق للفتحة". وهي مسألة تناولها علماء اللغة قديما، وقدموا لها تفسيرات دقيقة، وفي الجدول أدناه قائمة المداخل في المعجم والتي وقع فيها تطور صوتي بفعل تأثير الصوت الحلق.

الصيغ	الشاهد من مختار الصحاح على التطور بسبب تأثير أصوات الحلق
السَّحْرُ / السَّحَرُ	«س ح ر»: «(السَّحْرُ) بِالضَّمِّ الرَّثَّةُ وَالْجَمْعُ (أَسْحَارٌ) كَبْرِدٌ وَأَبْرَادٌ وَكَذَا (السَّحَرُ) بِالْفَتْحِ وَجَمْعُهُ (سُحُورٌ) كَفَلْسٍ وَقُلُوسٍ. وَقَدْ يُحْرَكُ لِمَكَانِ حَرْفِ الْحَلْقِ فَيَقَالُ: (سَحَرٌ) وَ (سَحَرٌ) كَنَهْرٍ وَنَهْرٍ» <sup>2</sup>
ضُحْكَةٌ / ضُحْكَةٌ	«ض ح ك»: «وَرَجُلٌ (ضُحْكَةٌ) بِفَتْحِ الْحَاءِ كَثِيرُ الضُّحِكِ. وَ (ضُحْكَةٌ) بِسُكُونِهَا يُضْحَكُ مِنْهُ» <sup>3</sup>
الْفَحْمُ / الْفَحْمُ	«ف ح م»: «(الْفَحْمُ) مَعْرُوفٌ الْوَاحِدَةُ (فَحْمَةٌ) وَقَدْ يُحْرَكُ مِثْلُ نَهْرٍ وَنَهْرٍ» <sup>4</sup>

1- كارل بروكلمان : فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، (د ت)، ص 53.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 143.

3- المرجع نفسه: ص 182.

4- المرجع نفسه: ص 235.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

المَعْرُ / المَعَزُ «م ع ز» (المَعْرُ) مِنَ العَمِّ ضِدُّ الضَّانِ وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ وَكَذَا (المَعَزُ) بِفَتْحِ العَيْنِ» <sup>1</sup>	المَعْرُ / المَعَزُ «م ع ز» (المَعْرُ) مِنَ العَمِّ ضِدُّ الضَّانِ وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ وَكَذَا (المَعَزُ) بِفَتْحِ العَيْنِ» <sup>1</sup>
ظَعْنُ / ظَعَنُ «ظ ع ن: (ظَعَنَ) سَارَ وَبَابُهُ قَطَعَ وَ (ظَعَنًا) أَيْضًا بِفَتْحَتَيْنِ» <sup>2</sup>	ظَعْنُ / ظَعَنُ «ظ ع ن: (ظَعَنَ) سَارَ وَبَابُهُ قَطَعَ وَ (ظَعَنًا) أَيْضًا بِفَتْحَتَيْنِ» <sup>2</sup>
رَهْبَةٌ / رَهَبٌ «ر ه ب»: «(رَهَبَ) خَافَ وَبَابُهُ طَرِبَ وَ (رَهْبَةً) أَيْضًا بِالْفَتْحِ وَ (رُهْبًا) بِالضَّمِّ» <sup>3</sup>	رَهْبَةٌ / رَهَبٌ «ر ه ب»: «(رَهَبَ) خَافَ وَبَابُهُ طَرِبَ وَ (رَهْبَةً) أَيْضًا بِالْفَتْحِ وَ (رُهْبًا) بِالضَّمِّ» <sup>3</sup>
الدَّخْلُ / الدَّخُلُ «د خ ل»: «وَالدَّخُلُ أَيْضًا العَيْبُ وَالرَّيْبَةُ. وَمِنْهُ كَلَامُهُمْ: تَرَى الفُتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ بِالدَّخْلِ وَكَذَا (الدَّخُلُ) بِفَتْحَتَيْنِ» <sup>4</sup>	الدَّخْلُ / الدَّخُلُ «د خ ل»: «وَالدَّخُلُ أَيْضًا العَيْبُ وَالرَّيْبَةُ. وَمِنْهُ كَلَامُهُمْ: تَرَى الفُتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ بِالدَّخْلِ وَكَذَا (الدَّخُلُ) بِفَتْحَتَيْنِ» <sup>4</sup>
البُخْلُ / البُخَلُ «ب خ ل»: «(البُخَلُ) وَ (البُخْلُ) بِالْفَتْحِ وَ (البُخْلُ) بِفَتْحَتَيْنِ كُلُّهُ بِمَعْنَى» <sup>5</sup>	البُخْلُ / البُخَلُ «ب خ ل»: «(البُخَلُ) وَ (البُخْلُ) بِالْفَتْحِ وَ (البُخْلُ) بِفَتْحَتَيْنِ كُلُّهُ بِمَعْنَى» <sup>5</sup>
التُّخْمَةُ / التُّخَمَةُ «و خ م»: «(التُّخْمَةُ) بِفَتْحِ الخَاءِ وَالْعَامَّةُ تُسَكِّنُهَا، وَقَدْ جَاءَتْ فِي الشُّعْرِ سَاكِنَةَ الخَاءِ» <sup>6</sup>	التُّخْمَةُ / التُّخَمَةُ «و خ م»: «(التُّخْمَةُ) بِفَتْحِ الخَاءِ وَالْعَامَّةُ تُسَكِّنُهَا، وَقَدْ جَاءَتْ فِي الشُّعْرِ سَاكِنَةَ الخَاءِ» <sup>6</sup>
السُّخْطُ / السُّخَطُ «س خ ط»: «(السُّخَطُ) بِفَتْحَتَيْنِ وَ (السُّخْطُ) بِوَزْنِ القَفْلِ ضِدُّ الرِّضَا» <sup>7</sup>	السُّخْطُ / السُّخَطُ «س خ ط»: «(السُّخَطُ) بِفَتْحَتَيْنِ وَ (السُّخْطُ) بِوَزْنِ القَفْلِ ضِدُّ الرِّضَا» <sup>7</sup>
المَعْرَةُ / المَعْرَةُ «م غ ر»: «(المَعْرَةُ) الطِّينُ الأَحْمَرُ وَقَدْ يُحْرَكُ» <sup>8</sup>	المَعْرَةُ / المَعْرَةُ «م غ ر»: «(المَعْرَةُ) الطِّينُ الأَحْمَرُ وَقَدْ يُحْرَكُ» <sup>8</sup>
المَغْصُ / المَغْصُ «م غ ص»: «(المَغْصُ) سَاكِنُ العَيْنِ تَقْطِيعٌ فِي المَعَى وَوَجَعٌ وَالْعَامَّةُ تُحْرَكُهُ» <sup>9</sup>	المَغْصُ / المَغْصُ «م غ ص»: «(المَغْصُ) سَاكِنُ العَيْنِ تَقْطِيعٌ فِي المَعَى وَوَجَعٌ وَالْعَامَّةُ تُحْرَكُهُ» <sup>9</sup>
رَغْدٌ / رَغْدٌ «ر غ د»: «عَيْشَةٌ (رَغْدٌ) بِوَزْنِ فَلْسٍ وَ (رَغْدٌ) بِوَزْنِ فَرَسٍ أَيْ وَاسِعَةٌ طَبِيبَةٌ» <sup>10</sup>	رَغْدٌ / رَغْدٌ «ر غ د»: «عَيْشَةٌ (رَغْدٌ) بِوَزْنِ فَلْسٍ وَ (رَغْدٌ) بِوَزْنِ فَرَسٍ أَيْ وَاسِعَةٌ طَبِيبَةٌ» <sup>10</sup>
السَّحْنَةُ / السَّحْنَةُ «س ح ن»: «(السَّحْنَةُ) بِفَتْحَتَيْنِ الهَيْئَةُ وَقَدْ تُسَكَّنُ» <sup>1</sup>	السَّحْنَةُ / السَّحْنَةُ «س ح ن»: «(السَّحْنَةُ) بِفَتْحَتَيْنِ الهَيْئَةُ وَقَدْ تُسَكَّنُ» <sup>1</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 295.

2- المرجع نفسه: ص 196.

3- المرجع نفسه: ص 130.

4- المرجع نفسه: ص 102.

5- المرجع نفسه: ص 30.

6- المرجع نفسه: ص 335.

7- المرجع نفسه: ص 144.

8- المرجع نفسه: ص 296.

9- المرجع نفسه: ص 296.

10- المرجع نفسه: ص 125.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الْوَحْلُ/ الْوَحْلُ	«و ح ل»: «(الْوَحْلُ) بِفَتْحَتَيْنِ الطَّيْنُ الرَّفِيقُ [...] وَ (الْوَحْلُ) بِالسُّكُونِ لُغَةً رَدِيئَةٌ» <sup>2</sup>
التُّخْمَةُ/ التُّخْمَةُ	«و خ م»: «(التُّخْمَةُ) بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالْعَامَّةُ تُسَكِّنُهَا، وَقَدْ جَاءَتْ فِي الشَّعْرِ سَاكِنَةً الْخَاءِ» <sup>3</sup>
الزَّهْرَةُ/ الزَّهْرَةُ	«و ه ر»: «(زَهْرَةٌ) الدُّنْيَا بِالسُّكُونِ غَضَارَتُهَا وَحُسْنُهَا. وَزَهْرَةٌ النَّبْتِ أَيْضًا نَوْزُهُ، وَكَذَلِكَ (الزَّهْرَةُ) بِفَتْحَتَيْنِ» <sup>4</sup>
دَابُّ/ دَابُّ	«د أ ب»: «(الدَّابُّ) بِسُّكُونِ الْهَمْزَةِ الْعَادَةِ وَالشَّأْنُ وَقَدْ يُحْرَكُ» <sup>5</sup>
الْوَهْجُ/ الْوَهْجُ	«و ه ج»: «(الْوَهْجُ) بِفَتْحَتَيْنِ حُرِّ النَّارِ. وَالْوَهْجُ بِسُّكُونِ الْهَاءِ مَصْدَرٌ قَوْلِكَ (وَهَجَتِ) النَّارُ مِنْ بَابِ وَعَدَ وَ (وَهَجَانًا) أَيْضًا بِفَتْحِ الْهَاءِ أَيِ اتَّقَدَّتْ» <sup>6</sup>
النَّهْرُ/ النَّهْرُ	«ن ه ر»: «(النَّهْرُ) بِسُّكُونِ الْهَاءِ وَفَتْحِهَا وَاحِدٌ (الْأَنْهَارِ)» <sup>7</sup>
صَخْرَةٌ/ صَخْرَةٌ	«ص خ ر»: «(الصَّخْرُ) الْحِجَارَةُ الْعِظَامُ وَهِيَ الصُّخُورُ يُقَالُ: (صَخَّرَ) بِسُّكُونِ الْخَاءِ وَفَتْحِهَا الْوَاحِدَةُ (صَخْرَةٌ) بِسُّكُونِ الْخَاءِ وَفَتْحِهَا أَيْضًا» <sup>8</sup>
الْفَخْرُ/ الْفَخْرُ	«ف خ ر»: «(الْفَخْرُ) بِسُّكُونِ الْخَاءِ وَفَتْحِهَا (الْإِفْتِخَارُ) وَعَدُّ الْقَدِيمِ» <sup>9</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 143.

2- المرجع نفسه: ص 334.

3- المرجع نفسه: ص 335.

4- المرجع نفسه: ص 138.

5- المرجع نفسه: ص 101.

6- المرجع نفسه: ص 346.

7- المرجع نفسه: ص 320.

8- المرجع نفسه: ص 173.

9- المرجع نفسه: ص 235.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

وقبل التفصيل في المسألة لابد من توطئة للتعريف بأصوات الحلق وصفاتها.

### 1.4.5. أصوات الحلق:

نسب علماء اللغة العربية القدامى وعلى رأسهم الخليل وسيبويه وابن جنى مجموعة من الأصوات إلى الحلق، وهي أصوات امتازت بها العربية وأخواتها من الساميات عن بقية اللغات، والحلق اصطلاحاً «هو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم»<sup>1</sup>، فهو تجويف محصور بين بين أسفل الحنجرة من جهة وأعلى الحنك من جهة أخرى، ويمثل الممر الصوتي الذي تتشكل فيه الأصوات الحلقية، وهو أول مدارج إنتاج الأصوات اللغوية، مما يجعله جزءاً أساسياً في تكوين الصوت الكلامي.

وينقسم الحلق عند القدامى إلى ثلاثة أقسام، وزعت الأصوات على امتداده حسب ما جاء في كتاب سيبويه على النحو الآتي: «فَلِلْحَلْقِ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ: فَأَقْصَاهَا مَخْرَجًا الْهَمْزَةُ وَالْهَاءُ وَالْأَلْفُ، وَمِنْ أَوْسَطِ الْحَلْقِ مَخْرَجُ الْعَيْنِ وَالْحَاءُ، وَأَدْنَاهَا مَخْرَجًا مِنَ الْفَمِ الْعَيْنُ وَالْحَاءُ»<sup>2</sup>، وقد أقر علماء اللغة سيبويه على تقسيمه هذا، وتبنوه في مؤلفاتهم ومقدمات معجماتهم من بعده.

كما وافق الدارسون المحدثون علماء اللغة القدامى في تقسيمهم الحلق إلى أحياز ومدارج مع قليل من التعديل في التسميات لتتوافق مع مسميات الجهاز النطقي الحديثة، فقابلوا أقصى الحلق بالحنجرة، وأوسط الحلق بالحنك تحديداً، أما أدنى الحلق فيناظره أقصى الحنك، يقول الدكتور كمال بشر: «فكان أسفل الحلق وأقصاه يناظره الحنجرة في تقسيمنا، وأوسط الحلق يناظر الحلق بالمعنى الدقيق، وأدنى الحلق يقابل أقصى الحنك»<sup>3</sup>، وتأسيساً على ما سبق ذكره يوازن الجدول الآتي بين المسميات القديمة والحديثة لمدارج الحلق والأصوات التي تخرج من كل حيز.

الصوت	نظيره عند المحدثين	المخرج عند القدامى
الهمزة / الهاء	الحنجرة	أقصى الحلق
العين / الحاء	الحلق	أوسط الحلق

1- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، مصر، (دط)، 2000م، ص 138.

2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج 04، ص 433.

3- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، مصر، (دط)، 2000م، ص 307.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

أدنى الحلق	أقصى الحنك	الغين/ الخاء
------------	------------	--------------

على الاحتفاظ بالتسمية القديمة لأنها تسمية جامعة تضم كل تلك الأصوات في حزمة واحدة، فعند ذكر أصوات الحلق فليس المقصود "العين" و"الحاء" فحسب، بل الأربعة جميعا.

لقد حشر علماء اللغة القدامى الأصوات العربية التي يمتد مخرجها من أقصى الحلق إلى أقصى الحنك في زمرة واحدة، وعاملوها معاملة واحدة، فسمى سيبويه أحد أبواب كتابه: "باب الحروف الستة إذا كان واحد منها..."، وأراد بالحروف الستة أصوات الحلق فأجرى الحكم فيها على السواء وذلك فيما تناوله من مسائل دون تفرقة بينها. وأطلق عليها غيره تسمية "حروف الحلق" فجعلوها مجموعة واحدة، وقد أوعز سبب حصر تلك الأصوات في مجموعة واحدة عند القدامى إلى سببين رئيسين<sup>1</sup>:

أما الأول: فهو تقاسمها المخرج الممتد من الحنجرة مرورا بالحلق -عند المحدثين- إلى أقصى الحنك.

وأما الثاني: فهو اشتراكها في المسلك الفونولوجي في بناء الكلمة العربية من حيث تأثيرها على بعض الظواهر الصوتية والصرفية التي انفردت بها؛ كصعوبة اجتماعها في بناء كلمة واحدة، وفتح أصوات الحلق في عين بناء "فَعَلَ يَفْعَلُ" وكذا تحريكها بالفتح في بعض ألفاظ العربية التي جاءت عينها ساكنة في الأصل، مثل "زهرة" بدل "زهرة" و "تهر" بدل "تهر".

إن هذين العاملين مجتمعين أديا بعلماء اللغة -قدامى ومحدثين- إلى معاملة هاته الفئة من الأصوات معاملة واحدة نتيجة عملها في بنية الكلمة العربية من وجه واحد، وقد تجلّى ذلك الأثر في تحريك عين البناء الساكن بالفتح.

من الأهمية بمكان قبل التطرق إلى مسألة إثبات الأصوات الحلقية للفتحة على غيرها من الحركات عرض الصفات التي اجتمعت فيها بشيء من التفصيل، والتي جعلتها تنحو هذا النحو وتسلّك هذا المسلك الصوتي؛ والأصوات الحلقية كما ذكر هي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والحاء، وجميعها تصدر من الحلق.

1- علي سليمان الجوابرة: أثر حروف الحلق في بنية الكلمة العربية في ضوء علم اللغة الحديث، مجلة جامعة شقراء، ع06، نوفمبر 2016م، ص395/396.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

فـ"الهمزة" وهي أبعد المجموعة وأدخلها في الحلق تخرج بسد الفجوة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وانطباقهما انطباقا تاما، حيث لا يُسمح للنفس بالمرور من الحنجرة، ثم ينفرج الوتران فيندفع الهواء فجأة محدثا صوتا انفجاريا<sup>1</sup>، وتعد الهمزة من أثقل الأصوات على الإطلاق، ذلك أن مخرجها قصي؛ مما يصعب النطق بها، هذا وهي منفردة بله أن تجتمع مع همزة أخرى أو مع صوت حلقي آخر؛ ولذلك نجدها تأخذ أحكاما عديدة سيأتي تفصيلها في موضعها.

ويُلي الهمزة مخرجا صوت الهاء، «الذي يتكون عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق صائت (كالفتحة مثلا)، ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثا صوتا احتكاكيا؛ يرفع الحنك اللين»<sup>2</sup>، إن في وصف حدوث الهاء ربطا مباشرا لها مع الفتحة، فالهاء صوت يشبه النفس يتسع فيه مجرى الهواء إلى مداه، بارتفاع تام للحنك واستقبال أقصى للسان إلى قعر الفم.

أما صوتا وسط الحلق أو الحلق تحديدا باصطلاح المحدثين فهما "العين" و"الحاء" هاته الأخيرة التي تتشكل بتضييق في الفراغ الحلقي أعلى الحنجرة مما يحدث احتكاكا للهواء أثناء مروره بالموضع، يُرفع على إثره الحنك اللين<sup>3</sup>، وتضارع طريقة النطق بالعين كيفية إخراج الحاء، إلا أن الأول مهموس والثاني مجهور.

ومن آخر مدارج الحلق وأدناها إلى الفم يخرج صوتا الخاء والغين، «والحاء يتكون بأن يقترب أقصى اللسان من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ضيق يسمح للهواء بالنفوذ محدثا احتكاكا، يرفع الحنك اللين»<sup>4</sup>، والغين كذلك، مع اهتزاز الوترين الصوتيين أثناء اندفاع الهواء للنطق به.

### 2.4.5. المسلك الفونولوجي لأصوات الحلق:

والذي يمكن أن يستنبط من خلال ما تقدم ذكره من كيفية حدوث أصوات الحلق الستة، والأوصاف الجامعة لها علاوة على تقاسمها جميعا الحيز الممتد من الحنجرة إلى أقصى

1- كمال بشر: علم الأصوات، ص288.

2- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص178/179.

3- المرجع نفسه: ص178.

4- المرجع نفسه: ص177.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الحنك، واشتراك الثنائيات منها في المخرج عينه وذلك في (الغين/الخاء) و(الحاء/العين) و(الهمزة/الهاء)، أن التضييق الذي يحدث في مُعْتَمَد كل صوت منها يقابله انفراج في التجويف الفموي، تختلف نسبته بين صوت وآخر فيبلغ منتهاه مع الهاء مثلا ويضيق مع الغين، إلا أن الآلية مشتركة بين جميع تلك الأصوات، وقد شبه الدكتور فوزي الشايب انقباض الحلق مقابل الانفراج في التجويف الفموي حين النطق بالأصوات الحلقية بآلية عمل مشابه للغسيل؛ إذ الضغط على طرفها السفلي يقابله انفتاح من الجهة الثانية<sup>1</sup>، وهذه الخاصية النطقية التي تشترك فيها كل الأصوات الحلقية هي التي جعلت من الفتحة أنسب الحركات وأقربها لهاته الزمرة من الأصوات وفيما يلي تفصيل ذلك.

إن الاتساع في التجويف الفموي بعد النطق بأحد أصوات الحلق جذب أنسب الحركات التي تتوافق صفةً ومخرجاً مع كيفية حدوث الأصوات الحلقية وهي الفتحة، وهذا هو التعليل الذي قدمه علماء العربية الأوائل، قال هبة الله بن الشجري (ت542هـ): «وَأَنَّما اسْتَحْسَنُوا الْفَتْحَةَ فِي هَذَا الضَّرْبِ لِمُؤَافَقَتِهَا لِحُرُوفِ الْحَلْقِ، وَوَجْهُ الْوِفَاقِ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْفَتْحَةَ مِنَ الْأَلْفِ، وَالْأَلْفُ مَخْرَجُهَا مِنَ الْحَلْقِ»<sup>2</sup>، وقد سجل محمد بن أبي بكر الرازي في معجم مختار الصحاح هذا الضرب من التطور الصوتي، وصرح في واحد من المداخل بتأثير أصوات الحلق في تغيير بنية الكلمة، وأوماً في آخرين بالماحة بسيطة إلى الأمر دون تفصيل، ونحن نرى أن ذلك أمر مستساغ ومقبول نظراً لطبيعة المدونة والتي هي عبارة عن معجم مختصر، اقتصر فيه صاحبه على الأهم فالأهم، ووردت أشكال التطور اللغوي فيه في صورة ومضات خاطفة.

جاء في مادة «س ح ر»: «(السُّحْرُ) بِالضَّمِّ [...] وَكَذَا (السَّحْرُ) بِالْفَتْحِ [...] وَقَدْ يُحَرِّكُ لِمَكَانِ حَرْفِ الْحَلْقِ فَيُقَالُ: (سَحْرٌ) وَ(سَحْرٌ) كَنَهْرٍ وَنَهْرٍ»<sup>3</sup>، في بناء كلمة "سَحْر" جاءت العين صوتاً حلقياً وهو الحاء، والحاء يحصل بالضغط على الجدار الخلفي للحنجرة، فيتدفق الهواء من الرئتين محدثاً احتكاكاً في الموضع الضيق مع انخفاض للسان إلى قعر

1- ينظر فوزي حسن الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص261.

2- هبة الله بن علي بن الشجري: أمالي بن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط01، 1991م، ج02، ص157.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص143.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الفم، ما يؤدي إلى اتساع بعد ضيق، ويحْدُ من ذلك الاتساع سكون الحاء؛ ولذا ناسب أن تماثل حركة عين البناء صفات الصوت الحلقى، فشكّلت بالفتحة، ومنه فالتطور الصوتي الحاصل هو انتقال من سكون إلى تحريك بالفتح، وانجر عن ذلك تطور صرفي، إذ تحولت الصيغة الصرفية من بناء "فَعَل" بسكون العين إلى بناء "فَعَل" بفتحتها.

هذا إذا افترض أن أصل "سَحَر" هو "سَحَر" بفتح السين وسكون الحاء، غير أن المعجم قد سجل صيغة ثالثة، وهي "سُحِر" بضم السين وسكون الحاء، ومع اشتراك الصيغ الثلاثة في الجذر اللغوي وترتيب الأصوات الصامتة وكذا التطابق التام في المعنى، فإنه يمكن عد أحدها أصلاً، ويُرجَّح أن تكون "سُحِر" هي الأصل، وعلى هذا الأساس يكون التطور على النحو الآتي:

في مرحلة أولى تشكّلت السين بالفتحة نظراً لتأثرها بالحاء الحلقية بعدها، فنتج: "سَحَر" وهي مرحلة وسيطة بين الأولى والثانية، ومرد هذا التطور إلى ثقل البناء الذي تتابع فيه صامت لثوي متقدم المخرج مشكّل بالضمّة، وصامت حلقى قصي المخرج، وهو شكل عسير في النطق بهذا الترتيب، لذا ارتأى مستعمل اللغة إحداث تغيير للتقريب بين المتجاورين، ولأن صفات الصوت الحلقى هي المهيمنة في هذا التركيب فقد تم إبدال ضمة السين فتحة ونتاج عن ذلك "سَحَر".

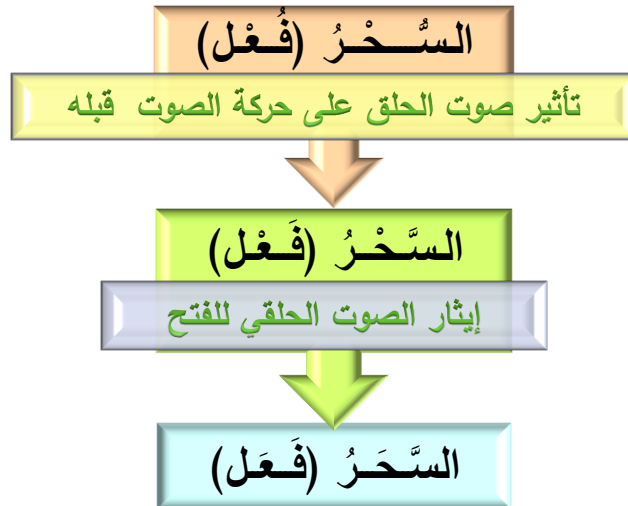
وقد ذكر ابن جني أن تأثير الأصوات الحلقية يتعدى لما يسبقها من أصوات فتفتحتها كما تفتح نفسها وفي هذا يقول: «وَفِيهِ أَيْضًا فُرْحٌ عَلَى فُعْلٍ، يُقْرَأُ بِهِمَا جَمِيعًا، ثُمَّ لَا أَبْعُدُ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَكُونَ الْحَاءُ لِكَوْنِهَا حَرْفًا حَلْقِيًّا يَفْتَحُ مَا قَبْلَهَا كَمَا تَفْتَحُ نَفْسَهَا فِيمَا كَانَ سَاكِنًا مِنْ حُرُوفِ الْحَلْقِ»<sup>1</sup>، لقد قام ابن جني بتخريج فتح القاف في كلمة "فُرْح"، وأرجع ذلك إلى مجيء الحاء لاما لبناء الكلمة، وجعل تأثيرها ممتداً إلى فاء البناء وهي القاف، رغم أنه قد خُلِّيَ بينهما بالراء، وإن كان الأمر عنده كذلك على البعد بين الموضعين، فإن تأثير الحاء في حركة السين التي تجاورها من باب أولى، وعليه يُؤخذ بقول ابن جني سالف الذكر، ويُستدل به على ما تمّ من ترتيب مراحل التطور الصوتي ومن ثمّ الصرفي.

1- عثمان بن جني: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص18.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

كما أن اللسانيات الحديثة تؤيد ما ذهب إليه ابن جني من احتمال عمل الصوت المتأخر في المتقدم في بناء الكلمة، وهو أمر شائع جدا في اللغات، إذ يؤثر اللاحق في السابق، ذلك أن الذهن يتهيأ للنطق بسلسلة المقاطع المكونة للكلام قبل حدوثها؛ «فالعقل باشتغاله بنطق صوت ما في داخل مجموعة صوتية يجعله يصدره قبل أوانه»<sup>1</sup>، وكأن ما يصدر عن الجهاز النطقي من توليفة أصوات هي نسخة مسموعة عن أخرى مرتسمة في الذهن، وينطبق ذلك على الصوامت والصوائت فينتج عنه مماثلة بين الأصوات، قد تصل إلى تغيير تام للصوت واستبداله بآخر، أو قد يُكتفى بتشكيله بحركة مناسبة للصوت المهيمن في السياق الكلامي، وهو الأمر الذي لمسناه في المثال الذي بين أيدينا. وللتقريب بين الأصوات المتنافرة في السياق الكلامي تمت المشاكلة بين الصوت الحلقي وحركة السين قبله لتحقيق الخفة وتقليل الجهد.

ثم في المرحلة الثانية فتحت الحاء نفسها بتأثير من صفاتها بوصفها صوتا حلقيًا يتوفر على ما عُدَّ سابقا من مميزات، تجعله يؤثر الفتحة على ما دونها من الحركات، وتأسيسا على ما تم ذكره يلخص المخطط الآتي مراحل التطورات الصوتية الحاصلة في المثال المعتمد.



الشكل 7: تطور "سُحْر" إلى "سَحَر" بتأثير صفات صوت "الحاء" الحلقي

1- Joseph Vendryes: Le Langage Introduction Linguistique A L'histoire, p74.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الملاحظ للمخطط يرى أنه قد تم إرفاق كل صيغة بالوزن الصرفي الموافق لها، والغرض من هذا بيان أن التطور الحاصل والذي منشؤه المماثلة بين الصوامت والحركات قد أدى إلى تطور صرفي، وتغير في بنية الكلمة، وكذلك الأمر في أغلب أشكال التطور الصرفي، إذ إن منشأ التطورات الصرفية في معظمها صوتي؛ الشيء الذي دفع لعدم إفراد التطور الصرفي بفصل مستقل.

كان هذا بسطا وبيانا لكيفية وقوع التطور الصوتي في المدخل الوحيد في المدونة الذي صرح فيه الرازي بأثر أصوات الحلق في اختيار الحركات مع شيء من التفصيل بقوله: «وَقَدْ يُحَرِّكُ لِمَكَانِ حَرْفِ الْحَلْقِ»<sup>1</sup>، ثم ذيل شرحه ذلك بمثال هو الأشهر في كتب اللغة والقراءات القرآنية، ما فتى العلماء يرددونه في مستهل حديثهم عن الظاهرة، يذكرونه ويمثلون به وهو كلمة "نَهْر".

جاء في مادة (ن ه ر) «(النَّهْرُ) بِسُكُونِ الْهَاءِ وَفَتْحِهَا وَاحِدٌ (الأنهار)»<sup>2</sup>، وعلى الرغم من أن محمد بن أبي بكر الرازي قد استدل في المثال السابق على إيثار أصوات الحلق للفتحة بـ: "نَهْر" و"نَهْر"، وذلك لشهرته في مؤلفات اللغويين والقراء، فإنه لم يشر إلى المسألة البتة في المدخل، واكتفى بذكر البناءين دون تبرير أو تعليل للاختلاف الحاصل، وكان هذا ديدنيه مع بقية الأمثلة التي أخصيت، والتي تندرج ضمن التطور الصوتي الذي منشؤه أثر الصوت الحلقى، وفيما يلي بسط للتطور الحاصل.

بافتراض أن الأصل هو "نَهْر" بتسكين الهاء وهو افتراض مؤسس ومستند إلى آراء العلماء، فلو أن البناء المتقل هو الأصل لما كانت هناك حاجة لتبرير الفتح في الصوت الحلقى أصلا، وإنما اتجاه التغيير وقع من المخفف إلى المتقل وهو اتجاه مخالف لما تتحو إليه اللغات، إذ المعروف أن السكون ولا ريب أخف من الحركة، فكيف سار التطور على هذا النحو المغاير؟

لقد استقصى علماء اللغة القدامى مواطن التغيير ورأوا بأن الرابط المشترك بينها جميعا وجود أصوات الحلق عينا أو لاما في البناء، «وقد أكدت التجارب الحديثة ارتباطا وثيقا بين

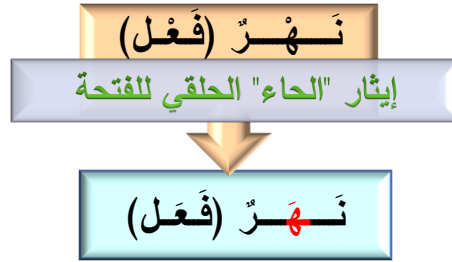
1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص143.

2- المرجع نفسه: ص320.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

النطق بحروف الحلق والفتحة؛ وذلك لأن أصوات الحلق تناسب في الغالب وضعاً خاصاً للسان يتفق مع ما نعرفه من وضع للفتحة. فهذه الظاهرة التي استرعت انتباه القدماء ما يبرره في القوانين الصوتية الحديثة<sup>1</sup>، وبالعودة للمثال يتضح أن الهاء تتوسط الكلمة، والهاء صوت حلقي أشبه بالنفس وأوثق أصوات الحلق صلة بالفتحة، وعليه فقط تم تحريكه بالفتح تحت تأثير قانون الأصوات الحلقية\* لتنتج الصيغة "نهر".

لقد تم هاهنا التطور الصوتي في مرحلة واحدة نظراً لتكثف النون بالفتحة أصلاً، فلم يكن من حاجة لتغيير الحركة على خلاف المثال السابق "سُحْر"، وقد ارتأينا أن نضع مخططاً ثانياً نوضح فيه مراحل التطور الصوتي في هذا المثال على النحو الآتي:



### الشكل 8: تطور "نهر" إلى "نهر" بتأثير صفات صوت "الهاء" الحلقي

إن الذي بُيّن من خلال شرح العينتين اللتين اخترتاهما يجري على بقية المداخل المحصاة، ذلك أن الأثر موحد في الجميع بفعل صفات الأصوات الحلقية، وقد تم انتقاء هذين المدخلين حصراً بسبب أن محمد بن أبي بكر الرازي قد أشار في الأول -سُحْر- إلى وجود تطور صوتي، وذكر السبب المحتمل وأعطى مثالا هو سمة تعريفية لهذه الظاهرة الصوتية عند اللغويين والقراء، أغنى ذكره عن مزيد تفصيل وشرح. وإن كان قد أوماً إلى المسألة في هذا المدخل فقد اكتفى بذكر المثال في مدخل آخر وهو: "فَحْم"، فيما اقتصر على ذكر جواز الفتح والتسكين في بقية المداخل التي حصل بها تطور صوتي مماثل.

إن تفحص المداخل التي حصل فيها تطور صوتي بتأثير من الصامت الحلقي في المدونة، لا يبين رأي الرازي من المسألة؛ إذ لم يصرح بأسبقية زمنية لصيغة على أخرى في

1- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 03، 1966م، ص34.

\*أطلق عليه الدارسون المحدثون تسمية قانون الأصوات الحلقية لاطراد تأثيره بما يشبه القانون الثابت.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

جميع ما أُحصي من نماذج، كما أنه لم يلتزم ترتيباً ثابتاً يمكن من خلاله كشف رأيه في الأمر، والترتيب الداخلي مهم كما هو معلوم؛ فالعرف في التأليف المعجمي يقتضي أن يُذكر الأصل أولاً ثم ما تفرع عنه، وفي مثل هذه الحال فإن الأصل هو البناء المخفف، إلا أنه كان يسبق المتقل أحياناً كما في: "وَهَج" و"سَخَط" و"سَخَنَة" و"تَحَمَة"، أو يذكر باب الفعل منه كما في "زَهَب"، على أن غالبية المداخل التي سُجلت قد تم فيها تقديم ما كان ساكن العين، وذلك في "زَهْرَة"، "دَاب"، و"نَهْر"، و"سَحْر"، و"فَحْم"، و"رَغْد".

إن إهمال أبي بكر الرازي لبيان الأصل يدفع إلى وجوب ذكر آراء علماء العربية في المسألة والتي تباينت بين من يرى أن كلاً من الصيغتين لغة، وبالتالي لا يُحكم بأصلية ولا فرعية وأنه يُكتفى بما سُمع عن العرب، ومن يعدُّ الأمر مطرداً في كل نظير، ويجوز فيه القياس.

### 1.2.4.5. رأي البصريين:

تبنى البصريون الرأي الأكثر تحفظاً واحترازاً، فجوّزوا التطور الصوتي فيما سُمع عن العرب حصراً، ولم يروا أن الأمر يجري على كل نظير، قال عمر بن مكي الصقلي (ت501هـ): «وَأَمَّا الْبَصْرِيُّونَ فَلَا يَفْتَحُونَ مِنْهُ إِلَّا مَا كَانَ مَسْمُوعًا مِنَ الْعَرَبِ»<sup>1</sup>، كما عدوا كلا من البناءين لغة وأنه ليس أحد منهما أصلاً للآخر، وعلى الرغم من تقديمهم تبريرات صوتية للتطور الحاصل إلا أن المسألة عندهم غير خاضعة للذوق ولا يصح فيها القياس، فلو أن مفردة توفرت لها الشروط عينها التي توفرت لِمَا وقع فيه تطور، لم يَجُزْ عندهم فتح الصوت الحلقي إذا لم يسمع ذلك عن العرب، وعبر ابن جني عن رأي البصريين في الأمر بقوله: «مَذْهَبُ أَصْحَابِنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا النَّحْوِ مِمَّا فِيهِ حَرْفٌ حَلْفِيٌّ سَاكِنٌ بَعْدَ حَرْفٍ مَفْتُوحٍ: أَنَّهُ لَا يُحْرَكُ إِلَّا عَلَى أَنَّهُ لُغَةٌ فِيهِ؛ كَالزَّهْرَةِ وَالزَّهْرَةِ، وَالنَّهْرِ وَالنَّهْرِ، وَالشَّعْرِ وَالشَّعْرِ، فَهَذِهِ لُغَاتٌ عِنْدَهُمْ كَالنَّشْرِ وَالنَّشْرِ، وَالْحَلْبِ وَالْحَلْبِ، وَالطَّرْدِ وَالطَّرْدِ»<sup>2</sup>، وفيما اتسم رأي البصريين بالمحافظة الشديدة، كان الكوفيون أكثر مرونة في المسألة.

1- عمر بن خلف بن مكي الصقلي: تنقيح اللسان وتلقيح الجنان، ص188.

2- عثمان بن جني: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1، ص84.

### 2.2.4.5. رأي الكوفيين:

أجاز الكوفيون الوجهين إذا توفرت الدوافع دون اشتراط السماع عن العرب، قال ابن مكي الصقلي: «وَهَذَا مُطَرَّدٌ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ: أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ عَلَى فِعْلٍ، بِالْإِسْكَانِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ فِيهِ فِعْلٌ بِالْفَتْحِ، إِذَا كَانَ وَسْطُهُ حَرْفَ حَلْقٍ»<sup>1</sup>، لقد اكتفى الكوفيون بكون عين الكلمة صوتاً حلقياً ليجري عليها الحكم، فالعبرة عندهم بموجب التغيير لا بالمسموع، وقد مثل هذا الرأي إمام أهل الكوفة يحيى بن زياد الفراء في مؤلفه معاني القرآن بقوله: «وَالظَّعْنُ يُثَقَّلُ فِي الْقِرَاءَةِ وَيُخَفَّفُ لِأَنَّ تَأْنِيهِ عَيْنٌ، وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِمَا كَانَ تَأْنِيهِ أَحَدَ السُّنَّةِ الْأَحْرَفِ، مِثْلَ الشَّعْرِ وَالْبَحْرِ وَالنَّهْرِ»<sup>2</sup>، لقد بيّن الفراء سبب التثقيل وهو مجيء عين البناء أحد الأصوات الستة، والمقصود بها أصوات الحلق كما سماها سيبويه، ولم يشترط أن تكون الكلمة مسموعة والدليل على ذلك تنوع الأمثلة التي أوردها؛ حيث ذكر ما قالته العرب وجاءت به القراءات القرآنية الصحيحة، مثل "الشَّعْر" و"النَّهْر"، وضم إليها ما جرى فيه القياس مثل "بَحْر"، وقد علق ابن جني على هذا بقوله: «وَمَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ فِيهِ أَنَّهُ يُحَرِّكُ التَّائِي لِكَوْنِهِ حَرْفًا حَلْقِيًّا، فَيَجِيزُونَ فِيهِ الْفَتْحَ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوهُ، كَالْبَحْرِ وَالْبَحْرِ وَالصَّخْرِ وَالصَّخْرِ»<sup>3</sup>، وعلى هذا فإن الكوفيين قد وسعوا نطاق عمل قانون الأصوات الحلقية ليشمل كل كلمة ثلاثية البناء كانت عينها أحد الأصوات الستة، ما يعني عدّه الأمر بمثابة ناموس يسري في كل نظير.

ومما يعضد ما يراه الكوفيون أنّ اختلاف وزن البناء، مع ترادف تام في المعنى واشتراك في الأصل -الجزر- وترتيب متوافق للأصوات يلزمه أن أحد البناءين أصل والآخر فرع عنه، ناهيك عن عدم وجود سبب تمّ من أجله تحول البناء من المخفف إلى المثقل، وقد أفاض علماء اللغة والقراءات القرآنية في شرح سبب ذلك، وأيدّ علم الأصوات الحديث ما ذهبوا إليه بالأدلة العلمية، «فالتفسير العلمي لهذه الظاهرة أن تحريك الصوت الحلقى أخف من تسكينه، إذ أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقى تحتاج إلى اتساع في

1- عمر بن خلف بن مكي الصقلي: تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص188.

2- يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، ج02، ص112.

3- عثمان بن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج01، ص84

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبه من أصوات اللين أكثرها اتساعا، وتلك هي الفتحة»<sup>1</sup>، فلا مبرر بعد ذلك للقول بأن كلا منهما أصل مستقل! والسبب الثاني هو تركيز هذا الاستعمال في بيئة معينة، فقد نُسب لبني عقيل، وإلى بني بكر بن وائل، وهما قبيلتان متجاورتان سكنتا البحرين<sup>2</sup>، ما يعزز القول بأن الاستعمال المتطور قد غذته عوامل خارجية زيادة على العوامل الداخلية -اللغوية-، فهي ظاهرة صوتية شاعت وانتشرت في رقعة محددة من شبه الجزيرة العربية، ما يقوي فرضية أن الأصل كان مخالفا للنطق المخصوص بسبب عوامل تضافرت مع العوامل الداخلية التي هي تأثير أصوات الحلق.

علاوة على ما تقدم ذكره، فإن ابن جني وهو من أئمة البصرة رأى في كتابه "المحتسب"، أن الاستعمالين متطور أحدهما عن الآخر بعد أن تبنى رأي البصريين فيما سلف من كتبه، فقد صرح قائلا: «وَمَا أَرَى الْقَوْلَ مِنْ بَعْدُ إِلَّا مَعَهُمْ، وَالْحَقُّ فِيهِ إِلَّا فِي أَيْدِيهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنِّي سَمِعْتُ عَامَّةَ عَقِيلٍ يَقُولُ ذَلِكَ وَلَا تَقِفُ فِيهِ سَائِغًا غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، حَتَّى لَسَمِعْتُ الشَّجَرِيَّ يَقُولُ: أَنَا مَحْمُومٌ بِفَتْحِ الْحَاءِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَدَّعِي أَنَّ فِي الْكَلَامِ مَفْعُولٌ بِفَتْحِ الْفَاءِ»<sup>3</sup>.

اللطيف هنا أن بعض اللهجات الجزائرية المحلية قد احتفظت بالاستعمال المتطور، إذ وُجدت مناطق في مدينة وادي سوف مازال أهلها يُجرون قانون الأصوات الحلقية على ما كانت عينه أحد الأصوات الستة، فينطقون ألفاظا مثل "أحباب" و"أخضر" و"محمود" و"لحم" و"شحم" و"نخل" و"أهل"، "أحباب" و"أخضر" و"محمود" و"لحم" و"شحم" و"نخل" و"أهل"، بل إن عمل الصوت الحلقى عندهم قد لا يقتصر على فتح نفسه وإنما يفتح ما قبله فينطقون "محمّد" و"الأزهر" مثلا "محمّد" بفتح الميم و"الأزهر" بفتح الزاي، وفي كل ما ذكر من أمثلة يتجلى أثر الصوت الحلقى، مع احتفاظ مناطق أخرى بالأصل المسكن، ويوثق الرابط أدناه

1- عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (دط)، 1996م، ص114/113.

2- ينظر المرجع نفسه: ص113.

3- عثمان بن جني: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج01، ص84.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

وهو مقطع من فلم "العاصفة" إنتاج 1982م<sup>1</sup> نطق بعض الكلمات التي عمل فيها قانون الأصوات الحلقية مثل (مخلوق، لحرف، يحشم).

وللتطور الصوتي في بعض الأحيان تبعات أخرى غير تطور البناء الصرفي، فقد ينجز عنه آخر دلالي، لأن الاختلاف في المبنى باعث على أن ينشأ عنه اختلاف في المعنى وإن كان الأصل واحدا، ويمكن تلمس أثر الأصوات الحلقية في بعض المداخل التي فرق فيها محمد بن أبي بكر الرازي بين البناء المخفف ونظيره المثقل، فنسب للأول معنى يختلف عن الذي نسبه للثاني. قال في (وهج): «(الْوَهْجُ) بِفَتْحَيْنِ حَرُّ النَّارِ، وَالْوَهْجُ بِسُكُونِ الْهَاءِ مَصْدَرٌ قَوْلِكَ (وَهَجَتِ) النَّارُ [...] أَيِ اتَّقَدَتْ»<sup>2</sup>، هذا المثال الذي يفرق فيه الرازي بين الوهَج بالفتح، والذي هو حر النار ولفحها، والوهج بالسكون الذي هو مصدر الفعل وهج، قد يفهم منه أن كلا من البناءين أصل مستقل، إلا أن الراجح أن الأصل واحد فُرق بينهما بهذا التفصيل البسيط في الدلالة بعدما اختلف البناءان، حيث «تبدأ التغيرات الصوتية لأسباب فونيمية، غير أن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن المعنى؛ لذا فإن التباين الصوتي الناشئ عن تفاعل الأصوات فيما بينها يميل إلى أن يرتبط بالمعنى إذا تهيأت له الظروف المناسبة»<sup>3</sup>، ومن أشكال التهيوُّ أن يظل الاستعمال جاريا في الصيغتين، المخففة والمثقلة على قدم المساواة بحيث لا تغلب إحداها على الأخرى، حتى يخصص لإحداها معنى يختلف قليلا أو كثيرا عن معنى الصيغة الثانية، على أن الغالب في هذا البقاء في حقل دلالي مشترك، وهذا ما يُلحظ في الأمثلة التي اختلفت فيها المعاني بين البنائين؛ فالوهج وهو حر النار قريب في المعنى من الوهَج الذي هو اتقاد النار واستعارها؛ لأن اختلاف البناء مع توافق تام في المعنى مغاير لسنن اللغات، فالطبيعي في كل لغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد لمعنى واحد ليتم البيان.

ومن جملة ما لوحظ في النماذج التي عملت فيها أصوات الحلق على إحداث التطور، إطلاق الرازي أحكاما على إحدى الصيغتين دون بيان للسبب، فقال عن "الوَحْل" بالسكون لغة رديئة، و"المَعَص" بفتح الغين استعمال عامي، شأنه شأن "التخمة" بالتسكين، إذ غالبا ما

1- <https://www.facebook.com/reel/1806539763248537>

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص346.

3- Joan Bybee: Language change, p76.

## الفصل الأوّل: التّطوّر الصّوتي في مختار الصّاح

يعد الاستعمال العامي عنده أدنى مكانة من الاستعمال الفصيح أو المعياري، كما أن العامي مقترن عنده بوجود تطور يُلمس في كل مرة يذكر فيها هذا اللفظ.

إن نسبة الاستعمال للعامية عند محمد بن أبي بكر الرازي يحط من مكانة البناء قياساً بنظيره، إذ ليس المقياس عنده الأصالة أو الفرعية، بل طبيعة المستعمل، فإذا غلب على البناء المخفف استعماله عند العامة يكون المثقل أفصح، والعكس بالعكس، والمبادئ اللسانية الحديثة ترى التسوية بين الاستعمالين، فليس أحد منهما بأولى من الآخر، ومادام قد تم توثيقه والإشارة إليه في المعاجم فهذا يدل على أنه انتشر في رقعة معتبرة وتداوله أناس كثيرون، وهذا هو المهم، وما الرغبة في معرفة الأصل والفرع إلا بغية ترتيب المراحل لا تفضيل سابق على لاحق أو العكس.

### 6. القلب المكاني والإبدال والحذف في مختار الصحاح

#### 1.6. القلب المكاني:

القلب المكاني ظاهرة لغوية ارتبطت عند القدامى بالدرس النحوي والصرفي والبلاغي أيضاً، وكان لها أثر في نمو المعجم العربي، وتناولها في هذا المبحث يدخل ضمن المستوى الصوتي من اللغة بوصفه شكلاً من أشكال التطور الصوتي.

#### 1.1.6. تعريف القلب المكاني وشروطه:

القلب لغة هو التحويل؛ جاء في العين: «وَالْقَلْبُ: تَحْوِيلُكَ الشَّيْءِ عَن وَجْهِهِ، وَكَلَامٌ مَقْلُوبٌ، وَقَلْبَتُهُ فَاثْقَابٌ، وَقَلْبَتُهُ فَتَقَلَّبَ. وَقَلْبَتُ فُلَانًا عَن وَجْهِهِ أَيْ صَرَفْتُهُ»<sup>1</sup>، ولم يُن الخليل فيما سبق عن مقصده من "الكلام المقلوب"، أفي الكلمة المفردة عنى بالقلب أم في القصة؟ وأورد جار الله الزمخشري (ت538هـ) في أساس البلاغة: «قَلَبَ الشَّيْءَ قَلْبًا: حَوَّلَهُ عَن وَجْهِهِ. وَحَجَرَ مَقْلُوبٌ، وَكَلَامٌ مَقْلُوبٌ. وَقَلَبَ رِدَاءَهُ. وَقَلْبَهُ لَوَجْهِهِ: كَبَّهُ، وَقَلْبَهُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ»<sup>2</sup>، فجُلُّ المعاني اللغوية للقلب تدور في فلك تحويل الشيء من جهة إلى أخرى.

أما في الاصطلاح فقد أطلقه الصرفيون على «تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، وَيُسَمَّى قَلْبًا مَكَانِيًّا، نَحْوَ أَرَامٍ فَإِنَّ أَصْلَهُ أَرَامٌ»<sup>3</sup>، فالقلب المكاني مصطلح مركب من "القلب" الذي يدل في اللغة على التبادل الذي يقع بين الأصوات في بنية الكلمة، وخصص هذا التبادل بـ"المكاني"، ليفيد تبادل المواضع بين الأصوات دون بقية أشكال التبادل.

وقد أجرى الدكتور أحمد عبد المجيد الهريدي دراسة تاريخية في مفهوم القلب المكاني ومصطلحات العلماء التي وظفت للتعبير عنه عبر الزمن، وحاول على إثرها وضع تعريف شامل يلم شتات ما تفرق في الكتب، وخلص إلى أن القلب المكاني هو: «التغيير أو التحويل اللغوي الذي يقع في كلمة من كلمات اللغة في صورة تبادل أو تناوب في المكان أو الموضع بين (أصوات/ فونيمات/ حروف) كلمة من الكلمات بالتقديم والتأخير فينشأ عن ذلك التغيير

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (باب القاف واللام والباء معهما)، ج05، ص171.

2- محمود بن عمر جار الله الزمخشري: أساس البلاغة مادة (ق ل ب)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م، ج02، ص94.

3- محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 1996م، ج02، ص1336.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

في تتابع ترتيب (أصوات /فونيمات/ حروف) الكلمة كلمة أخرى فرعية جديدة متفقة في الدلالة والمعنى ومختلفة في ترتيب المبنى مع الكلمة الأولى الأصلية»<sup>1</sup>، فالقلب المكاني إذا هو ظاهرة صوتية تلحق أصوات المفردات من حيث ترتيبها، ويتم فيها إعادة التوضع في الأماكن بحيث يتبادل صوتان المواقع دون أن يمس ذلك المعنى.

لقد اختلف العلماء العرب القدامى في وقوع القلب المكاني في اللغة، فمنهم من توسع في المسألة وعده سنة من سنن العرب في كلامها، وقد عبر أحمد بن فارس عن ذلك في صاحبي بقوله: «وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ الْقَلْبُ، وَذَلِكَ يَكُونُ فِي الْكَلِمَةِ، وَيَكُونُ فِي الْقِصَّةِ؛ فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَقَوْلُهُمْ: "جَذَبَ، وَجَبَذَ" وَبَكَلَ، وَبَكَ، وَهُوَ كَثِيرٌ وَقَدْ صَنَّفَهُ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ، وَلَيْسَ مِنْ هَذَا فِيمَا أَظُنُّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ شَيْءٌ»<sup>2</sup>، ومنهم من أنكره جملة وهذا رأي ابن درستويه (ت347هـ) الذي نقله جلال الدين السيوطي في المزهري (ت911هـ)، وقد ألف ابن درستويه كتابا سماه "إبطال القلب"<sup>3</sup>، خطأ فيه غيره ممن يرون وقوع القلب المكاني في العربية، وخرج ما اندرج تحت هذا المسمى من ألفاظ تخريجات مغايرة لما ذهب إليه القائلون بالظاهرة.

وفريق ثالث ضيق مجاله ووضع له شروطا كما فعل ابن جني ومن حذا حذوه، حيث أفرد له في الخصائص بابا سماه "باب في الأصلين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير"، وتسمية الباب تتبنيك عن رأيه في القضية، فالبناءان عنده أصلان حتى يثبت العكس، إذ يقول: «إِعْلَمَنَّ أَنَّ كُلَّ لَفْظَيْنِ وَجَدَ فِيهِمَا تَفْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ فَأَمَكَنَّ أَنْ يَكُونَا جَمِيعًا أَصْلَيْنِ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا مُنْقَلَبًا عَنِ صَاحِبِهِ، فَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنَنَّ ذَلِكَ حَكَمْتَ بِأَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْلُوبٌ عَنِ صَاحِبِهِ، ثُمَّ أَرَيْتَ أَيُّهُمَا الْأَصْلُ وَأَيُّهُمَا الْفَرْعُ»<sup>4</sup>، ويسوق ابن جني بعد ذلك الشروط التي يعتمد عليها في الحكم على التركيب بأنه مقلوب أو أنه أصل مستقل فيقول: «فَمِمَّا تَرْكِيْبَاهُ أَصْلَانِ لَا قَلْبَ فِيهِمَا قَوْلُهُمْ: جَذَبَ وَجَبَذَ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا مُقْلُوبًا عَنِ

1- أحمد عبد المجيد هريدي: القلب المكاني دراسة تاريخية في المفهوم والمصطلح، علوم اللغة، مج3، ع2003م، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص11.

2- أحمد بن فارس: صاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص153.

3- ينظر عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص371.

4- عثمان بن جني: الخصائص، عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط04، (دت)، ج02، ص71.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

صَاحِبِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا جَمِيعًا يَتَصَرَّفَانِ تَصَرُّفًا وَاحِدًا<sup>1</sup>، فهو يرى أن كثرة الاشتقاق من أحد البنائين دلالة على أصليته وفرعية ما قل تصرفه خاصة ما خلا من المصدر، أما إذا تساوى التركيبان في الاشتقاق فهما لغتان، وهو معيار -على وجاهته- غير قطعي، فإن من اختار أن يقلب الفعل أو المصدر يمكنه أن يختار قلب ما تفرع عنه فيتصرف الفرع بقدر تصرف الأصل، ثم إن العرب قد تهجر بعض الصيغ على أصالة ما اشتقت منه، وليس لهجرانها سبب معين غير الذوق، كما فعلوا في ماضي "يدع" (ودع) مثلا، فقد أميت ولم يستعمل على الرغم من أنه ليس هناك ما يعوضه من نفس الجذر، قال أبو بكر الرازي: «وَقَوْلُهُمْ: دَعُ ذَا أَبِي اثْرَكُهُ وَأَصْلُهُ وَدَعُ يَدَعُ وَقَدْ أُمِيتَ مَاضِيَهُ فَلَا يُقَالُ: وَدَعَهُ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: تَرَكُهُ وَلَا وَادِعُ وَلَكِنْ تَارِكٌ»<sup>2</sup>، بينما استعملوا كل مشتقات "دعا" مع أن الجذر اللغوي واحد، فقد ثمات بعض المشتقات ولا تستعمل.

ومنه فإن اعتبار كثرة التصرف غير كاف لاتخاذ موقف حدي في المسألة والحكم على بطلان القلب المكاني، كما أن الواقع اللغوي لا يؤيد هذا المذهب، فهو أمر شائع في العربية بشكل لا يمكن معه إنكار وجوده، وقد أخذ حصة معتبرة في كتب اللغة.

واستنادا إلى رأي من قالوا بالقلب المكاني في اللغة العربية في كل لفظتين اتحدتا في الأصل والمعنى، واختلفتا في ترتيب الأصوات، وكذلك استنادا إلى ما صرح به محمد بن أبي بكر الرازي في معجمه في أكثر من مدخل، تم إيراد الجدول أدناه والذي أخصيت فيه المداخل المعجمية التي حصل فيها إبدال مكاني في المدونة سواء تم التصريح به لفظا أم تم الإيماء إليه.

الأصل	المقلوب	الشاهد على القلب المكاني من مختار الصحاح
أَنُوقُ	أَيُنُقُ	«ن و ق»: «(النَّاقَةُ) جَمَعُهَا (نُوقٌ) وَ(أَنُوقٌ) ثُمَّ اسْتَنَقَلُوا الضَّمَّةَ عَلَى الْوَاوِ فَقَدَّمُوهَا فَقَالُوا: أَوُنُقُ ثُمَّ عَوَّضُوا مِنَ الْوَاوِ يَاءً فَقَالُوا: (أَيُنُقُ)» <sup>3</sup>

1- عثمان بن جني: الخصائص، ج02، ص71/72.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص720.

3- المرجع نفسه: ص691.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

رأى: «الرأي» معروفٌ وجمعه (أراء) و (أراء) أيضًا مقلوبٌ منه» <sup>1</sup>	أراء	أراء
بأر، «البئر» جمعها في الفلّة (أبؤر) كأفلسٍ و (أبار) كأحجارٍ، ومن العرب من يقلبها الهمزة فيقول: (أبار) كأنثار» <sup>2</sup>	أبار	أبار
مأق: «مؤق» العين طرفها مما يلي الأنف والجمع (أماق) و (أماق) مثل أبارٍ وأبار» <sup>3</sup>	أماق	أماق
«والجمع (الأوائل) و (الأوالي) أيضًا على القلب» <sup>4</sup>	الأوائل	الأوالي
أرب: «الأرب» بالكسر العضو وجمعه (أراب) بمدٍّ أوله و (أراب) بمدٍّ ثالثه» <sup>5</sup>	أراب	أراب
كأي ن: «كأي» معناها معنى كم في الخبر والاستفهام. و (كأء) بوزن كاع لغةً فيها» <sup>6</sup>	كأء	كأي
ش م ل: «(شمال) و (شامل) مقلوبٌ منه» <sup>7</sup>	شامل	شمال
ض ح ل: «(اضمحل) الشيء ذهب. و (امضحل) بتقديم الميم لغة الكلابيين» <sup>8</sup>	امضحل	اضمحل
أي س: «(أيس) منه لغةً في ييس» <sup>9</sup> أي أس: «(أيسه) الله من كذا (فاسنياس) منه بمعنى أيس» <sup>10</sup>	أيس	ييس

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 245

2- المرجع نفسه: ص 55.

3- المرجع نفسه: ص 621.

4- المرجع نفسه: ص 712.

5- المرجع نفسه: ص 27.

6- المرجع نفسه: ص 595.

7- المرجع نفسه: ص 361.

8- المرجع نفسه: ص 390.

9- المرجع نفسه: ص 51.

10- المرجع نفسه: ص 746.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

طَغِيُوتٌ	طَاغُوتٌ	«(الطَّاغُوتُ) الْكَاهِنُ، وَالشَّيْطَانُ، وَكُلُّ رَأْسٍ فِي الضَّلَالِ. يَكُونُ وَاحِدًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: 60]. وَيَكُونُ جَمْعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ﴾ [البقرة: 257] وَالْجَمْعُ (الطَّوَاغِيتُ)» <sup>1</sup> ، لم يشر الرازي هنا إلى القلب، لكنه أوماً له في موضع آخر: «وَأَمَّا (لَاهُوتٌ) فَإِنْ صَحَّ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فَيَكُونُ مِنْ لَاهٍ وَوَزْنُهُ فَعُلُوتٌ مِثْلُ رَهْبُوتٍ وَرَحْمُوتٍ وَلَيْسَ بِمَقْلُوبٍ كَمَا كَانَ الطَّاغُوتُ مَقْلُوبًا» <sup>2</sup>
يَتَّبَعِي	تَبَيَّغٌ	ب و غ: «(تَبَوَّغَ) الدَّمُ وَ (تَبَيَّغَ) بِصَاحِبِهِ فَعَلْبُهُ وَ (تَبَوَّغَ) الدَّمُ بِصَاحِبِهِ فَتَنَلَهُ [...] وَقِيلَ أَصْلُهُ يَتَّبَعِي مِنَ الْبَغْيِ فَقُلِبَ مِثْلُ جَدَّبَ وَجَدَّبَ» <sup>3</sup>
انْتَرَقَبَ	انْتَرِيقٌ	ز ب ق: «(انْتَرِيقٌ) دَخَلَ، وَهُوَ مَقْلُوبٌ انْتَرَقَبَ» <sup>4</sup>
الْقِمَاطُ	الْمِقَاطُ	م ق ط: «(الْمِقَاطُ) بِالْكَسْرِ حَبْلٌ مِثْلُ الْقِمَاطِ فَهُوَ مَقْلُوبٌ مِنْهُ» <sup>5</sup>
الأَوْشَابُ	الأَوْشَابُ	و ش ب: «(الأَوْشَابُ) مِنَ النَّاسِ الْأَخْلَاطُ مِثْلُ الأَوْشَابِ. وَقِيلَ: هُوَ جَمْعٌ مَقْلُوبٌ مِنَ البَوْشِ» <sup>6</sup> ب و ش: «(البَوْشُ) بِالْفَتْحِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ الْمُخْتَلِطِينَ وَ (الأَوْشَابُ) جَمْعٌ مَقْلُوبٌ مِنْهُ» <sup>7</sup>
وَاحِدٌ	حَادِي	« ح د ا: وَقَوْلُهُمْ (حَادِي عَشْرَ) مَقْلُوبٌ مِنْ وَاحِدٍ لِأَنَّ تَقْدِيرَ وَاحِدٍ فَاعِلٌ فَأَخْرَجَ الْفَاءَ وَهُوَ الْوَاوُ فَقُلِبَتْ يَاءٌ لِانْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 406.

2- المرجع نفسه: ص 620

3- المرجع نفسه: ص 85.

4- المرجع نفسه: ص 286.

5- المرجع نفسه: ص 637.

6- المرجع نفسه: ص 713.

7- المرجع نفسه: ص 713.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

وَقَدَّمَ الْعَيْنَ فَصَارَ تَقْدِيرُهُ عَالِفًا» <sup>1</sup>		
«ه و ر»: «(هَارٍ) الْجُرْفُ مِنْ بَابِ قَالَ، وَ(هُؤْرًا) أَيْضًا فَهُوَ (هَائِرٌ) وَيُقَالُ: أَيْضًا جُرْفٌ (هَارٍ) حَفْضُوهُ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ وَأَزَادُوا هَائِرٌ وَهُوَ مَقْلُوبٌ مِنَ الثَّلَاثِيِّ إِلَى الرَّبَاعِيِّ» <sup>2</sup>	هَارٍ (هَائِرٌ)	هَائِرٌ
«ج ب ذ»: «(جَبَذَ) الشَّيْءَ مِثْلُ جَذَبَهُ مَقْلُوبٌ مِنْهُ وَبَابُهُ ضَرَبَ» <sup>3</sup>	جَذَبَ	جَبَذَ
«ط م ن»: «(طَمَّانٌ) ظَهَرَهُ وَ(طَأْمَنَهُ) بِمَعْنَى، عَلَى الْقَلْبِ» <sup>4</sup>	طَأْمَنَ	طَمَّانٌ
«ط ي ن»: «وَقَوْلُهُمْ: مَا أَطْيَبَهُ وَمَا أَطْيَبَهُ! بِمَعْنَى وَهُوَ مَقْلُوبٌ مِنْهُ» <sup>5</sup>	أَطْيَبَ	أَطْيَبَ
«ث د ن»: «فِي حَدِيثِ ذِي النُّدَيَّةِ أَنَّهُ (مُنْدَنٌ) أَيْدِي قِيلَ: مَعْنَاهُ مُخْدَجٌ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: إِنْ كَانَ كَمَا قِيلَ إِنَّهُ مِنَ (النُّنْدُوةِ) تَشْبِيهًا لَهُ بِهِ فِي الْقَصْرِ وَالْإِجْتِمَاعِ فَالْقِيَاسُ أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ (مُنْدَنٌ) إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَقْلُوبًا» <sup>6</sup>	مُنْدَنٌ	مُنْدَنٌ
«ع ث ا»: «(عَثَا) فِي الْأَرْضِ أَفْسَدَ [...] قُلْتُ: قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْقُرَاءُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى فَتْحِ النَّاءِ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِاللُّغَةِ الثَّانِيَةِ لَا غَيْرَ» <sup>7</sup>	عَثَا	عَاثَ
«ع ي ث»: «(الْعَيْثُ) الْإِفْسَادُ يُقَالُ: (عَاثَ) الذَّنْبُ فِي الْعَنَمِ وَبَابُهُ بَاعَ» <sup>8</sup>		
«رأى»: «(رَأَى) فُلَانٌ النَّاسَ يُرَائِيهِمْ (مُرَاءَةً) وَ(رَائَاهُمْ)	رَأَى	رَأَى

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 145.

2- المرجع نفسه: ص 329.

3- المرجع نفسه: ص 109.

4- المرجع نفسه: ص 419.

5- المرجع نفسه: ص 414.

6- المرجع نفسه: ص 426.

7- المرجع نفسه: ص 426.

8- المرجع نفسه: ص 476.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

مراءة	مراياً	«مُرَايَاً» عَلَى الْقَلْبِ بِمَعْنَى <sup>1</sup>
أنى	آن	«أَي ن»: «(أَنَّ أَيْنَهُ) أَي حَانَ حِينُهُ وَ(أَنَّ) لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا مِنْ بَابِ بَاعَ، أَي حَانَ مِثْلُ أَنَّى وَهُوَ مَقْلُوبٌ مِنْهُ» <sup>2</sup>
نأى	ناء	«ن و أ»: «(نَاءً) بَوَزْنِ بَاعَ لُغَةً فِي نَأَى أَي بَعْدَ» <sup>3</sup>

### 2.1.6. أدلة وقوع القلب المكاني:

استند العلماء والدارسون في سبيل إثبات وقوع القلب المكاني في ألفاظ اللغة إلى عدة أدلة منها ما يتقاطع مع شواهد القلب في مدونة البحث.

#### 1.2.1.6. المقارنة مع بقية اللغات السامية:

إن إثبات القلب المكاني مرتين عند فئة من العلماء بإثبات الفرعية لإحدى الصيغ، وقد أتاحت الدراسات التاريخية والمقارنة في اللسانيات الحديثة ذلك، بمقارنة العربية بأخواتها من الساميات، وتم التوصل على إثر تلك المقارنات إلى نتائج علمية دقيقة تتيح للدارسين البت في المسألة، فقد ذُكر في المدونة أن "شَامَلٌ" مقلوب عن "شَمَالٌ"، حيث جاء في مادة «ش م ل»: «(شَمَالٌ) وَ(شَامَلٌ) مَقْلُوبٌ مِنْهُ»<sup>4</sup> وأكد المستشرق غوتهلغ برجاشتراسر *Gotthelf Bergsträsser* (1886م-1933م) الأمر من خلال مقارنته بين العربية وأختها العبرية،<sup>5</sup> وتوصل على إثر أبحاثه إلى إثبات ما جاء في معاجم اللغة قديماً.

#### 2.2.1.6. الاستعمال اللهجي والعودة إلى الأصل:

وكما أن العودة إلى أخوات العربية من الساميات يعد سندا موثقاً للبرهنة على حدوث القلب المكاني من خلال إثبات الأصالة لإحدى الصيغتين، فإن اختصاص فئة من العرب بإحداها ونسبتها إليهم قد يكون دليلاً على فرعيتها، مثال ذلك "اضْمَحَلَّ" و"امْضَحَلَّ" التي نسبت إلى الكلابيين، حيث جاء في مختار الصحاح في مادة «ض ح ل»: «(اضْمَحَلَّ)

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص247.

2- المرجع نفسه: ص51.

3- المرجع نفسه: ص689.

4- المرجع نفسه: ص361.

5- ينظر غوتهلغ برجاشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1994م، ص36.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الشَّيْءُ ذَهَبَ. وَ(امْضَحَلَّ) بِتَقْدِيمِ الْمِيمِ لُغَةً الْكِلَابِيِّينَ<sup>1</sup>، وقد أيد العلماء رأيهم بالقول بالقلب في هذا المدخل بأن المصدر من الفعل هو "الاضمحلال" حصرا، «وامْضَحَلَّ، عَلَى الْقَلْبِ، كُلُّ ذَلِكَ: ذَهَبَ، وَالذَّلِيلُ عَلَى الْقَلْبِ أَنَّ الْمَصْدَرَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى اضْمَحَلَّ دُونَ امْضَحَلَّ، وَهُوَ الْاضْمِحْلَالُ، وَلَا يَقُولُونَ امْضِحْلَالًا»<sup>2</sup>، ومنه فإن اختصاص فئة معينة من العرب بصيغة واشتقاق الثانية عند عموم القبائل قد يكون دليلا على أن الأولى فرع عن الثانية لانحصار مجالها الجغرافي قياسا بالأصل، كما أن مجيء الأصل وهو المصدر عند البصريين على إحدى الصيغتين دون الأخرى قد يكون فيه ما يثبت أسبقية البناء الذي كان المصدر موافقا له.

### 3.2.1.6. التصحيح مع موجب الاعتلال:

يعتبر القلب المكاني من بين الأساليب التي اعتمدها علماء اللغة والصرف تحديدا للتصحيح الصوتي في اللغة العربية، حيث يفترض أن تحمل الكلمة المقلوقة على الأصل من حيث الصحة والاعتلال، وفي هذه الحال فإنه يتم التصرف في الكلمة المقلوقة وفقا لبنائها الأصلي حتى وإن توفرت على موجبات الاعتلال، ما يعني أن قواعد الإعلال لا تطبق بشكل مباشر على الكلمة بعد قلبها، بل ينظر إليها على كونها من الأصل الصحيح، وقد لُمِسَ هذا في شواهد القلب المكاني في المدونة، حيث جاء في مادة «أي س»: «(أَيْسَ) مِنْهُ لُغَةٌ فِي يَيْسَ وَبَابُهُمَا فَهَمَّ وَ(أَيْسَهُ) مِنْهُ غَيْرُهُ بِالْمَدِّ مِثْلُ (أَيْسَهُ) وَكَذَا (أَيْسَهُ) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ (تَأْيِيسًا)»<sup>3</sup>، فقد حُمِلَ في تصرفه على الأصل فجاء صحيحا (أَيْسَ)، قال ابن جني في بيان ذلك: «لَوْ لَمْ يَكُنْ مَقْلُوبًا لَوَجَبَ إِعْلَالُهُ، وَأَنْ يَقُولَ: "إِسْتِ أَسْ"، كَهَيْتِ أَهَابٌ. فَظُهُورُهُ صَاحِحًا يُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا صَحَّ؛ لِأَنَّهُ مَقْلُوبٌ عَمَّا تَصِحُّ عَيْنُهُ وَهُوَ "يَيْسْتِ"، لِتَكُونَ الصَّحَّةُ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى»<sup>4</sup>، فكانت سلامته من الاعتلال قياسا على الأصل دليلا على فرعيته ومن ثم دليلا على وقوع القلب.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص182.

2- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب (فصل الضاد)، ج11، ص396.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص27.

4- عثمان بن جني: الخصائص، ج02، ص74/73.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

هذا وقد وضع العلماء أدلة عديدة على وقوع القلب، يبتغون في ذلك التمييز بين الأصل والفرع، وأخرجوا ما لم ينتظم من الصيغ تحت الضوابط التي وضعوها من دائرة القلب المكاني.

### 3.1.6. أسباب وقوع القلب المكاني:

يبسط هذا العنصر أسباب وقوع القلب المكاني في اللغة العربية بوصفه شكلا من أشكال التطور الصوتي وذلك استنادا إلى الشواهد المستوحاة من مختار الصحاح واستنادا إلى ما قُدم من تعليقات من قبل الدارسين والعلماء قديما وحديثا.

#### 1.3.1.6. الاقتصاد في الجهد:

مع القول بأن القلب المكاني «يَكُونُ بِتَصْيِيرِ حَرْفٍ مَكَانَ حَرْفٍ بِالنَّفْدِيمِ وَالنَّأخِيرِ»<sup>1</sup>، فإن العلماء قد حاولوا وضع التفسيرات والتعليقات التي يمكن أن تبرر وقوعه في اللغة، فحمله بعضهم على الاقتصاد في الجهد، على غرار ما فسروا به جمع ناقة على "أينق" مقلوب "أنوق"، حيث جاء في المدونة في مادة (ن و ق): «(النَّاقَةُ) جَمَعُهَا (نُوقٌ) وَ(أَنُوقٌ) ثُمَّ اسْتَنْقَلُوا الضَّمَّةَ عَلَى الْوَاوِ فَقَدَّمُوهَا فَقَالُوا: أَوُنُقُ ثُمَّ عَوَّضُوا مِنَ الْوَاوِ يَاءً فَقَالُوا: (أَيْنُقُ) ثُمَّ جَمَعُوهَا عَلَى (أَيَانِقُ). وَقَدْ تُجْمَعُ (النَّاقَةُ) عَلَى (نَيَاقٍ) بِالْكَسْرِ»<sup>2</sup>، يشرح محمد بن أبي بكر الرازي في هذا المثال المراحل التي مر بها التطور الصوتي من "أنوق" إلى "أينق"، في لغة العرب، حيث حذا بهم استنقالهم للضمة على الواو إلى القلب المكاني بين الواو والنون، فتقدمت الأولى وتأخرت الثانية، ثم عوضوا الواو بياء.

وعلة القلب هنا استنقال الضمة على الواو وهو تتابع لمتقاربين؛ لأن الواو «مُواخِيَةٌ لِلضَّمَّةِ إِذْ هِيَ مِنْهَا»<sup>3</sup>، والواو صوت ثقيل في نفسه «وفيهما نَقْلٌ إِذَا تَحَرَّكَتْ، لِأَنَّ مَخْرَجَهَا مِنَ الشَّفَتَيْنِ [...] وَلَمَّا كَانَتْ الْوَاوُ ثَقِيلَةً إِذَا تَحَرَّكَتْ، فَإِنَّهَا إِذَا كَانَتْ الْحَرَكَةُ الَّتِي عَلَيْهَا ضَمَّةً أزدادت ثِقَلًا»<sup>4</sup>، وللتخلص من الثقل المضاعف تقدمت الواو إلى مكان النون فصارت "أونق"، ثم عوضت الواو بياء وتولدت بذلك الصيغة المقلوبة.

1- عبد الفتاح الحموز: ظاهرة القلب المكاني في العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط01، 1986م، ص51.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص691.

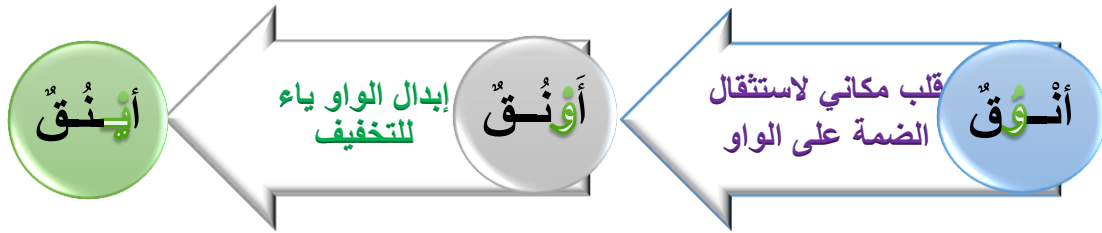
3- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص235.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

والواو والياء من أصوات اللين، وهي أصوات يكثر الإبدال بينها، والياء أيسر وأخف من الواو، لذا ناسب أن تعوضها في بناء تتابعت فيه همزة ونون وقاف؛ فالهمزة صوت قوي جَلْدٌ يستهلك جهداً في إخراجها، كما أن النون صوت مجهور أغنُّ والقاف شديد مستعلٍ، فهي توليفة من الأصوات القوية خلق وجود الياء بينها توازناً وخفف من مشقة النطق بها.

وفيما افترض الرازي أن الإبدال وقع آخرًا، وأن القلب المكاني كان أول مراحل التغيير، رأى سيبويه العكس، حيث أورد في الكتاب: «أَيُّقٌ إِنَّمَا هُوَ أَنُوقٌ فِي الْأَصْلِ، فَأَبْدَلُوا الْيَاءَ مَكَانَ الْوَاوِ وَقَلَّبُوا»<sup>1</sup>، وبناء على ما تم بسطه نورد المخطط الذي نلخص فيه مراحل التطور في المثال السابق بحسب ما جاء في المدونة.



الشكل 9: تطور "أُنُوقٌ" إلى "أَيُّقٌ" بالقلب المكاني لاستئقال "الضمة" على "الواو"

والاقتصاد أيضا كان سبب القلب المكاني في ثلثة من جموع التكسير على غرار "آراء" و"آثار" و"آبار" و"آماق" و"الأوالي" المنقلبة عن "أزاء" و"أثار" و"آبار" و"آماق" و"الأوائل" المذكورة في المدونة، نأخذ منها على سبيل التمثيل ما ورد في مادة «ب أر»: «(الْبُرُّ) جَمْعُهَا فِي الْقِلَّةِ (أَبُورٌ) كَأَفْلَسٍ وَ(أَبَارٌ) كَأَحْجَارٍ، وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقْلِبُ الْهَمْزَةَ فَيَقُولُ: (أَبَارٌ) كَأَثَارٍ»<sup>2</sup>، حيث تقدمت عين البناء -الهمزة- على فائه، لتخفيف النطق وتيسيره، فتكرار الهمزة في بناء واحد مستثقل وإن فصل بينهما فاصل، لذا حدث تبادل بين فاء الجمع وعينه فاجتمعت همزتان لينت إحداهما وقلبت ألفا، ونتجت بذلك نسخة فرعية عن جمع التكسير مقلوبة عن الأصل أيسر في النطق هي "آبار"

1- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج03، ص466.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص50.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ومما عده الدكتور عبد الفتاح حموز مقيسا على القلب في مثل ما ذكر من الجموع التي عين مفردا همزة جمع آلاء<sup>1</sup> الذي ذكر في المعجم دون إشارة لوقوع القلب، وذلك في مادة «أ ل ا»: «(الآلاء) النَّعْمُ وَاحِدُهَا (أَلَى)»<sup>2</sup>، فالأصل في جمعها أن يكون «الآء» لكنها جمعت على «آء» بالقلب، وكذلك الأمر في «أراب» جمع «إرب» من مادة «أ ر ب»: «(الإرب) بِالْكَسْرِ الْعُضْوُ وَجَمْعُهُ (أَرَابٌ) بِمَدِّ أَوَّلِهِ وَ(أَرَابٌ) بِمَدِّ ثَالِثِهِ»<sup>3</sup>، وقد ذكر الرازي في هذا المدخل صيغتي الجمع دون أن يشير إلى العلاقة بينهما، إلا أن المتأمل يظهر له أن أَرَابٌ مقلوب عن أَرَابٌ.

### 2.3.1.6. كثرة الاستعمال:

من مسوغات القلب المكاني كثرة استعمال اللفظ ودورانه على الألسن، ومن ذلك تطور «كأي» إلى «كاء»، حيث ورد في مختار الصحاح في مادة «ك ي ن»: «(كأَيٌّ) مَعْنَاهَا مَعْنَى كَمْ فِي الْخَبْرِ وَالِاسْتِفْهَامِ. وَ(كَاءٍ) بوزن كَاعٍ لُغَةً فِيهَا»<sup>4</sup>، وقد علل ابن جني القلب هنا وبين مراحلها فقال: «ثم اعلم أن أصل ذلك كله «كأي» في معنى كم كأكثر القراءة «وكأي» من قرية»، وهي أي دخلت عليها كان الجر، فحدث لها من بعد معنى كم...] ثم إنها لما كثر استعمالها لها تلعبت بها العرب كأشياء يكثر تصرفها فيها لكثرة نطقها بها، فقدمت الياء المشددة على الهمزة فصارت كَيًّا بوزن كَيِّعٍ، ثم حذفت الياء المتحركة تشبيها لها بسيد وميت؛ فصارت «كَيِّء» بوزن كَيِّعٍ، ثم قلبت الياء ألفا وإن كانت ساكنة، كما قلبت في بيئس فقيل: يائس؛ فصارت كاء بوزن كَاعٍ. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ كُلِّهِ «كأَيٌّ» فِي مَعْنَى كَمْ كَأَكْثَرَ الْقِرَاءَةِ «وَكأَيٌّ مِنْ قَرْيَةٍ»، وَهِيَ أَيٌّ دَخَلَتْ عَلَيْهَا كَافُ الْجَرِّ، فَحَدَّثَ لَهَا مِنْ بَعْدِ مَعْنَى كَمْ [...] ثُمَّ إِنَّهَا لَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا لَهَا تَلَعَّبَتْ بِهَا الْعَرَبُ كَأَشْيَاءٍ يَكْثُرُ تَصَرُّفُهَا فِيهَا لِكَثْرَةِ نُطْقِهَا بِهَا، فَقَدَّمُوا الْيَاءَ الْمَشْدَدَةَ عَلَى الْهَمْزَةِ فَصَارَتْ كَيًّا بوزن كَيِّعٍ، ثُمَّ حُذِفَتِ الْيَاءُ الْمُتَحَرِّكَةُ تَشْبِيْهًا لَهَا بِسَيِّدٍ وَمَيْتٍ؛ فَصَارَتْ «كَيِّء» بوزن كَيِّعٍ، ثُمَّ قُلِبَتِ الْيَاءُ أَلْفًا وَإِنْ كَانَتْ سَاكِنَةً، كَمَا قُلِبَتْ فِي

1- عبد الفتاح الحموز: ظاهرة القلب المكاني في العربية، ص 78.

2- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 21.

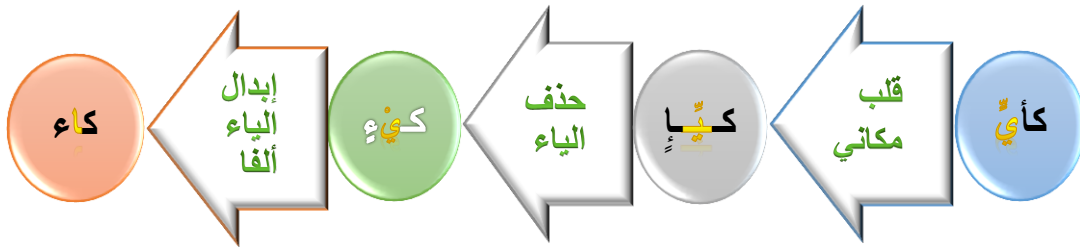
3- المرجع نفسه: ص 28/27.

4- المرجع نفسه: ص 276.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

يَيْسَ فَيْلٌ: يَأْسُ؛ فَصَارَتْ كَاءٍ بَوَزْنِ كَاعٍ»<sup>1</sup>، وعلى غرار الأمثلة السابقة فقد ترافق القلب المكاني بأشكال أخرى من التطور الصوتي، فالتخفيف والإبدال اللذان عقبا القلب المكاني هما هنا كانا بمثابة تشذيب وتحسين للصيغة المقلوبة التي قد تبدو غريبة وغير مألوفة، ولتحقيق انسيابية أعلى وخفة أكبر تتظاهر الأنماط المختلفة للتطور الصوتي من أجل إخراج لفظ جديد مقبول من حيث تآلف الأصوات، وسهل من حيث النطق خاصة إذا كان اللفظ كثير التردد على الألسنة.

و يرد المخطط الآتي تمثيلاً لمراحل التطور في هذا المدخل:



الشكل 10: تطور "كأَيُّ" إلى "كَاءٍ" بالقلب المكاني لكثرة الاستعمال

### 3.3.1.6. التوهم السمعي:

أثناء ملاحظة بعض الألفاظ التي وقع بها قلب مكاني لم يتيسر رد سبب التطور الصوتي إلى الاقتصاد في الجهد أو التخفيف أو كثرة الاستعمال، ذلك أنه لم يكن للبناء المقلوب مزية عن الأصل من حيث الخفة في الترتيب أو السهولة في النطق أو حتى الاختصار في الكم، يُضرب لذلك مثلاً بـ"المِقَاط" المنقلبة عن "القِمَاط"، جاء في المدونة في مادة (م ق ط): «(المِقَاطُ) بِالْكَسْرِ حَبْلٌ مِثْلُ القِمَاطِ فَهُوَ مَقْلُوبٌ مِنْهُ»<sup>2</sup>، إن الملاحظ للتتابع الصوتي في كلى البناءين لا يسعه القول بأن المقلوب أخف من الأصل، ولهذا كان لا بد من البحث عن سبب آخر يُعزى إليه القلب، والذي قد ينشأ بفعل الخطأ أو التوهم الناتج عن سماع اللفظة لأول مرة، وأكثر ما يحدث الأمر عند الأطفال الصغار؛ «ذلك أن الطفل يصعب عليه تذكر الأصوات التي يجب تركيبها معا لإنتاج كلمة معينة بدقة»<sup>3</sup>

1- عثمان بن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج01، ص170/171.

2- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص637.

3- Otto Jespersen: Language Its Nature Development And Origin, p108.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

فذاكرته الضعيفة لا تسعفه أحيانا لتذكر مقاطع الكلمة بترتيبها الأصلي، فيلتقط الأصوات المكونة لها ويعيد ترتيبها بطريقته مما يخلق احتمالية التبادل في مواقع الأصوات.

هذا وقد يواجه البالغون الصعوبة عينها خاصة عند كبار السن ومحدودي التعليم ممن يتعرضون لقسم من الألفاظ لأول مرة (ألفاظ تقنية، ألفاظ حضارة..). فيشبه حالهم حال الأعجمي الذي يتعامل مع مفردات لغة غريبة عنه، وإذا طُلب منه تكرار كلمات بعد سماعها مرة واحدة يسبق لسانه بقلب الأصوات، ومن ثم يتخذ المقلوب موقعه ضمن معجم اللغة بوصفه مقابلاً للأصل بنية ومطابقاً له معنى، ويكون نشوء المقلوب في هذه الحال أشبه بنشوء المشترك اللفظي في اللغة حيث إن «القلب المكاني ينطلق من نفس منطلق المماثلة، غير أنه يقوم على وهم وقلة انتباه، وتختلف النتيجة تماماً، فبدلاً من تكرار الحركة النطقية نفسها مرتين، يُكتفى بمجرد تبادل حركتين، وفي النهاية يظهر القلب المكاني بوصفه تبادلاً لعنصرين بين مقطعين من الكلمة الواحدة»<sup>1</sup>.

قد ينشأ القلب المكاني عن عوامل داخلية مرتبطة بتفاعل الأصوات في الكلمة، أو عن عوامل خارجية متعلقة بالمتكلم وأهليته وبيئته وخلو ذهنه، وفي ما يلي بيان لمسار التطور الصوتي بالقلب المكاني في حال التوهم أو الخطأ:



الشكل 11: تطور "القماط" إلى "المقاط" بالقلب المكاني للتوهم

### 4.3.1.6. اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية:

في سعيهم نحو إيجاد مسوغات علمية للظواهر الصوتية التي تكتنف ألفاظ اللغة، اجترح الباحثون رؤى قصدوا من خلالها تفسير التطورات الصوتية، من ذلك ما طرحه الدكتور إبراهيم أنيس في مقال له حاول فيه إيجاد تفسير علمي لظاهرة القلب المكاني، وذلك بالاستناد إلى الإحصاء الآلي.

1- Joseph Vendryes: le langage introduction linguistique a l'histoire, p74.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

وتدور فكرته حول نسبة شيوع السلاسل الصوتية وعلاقتها بالقلب المكاني في اللغة، إذ يرى أن المرء يكتسب في سني حياته محصولاً لغوياً ضخماً يخترنه مرتباً في ذهنه ترتيباً خاصاً يعين على تذكره وتداعي بعضه بعضاً، هذا المحصول اللغوي يتألف من سلاسل صوتية أغلبها ثلاثي الأصول أو الجذور، وتختلف تلك السلاسل الصوتية في نسبة شيوعها في الكلام العربي؛ فمنها الكثير، ومنها المتوسط، ومنها نادر الشروع.

فإذا خطرت في الذهن إحدى السلاسل الصوتية قليلة الشروع فقد تستدعي سلسلة أخرى تشبهها في معظم معالمها مع تردد أعلى، وبذلك تبادر هذه الأخيرة للظهور قبل شبيهتها الأقل تردداً فينشأ القلب المكاني<sup>1</sup>، وعلى هذا الأساس قام بتفسير معظم أمثلة القلب المكاني في اللغة العربية.

وليعضد فكرته عرض إحصاءات ناتجة عن معالجة الحاسوب لكمّ من المداخل المعجمية التي تم تزويده بها مسبقاً، وقد سمي العملية "مسطرة اللغوي" كناية عن الدور الذي تلعبه في قياس نسبة تردد السلاسل الصوتية، واختار لذلك مثالا من أشهر أمثلة القلب المكاني في العربية، والذي جاء ذكره في المدونة وهو: أيس/ يئس: ورد في مادة «أ ي س» «(أيس) مِنْهُ لُغَةٌ فِي يئسَ وَبَابُهُمَا فَهَمَ وَ(أيسه) مِنْهُ غَيْرُهُ بِالْمَدِّ مِثْلُ (أياسه) وَكَذَا (أيسه) بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ (تَأْيِيسًا)»<sup>2</sup>، وفي مادة «ي أس»: «(أيسه) اللَّهُ مِنْ كَذَا (فَأَسْتَيَّاسَ) مِنْهُ بِمَعْنَى أَيْسَ»<sup>3</sup>. وقد برر إبراهيم أنيس القلب المكاني في هذا المثال بقوله: «نجد أن الجذر الثلاثي الذي يبدأ بالياء وبعدها الهمزة أقل شيوعاً من الذي يبدأ بالهمزة وبعدها الياء، فبينما يرد الأول في إحصاءاتنا مرة واحدة فقط يرد الثاني عشر مرات وكذلك نجد أن الجذر الثلاثي الذي ينتهي بالهمزة وبعدها السين أقل شيوعاً من الذي ينتهي بالياء وبعدها السين، فبينما يرد الأول في إحصاءاتنا مرتين فقط يرد الآخر ثماني مرات. وأخيراً نجد أن المادة الثلاثية التي تبدأ بالياء وتنتهي بالسين أقل شيوعاً من تلك التي تبدأ بالهمزة وتنتهي بالسين، فبينما تعد الأولى في إحصاءاتنا سبع مرات ترد الأخرى خمس عشرة مرة. وهكذا نرى أن الذي سوغ القلب المكاني في الفعل: يئس، ليصبح (أيس) هو أن نسبة شيوع السلسلة الصوتية (أيس)

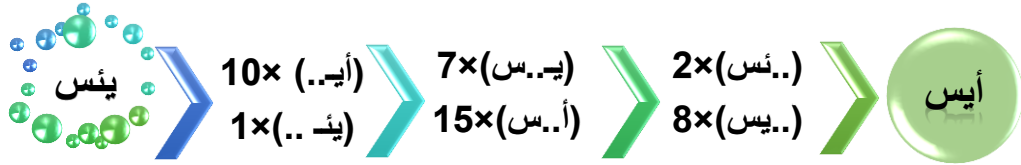
1- ينظر إبراهيم أنيس: مسطرة اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ع29، مارس1972م، ص11/10.

2- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص51.

3- المرجع نفسه: ص746.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

في الكلام العربي أكثر كثيرا من نسبة شيوع السلسلة الأخرى<sup>1</sup>، ويجسد المخطط الآتي فكرة اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية المعلّلة للقلب المكاني في المدخل "يُس". والذي يوضح اختيار الصيغ المفضلة بناء على التتابع الصوتي النابع عن المدخلات المختزنة في الذاكرة الآلية التي تعد محاكاة للذاكرة البشرية.



الشكل 12: تطور "أيس" إلى "يُس" بالقلب المكاني لاختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية

### 5.3.1.6. أوجه التصريف والدلالة الأصلية:

لقد أرجع الباحثون في علوم اللغة وقوع التطورات الصوتية على غرار القلب المكاني إلى النزوع نحو الاقتصاد في الجهد تارة وإلى الخطأ والتوهم تارة وإلى كثرة الاستعمال أخرى، وكل هاته الأسباب مجتمعة لم تكن لتسمح بحدوث القلب المكاني لو أن نظام بناء الكلمة في اللغة العربية لم يزود بروافد وجهت حدوثه وقتنته بصورة تحوّل دون اللبس الذي قد يقع بسبب تبادل الأصوات للأماكن داخل الكلمة.

أول تلك الروافد أوجه التصريف أو ما يعرف بالتقاليب، وهي من وضع العالم الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث أشار في مقدمة معجم "العين" إلى أوجه التصريف المحتملة لكل بناء بدءا بالثنائي إلى غاية الخماسي قائلا: «اعلم أنّ الكَلِمَةَ الثَّنَائِيَّةَ تَتَصَرَّفُ عَلَى وَجْهَيْنِ نَحْوَ: قَدْ، دَقْ، شَدْ، دَشْ، وَالْكََلِمَةُ الثَّلَاثِيَّةُ تَتَصَرَّفُ عَلَى سِتَّةِ أَوْجِهٍ، وَتُسَمَّى مَسْدُوسَةً»<sup>2</sup>. نظريا يتيح الجذر ثلاثي الأصول ست تقاليبات، والقلب المكاني هو استغلال امكانيات اللغة المتاحة للتنوع في نطاق معين، فقد تتقدم "العين" على "الفاء"، أو تتقدم "اللام" على "العين" وهكذا، إلى أن تُستنفد كل الاحتمالات، إلا أن القلب المكاني الفعلي لا يتم على هذا النحو؛ وذلك بسبب تدخل الرافد الثاني وهو ما يعرف بالدلالة الأصلية، والتي اشتهر بها

1- إبراهيم أنيس: مسطرة اللغوي، ص11/12.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج1، ص59.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

أحمد بن فارس في معجمه مقاييس اللغة حيث يقول: «إِنَّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِ مَقَائِيسَ صَحِيحَةً، وَأَصُولًا تَتَفَرَّعُ مِنْهَا فُرُوعٌ»<sup>1</sup>، إن وجود دلالة أصلية للجذر تفتح أمام القلب المكاني كل الاحتمالات السابقة ليتنوع بقدر أوجه التصرف شرط أمن اللبس الذي يحدث حال انشغال إحدى تلك التقلبات بمعنى آخر غير معنى اللفظ المنقلب، فكلما زاد عدد التقلبات المستعملة فعليا في معاني أخرى كلما تقلص مجال القلب المكاني.

وهذان العاملان وحدهما لا يكفيان لتنظيم المسألة، فيتدخل الرافد الثالث وهو القوانين التي تحكم تآلف الأصوات في اللغة العربية، منها كراهية تتابع الأصوات الحلقية وتتابع "الكاف" و"الضاد" وغيرها مما هو مبثوث في كتب اللغة والمعاجم، وفي هذا يقول الخليل: «أَلَا تَرَى أَنَّ الضَّادَ وَالْكَافَ إِذَا أُفْتُقَا فَبُدِيَّ بِالضَّادِ فَقِيلَ: ضَكَ، كَانَ تَأْلِيفًا لَمْ يَحْسُنْ فِي أُبْنِيَةِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ، إِلَّا مَفْصُولًا بَيْنَ حَرْفَيْهِ بِحَرْفٍ لَازِمٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ: الضَّنْكَ، وَالضَّحْكَ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ»<sup>2</sup>. وبسبب هذا العامل أهملت الكثير من الصيغ في العربية والتي كان تأليف الأصوات فيها مستهجنا شنيعا على نحو لفظ "الهُعُخُع" فلم تستعمل على الرغم من امكانية استغلالها نظريا.

وتبسيطا للفكرة، يمثل للمسألة بالجذر <ج ب ذ>، جاء في مختار الصحاح: «(جَبَذَ) الشَّيْءَ مِثْلُ جَذَبَهُ مَقْلُوبٌ مِنْهُ»<sup>3</sup>، وأورد ابن فارس في مقاييسه: «(جَذَبَ) الْجِيمُ وَالذَّالُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى بَثْرِ الشَّيْءِ. يُقَالُ جَذَبْتُ الشَّيْءَ أَجْزِبُهُ جَذْبًا. وَجَذَبْتُ الْمُهْرَ عَنْ أُمِّهِ إِذَا فَطَمْتَهُ، وَيُقَالُ نَاقَةٌ جَازِبٌ، إِذَا قَلَّ لَبْنُهَا، وَالْجَمْعُ جَوَازِبٌ. وَهُوَ قِيَاسُ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَلَّ لَبْنُهَا فَكَانَتْهَا جَذَبْتُهُ إِلَى نَفْسِهَا»<sup>4</sup>، في هذا الجذر الثلاثي تتيح أوجه التصريف استعمال ستة أبنية، هي: جَذَبَ وهي الأصل في هذه الحال، وَجَبَذَ، وَبَذَجَ، وَدَجَبَ، وَدَبَجَ. فكل التقلبات متاحة لأنه ليس أحد منها مشغول ومستعمل في معنى آخر، نظريا يمكن استعمالها جميعا للدلالة على معنى البتر، لكن ما استغل منها على الحقيقة اثنان فقط هما: جذب وجبذ، وهنا

1- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة (المقدمة)، ج01، ص3.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج01، ص56.

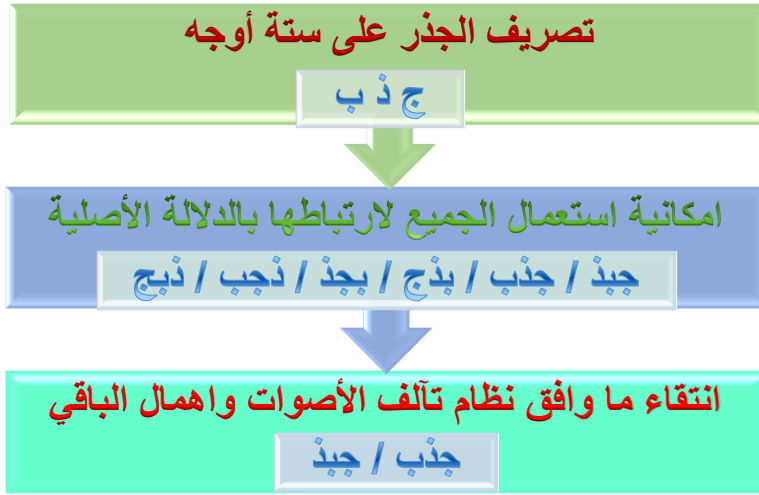
3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص52.

4- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة (باب الجيم والذال وما يتلثهما)، ج01، ص440.

## الفصل الأوّل: التّطوّر الصّوتي في مختار الصّاح

يتدخل استحباب العربي لهاتين الصيغتين دون سواهما، فانتقى منها ما خفّ وسهل عليه في النطق وهجر الباقي.

وعليه فإن أسباب وعوامل القلب المكاني السابقة لا يمكنها العمل إلا في إطار أوجه التصريف والدلالة الأصلية، ويلخص المخطط أدناه الفكرة.



الشكل 12: تطور "جذب" إلى "جبذ" بالقلب المكاني بالاعتماد على أوجه التصريف والدلالة الأصلية

والعربي وإن لم يعرف هذه القواعد والأسس فقد أدرك بحسه السليبي أن له مساحة يمكنه التصرف فيها بحرية، شريطة أن لا يتجاوز حدود الأمان، وحدود الأمان هنا هي عدم استخدام تقليبية مستعملة في معنى غير المعنى الأصلي أو اختيار بناء مستهجن مستنكر. ومما سبق يمكن إرجاع كل قلب لا يندرج ضمن الأسباب السابقة إلى أوجه التصريف والدلالة الأصلية في اللغة العربية، وهو سبب جامع يضم ما دونه من أسباب.

### 2.6. الإبدال:

يعد الإبدال من الظواهر الصوتية البارزة في اللغة العربية، وهو شكل من أشكال التطور الصوتي التي تشي بمرونة النظام اللغوي وقابليته للتكيف مع التغيرات الخارجية، ويقصد بالإبدال إحلال صوت مكان آخر في بنية الكلمة، سواء أكان ذلك على سبيل اختلاف لغات العرب، أم نتيجة لعوامل عضوية تتعلق بآلية النطق، أم استجابة لعوامل تتعلق بتكليف الدخيل من الألفاظ وغير ذلك من الأسباب التي سيتم عرضها، وقد وقف علماء العربية القدامى عند هذه الظاهرة؛ فرصدوا أنماطها وبيّنوا دواعيها وشروطها مما أتاح للدرس اللساني الحديث إعادة قراءتها في ضوء مفاهيم التطور اللغوي وقوانين التغيير الصوتي، وتسعى دراسة الإبدال في هذا المقام إلى محاولة تفسير الظاهرة ضمن نسق صوتي يكشف عن طبيعة العلاقات بين الأصوات، وعن أثر البيئة الاجتماعية في توجيه مسار التطور.

### 1.2.6 تعريف الإبدال وشروطه:

الإبدال لغة هو جعل شيء مكان آخر، قال الجوهري: «وَأَسْتَبَدَّلَ الشَّيْءَ بغيرِهِ وَتَبَدَّلَهُ بِهِ، إِذَا أَخَذَهُ مَكَانَهُ»<sup>1</sup>. أما في الاصطلاح فقد تنوعت تعريفاته بين اللغويين والصرفيين وبين متوسع فيه ومضيق له، وهو عند الصرفيين «جَعَلَ حَرْفٍ مَكَانَ غَيْرِهِ»<sup>2</sup>، دون تحديد لطبيعة الحروف، فالإبدال بهذا التعريف يشمل الإبدال من الحروف الصحاح والعلة واللين. وقد صاغ اللغويون العرب القدامى تعريفاتهم للإبدال بحسب مواقفهم منه، فهو عند أحمد بن فارس سنة من سنن العرب، إذ يقول: «وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ إِبْدَالُ الْحُرُوفِ وَإِقَامَةُ بَعْضِهَا مَقَامَ بَعْضٍ، وَيَقُولُونَ "مَدَحَهُ، وَمَدَّهَهُ" وَ"فَرَسَ رِفْلًا، وَرَفِنًا"، وَهُوَ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ قَدْ أَلْفَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ»<sup>3</sup>، ولم يحدد هو الآخر طبيعة الحروف التي يكون فيها الإبدال واكتفى بذكر أمثلة عن وقوعه في لغة العرب وتقرير شيوعه في كلامهم حتى كثر التأليف فيه.

1- إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة و صحاح العربية (فصل الباء)، ج4، ص1632.

2- عثمان بن عمر بن الحاجب: الشافية في علمي التصريف والخط، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط01، 2010م، ص93.

3- أحمد بن فارس: الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص154.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

وقد حدد غيره شروطا لوقوع الإبدال كما فعل ابن جنى، وجاء ذلك متفرقا في ثنايا كتبه، إذ ذكر شيئا من ذلك في الخصائص في "باب الفرق بين البديل والعض": «جَمَاعُ مَا فِي هَذَا أَنَّ الْبَدَلَ أَشْبَهُ بِالْمُبَدَّلِ مِنْهُ مِنَ الْعَوَضِ بِالْمَعْوَضِ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَقَعُ الْبَدَلُ فِي مَوْضِعِ الْمُبَدَّلِ مِنْهُ وَالْعَوَضُ لَا يَلْزِمُ فِيهِ ذَلِكَ [...] فَالْبَدَلُ أَعَمُّ تَصَرُّفًا مِنَ الْعَوَضِ. فَكُلُّ عَوَضٍ بَدَلٌ وَلَيْسَ كُلُّ بَدَلٍ عَوَضًا»<sup>1</sup>، وقد حدد بذلك ابن جنى مجال البديل، وبين أحد شروط وقوعه عنده، إذ يجب أن يكون بين المبدل والمبدل منه شبه كأن يكونا من نفس المخرج، أو أن يتشابهها في الصفات، كما أن اتحاد المكان عنده من شروط القول بوقوع الإبدال.

وأضاف في سر صناعة الإعراب بأن له نوعان: لازم وغير لازم: «وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْإِبْدَالَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا لِأَبْدٍ مِنْهُ، وَالْآخَرُ مِنْهُ بَدٌّ. فَأَمَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فَأَنَّ تَلْتَقِي هَمَزَتَانِ مَفْتُوحَةٌ وَالثَّانِيَةُ سَاكِنَةٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِبْدَالِ الثَّانِيَةِ»<sup>2</sup>، وذكر كثرة تصرف الأصل المبدل منه فقال: «لِإِنَّ "أَيَا" فِي النَّدَاءِ أَكْثَرُ مِنْ "هَيَا". وَقَالُوا: "هَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ كَذَا" أَي: أَمَا وَاللَّهِ»<sup>3</sup>، وبالتالي فإنه يشترط لوقوع الإبدال أن يتحد موضع المبدل والمبدل منه، وأن يكونا متقاربين بحيث يسوغ وجود علاقة بينهما، كما يجب أن يكون أحدهما أكثر تصرفا من الآخر.

والإبدال المقصود في هذا الجزء من البحث هو ما تبادلت فيه الأصوات الأماكن دون شرط العلاقة بينها، وقد أطلق عليه عبد الرحمان الحاج صالح وسم "الإبدال المعجمي"، وعرفه بأنه: «تعاقب حرفين في موضع واحد مع بقاء المعنى لتجانسهما مثل النون واللام في هتنت السماء وهتلت أو الباء والميم في أرمد وأريد أو بدون تجانس مثل الفاء والكاف في حسيفة وحسيكة أو الخاء والجيم في خلع وجلع، وفيه اللهجي وغير اللهجي خاصة إذا لم يُعزَّ إلى جهة معينة»<sup>4</sup>، وقد تبنى البحث هذا التعريف، واختيرت على إثر ذلك النماذج التطبيقية وتمَّ إحصاء كل إبدال دخل في حياضه.

1- عثمان بن جنى: الخصائص، ج01، ص266.

2- عثمان بن جنى: سر صناعة الإعراب، ج02، ص305.

3- المرجع نفسه: ج02، ص205.

4- عبد الرحمان الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، (دط)، 2012م، ص233.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

### 2.2.6. أسباب وقوع الإبدال:

تتنوع الأسباب الكامنة وراء وقوع الإبدال في اللغة العربية بين عوامل صوتية صرفة، وأخرى خارجية، وسيتناول هذا الجزء من البحث أسباب وقوع الإبدال بوصفه أحد أشكال التطور الصوتي في العربية، بالاستناد إلى النماذج التي وردت في المدونة، والتي تجسد الظاهرة وتوضح آليات حدوثها.

### 1.2.2.6. التقارب الصوتي:

يعرض الجدول أدناه شواهد القلب المكاني بسبب التقارب الصوتي في المدونة:

الصيغ	الشاهد من مختار الصحاح على وقوع الإبدال بسبب التقارب الصوتي
إِسْرَائِيلُ / إِسْرَائِينُ جَبْرِيْلُ / جَبْرِيْنُ إِسْمَاعِيْلُ / إِسْمَاعِيْنُ مِيكَائِيْلُ / مِيكَائِيْنُ إِسْرَافِيْلُ / إِسْرَافِيْنُ	س ر ا: «(إِسْرَائِيْلُ) [...] وَيُقَالُ إِسْرَائِيْنُ بِالنُّونِ كَمَا قَالُوا: جَبْرِيْنُ وَإِسْمَاعِيْنُ» <sup>1</sup> م ك ا: «(مِيكَائِيْلُ) [...] وَ (مِيكَائِيْنُ) بِالنُّونِ لُغَةً. وَ (مِيكَالُ) أَيْضًا لُغَةً» <sup>2</sup> س ر ف: «(إِسْرَافِيْلُ) [...] وَ (إِسْرَافِيْنُ) لُغَةً فِيهِ كَمَا قَالُوا: جَبْرِيْنُ وَإِسْمَاعِيْنُ وَإِسْرَائِيْنُ» <sup>3</sup>
عُنْوَانُ / عُنْوَانُ	ع ل ن: «(عُنْوَانُ) الْكِتَابِ عُنْوَانُهُ» <sup>4</sup>
حَالِكُ / حَانِكُ	ح ن ك: «(أَسْوَدُ حَانِكُ) مِثْلُ حَالِكُ» <sup>5</sup>
الصَّيْدَلَانِيُّ / الصَّنْدَلَانِيُّ	ص ن د ل: «(الصَّنْدَلَانِيُّ) لُغَةً فِي الصَّيْدَلَانِيِّ» <sup>6</sup>
مَارَهُ / مَادَهُ	م ي د: «(مَادَهُ) لُغَةً فِي مَارَهُ» <sup>1</sup>

- 1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 147.
- 2- المرجع نفسه: ص 297.
- 3- المرجع نفسه: ص 146.
- 4- المرجع نفسه: ص 217.
- 5- المرجع نفسه: ص 83.
- 6- المرجع نفسه: ص 179.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

م ي د: «(مَيْدٌ) لُغَةٌ فِي بَيْدٍ بِمَعْنَى غَيْرٍ وَفِي الْحَدِيثِ «: أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ مَيْدٌ أَنِّي مِنْ فُرَيْشٍ وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ «وَقِيلَ مَعْنَاهُ: مِنْ أَجْلِ أَنِّي» <sup>2</sup>	مَيْدٌ/بَيْدٌ
غ ي ا: «(غَيَايَةٌ) الْبُرِّ قَعْرُهَا مِثْلُ الْغِيَابَةِ» <sup>3</sup>	غَيَايَةٌ/غِيَابَةٌ
ل ز ب: «صَارَ الشَّيْءُ ضَرْبَةً لِأَزْبٍ. وَهُوَ أَفْصَحُ مِنَ اللَّازِمِ» <sup>4</sup>	لَازِبٌ/لَازِمٌ
ل ز ب: «وَيُقَالُ: صَارَ كَذَا ضَرْبَةً (لِأَزْبٍ) لُغَةٌ فِي ضَرْبَةٍ لِأَزْبٍ» <sup>5</sup>	لَازِبٌ/لَازِمٌ
و ي ب: «(وَيْبٌ) كَلِمَةٌ مِثْلُ وَيْلٍ تَقُولُ: وَيْبُكَ وَوَيْبَ زَيْدٍ مَعْنَاهُ أَلْزَمَكَ اللَّهُ وَيْلًا. وَوَيْبٌ لِرَيْدٍ» <sup>6</sup>	وَيْلٌ/وَيْبٌ
ن ق ب: «فُلَانٌ مَيْمُونٌ (النَّقِيمَةُ) وَهُوَ إِدْأَلُ النَّقِيبَةِ» <sup>7</sup>	النَّقِيبَةُ/النَّقِيمَةُ
ط ل ح: «(الطَّلْحُ) أَيْضًا لُغَةٌ فِي الطَّلَعِ» <sup>8</sup>	الطَّلَعُ/الطَّلْحُ
ب ح ث ر: «قَالَ الْفَرَّاءُ: (بَحْتَرٌ) مَتَاعُهُ وَبَعْتَرُهُ أَيَّ فَرَّقَهُ وَقَلَبَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ. وَقَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ: بَحْتَرُ الشَّيْءِ وَبَعْتَرُهُ أَيَّ اسْتَخْرَجَهُ وَكَشَفَهُ» <sup>9</sup>	بَعْتَرٌ/بَحْتَرٌ
ض ب ح: «أَبُو عُبَيْدٍ: (ضَبَحَتِ) الْخَيْلُ مِنْ بَابِ قَطَعَ مِثْلُ ضَبَعَتْ» <sup>10</sup>	ضَبَعٌ/ضَبَحٌ

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 310.

2- المرجع نفسه: ص 301.

3- المرجع نفسه: ص 232.

4- المرجع نفسه: ص 281.

5- المرجع نفسه: ص 282.

6- المرجع نفسه: ص 346.

7- المرجع نفسه: ص 318.

8- المرجع نفسه: ص 29.

9- المرجع نفسه: ص 56.

10- المرجع نفسه: ص 182.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

د غ ل: «(الدَّعْلُ) بِفَتْحَتَيْنِ الْفَسَادُ مِثْلُ الدَّخْلِ» <sup>1</sup>	الدَّخْلُ/الدَّعْلُ
د خ ل: «يُقَالُ: هَذَا الْأَمْرُ فِيهِ دَخْلٌ وَدَعْلٌ بِمَعْنَى» <sup>2</sup>	
«ن خ م: (النُّخَامَةُ) بِالضَّمِّ النُّخَاعَةُ وَقَدْ (تَنَخَّمَ) أَي تَنَخَّعَ» <sup>3</sup>	النُّخَامَةُ/النُّخَاعَةُ
«ن خ ع: (النُّخَاعَةُ) بِالضَّمِّ النُّخَامَةُ» <sup>4</sup>	
د ع ك ل: «(العِكَالُ) لُغَةٌ فِي الْعِقَالِ» <sup>5</sup>	العِكَالُ/العِقَالُ
ك ه ر: «(الْكَهْرُ) الْإِنْتِهَارُ وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ﴾. قَالَ الْكِسَائِيُّ: (كَهْرَهُ) وَقَهْرَهُ بِمَعْنَى» <sup>6</sup>	قَهْرٌ/كَهْرٌ
د غ ل ط: «وَالْعَرَبُ تَقُولُ: (غَلَطَ) فِي مَنْطِقِهِ وَغَلَتَ فِي الْحِسَابِ وَبَعْضُهُمْ يَجْعَلُهَا لُغَتَيْنِ بِمَعْنَى» <sup>7</sup>	غَلَطَ/غَلَتَ
ص ر ف: «(صَفْحُ) الشَّيْءِ نَاحِيئُهُ وَصَفْحُ الْجَبَلِ مِثْلُ سَفْحِهِ» <sup>8</sup>	سَفْحٌ/صَفْحٌ
ل س ق/ل ص ق: «(لَسِقَ) بِهِ وَ (لَصِقَ) [...] كُلُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.» <sup>9</sup>	لَسِقَ/لَصِقَ
ط ر س: «(الطَّرْسُ) بِالْكَسْرِ الصَّحِيفَةُ وَيُقَالُ: هِيَ الَّتِي مُحِيَّتْ ثُمَّ كُتِبَتْ وَكَذَا الطَّلْسُ» <sup>10</sup>	الطَّرْسُ/الطَّلْسُ
خ ر ق: «(التَّخْرُقُ) لُغَةٌ فِي التَّخْلُقِ مِنَ الْكُذْبِ» <sup>1</sup>	التَّخْلُقُ/التَّخْرُقُ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 105.

2- المرجع نفسه: ص 102.

3- المرجع نفسه: ص 307.

4- المرجع نفسه: ص 307.

5- المرجع نفسه: ص 216.

6- المرجع نفسه: ص 274.

7- المرجع نفسه: ص 490.

8- المرجع نفسه: ص 176.

9- المرجع نفسه: ص 282.

10- المرجع نفسه: ص 189.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

تَحَنَّتْ/ تَحَنَّفَ	«ح ن ث»: «(تَحَنَّتْ) تَعَبَّدَ وَاعْتَزَلَ الْأَصْنَامَ مِثْلُ تَحَنَّفَ» <sup>2</sup>
الْفُومُ/ الثُّومُ	«ف و م»: «(الْفُومُ) الثُّومُ» <sup>3</sup>
الْحَفَالَةُ/ الْحَفَالَةُ	«ح ف ل»: «(الْحَفَالَةُ) مِثْلُ الْحَفَالَةِ وَهُوَ الرَّذْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» <sup>4</sup>

قد يقع الإبدال بسبب تقارب المخارج، فتتبادل الأصوات الشفوية المواقع فيما بينها، أو الهوية أو الحلقية وهكذا، وتكون العلاقة في هذا القسم واضحة بين الصوت المبدل والمبدل منه، ويكون التطور فيه مبررا بشكل جلي، وقد وُجد فيما تمّ احصاؤه من مداخل وقع فيها الإبدال كثيرا من هذا النوع، من ذلك: (الطَّلَعُ/الطَّلُحُ)، (بَعَثَرُ/بَحَثَرُ)، (ضَبَعَتُ/ضَبَحَتُ)، (الدَّخْلُ/الدَّغْلُ)، (العِقَالُ/العِكَالُ)، (السَّفْحُ/الصفْحُ)، (الطَّرْسُ/الطُّسُ) و(تَكْهَرُ/تَقْهَرُ).  
ففي (الطَّلَعُ/الطَّلُحُ) مثلا حصل إبدال بين صوتي العين والحاء، وهما صوتان حلقيان، إلا أن العين مجهورة والحاء مهموسة، وما عدا ذلك فإنهما يشتركان في المخرج وكيفية النطق بهما، قال الخليل: «ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين»<sup>5</sup>، وهذا التشابه الكبير جعل من الإبدال بينهما شائعا في العربية، حيث إن اختلافا بسيطا في حركة الوترين الصوتيين أثناء مرور الهواء لإخراج صوت العين ينجر عنه خروج الحاء والعكس بالعكس، ولإيضاح الفكرة نورد المخطط أدناه الذي يبين أثر اختلاف الصفات في حدوث الإبدال.

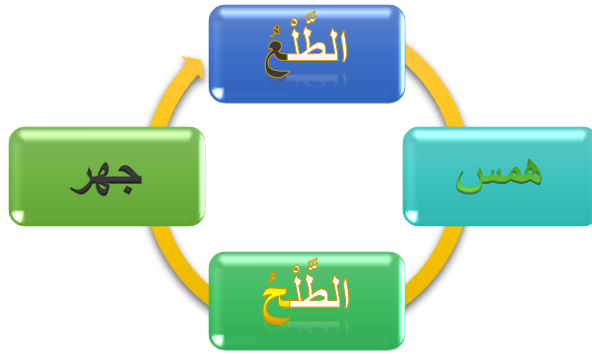
1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 90.

2- المرجع نفسه: ص 83.

3- المرجع نفسه: ص 244.

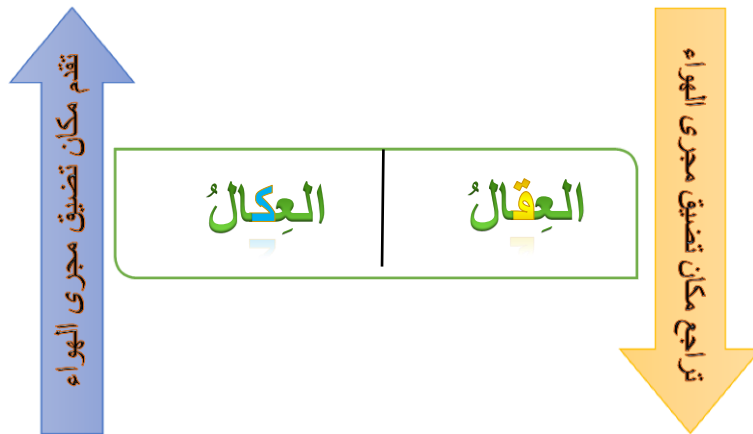
4- المرجع نفسه: ص 76.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج 01، ص 57.



الشكل 13: الإبدال في "الطَّع"/"الطَّح" للتقارب الصوتي

كما أبدلت الكاف من القاف في (العِقَال/العِكَال)، وهما صوتان متقاربان مخرجا، حيث أن «القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع»<sup>1</sup>، والإبدال هنا حدث بسبب زحزة في مكان تضيق مجرى الهواء إلى الأمام قليلا وتحولت بذلك القاف إلى كاف. وكذلك الأمر في بقية الأمثلة التي كانت فيها مناسبة واضحة بين الصوت المبدل والمبدل منه؛ فإما أن يكون التطور ناتجا عن تغير في الصفة من الجهر إلى الهمس، أو من الانفتاح إلى الاطباق وهكذا، أو بسبب مراوحة المخرج مكانة بالتقدم أو بالتأخر، ونبين أثر تغير المخرج في حدوث الإبدال في مثال (العِقَال/العِكَال) بالمخطط الآتي:



الشكل 14: الأبدال في "العِقَال"/"العِكَال" للتقارب الصوتي

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج1، ص58.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ومما لوحظ في شواهد الإبدال كثرة الإبدال بين صوتي اللام والنون كما في: (إِسْرَائِيلُ/إِسْرَائِينُ)، (جَبْرِيلُ/جَبْرِينُ)، (إِسْمَاعِيلُ/إِسْمَاعِينُ)، (مِيكَائِيلُ/مِيكَائِينُ)، (إِسْرَافِيلُ/إِسْرَافِينُ)، (عُنُونُ/عُلُونُ) و(حَالِكُ/حَانِكُ)، ويرجع ذلك للتناسب والشبه الكبير بين الصوتين، الذي عبر عنه مكي بن أبي طالب القيسي بالمؤاخاة في قوله: «وَالنُّونُ مُؤَاخِيَةُ اللَّامِ لِقُرْبِ الْمَخْرَجَيْنِ وَلِانْحِرَافِ اللَّامِ إِلَى مَخْرَجِ النُّونِ وَلِأَنَّهُمَا مَجْهُورَتَانِ رَخَوَتَانِ»<sup>1</sup>، كل تلك التوافقات بين الصوتين جعلت منهما يتبادلان الأماكن فيما بينهما، وعلى شدة التقارب بين الصوتين لا يمكن الحكم على وجه الدقة أي الصيغتين هي الأصل، إلا ما ثبت بدراسة تاريخية، كما في (إِسْرَائِيلُ/إِسْرَائِينُ)، حيث أفاد الدكتور ضاحي عبد الباقي أن "إِسْرَائِيلُ" بالنون لجهة بني تميم، وأن اللفظ الأعجمي دخل العربية من العبرية وتصرف فيه العرب، وهو في العبرية "يسرائيل" وهذا يعني أن النون عند بني تميم ليست الأصل وإنما هي مبدلة من اللام<sup>2</sup>. ويمكن الولوج من المثال السابق إلى سبب آخر من أسباب وقوع التطور بالإبدال وهو تداخل الأصوات وتكييفها عند انتقال الألفاظ من لغة إلى أخرى.

### 2.2.2.6. التداخل الصوتي:

يوثق الجدول الآتي شواهد وقوع الإبدال بسبب التداخل الصوتي في معجم مختار

الصحاح:

الصيغ	الشاهد من مختار الصحاح على وقوع الإبدال بسبب التداخل الصوتي
الرُّسْتَاقُ/الرُّسْدَاقُ	س ت ق: «الرُّسْتَاقُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَيُقَالُ: (رُسْدَاقٌ) أَيْضًا» <sup>3</sup>
النَّاسُورُ/النَّاصُورُ	ن س ر: «(النَّاسُورُ) بِالسِّينِ وَالصَّادِ عَلَّةٌ تَحْدُثُ فِي مَاقِي الْعَيْنِ» <sup>4</sup>
الطُّنْبُورُ/الطُّنْبَارُ	ط ن ب ر: «(الطُّنْبُورُ) بِالضَّمِّ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَ(الطُّنْبَارُ) بِالْكَسْرِ

1- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص193.

2- ينظر ضاحي عبد الباقي: لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1985م، ص112.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص122.

4- المرجع نفسه: ص309.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

	لُغَةً فِيهِ» <sup>1</sup>
الدَّهْمُ/ الدَّرْهَمُ	«د ر ه م»: «(الدَّرْهَمُ) فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَكَسْرُ الْهَاءِ لُغَةٌ فِيهِ» <sup>2</sup>
الدُّوَلَابُ/ الدَّوَلَابُ	«د ل ب»: «(الدُّوَلَابُ) وَاحِدُ (الدَّوَالِيْبِ) فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. قُلْتُ: الدُّوَلَابُ بِفَتْحِ الدَّالِ نَصٌّ عَلَيْهِ فِي الْمَغْرِبِ» <sup>3</sup>
المُهَنْدِرُ/ المُهَنْدِسُ	«ه ن د ز»: «(الْمُهَنْدَارُ) بَوْرِنِ الْمِفْتَاحِ مُعَرَّبٌ وَأَصْلُهُ بِالْفَارِسِيَّةِ إِنْدَارَةٌ يُقَالُ: أَعْطَاهُ بِلَا حِسَابٍ وَلَا هِنْدَارٍ. وَمِنْهُ (الْمُهَنْدِرُ) ، وَهُوَ الَّذِي يُقَدِّرُ مَجَارِيَ الْقُنْيِ وَالْأَبْنِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُمْ صَيَّرُوا الرَّايَ سِينًا فَقَالُوا: مُهَنْدِسٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ رَايٌ قَبْلَهَا دَالٌ» <sup>4</sup>

يعرف التداخل الصوتي بأنه «الكيفية التي يدرك بها المتكلم أصوات لغة ثانية، ويعيد إنتاجها وفق النظام الصوتي للغة الأساسية، ويخضعها لقوانينها»<sup>5</sup>، ومن هذا المنطلق يمكن تفسير بعض مظاهر الإبدال في اللغة العربية بوصفها ثمرة من ثمار التداخل بين العربية ولغات أخرى أحتكت بها وخاصة الفارسية، فكان العربي إذا واجه صوتاً غير مألوف في نظامه الصوتي لجأ إلى إبداله بما يقابله من أصوات لغته أو بما يقترب منه نطقاً، وقد نبه شهاب الدين الخفاجي (ت1069هـ) إلى هذا في قوله: «اعْلَمْ أَنَّهُمْ قَدْ يُغَيِّرُونَ الْكَلِمَةَ الْأَعْجَمِيَّةَ [...] فَيَبْدُلُونَ الْحُرُوفَ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ حُرُوفِهِمْ إِلَى أَقْرَبِهَا مَخْرَجًا وَرَبَّمَا أَبْعَدُوا الْإِبْدَالَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَهُوَ لِأَزْمٍ لِنَلَّا يَدْخُلَ فِي كَلَامِهِمْ مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَيَبْدُلُونَ حَرْفًا بِآخَرَ وَيُغَيِّرُونَ حَرَكَتَهُ وَيُسْكِنُونَهُ وَيُحَرِّكُونَهُ وَيَنْقُصُونَ وَيَزِيدُونَ»<sup>6</sup>، وهذا المسلك الذي ذكره شهاب الدين الخفاجي يتجلى في شواهد من المدونة؛ فقد جاء في مختار الصحاح في مادة

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص193.

2- المرجع نفسه: ص104.

3- المرجع نفسه: ص106.

4- المرجع نفسه: ص328.

5- Uriel Weinreich: Languages In Contact, Mouton & Co, London MOUTON & CO The Hague 4<sup>th</sup>ed, 1966, p14.

6- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل فيما في كالم العرب من الدخيل، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر، ط01، 1952م، ص25.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

«ص ن م»: «(الصَنَمُ) وَاحِدٌ (الأَصْنَامِ) قِيلَ: إِنَّهُ مُعَرَّبٌ شَمَنْ وَهُوَ الْوَثْنُ»<sup>1</sup>؛ حيث أبدلت الشين من كلمة "شَمَنْ" الفارسية بما يقاربها في المخرج من الأصوات العربية وهي الصاد، وهو تقارب في السماع مع ميل إلى التفخيم، ثم وقع قلب بين الميم والنون، وهكذا استقرت اللفظة بصيغة مألوفة للنظام الصوتي والصرفي العربيين.

وكذلك الحال بالنسبة لكلمة "أَرْجُونَ" في مادة «ر ج ا»: «(الأَرْجُونَ) صَبَغٌ أَحْمَرٌ شَدِيدُ الْحُمْرَةِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ النَّشَاسْتَجُ قَالَ: وَالْبَهْرَمَانُ دُونَهُ. وَقِيلَ: إِنَّ الأَرْجُونَ مُعَرَّبٌ وَهُوَ بِالفَارِسِيَّةِ أَرْغُونَ»<sup>2</sup>، حيث أبدلت الغين في الكلمة الأصلية جيما بعد تعريبها.

وعلى المنوال نفسه ترد الكلمة الفارسية "رُوسَنًا" بمعنى السواد والقرى<sup>3</sup>، التي عُرِّبَتْ بصيغتين مختلفتين هما: (الرُّسْتَاقُ) و(الرُّسْدَاقُ)، يبين ذلك ما جاء في مختار الصحاح في مادة «س ت ق»: «الرُّسْتَاقُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَيُقَالُ: (رُسْدَاقٌ) أَيْضًا»<sup>4</sup>، وهو ما يدل على أن إلحاق الأصوات الأعجمية بالعربية قد ينجر عنه أحيانًا اختلاف في التعريب تبعًا لاجتهاد الناقلين في تقريب الصوت الأعجمي إلى ما يناسبه في العربية، فتتولد عن الأصل الواحد أكثر من صيغة تحاول كل منها تعريب اللفظ الأعجمي مع الحفاظ على خصوصية اللغة العربية صوتًا وصرافًا.

كما يمكن أن يفسر اختلاف الصيغ المعرّبة بأنه وقع عبر مرحلتين؛ أولى: تم فيها نقل اللفظ ومقابلة أصواته مع ما يشبهها من أصوات العربية، وثانية: تم فيها تكييف الأصوات مع بناء الكلمة الجديد، مثال ذلك (النَّاسُورُ / النَّاصُورُ)، حيث إن تحول "النَّاسُورُ" بالسين إلى "النَّاصُورِ" بالصاد يمكن تفسيره في ضوء تأثير السين المهموس الرخو بصفات الأصوات المجاورة له؛ فقد وقع وسطا بين صوتين مجهورين هما: النون والراء، والنون صوت متوسط القوة والراء قوي للتكرير الذي فيه<sup>5</sup>، ولهذا ناسب أن يتوسطهما صوت

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص179.

2- المرجع نفسه: ص119

3- أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، (دط)، 1908م، ص71.

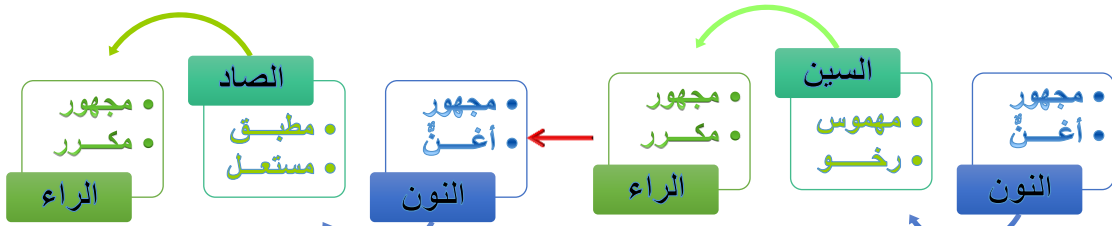
4- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص122.

5- ينظر مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص195.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

يجاريهما من حيث القوة، وهو الصاد؛ لأنه مطبق مستعل<sup>1</sup>، ولأنه أشبه الأصوات بالسين لاتحادهما في المخرج، ولأن فيه من الصفير والهمس مثل ما في السين<sup>2</sup>. ونتج عن هذا النقل صيغتان معربتان إحداهما متطورة عن الأخرى.

ولأن اللفظ أعجمي ابتداءً، فإنه لا يمكن التفضيل بين الصيغتين؛ ذلك أنه ليس لهما أصل (جذر) في العربية يُرجع إليه، ويُخص سیر التطور بإبدال السين صادًا فيما جاء في المدونة في مادة «ن س ر»: «(النَّاسُورُ) بِالسَّيْنِ وَالصَّادِ عِلَّةٌ تَحْدُثُ فِي مَأَقِي الْعَيْنِ»<sup>3</sup> بالمخطط الآتي:



الشكل 15: إبدال "السين" "صادًا" في (النَّاسُورُ / النَّاصُور)

### 3.2.2.6. التحريف والتصحيف:

يوثق الجدول الآتي شواهد الإبدال الذي يُعزى وقوعه إلى أخطاء التحريف أو

التصحيف:

المبطل والمبطل منه	الشاهد من المدونة على وقوع الإبدال
التَّسْمِيَةُ / التَّسْمِيَةُ	«س م ت»: « (التَّسْمِيَةُ) بِوَزْنِ التَّسْمِيَةِ ذَكَرُ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الشَّيْءِ. وَ (تَسْمِيَةُ) الْعَاطِسِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمَكَ اللَّهُ بِالسَّيْنِ وَالشَّيْنِ جَمِيعًا. قَالَ تَغَلَّبَ: الْإِخْتِيَارُ بِالسَّيْنِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الشَّيْنُ أَعْلَى فِي كَلَامِهِمْ وَأَكْثَرُ. » <sup>4</sup>

1- ينظر مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية ص 215.

2- ينظر المرجع نفسه، ص 215.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 309.

4- المرجع نفسه: ص 153.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ن ه س: « (نَهَسَتْهُ) الْحَيَّةُ مِثْلُ نَهَسَتْهُ وَبَابُهُ قَطَعَ » <sup>1</sup>	نَهَسَتْهُ / نَهَسَتْهُ
ن غ ق: « (نَعَقَ) الْغُرَابُ (يَنْعِقُ) بِالْكَسْرِ (نَغِيقًا) أَي صَاحَ » <sup>2</sup>	نَعَقَ / نَعَقَ
ن ع ق: « وَحَكَى ابْنُ كَيْسَانَ: (نَعَقَ) الْغُرَابُ أَيْضًا بَعِينٍ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ » <sup>3</sup>	نَعَقَ / نَعَقَ
ن ص ص: « (نَصَنَّصَ) الشَّيْءَ حَرَكَةً. وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يُنْصِنُ لِسَانَهُ وَيَقُولُ: هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هُوَ بِالصَّادِ لَا غَيْرٍ. قَالَ: وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى لَيْسَتْ فِي الْحَدِيثِ: نَضَنَّضَ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ » <sup>4</sup>	نَصَنَّصَ / نَضَنَّضَ
ن ق ي ص: « قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: (الْمُنْقَاضُ) الْمُنْقَعِرُ مِنْ أَصْلِهِ وَالْمُنْقَاضُ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ الْمُنْشَقُّ طُولًا. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ. قُلْتُ: وَبِهِمَا فُرِيءَ: «يُرِيدُ أَنْ يَنْقَاضَ» بِالضَّادِ وَالضَّادِ الْمُخَفَّفَتَيْنِ » <sup>5</sup>	الْمُنْقَاضُ / الْمُنْقَاضُ
ح ض ب: « (الْحَضَبُ) لُغَةٌ فِي الْحَصَبِ وَهِيَ قِرَاءَةٌ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا » <sup>6</sup>	الْحَضَبُ / الْحَضَبُ
ح ظ ظ: « (الْحُظُّظُ) بِضَمِّ الظَّاءِ الْأُولَى وَفَتْحِهَا لُغَةٌ فِي الْحُضُّضِ وَهُوَ دَوَاءٌ. وَالْحُضُّظُ بِالضَّادِ مَعَ الظَّاءِ لُغَةٌ فِيهِ » <sup>7</sup>	الْحُضُّضُ / الْحُظُّظُ / الْحُضُّظُ

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 320.

2- المرجع نفسه: ص 315.

3- المرجع نفسه: ص 314.

4- المرجع نفسه: ص 312.

5- المرجع نفسه: ص 263.

6- المرجع نفسه: ص 75.

7- المرجع نفسه: ص 76.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

بعض صور الإبدال تنشأ عن الخطأ في القراءة أو النقل الكتابي، فيؤدي استبدال صوت بآخر داخل الكلمة الواحدة إلى ظهور صور متعددة للفظ الواحد، بعضها استقر في الاستعمال، وبعضها انحسر مع مرور الزمن، وهو ما كان منتشرًا في وقت كان فيه النسخ عملاً يدويًا، وكان العلماء يستدرك بعضهم على بعض فيبينون أخطاء النساخ، حتى بلغ من الحسن بن عبد الله العسكري (ت382هـ) أن ألف كتابًا في ذلك سماه "شرح ما يقع فيه من التصحيف والتحريف" لم يترك فيه علما من أعلام اللغة إلا وعدَّ له زلات من تصحيف أو تحريف، وقد سجلت المعاجم الكثير من الشواهد على ذلك، وجاء في المدونة في مادة «ب ت ت»: «وَصَدَقَةٌ (بَتَّةً) بِنْتٌ أَي انْقَطَعَتْ عَنْ صَاحِبِهَا وَبَانَتْهُ. قُلْتُ: كَذَا هُوَ فِي النَّسْخِ بِنُونٍ بَعْدَهَا تَاءٌ وَلَا أَعْرِفُ لَهُ وَجْهًا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَصْحِيفِ النَّسَاحِ وَكَانَ أَصْلُهُ وَبَانَتْهُ بِنَاءَيْنِ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْبَتِّ»<sup>1</sup>، حيث يذكر محمد بن أبي بكر الرازي أن أصل "بانته" هو "باتته" من "البت"، والنون تصحيف.

وقد أُحصيت أمثلة عن الإبدال بين الحروف المتشابهة شكلا، إلا أن بعضها معجم والبعض الآخر مهمل، وليس بينها تقارب في النطق لا من حيث المخرج ولا من حيث الصفات، بحيث يُرجح أن يكون سبب الإبدال فيها هو التصحيف، كما في (نَعَقَ/ نَعَقَ) و(نَهَشَ/ نَهَسَ) و(حَصَبَ/ حَضَبَ) و(تَسْمِيتُ/ تَسْمِيتُ) وغير ذلك من الشواهد التي أوردت في الجدول أعلاه.

### 3.2.6. الإبدال في "الهمزة":

أُفرد الإبدال في الهمزة بعنصر مستقل؛ لخصوصيتها من جهة، فهي أكثر أصوات العربية تبديلا، فقد «اسْتَعْمَلَتِ الْعَرَبُ فِي الْهَمْزَةِ الْمُفْرَدَةِ مَا لَمْ تَسْتَعْمَلْهُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْحُرُوفِ، فَقَدْ اسْتَعْمَلُوا فِيهَا: التَّحْقِيقَ، وَالتَّخْفِيفَ، وَالْقَاءَ حَرَكَتِهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، وَإِبْدَالَهَا بِغَيْرِهَا مِنَ الْحُرُوفِ، وَحَذْفَهَا فِي مَوَاضِعِهَا، وَذَلِكَ كُلُّهُ لِاسْتِقْفَالِهِمْ لَهَا، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْحُرُوفِ غَيْرِهَا»<sup>2</sup>، ولتداخل الأسباب المؤدية إلى إبدالها من جهة أخرى؛ فقد كان لتباين بينات العرب واختلاف لغاتهم وتفضيلاتهم أثر واضح في التطور الصوتي للهمزة.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص28.

2- مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج01، ص72.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ولهذه الأسباب، ولانتمائها إلى زمرة الحروف الصحاح من جهة، وارتباطها من حيث المسلك الفونولوجي بحروف العلة واللين من جهة أخرى، فإنه من الأدعى من حيث المنهجية العلمية الدقيقة أن يفرد لها عنصر مستقل، ويستهل ذلك بالحديث عن إبدال الهمزة من الهاء.

### 1.3.2.6. إبدال الهمزة من الهاء:

يوثق الجدول الآتي أمثلة الإبدال بين الهمزة والهاء في المدونة:

الإبدال	الشاهد من مختار الصحاح على الإبدال بين الهمزة والهاء
أراق/ هراق	«ه ر ق»: «(هراق) الماء يُهْرِيقُهُ بِفَتْحِ الْهَاءِ (هَرَاقَةً) بِالْكَسْرِ صَبَّهُ وَأَصْلُهُ أَرَاقٌ يُرِيقُ إِرَاقَةً.» <sup>1</sup>
أيا/ هيا	«ه ي ا»: «(هيا) من حُرُوفِ النَّدَاءِ وَأَصْلُهَا أَيَا مِثْلُ أَرَاقٍ وَهَرَاقٍ» <sup>2</sup>
إياك/ هياك	«إ ي ا»: «وَيُقَالُ: هِيَاكَ مِثْلُ أَرَاقٍ وَهَرَاقٍ وَتَقُولُ إِيَّاكَ وَأَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَلَا تَقُلْ: إِيَّاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا بِلَا وَوِ» <sup>3</sup>
الأنشاش/ الهشاش	«أ ش ش»: «(الأنشاش) بِالْفَتْحِ مِثْلُ الْهَشَّاشِ» <sup>4</sup>
مؤمن/ مهيمن	«أ م ن»: «الْمُهَيِّمِينَ وَأَصْلُهُ مُؤَامِنٌ لِيُنْتِ الثَّانِيَةُ وَقُلِبَتْ يَاءٌ كَرَاهَةً اجْتِمَاعِهِمَا وَقُلِبَتْ الْأُولَى هَاءً كَمَا قَالُوا أَرَاقَ الْمَاءِ وَهَرَاقَهُ» <sup>5</sup>

يظهر الإبدال بين الهمزة والهاء في العربية بكونه ظاهرة ارتبطت بطبيعة هذين الصوتين وموقعهما من جهاز النطق، فقد وصف سيبويه الهمزة وصلتها بالهاء في قوله: «الهمزة أَقْصَى الْحُرُوفِ وَأَشَدُّهَا سُفُولًا. وَكَذَلِكَ الْهَاءُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّنَةِ الْأَحْرَفِ أَقْرَبُ إِلَى

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص326

2- المرجع نفسه: ص330.

3- المرجع نفسه: ص26.

4- المرجع نفسه: ص18.

5- المرجع نفسه: ص22.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الهمزة منها»<sup>1</sup>، وهذا التحديد يبرز القرب المخرجي بين الصوتين، وهو ما يفسر انتقال النطق من أحدهما إلى الآخر، وقد تناول العلماء قديماً مسألة إبدال الهاء من الهمزة في اللغة العربية ضمن أبواب الإبدال في مصنفاتهم، ومن بينهم ابن جني الذي يقول: «قَدْ أُبْدِلَتْ الْهَاءُ مِنَ الْهَمْزَةِ عَلَى ضَرَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَصْلٌ، وَالْآخَرُ زَائِدٌ. فَأَلْأَصْلُ نَحْوُ قَوْلِهِمْ فِي "إِيَّاكَ": "هِيَّاكَ"<sup>2</sup>، وإلى جانب هذا القرب بين الصوتين، فقد تم تناول الهمزة من حيث شدتها وعسر النطق بها، فوصفوها بأنها «حَرْفٌ شَدِيدٌ مُسْتَنْقَلٌ يَخْرُجُ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ، إِذْ كَانَ أَدْخَلَ الْحُرُوفَ فِي الْحَلْقِ، فَاسْتَنْقَلَ النَّطْقُ بِهِ، إِذْ كَانَ إِخْرَاجُهُ كَالْتَهْوِجِ، فَلِذَلِكَ مِنَ الْاسْتَنْقَالِ سَاعٌ فِيهَا التَّخْفِيفُ»<sup>3</sup>، فكانت الهاء بما تمتاز به من رخاوة وخفة، الاختيار الأنسب ليحل محل الهمزة من حيث إرادة التيسير.

وتدل الشواهد المختلفة من كلام العرب على تجسد هذا المسار في الاستعمال، كما دلت على ذلك أمثلة عديدة في المدونة، إذ يقول الرازي: «وَقَدْ تَكُونُ الْهَاءُ بَدَلًا مِنَ الْهَمْزَةِ مِثْلُ هَرَاقٍ وَأَرَاقٍ»<sup>4</sup>، ولكثرة الإبدال بين الهمزة والهاء عدت هذه الأخيرة عند فئة من علماء اللغة من حروف العلة، على النحو الذي بينه مكي بن أبي طالب القيسي: «حُرُوفُ الْعِلَّةِ: وَهِيَ أَرْبَعَةٌ: "الْهَمْزَةُ" وَ"حُرُوفُ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ" [...] وَقَدْ أَدْخَلَ قَوْمٌ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ "الْهَاءَ"، لِأَنَّهَا تَنْقَلِبُ هَمْزَةً فِي "مَاءٍ" وَ"أَيَّاهُ"، لِأَنَّ أَصْلَهَا "مَاهُ" وَ"هِيَّاهُ" وَشَبَّهَهُ»<sup>5</sup>، وإلى جانب شيوع إبدال الهاء همزة في اللغة العربية، فقد أكدت الأبحاث المقارنة أن «إبدال الهاء بالهمزة ليس مقصوراً على اللغة العربية، بل هو ظاهرة كثيرة الدوران في اللغات السامية»<sup>6</sup>، بما يدل على رسوخ الظاهرة في البنية الصوتية السامية، ويبين المخطط الآتي طبيعة الرابط بين كل من الهمزة والهاء والتي أتاحت امكانية التبادل بينهما في كثير من الكلمات العربية.

1- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج4، ص102.

2- عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، ج2، ص203.

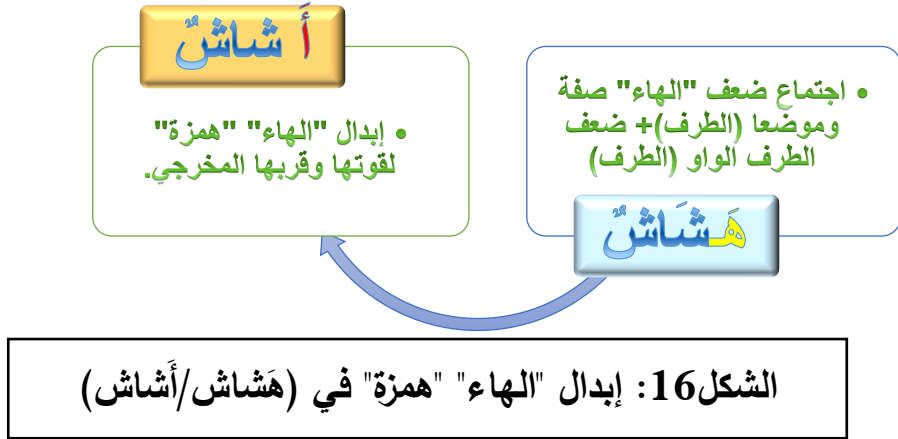
3- يعيش بن علي بن يعيش: شرح المفصل، ج5، ص265.

4- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص706.

5- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص128.

6- أمانة صالح الزعبي: التغيير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، (دط)، 2005م، ص19.

## الفصل الأول: التَطَوُّر الصَّوْتِي فِي مَخْتَار الصَّاح



تجدر الإشارة إلى أن إبدال الهمزة هاء لا يزال حاضرا في اللهجات المحكية اليوم خاصة عند الأجيال الأكبر سنا، إذ ينطقون كلمات مثل "المسؤولية" و"المسؤول" "مسهولية" و"مسهول".

ولم يقتصر إبدال الهمزة من الحروف الصّاح في الهاء، بل جاء في غيرها مثل العين، والذي وثقته المدونة في مادة <ع ر ب ن>: «(العُرْبُونُ) بِوَزْنِ العُرْجُونِ [...] الَّذِي تُسَمِّيهِ العَامَّةُ الأَرْبُونُ»<sup>1</sup>، ويُمكن تفسير ذلك صوتيًّا بالاعتماد على القرب المخرجي، فكلاهما من أصوات الحلق، والهمزة أقصى الحلق والعين تقع في وسطه تقريبا، مما يسهل الانتقال الصوتي بينهما دون تعقيد شديد للنطق، كما يشير استخدام هذه الصورة عند العامة إلى أن الإبدال كان مألوفًا في لغة الناس اليومية، وقد يكون هذا التأثير مرتبطًا بالعجمة، أي بتأثير الأصوات غير العربية أو بالأصوات المشتركة بين اللغات السامية، إذ إن صوت العين من الحروف السامية الأصلية، وبالتالي استبداله بالهمزة أو العكس قد يعكس ميلاً للتوافق مع الأصوات المألوفة أو الأسهل نطقًا في سياق الكلام العام، وبهذا يكون إبدال الهمزة بالعين نتيجة لمزيج من الاعتبارات المخرجية (القرب الصوتي) والاجتماعية (اللغة العامية) والتاريخية (التأثير السامي)، مما يجعل النطق "الأربون" مقبولًا رغم خروجه عن الشكل الفصيح الأصلي "العربون".

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص204.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

### 2.3.2.6. إبدال الهمزة من الواو:

قبل الشروع في الحديث عن إبدال الهمزة من الواو في اللغة العربية، يورد الجدول الآتي شواهد هذا النمط من التطور الصوتي:

الإبدال	الشاهد من مختار الصحاح على إبدال الهمزة من الواو
وَلِهَ / أَلِهَ	«أ ل هـ»: «(أَلِهَ) أَي تَحَيَّرَ وَبَابُهُ طَرِبَ وَأَصْلُهُ وَلِهَ يَوْلُهُ وَلَهَا» <sup>1</sup>
وَوَّلَ / أَوَّلَ	«و أ ل»: «أَصْلُهُ وَوَّلَ عَلَى وَزْنِ فَوَعَلَ فَقُلِبَتِ الْوَاوُ هَمْزَةً» <sup>2</sup>
الْوَرِثُ / الْإِزْتُ	«أ ر ث»: «(الْإِزْتُ) الْمِيرَاثُ وَأَصْلُ الْهَمْزِ فِيهِ وَآوُ» <sup>3</sup>
الوسادة / الإسادة	«أ س د»: «الإسادة لغة في الوسادة» <sup>4</sup>
وكاف / إكاف	«أ ك ف»: «إكاف الحمار ووكافه» <sup>5</sup>
التوكيد / التأكيد	«أ ك د»: «التأكيد لغة في التوكيد» <sup>6</sup>
الوصيد / الأصيد	«أ ص د»: «الأصيد لغة في الوصيد» <sup>7</sup>
أَشَرَ / وَشَرَ	«و ش ر»: «وَشَرَ الْخَشْبَةَ بِالْمِيشَارِ غَيْرُ مَهْمُوزٍ لُغَةٌ فِي أَشَرَهَا» <sup>8</sup>
وُقِتَ / أُفَّتَ	«و ق ت»: «يُقَالُ: (وَقَّتَهُ) لِيَوْمٍ كَذَا (تَوْقِيئًا) [...] وَ(أُفَّتَ) لُغَةٌ» <sup>9</sup>
وَبَالَ / أَبَالَ	«أ ب ل»: «كُلُّ مَالٍ أَدَيْتَ زَكَاتَهُ فَقَدْ ذَهَبَتْ أَبْلَتُهُ وَأَصْلُهُ وَيَلْتُهُ مِنَ الْوَبَالِ فَأَبْدَلُوا مِنَ الْوَاوِ أَلْفًا كَقَوْلِهِمْ أَحَدٌ وَأَصْلُهُ وَحَدٌّ» <sup>1</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص20.

2- المرجع نفسه: ص331.

3- المرجع نفسه: ص16.

4- المرجع نفسه: ص18.

5- المرجع نفسه: ص20.

6- المرجع نفسه: ص19.

7- المرجع نفسه: ص19.

8- المرجع نفسه: ص339.

9- المرجع نفسه: ص343.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

إنَّ إبدال الهمزة من الواو مظهر صوتي أثبتته الاستعمال العربي، وقد أشار القدماء إلى كثرة وروده، فقال ابن يعيش: «واعلم أنَّ أكثر أصحابنا يَقْفُونَ في هَمْزِ الْوَاوِ الْمَكْسُورَةِ على السَّمَاعِ دونَ القِيَّاسِ، إلاَّ أبا عَثْمَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَطْرُدُ ذَلِكَ فِيهَا إِذَا وَقَعَتْ فَاءٌ؛ لكثرة ما جاء منه»<sup>2</sup>، ويُفهم من هذا النص أنَّ الظاهرة لم تكن مقصورة على الشواذ أو النوادر، بل تكررت في كلام العرب حتى بلغت من الكثرة ما دعا بعض النحويين إلى إلحاقها بالقياس، وهذا الإقرار بالكثرة يدل على استعمال له امتداد واسع في بيئة العرب، ما حدا به أن يكون قاعدة ثابتة.

وعند النظر في التعليل الصوتي المقدم من لدن العلماء، يلاحظ أنَّ الظاهرة قد رُدَّت إلى ثقل النطق بالواو المشكولة بالضممة أو بالكسرة؛ فقد قيل: «مَنْ الْعَرَبِ مَنْ يُبَدِّلُ مِنَ الْوَاوِ الْمَكْسُورَةِ هَمْزَةً إِذَا كَانَتْ فَاءً [...] وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ شَبَّهُوا الْوَاوِ الْمَكْسُورَةَ بِالْوَاوِ الْمَضْمُومَةِ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَنْقِلُونَ الْكَسْرَةَ كَمَا يَسْتَنْقِلُونَ الضَّمَّةَ»<sup>3</sup>، ويتضح أنَّ الكسرة والضممة، على الرغم من اختلافهما، قد اجتمعتا في نظر العرب في أنَّهما تحدثان ثقلاً إذا شكلتا الواو، على خلاف الفتحة التي عُدَّت أخفَّ الحركات، والتي حدث إبدال في الواو المشكولة بها أيضاً على غرار ما رصد في المدونة من شواهد مثل: «وَبَالَ» المتحولة إلى «أبال» في مادة «أب ل»: «كُلُّ مَالٍ أَدَيْتَ زَكَاتَهُ فَقَدْ ذَهَبَتْ أَبْلَتُهُ» وَأَصْلُهُ وَبَلْتُهُ مِنَ الْوَبَالِ فَأَبْدَلُوا مِنَ الْوَاوِ أَلِفًا كَقَوْلِهِمْ أَحَدٌ وَأَصْلُهُ وَحَدٌّ»<sup>4</sup>، و«وَلِه» المنطوقة «أله» والتي جاءت في مادة «أ ل ه»: «(أله) أَي تَحَيَّرَ وَبَابُهُ طَرِبَ وَأَصْلُهُ وَلِهَ يَوْلُهُ وَلِهًا»<sup>5</sup>، فإن كان الإبدال حاصلًا في الواو المشكولة بالفتحة وهي أخف الحركات، فمن بال أولى أن تبدل الواو المضمومة والمكسورة.

ويُفسَّر هذا الميل بالاعتبارات العضوية في النطق؛ إذ إنَّ النقاء الواو وهي صوت شفويّ خلفيّ بالكسرة أو الضمة يحدث تضادًّا أو تضيقًا في مجرى الهواء يجعل النطق أثقل، استعريض عنه بالهمزة لتخفيف ذلك، وقد أشار سيبويه إلى هذا الاستئصال بوضوح حين

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص11.

2- يعيش بن علي بن يعيش: شرح المفصل، ج05، ص357.

3- المرجع نفسه: ج05، ص357/358.

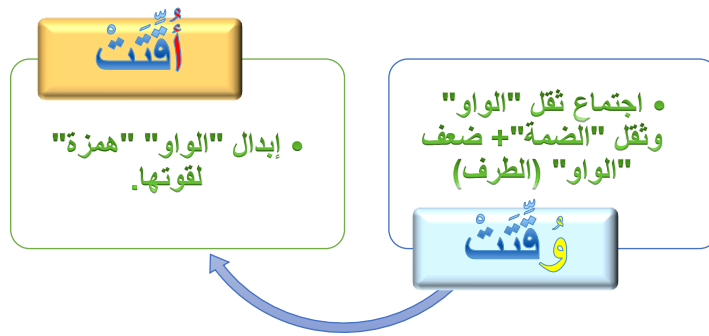
4- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص11.

5- المرجع نفسه: ص20.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

قال: «وَأَمَّا كَرَهُوا الْوَاوَ حَيْثُ صَارَتْ فِيهَا ضَمَّةٌ كَمَا يَكْرَهُونَ الْوَاوَيْنِ»<sup>1</sup>، وهو تعبير يشي بأن مسبب النقل ليس في الواو وحدها، وإنما في اجتماعها بما يضاعف من ثقلها الصوتي، فكان الإبدال محكوما بقاعدة عامة هي تجنّب الثقل الصوتي في البنية الصرفية.

أما العامل المساعد والذي جعل الواو قابلة للإبدال فهو ضعفها الصوتي؛ إذ نص سيبويه على أنّ «الْوَاوُ ضَعِيفَةٌ تُحَذَفُ وَتُبَدَّلُ، فَأَرَادُوا أَنْ يَضَعُوا مَكَانَهَا حَرْفًا أَجَلَدَ مِنْهَا»<sup>2</sup>، وفي هذا ما يفسر اختيار الهمزة تحديداً دون غيرها؛ لأنها صوت حلقي شديد قادر على شغل الموضع الذي تضعف فيه الواو، ويبدو على إثر ذلك أن الإبدال عملية منظمة تراعي خصائص الأصوات من حيث القوة والضعف، والثقل والخفة، والانسجام مع السياق الصوتي الذي ترد فيه، فإبدال الهمزة من الواو يُظهر وعياً عربياً دقيقاً بعلم النطق ومخارجه، ويكشف عن قانون صوتي مطّرد في مواضع مخصوصة، تؤكده النصوص وتؤكدده الشواهد التي أُورد قسط منها في مختار الصحاح ليتجلى حضور هذه الظاهرة في المعجم العربي، ويلخص المخطط الآتي عملية التطور الصوتي بإبدال الواو همزة بفعل ثقل الواو المضمومة، مع ضعفها.



الشكل 17: إبدال "الواو" "همزة" في (وقَّتت/أقَّتت)

### 3.3.2.6. إبدال الهمزة حروف لين:

قبل الشروع في الحديث عن هذا الشق من إبدال الهمزة، وجب تحديد المقصود بحروف اللين، وذلك بالاستناد إلى التسمية التراثية المستقاة من كتب اللغة والقراءات،

1- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج4، ص331.

2- المرجع نفسه، ج4، ص331.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

فالمقصود بحروف اللين الألف والواو والياء، التي وصفها محمد بن الجزري (ت833هـ) كما يلي: «الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وهذه الحروف تسمى حروف المد واللين، وتسمى الهوائية والجوفية. قال الخليل: وإنما نُسبنا إلى الجوف؛ لأنه آخر انقطاع مخرجهن. قال مكّي: وزاد غير الخليل معهن الهمزة؛ لأن مخرجها من الصدر، وهو متصل بالجوف»<sup>1</sup>، والتي تتبادل الأماكن مع الهمزة في كثير من كلمات اللغة العربية، وقد سعي إلى حصر ما ورد من هذا القسم من أقسام التطور الصوتي في معجم مختار الصحاح في الجدول الآتي:

الإبدال	الشاهد من المدونة
البريئة / البرية	ب ر ا: «(البري) التراب و (البرية) الخلق، وأصله الهمزة» <sup>2</sup>
الخابئة / الخابية	خ ب ا: «(الخابية) الحب وأصلها الهمز لأنها من خبات إلا أنهم تركوا همزها» <sup>3</sup>
أجبا / أجي	ج ب أ: «(أجبا) الزرع باعه قبل أن يبذو صلاحه. وجاء في الحديث بلا همز: «من (أجبي) فقد أزي» وأصله الهمز» <sup>4</sup>
أنباء / أنباه	ن ب ا: «(أنباء) دفعه عن نفسه وفي المثل: الصدق يئبي عنك لا الوعيد. معناه أن الصدق يدفع عنك الغائلة في الحروب دون التهديد. قال أبو عبيد: هو غير مهموز. وقيل: أصله الهمز من الإنباء» <sup>5</sup>
الدائم / الدام	ذأم: «(الدائم) العيب يهمز ولا يهمز، يقال: (دأمه) من باب قطع إذا عابه وحقره فهو مدءوم» <sup>6</sup>

- 1- محمد بن محمد بن الجزري: النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج01، ص199.
- 2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص34.
- 3- المرجع نفسه: ص88.
- 4- المرجع نفسه: ص52.
- 5- المرجع نفسه: ص304.
- 6- المرجع نفسه: ص111.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ن و أ: «و (ناوَاهُ) عَادَاهُ وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ وَقَدْ ذُكِرَ فِي الْمَهْمُوزِ» <sup>1</sup>	نَاوَاهُ / نَاوَاهُ
ر ف أ: «رَفَوْتُ (رَفَوْتُ) الثَّوْبَ مِنْ بَابِ عَدَا يُهْمَزُ وَلَا يُهْمَزُ» <sup>2</sup>	رَفَاً / رَفَا
ر ف أ: «رَفَاً (رَفَاً) الثَّوْبَ أَصْلَحَهُ وَبَابُهُ قَطَعَ وَرَبَّمَا لَمْ يُهْمَزُ» <sup>3</sup>	
ن س أ: «الْمِنْسَاءُ (الْمِنْسَاءُ) الْعَصَا وَأَصْلُهَا الْهَمْزُ.» <sup>4</sup>	الْمِنْسَاءُ / الْمِنْسَاءُ
د ر ي: «و (أَذْرَاهُ) أَعْلَمَهُ وَقُرِيَ: ﴿وَلَا أَدْرَأُكُمْ بِهِ﴾ وَالْوَجْهُ فِيهِ تَرَكَ الْهَمْزَ. وَ (مُدَارَاهُ) النَّاسِ يُهْمَزُ وَيَلِينُ وَهِيَ الْمُدَاجَاةُ وَالْمَلَايِنَةُ» <sup>5</sup>	أَدْرَى / أَدْرَأُ مُدَارَاهُ / مُدَارَاهُ
ر ج أ: «(أَرْجَاهُ) أَحْرَهُ. [...] وَمِنْهُ (الْمُرْجِيَّةُ) كَالْمُرْجِعَةِ، وَيُقَالُ أَيْضًا: (الْمُرْجِيَّةُ) بِالتَّشْدِيدِ لِأَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: (أَرْجَيْتُ) وَأَخْطَيْتُ وَتَوَضَّيْتُ فَلَا يَهْمَزُ» <sup>6</sup>	الْمُرْجِيَّةُ / الْمُرْجِيَّةُ أَرْجَأْتُ / أَرْجَيْتُ
م أ ن: «الْمُؤُونَةُ تُهْمَزُ وَلَا تُهْمَزُ. وَ (مَأْنَتُ) الْقَوْمِ مِنْ بَابِ قَطَعَ اِحْتَمَلْتُ مَوْتَهُمْ. وَمَنْ تَرَكَ الْهَمْزَةَ قَالَ: (مُنْتَهُمُ) مِنْ بَابِ قَالَ» <sup>7</sup>	الْمُؤُونَةُ / الْمُؤُونَةُ
أ ج ج: «(يَأْجُوجُ) وَ (مَأْجُوجُ) يُهْمَزُ وَيَلِينُ» <sup>8</sup>	يَأْجُوجُ / يَأْجُوجُ مَأْجُوجُ / مَأْجُوجُ
س أ ل: «(السُّؤُلُ) مَا يَسْأَلُهُ الْإِنْسَانُ وَقُرِيَ: ﴿أَوْتَيْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 36] بِالْهَمْزِ وَبِغَيْرِهِ» <sup>9</sup>	السُّؤُلُ / السُّؤُلُ
ل ب أ: «(اللَّبَّؤَةُ) أَنْتَى الْأَسَدِ، وَ (اللَّبَّؤَةُ) كَالنَّبْؤَةِ لَعْنَةٌ فِيهَا» <sup>10</sup>	اللَّبَّؤَةُ / اللَّبَّؤَةُ

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص 332.

2- المرجع نفسه: ص 126.

3- المرجع نفسه: ص 125.

4- المرجع نفسه: ص 310.

5- المرجع نفسه: ص 104.

6- المرجع نفسه: ص 118.

7- المرجع نفسه: ص 289.

8- المرجع نفسه: ص 13.

9- المرجع نفسه: ص 140.

10- المرجع نفسه: ص 278.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ذ أ ب: «(الذَّئْبُ) يُهْمَزُ وَيُؤَنَّ وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ» <sup>1</sup>	الذَّئْبُ / الذَّيْبُ
ب د ا: «وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ (بَدِينًا) بِمَعْنَى بَدَانًا» <sup>2</sup>	بَدَانًا / بَدِينًا
« رَأَى: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُمُ أَحْسَنُ آثَانًا وَرَيْنِيًا﴾ [مريم:74] مَنْ هَمْزُهُ جَعَلَهُ مِنَ الْمُنْظَرِ مَنْ رَأَيْتُ وَهُوَ مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ مِنْ حَالَةٍ حَسَنَةٍ وَكُسُوةٍ ظَاهِرَةٍ. وَمَنْ لَمْ يَهْمَزْهُ: فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى تَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ أَوْ يَكُونَ مِنْ رَوِيَّتِ أَلْوَانِهِمْ وَجُلُودِهِمْ رِيًّا أَيْ امْتَلَأَتْ وَحَسُنَتْ» <sup>3</sup>	رَيْنِي / رِي

ربط العلماء قديما من لدن الخليل بن أحمد بين الهمزة وحروف العلة واللين، حيث نسبوها جميعا إلى الجوف، إذ جاء في مقدمة العين: «وَأَمَّا الْهَمْزَةُ فَمَخْرَجُهَا مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ مَهْتُوتَةٌ مَضْغُوتَةٌ فَإِذَا رُقِيَ عَنْهَا لَانَتْ فَصَارَتْ الْيَاءُ وَالْوَاوُ وَالْأَلْفُ عَنْ غَيْرِ طَرِيقَةٍ الْحُرُوفِ الصَّحَاحِ»<sup>4</sup>، وكان هذا الوصف الذي قدمه الخليل للهمزة وكيفية تحولها إلى ألف أو أو ياء أو واو المستند لتعليل سبب تبادل تلك الأصوات الأماكن في العديد من الألفاظ العربية، حتى أن علماء القراءات قد خصصوا أبوابا لأحكام الهمزة لكثرة ما يعثرها من تبدل في الاستعمال؛ «فَقَدْ اسْتَعْمَلُوا فِيهَا: التَّحْقِيقَ، وَالتَّخْفِيفَ، وَالْقَاءَ حَرَكَتِهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، وَإِبْدَالَهَا بِغَيْرِهَا مِنَ الْحُرُوفِ»<sup>5</sup>. فأما التحقيق فهو الأصل ولا حاجة لتبريره، وقد اشتهرت قبائل بتحقيق الهمزة مثل تميم وقيس<sup>6</sup>، ونسب محمد بن أبي بكر الرازي إليهم الهمز بألفاظ لم يهمزها غيرهم من العرب، في مثل ما ورد في مادة «ج ز ي»: «وَيُقَالُ: (جَزَتْ) عَنْهُ شَاةٌ [...] وَيَبُؤُ تَمِيمٌ يَقُولُونَ: (أَجَزَّاتُ) عَنْهُ شَاةٌ بِالْهَمْزِ»<sup>7</sup>، وأما إلقاء حركتها على ما قبلها فهو مسلك سلكه القراء ومنهم ورش عثمان بن سعيد (ت197هـ) لتخفيف نقل الهمزة في القراءة، ويبين مكي بن أبي طالب القيسي ذلك بقوله: «فَلَمَّا كَثُرَتْ الْهَمْزَةُ فِي الْكَلَامِ، وَأُمِّكِنَ أَنْ تُقْلَى

1- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص111.

2- المرجع نفسه: ص31.

3- المرجع نفسه: ص115.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج01، ص52.

5- مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج01، ص72.

6- ينظر: يعيش بن علي بن يعيش: شرح المفصل، ج05، ص265.

7- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص58.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

حَرَكَتْهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، فَتَقُومُ حَرَكَتُهَا مَقَامَهَا، وَتَذْهَبُ صُعُوبَةً لَفْظِهَا، آثَرَ ذَلِكَ وَرَشًا، مَعَ رِوَايَتِهِ ذَلِكَ عَنِ أُمَّتِهِ. فَهُوَ إِذَا أَلْفَى حَرَكََةَ الْهَمْزَةِ عَلَى مَا قَبْلَهَا لَمْ يُخِلَّ بِالْكَلامِ، وَخَفَّفَ النِّقْلَ الَّذِي فِي الْهَمْزَةِ»<sup>1</sup>، وأما إبدالها بغيرها من حروف اللين فهو موضوع هذا الجزء من البحث، وفيما يلي بيان ذلك:

### 1.3.3.2.6. الإبدال في الهمزة الساكنة:

تعرف الهمزة بثقلها في النطق لشدتها وتمكنها من المخرج، ويزداد ثقلها إذا وقعت ساكنة؛ إذ يجتمع فيها آنذاك انحباس النفس مع انعدام الحركة، فيصير النطق بها أشد عسرا، وقد جنح العربي إلى إزالة الثقل بالتخفيف، كما جاء في كتب اللغة والقراءات القرآنية، يقول سيبويه: «فَإِنَّمَا تَبْدَلُ مَكَانَ كُلِّ هَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ الْحَرْفُ الَّذِي مِنْهُ الْحَرَكَةُ الَّتِي قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْهُ وَلَا أَوْلَى بِهِ مِنْهَا»<sup>2</sup>، قرر سيبويه قاعدة الإبدال في الهمزة الساكنة، فإذا كان ما قبلها مفتوحا قلبت ألفا، مثال ذلك: (يَأْجُوجُ/ يَأْجُوجُ) و(مَأْجُوجُ/ مَأْجُوجُ) اللذين وردا في المدونة في مادة «أج ج»: «و(يَأْجُوجُ) و(مَأْجُوجُ) يُهْمَزُ وَيُلَيَّنُ»<sup>3</sup>، أما إذا سبقت بمضموم فإنها تقلب واوا؛ كما في (السُّؤْلُ/ السُّؤْلُ)، من مادة «س أل»: «(السُّؤْلُ) مَا يَسْأَلُهُ الْإِنْسَانُ وَفُرِيءٌ: ﴿أَوْتَيْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:32] بِالْهَمْزِ وَبِغَيْرِهِ»<sup>4</sup>، وفي حال سبقت بكسر فإن الهمزة تقلب ياء عند التخفيف ك(ذَنْبُ/ وَذَيْبُ) من مادة «ذأب»: «(الذُّنْبُ) يُهْمَزُ وَيُلَيَّنُ وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ»<sup>5</sup>، ذلك أن الحركات هي أبعاض حروف المد، ويبين المخطط الآتي مسار التخفيف بإبدال الهمزة الساكنة ياء أو واوا أو ألفا بحسب السياق الصوتي:

1- مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ج1، ص89.

2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج3، ص544.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص13.

4- المرجع نفسه: ص140.

5- المرجع نفسه: ص111.



### 2.3.3.2.6. إبدال الهمزة المتحركة:

جاء التخفيف في حال الهمزة المتحركة على ضربين؛ ضرب تخفف فيه بالإبدال، وضرب تنطق فيه "بين بين"، يقول سيبويه: «وَإِذَا كَانَتِ الْهَمْزَةُ مُنْكَسِرَةً وَقَبْلَهَا فَتْحَةٌ صَارَتْ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ السَّاكِنَةِ كَمَا كَانَتِ الْمَفْتُوحَةُ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْأَلِفِ السَّاكِنَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَنَمُّ الصَّوْتِ هَهُنَا وَتُضَعِّفُهُ لِأَنَّكَ تُقَرِّبُهَا مِنَ السَّاكِنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلِ الْحَرْفُ وَهَنْ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: يَيْسَ وَسَيْمٌ، وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَذَلِكَ أَشْبَاهُ هَذَا. وَإِذَا كَانَتِ الْهَمْزَةُ مُضْمُومَةً وَقَبْلَهَا فَتْحَةٌ صَارَتْ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْوَاوِ السَّاكِنَةِ. وَالْمُضْمُومَةُ قِصَّتُهَا وَقِصَّةُ الْوَاوِ الْقِصَّةُ الْمُنْكَسِرَةِ وَالْيَاءِ، فَكُلُّ هَمْزَةٍ تُقَرِّبُ مِنَ الْحَرْفِ الَّذِي حَرَكْتُهَا مِنْهُ، فَإِنَّمَا جُعِلَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ بَيْنَ بَيْنٍ وَلَمْ تُجْعَلْ أَلْفَاتٍ وَلَا يَاءَاتٍ وَلَا وَاوَاتٍ؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا الْهَمْزُ، فَكَرِهُوا أَنْ يُخَفَّفُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَتَحَوَّلَ عَنْ بَابِهَا، فَجَعَلُوهَا بَيْنَ بَيْنٍ لِيَعْلَمُوا أَنَّ أَصْلَهَا عِنْدَهُمُ الْهَمْزُ»<sup>1</sup>، وهمزة "بين بين" هي همزة لا هي بالصرحة المحققة ولا هي بالمنقلبة، وإنما يكون نطقها بين التحقيق وبين التخفيف، وليس لها رمز كتابي، وهي حالات تبرز أكثر ما تبرز في درج الكلام الذي يحتاج سرعة وخفة تُحوَّلُ فيه الهمزة الصريحة إلى همزة بين بين بحسب حركتها وحركة ما قبلها كما بسط ذلك سيبويه سابقا.

أما التخفيف بالإبدال في الهمزة المتحركة فيكون في المفتوحة منها، وتفصيله كالآتي:

1- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج3، ص 542.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

- الهمزة مفتوحة مسبوقة بفتح: جاء في الكتاب: «اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة»<sup>1</sup>، مثال ذلك من المدونة (أنبأه/أنباه) في ن ب ا: «(أنبأه) دفعه عن نفسه وفي المثل: الصدق يُبني عنك لا الوعيد. معناه أن الصدق يدفع عنك العائلة في الحروب دون التهديد. قال أبو عبيد: هو غير مهموز. وقيل: أصله الهمز من الإنباء»<sup>2</sup>، وكذا (ناواه/ناواه) في ن و ي: «(ناواه) عاداه وأصله الهمز»<sup>3</sup>، وكذلك (المنساء/المنساء) في ن س ا: «(المنساء) العصا وأصلها الهمز»<sup>4</sup>، وغيرها من الشواهد على قلب الهمزة المفتوحة "ألفا" إذا سبقت بفتح، والتي تظهر آلية التخفيف كما وصفها سيبويه، إذ لم يتحقق الهمز على الوجه الكامل بل مال الصوت إلى الألف طلبا للانسياب النطقي وتجنباً لثقل التحقيق.

- الهمزة مفتوحة مسبوقة بكسر: وفي حال كانت الهمزة مفتوحة مسبوقة بكسر، «فإنك تُبدل مكانها ياء التخفيف، وذلك قولك في المتر: مير»<sup>5</sup>، وقد صدقت الشواهد المعجمية هذا الذي قرره سيبويه - والمستقى أصلاً من كلام العرب - كما ورد في مختار الصحاح في مادة «ب ر ا»: «(البري) التراب و(البرية) الخلق، وأصله الهمزة»<sup>6</sup>؛ إذ نقلت "البرية" إلى "البرية" وهو تحول يفسره اقتران الهمزة المفتوحة بالكسرة السابقة لها، وعلى نفس المنوال نفس تحول "الخابئة" إلى "الخابية" من مادة «خ ب ا»: «(الخابية) الحب وأصلها الهمز لأنها من خبات إلا أنهم تركوا همزها»<sup>7</sup>، وكذلك (المرجئة/المرجية) التي جاءت في مادة «ر ج أ»: «(أرجاه) آخره. [...] ومنه (المرجئة) كالمرجعة، ويقال أيضاً: (المرجية) بالتشديد لأن بعض العرب يقول: (أرجيت) وأخطيت وتوضيت فلا يهمز»<sup>8</sup>.

1- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج 03، ص 542/541.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 304.

3- المرجع نفسه: ص 322.

4- المرجع نفسه: ص 310.

5- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج 03، ص 543.

6- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 34.

7- المرجع نفسه: ص 88.

8- المرجع نفسه: ص 118.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

- الهمزة مفتوحة سبقت بضم: وفي حال كانت الهمزة مفتوحة وسبقت بضم فإنها تقلب واوا؛ على ما قرره سيبويه: «وَأَنَّ كَانَتْ الهمزةُ مَفْتُوحَةً وَقَبْلَهَا ضَمَّةٌ وَأَزْدَتْ أَنْ تُخَفَّفَهَا أَبدَلَتْ مَكَانَهَا وَاوًا كَمَا أَبدَلَتْ مَكَانَهَا يَاءٌ حَيْثُ كَانَ مَا قَبْلَهَا مَكْسُورًا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: فِي التُّودَةِ تُوْدَةٌ، وَفِي الجُوْنِ جُوْنٌ»<sup>1</sup>، ومصداق هذا من المدونة: (الزَّوَانُ/ الزَّوَانُ) من مادة «زون»: «(الزَّوَانُ) بِالْكَسْرِ حَبٌّ يُخَالِطُ البُرَّ وَ(الزَّوَانُ) بِالضَّمِّ مِثْلُهُ وَقَدْ يُهْمَزُ المَضْمُومُ»<sup>2</sup>، وفي «زأن»: «(الزَّوَانُ) بِالضَّمِّ الَّذِي يُخَالِطُ البُرَّ»<sup>3</sup>، وكذلك: (الجُوْنَةُ/الجُوْنَةُ) من مادة «ج و ن»: «(والجُوْنَةُ) بالضم جُوْنَةُ العطار وربما هُمَزَ»<sup>4</sup>، والملفت في هذين المثالين اللذين ذكر سيبويه أحدهما وهو "الجون" أن أبا بكر الرازي قد سبق المخفف على المهموز في الذكر، كما أنه لم يشر إلى الأصل على خلاف ما كان منه في أمثلة الهمزة المفتوحة والمكسورة، ما يوحي بأن التحقيق نادر في هذه الحال، وأن غالبية العرب قد خففت الهمزة؛ لاجتماع ثقل الضمة والهمزة.

ويمكن من خلال تحليل النماذج السابقة استنباط أن الأصل فيها جميعا الهمز كما بين ذلك الرازي في غالبية الشواهد، وأن من العرب من نطق بالهمزة على أصلها، فيما أثر آخرون التخفيف، وهذا يدل على أن في الأمر سعة، ولذلك لم يُخَطَأَ أي من الفريقين، وأن التخفيف في هذه الأمثلة وفي غيرها ما هو إلا اختيار يخضع لعوامل صوتية وذوقية أيضا، ويلخص المخطط أدناه الإبدال في الهمزة المتحركة بالفتح فيما سبق.

1- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج3، ص543.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص139.

3- المرجع نفسه: ص134.

4- المرجع نفسه: ص64.



الشكل 19: إبدال الهمزة المفتوحة المسبوقة بفتح أو ضمّ أو كسر

#### 4.3.2.6. إبدال الهمزة من حروف المد واللين:

بعد تناول حالات قلب الهمزة إلى حروف مد ولين، وإيراد شواهد من المدونة على ذلك، والتي ترجع في مجملها إلى ثقل الهمزة، لوحظ أن التطور في بعض الألفاظ نحى منحاً عكسياً، إذ أبدلت كل من الياء والألف والواو -حروف المد واللين- في بعض الحالات همزات، فإذا كان مبرر الإبدال في الحالة الأولى هو التخفيف الراجع لصعوبة نطق الهمزة وبعدها مخرجها، فما هو المبرر هنا؟

وقبل الشروع في الإجابة عن هذا السؤال، يوثق الجدول الآتي قائمة شواهد إبدال الهمزة من حروف المد واللين في مختار الصحاح.

الإبدال	الشاهد من المدونة
لَبَّى / لَبَّأً حَلَّى / حَلَّأً رَثَى / رَثَّأً	«ل ب أ»: «(لَبَّأً) بِالْحَجِّ (تَلْبِيَّةً) وَأَصْلُهُ غَيْرُ مَهْمُوزٍ. قَالَ الْفَرَّاءُ: رُبَّمَا حَرَجَتْ بِهِمْ فَصَاحَتْهُمْ إِلَى هَمْزٍ مَا لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ قَالُوا: لَبَّأً بِالْحَجِّ وَحَلَّأً السَّوِيْقَ وَرَثَّأً الْمَيْتَ» <sup>1</sup>
رَوَّى / رَوَّأً	«ر و ي»: «(رَوَّى) فِي الْأَمْرِ (تَرْوِيَّةً) نَظَرَ فِيهِ وَفَكَرَّ يُهْمَرُ وَلَا يُهْمَزُ» <sup>2</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 278.

2- المرجع نفسه: ص 132.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

س ل م: «(اسْتَلَمَ) الْحَجَرَ لَمَسَهُ إِمَّا بِالْقُبْلَةِ أَوْ بِالْيَدِ وَلَا يُهْمَزُ وَبَعْضُهُمْ يَهْمِزُهُ» <sup>1</sup>	اسْتَلَمَ / اسْتَلَمَ
ص ل ا: «(الصَّلَاةُ) بِالتَّخْفِيفِ الْفِهُزُ وَكَذَا (الصَّلَاةُ) بِالْهَمْزِ» <sup>2</sup>	الصَّلَاةُ / الصَّلَاةُ
ض ه أ: «(المُضَاهَاةُ) الْمُشَاكَلَةُ تُهْمَزُ وَتَلَيَّنُ وَقُرِئَ بِهِمَا» <sup>3</sup>	المُضَاهَاةُ / المُضَاهَاةُ

لقد أرجع الدكتور رمضان عبد التواب ذلك إلى القياس الخاطيء، وقد أطلق على هذه الظاهرة اسم "الحدلقة" أو "المبالغة في التفصح"، «وهو اصطلاح اتخذ لدى علماء اللغة، للصيغ التي تنتج بسبب الحرص الشديد على محاكاة اللغة الأدبية ممن لا يجيدها»<sup>4</sup>؛ أي أنه عندما شاع إبدال الهمزة واوا وياء وألفا، أرجعت كل من تلك الأصوات إلى أصلها المفترض، فقيس غير المهموز أصلا على المخفف، ونتج عن ذلك همز ما ليس حقه الهمز، وتعليل الدكتور رمضان عبد التواب السابق مستوحى من كلام الفراء: «وَرُبَّمَا غَلَطَتِ الْعَرَبُ فِي الْحَرْفِ إِذَا ضَارَعَهُ آخَرٌ مِنَ الْهَمْزِ فَيَهْمُزُونَ غَيْرَ الْمَهْمُوزِ، سَمِعْتُ امْرَأَةً مِنْ طَيْبِ تَقُولُ: رَثَّاتٌ رَوْجِي بِأَبْيَاتٍ، وَيَقُولُونَ لَبَّاتٌ بِالْحَجِّ وَحَلَّاتٌ السَّوِيقَ فَيَغْلِطُونَ، لِأَنَّ حَلَّاتٌ قَدْ يُقَالُ فِي دَفْعِ الْعِطَاشِ مِنَ الْإِبِلِ، وَلَبَّاتٌ ذَهَبَ إِلَى اللَّبِّ الَّذِي يُؤْكَلُ، وَرَثَّاتٌ رَوْجِي ذَهَبَتْ إِلَى رَثِيئَةِ اللَّبَنِ، وَذَلِكَ إِذَا حَلَبَتِ الْحَلِيبَ عَلَى الرَّائِبِ»<sup>5</sup>، والذي ذكر في المدونة أيضا في مادة «ل ب أ»: «(لَبَّأ) بِالْحَجِّ (تَلْبِيئَةً) وَأَصْلُهُ غَيْرُ مَهْمُوزٍ. قَالَ الْفَرَّاءُ: رُبَّمَا خَرَجَتْ بِهِمْ فَصَاحَتْهُمْ إِلَى هَمْزٍ مَا لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ قَالُوا: لَبَّأُ بِالْحَجِّ وَحَلَّأُ السَّوِيقَ وَرَثَّأُ الْمَيْتَ»<sup>6</sup>، وهو ضرب من مجازة الفصحاء الذين ينطقون بالكلمات على أصولها، وكان الهمز عندهم مرتبط بالفصاحة، وربما

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص153.

2- المرجع نفسه: ص178.

3- المرجع نفسه: ص186.

4- رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعقله وقوانينه، ص115.

5- يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، ج01، ص459.

6- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص278.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

يكون لهذا وجه من الصحة، بحيث اشتهرت القبائل البدوية -معدل الفصاحة- مثل تميم بتحقيق الهمز، فيما اشتهر أهل الحجاز وهم أهل حضر بالتسهيل.

غير أن من الباحثين من أرجع هذه الظاهرة إلى أسباب صوتية صرفة، حيث إن ربط العلماء بين الهمزة وبين حروف اللين وضمها جميعا في زمرة الحروف المعتلة، كان نابعا عن تماثل في المسلك الفونولوجي؛ مما جعلهم «يعدونها تنوعات أوفونية *allophonic* لصوت واحد فونيم *phonem* يقتضيها السياق الأدائي، ويطلقون عليها حروف العلة واللين، وينظرون إليها على أنها مجموعة صوتية واحدة»<sup>1</sup>، وقد بين الدكتور يحيى علي مباركي أن وجه الشبه بين الهمزة وباقي حروف المد واللين لا يكمن في الناحية النطقية النظامية، حيث إن للهمزة مخرجا ثابتا بخلاف حروف المد واللين، وأن سبب حشر العلماء إياها مع زمرة الحروف المعتلة عائد إلى مسلكها الوظيفي المشابه، حيث عدد مكي بن أبي طالب القيسي حروف العلة قائلا: «هِيَ أَرْبَعَةٌ: "الهمزة" وَ"حُرُوفُ الْمَدِّ وَاللِّينِ الثَّلَاثَةُ"، سُمِّيَتْ بِحُرُوفِ الْعِلَّةِ، لِأَنَّ التَّغْيِيرَ وَالْعِلَّةَ وَالْإِنْقِلَابَ لَا يَكُونُ فِي جَمِيعِ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا فِي أَحَدِهَا، تَعْتَلُّ "أَلْيَاءُ" وَ"الْوَاوُ" فَتَنْقَلِبَانِ "أَلِفًا" مَرَّةً وَ"هَمْزَةً" مَرَّةً، نَحْوُ: كَالِ، وَقَالَ، وَسِقَاءً، وَدُعَاءً، وَتَنْقَلِبُ "الْهَمْزَةُ" "يَاءً" مَرَّةً، وَ"وَاوًا" مَرَّةً، وَ"أَلِفًا" مَرَّةً فَتَقُولُ: رَأْسٌ، وَبُوسٌ، وَبَيْرٌ، وَقَدْ أَدْخَلَ قَوْمٌ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ "الْهَاءَ"، لِأَنَّهَا تَنْقَلِبُ هَمْزَةً فِي "مَاءٍ" وَ"أَيَّاهِاتٍ"، لِأَنَّ أَصْلَهَا "مَاهُ" وَ"هِيَّاهَاتٍ" وَشَبَّهَهُ»<sup>2</sup>.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن حروف المد واللين تمتاز باتساع مجرى الهواء حين النطق بها، فهي جوفية تهوي عند مداها إلى الحلق، فيُنشئُ انغلاق مجرى الهواء على إثر ذلك صوتا يشبه صوت الهمزة، وقد بين سيبويه الأمر بقوله: «وَهَذِهِ الْحُرُوفُ غَيْرُ مُهْمُوسَاتٍ، وَهِيَ حُرُوفٌ لِينٍ وَمَدٍّ، وَمَخَارِجُهَا مُتَّسِعَةٌ لِهَوَاءِ الصَّوْتِ؛ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ الْحُرُوفِ أَوْسَعُ مَخَارِجًا مِنْهَا؛ وَلَا أَمَدٌ لِلصَّوْتِ؛ فَإِذَا وَقَفَتْ عِنْدَهَا لَمْ تَضُمَّهَا بِشَفَةِ وَلَا لِسَانٍ وَلَا حَلْقٍ كَضَمِّ غَيْرِهَا؛ فَيَهْوِي الصَّوْتُ إِذَا وَجَدَ مُتَّسَعًا حَتَّى يَنْقَطِعَ آخِرُهُ فِي مَوْضِعِ الْهَمْزَةِ»<sup>3</sup>،

1- يحيى علي مباركي: صوت الهمزة في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين، مجلة جامعة أم القرى، ع12، 1996م، ص164.

2- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص128.

3- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج4، ص176.

## الفصل الأول: التَطَوُّر الصَّوْتِي فِي مَخْتَار الصَّاح

وبهذا يُفسَّر إبدال ألف المد همزة في مثل (حَلَّى / حَلًّا)؛ فبفعل زيادة المد بالألف التي ليس لها معتمد كغيرها من الأصوات الصَّاح، يهوي النفس راجعا إلى الحلق، ويحدث على إثر ذلك انغلاق في مجرى الهواء، الشيء الذي ينتج عنه صوت شبيه بالهمزة، وكذلك الأمر في (رَتَّى / رَتًّا) وأشباههما من المواضع التي قلبت فيها حروف المد واللين همزات.

ويلزم في هذا الموضع بيان أن إبدال الهمزة لا يكون فقط من حروف المد واللين، بل قد يكون من الفتحة أيضا، في مثل (اسْتَلَّمَ / اسْتَأَلَّمَ)، وذلك في حال تمت إطالتها من المتكلم، لأن هذه الظواهر مرتبطة بشكل وثيق بالأداء، ويمكن أن يُربط سبب إبدال حروف المد واللين همزة بإبدال الواو همزة على ما مرَّ سابقا بالعلاقة التي تربط بينهما من حيث تحول حروف اللين عند زيادة المد إلى همزة والواو إحداها.

### 3.6. الحذف الصوتي:

يعد الحذف الصوتي إحدى الظواهر الصوتية الشائعة في اللغات الطبيعية، ويعبر عن ميل المتكلمين -في سياقات معينة- إلى الاستغناء عن بعض الأصوات أو المقاطع الصوتية تحقيقاً لسهولة النطق أو الاقتصاد في الجهد، ويكون الحذف إما تطورياً، حدث بصورة مرحلية متدرجة، أو ظاهرة سياقية آنية يبرز في الكلام المتصل أو في ظروف لغوية محددة.

طُرِقَ موضوع الحذف في الدرس اللغوي العربي ضمن مباحث النحو والصرف والبلاغة، وكان الحذف الصوتي من الظواهر اللغوية البارزة التي جاءت متضمنة في المباحث الصرفية خاصة، حيث حظي باهتمام الباحثين اللسانيين قديماً وحديثاً، فتعرضوا له بالدرس والتحليل مبينين أنواعه وعلله وأغراضه، ويتنزل تناوله في هذا الفصل بوصفه أحد أشكال التطور الصوتي التي تصيب مفردات اللغة وتراكيبها جراء عوامل متعددة، ترمي جميعها إلى التيسير والتخفيف على المتكلم.

#### 1.3.6. تعريف الحذف الصوتي وأقسامه:

##### 1.1.3.6. تعريفه:

الحذف لغة هو الإسقاط، قال الجوهري: «وحذف الشيء إسقاطه»<sup>1</sup>، أي ذهابه جملة. أما في الاصطلاح فلم يُعَنَّ العلماء بتعريفه بقدر عنايتهم بالتعليل له، وتقسيمه إلى أنواع عديدة بحسب المستوى اللغوي الذي يتم فيه الحذف، ومن تقسيماتهم يُستلهم اسمه وتعريفه، إذ ذكروا في جملة ما عددوا له من أقسام "الاقتطاع"، وعرفوه بأنه: «ذِكْرُ حَرْفٍ مِنَ الْكَلِمَةِ وَإِسْقَاطُ الْبَاقِي، كَقَوْلِهِ: دَرَسَ الْمُنَا بِمَتَالِعِ فَأَبَانَ، أي المنازل»<sup>2</sup>، والحذف الصوتي إجراء يصيب أحد أصوات أو مقاطع الكلمة عند توفر الظروف المعينة عليه، وغالبا ما يطال الجزء الأضعف منها، فمن الناحية الزمانية «يعد الحذف في كثير من الأحيان المرحلة الأخيرة من عمليات الإضعاف، فكلما كان المقطع أضعف بوجه عام زادت قابليته

1- إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية (فصل الحاء)، ج4، ص1341.

2- محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج03، ص117.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

للحذف<sup>1</sup>، والضعف قد يكون مرتبطا بالمكان، إذ يعد الطرف أقل المواقع تحصينا وأكثرها عرضة للتبدل، لذلك فإنه غالبا ما يكون موطن التغيير، كما قد يكون الضعف مرتبطا بالصوت عينه، فالأصوات تتفاوت قوة وضعفا بما توافر فيها من صفات.

### 2.1.3.6. أقسام الحذف الصوتي:

قسم العلماء الحذف باعتبار سبب وقوعه إلى قسمين: مقيس وغير مقيس، قال ابن جني: «وَالْحَذْفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنْ عِلَّةٍ فَهُوَ مُقَيِّسٌ مَا وَجِدَتْ فِيهِ، وَالْآخَرُ عَنْ اسْتِخْفَافٍ لَا غَيْرَ، فَلَا يَسُوغُ قِيَاسُهُ»<sup>2</sup>؛ فسبب الحذف في النوع الأول متى ما توفر كان الحذف واقعا إلا في حالات نادرة تعد من بقايا مراحل ما قبل الحذف، أما في القسم الثاني فإنها حالات متفرقة سبب الحذف فيها استئصال العربي للصوت أو المقطع في سياق خاص.

### 1.2.1.3.6. الحذف المقيس:

يُقصد بالحذف المقيس ذلك النمط من الحذف الصوتي الذي جرى على أبنية مخصوصة من اللغة حتى صار قاعدة مطردة في كل نظير، وهو بذلك يختلف عن الحذف الشاذ أو السماعي الذي يقتصر على مواضع متفرقة لا يُقاس عليها، ومن أبرز شواهد ما وقع في الأفعال الثلاثية معتلة العين مثل "قال" و"باع" و"خاف"، حيث جرى حذف حرف العلة في بعض الصيغ حتى استقرت صورة مخففة لا رجوع فيها إلى الأصل، وقد نصّ ابن جني على هذا الاطراد بقوله: «وَهُوَ مَا لَا يُرَاجَعُ مِنَ الْأَصُولِ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَذَلِكَ كَالثَّلَاثِيِّ الْمُعْتَلِّ الْعَيْنِ نَحْوَ: قَامَ وَبَاعَ وَخَافَ وَوَهَبَ وَطَالَ، فَهَذَا مِمَّا لَا يُرَاجَعُ أَصْلُهُ أَبَدًا»<sup>3</sup>، وهذا يدلّ على أن الحذف لم يُعدّ خيارًا بديلاً، بل صار قاعدة صوتية قسرية مُلزِمة لمستعمل العربية. ومما يشهد على رسوخ هذه الظاهرة في الوعي اللغوي ما أورده الرازي في المعجم في مادة (ق و ل): «وَأَصْلُ قُلْتُ قَوْلْتُ بِالْفَتْحِ»<sup>4</sup>، ففي عرضه للأصل المهجور ومقابلته إياه

1- Roger Lass: Phonology An Introduction To Basic Concepts, Cambridge University Press, New York, USA, 8th ed, 1998, p187.

2- عثمان بن جني: التصريف الملوكي، تح: محمد سعيد بن مصطفى النعسان، دار المعارف، دمشق، سورية، ط02، (دت)، ص51.

3- عثمان بن جني: الخصائص، ج02، ص350.

4- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص262.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

بالصورة المستقرّة في الاستعمال، تأكيد على أن الحذف هنا وليد تطوّر صوتي ممنهج أفضى إلى تثبيت البنية المحذوفة بوصفها الصورة القياسية الوحيدة في التداول.

### 2.2.1.3.6. الحذف غير المقيس:

الحذف غير المقيس هو القسم الثاني من أقسام الحذف الصوتي، ويمثل اختيار فئة من العرب بحيث لا يخضع لقواعد مطردة أو أنماط ثابتة، بل يكون نتيجة استخفاف بعض العرب لصيغة على أخرى، وذلك تحت تأثير عوامل مختلفة لغوية وغير لغوية، وبسبب طابعه الذوقي التحكمي في الغالب لا يمكن التنبؤ به أو تقنيه، ولهذا فإنه لم يجر في كل نظير وإنما حُفِظَ وَعُلِّلَ له.

ومن أمثلة هذا القسم من أقسام الحذف، سقوط الهمزة في مضارع الفعل "رأى"، الذي ورد في المدونة في مادة «رأى»: «وَيَقَالُ: رَأَى فِي الْفِقْهِ رَأْيًا. وَقَدْ تَرَكْتَ الْعَرَبُ الْهَمْزَ فِي مُسْتَقْبَلِهِ لِكَثْرَتِهِ فِي كَلَامِهِمْ. وَرَبَّمَا احتاجت إلى هَمْزِهِ فَهَمَزْتُهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَنْ يَتَمَلَّ الْعَيْشَ يَرَهُ وَيَسْمَعُ

وَقَالَ آخَرُ:

أُرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ \*\*\* كِلَانَا عَالِمٌ بِالتَّرَاهَاتِ

وَرَبَّمَا جَاءَ مَاضِيهِ بِغَيْرِ هَمْزٍ. قَالَ الشَّاعِرُ:

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ \*\*\* رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ<sup>1</sup>، لقد كان سبب حذف الهمزة في مضارع الفعل "رأى" هو كثرة تردده على السنة العرب، وما كثر تردده حقه أن يُخَفَّفَ ليسهل على المتكلم المجيء به بأيسر طريق، والحذف منتهى التخفيف، إلا أنه وعلى الرغم من شيوع استعماله بالحذف، فقد اختار البعض المجيء به على الأصل كما ثبت في الشواهد الشعرية المذكورة آنفاً، ولهذا يعد هذا المثال من الحذف غير المقيس، وقد وصف سيبويه العرب الذين آثروا الإبقاء على الهمزة بالموثوقين، فقال: «وَحَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ يَقُولُ: قَدْ أَرَاهُمْ، يَجِيءُ بِالْفِعْلِ مِنْ رَأَيْتُ عَلَى الْأَصْلِ، مِنَ الْعَرَبِ الْمُوثُوقِ بِهِمْ»<sup>2</sup>، ولم يُبْنِ الرازي بدوره عن أفضلية صيغة على أخرى غير عاداته، وقد

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 245/246.

2- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج 03، ص 546.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

دأب على المفاضلة بين الصيغ بطرق مختلفة في غير هذا الموضع؛ فينسب الفرع إلى العامة تارة وفي هذا تعريض به وانتقاص منه، أو قد يصرح بفصاحة إحدى الصيغ وكثيرا ما يفعل.

كما أنه بالعودة إلى الأفعال التي شابه بناؤها بناء الفعل «رأى» وتأمل المضارع منها يتبين بقاءها على الأصل دون حذف، على غرار: «يئأى»<sup>1</sup>، و«ينأى»<sup>2</sup>، و«يمأى»<sup>3</sup>، و«يفأى»<sup>4</sup>، و«يصأى»<sup>5</sup>، و«يجأى»<sup>6</sup>، و«يتأى»<sup>7</sup>، وذلك بإبقاء الهمزة في مضارع تلك الأفعال، على خلاف ما وقع في «يرأى». وهذا يقود إلى القول بأن هذا القسم غير المقيس يقوم على أنه اختيار فئة من العرب، وأنه لا يطرد في كل نظير، وأن ذلك لم يحطه عن درجة الفصاحة، بل قد سوي بينه وبين الأصل.

ويقع هذا الحذف لأصوات كثيرة في اللغة العربية ذكرها ابن جني فقال: «وَقَدْ حُدِفَتِ الهمزة، والألف والواو والياء والهاء والنون والحاء والخاء والفاء والطاء»<sup>8</sup>، وتتوعد علل الحذف في تلك الأصوات، فمنها ما كان مرده إلى النقل، ومنها ما كان سببه الضعف أو تتابع الأمثال، وغير ذلك من الأسباب التي سيأتي ذكرها.

### 2.3.6. أسباب الحذف الصوتي:

يقع الحذف الصوتي في الكلمة أو في التركيب لأسباب عديدة، منها ما توافق والنماذج المختارة.

### 1.2.3.6. ضعف المقطع أو الصوت:

يورد الجدول الآتي شواهد الحذف بسبب ضعف الصوت موقعا أو هيئة والتي ذكرها محمد بن أبي بكر الرازي في معجمه:

- 1- إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية (باب الواو والياء، فصل الباء)، ج06، ص2278.
- 2- المرجع نفسه (باب الواو والياء، فصل النون): ج06، ص2499.
- 3- المرجع نفسه (باب الواو والياء، فصل الميم): ج06، ص2488.
- 4- المرجع نفسه (باب الواو والياء، فصل الفاء): ج06، ص2451.
- 5- المرجع نفسه (باب الواو والياء، فصل الصاد): ج06، ص2397.
- 6- المرجع نفسه (باب الواو والياء، فصل الجيم): ج06، ص2297.
- 7- المرجع نفسه (باب الواو والياء، فصل الثاء): ج06، ص2290.
- 8- عثمان بن جني: التصريف الملوكي، ص57.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الشاهد من المدونة على الحذف بسبب ضعف الصوت	الحذف
«ع ض هـ»: «(عِضَّةٌ) وَ(عِضَّةٌ) بِحَذْفِ الْهَاءِ الْأَصْلِيَّةِ كَمَا حُذِفَتْ مِنْ الشَّفَّةِ» <sup>1</sup>	عِضَّةٌ / عِضَّةٌ
«غ ث ر»: «(الْغَيْثَرَةُ) سَفَلَةُ النَّاسِ. وَفِي الْحَدِيثِ: "رَعَاعٌ (عَثْرَةٌ)" هَكَذَا يُرَوَّى. وَتَرَى أَسْلُهُ غَيْثَرَةً حُذِفَتْ مِنْهُ الْيَاءُ» <sup>2</sup>	غَيْثَرَةٌ / عَثْرَةٌ
«ش ف هـ»: «(الشَّفَّةُ) أَصْلُهَا شَفَّةٌ» <sup>3</sup>	شَفَّةٌ / شَفَّةٌ
«ف م»: «(الْفَمُّ) أَصْلُهُ فَوْهٌ نَقَصَتْ مِنْهُ الْهَاءُ فَلَمْ تَحْتَمِلِ الْوَاوُ الْإِعْرَابَ لِسُكُونِهَا فَعُوِّضَ مِنْهَا الْمِيمُ» <sup>4</sup>	فَوْهٌ / فَمٌ
«د م ا»: «الدَّمُّ أَصْلُهُ دَمَوٌ بِالتَّحْرِيكِ [...] وَقَالَ سَيْبَوَيْهِ: أَصْلُهُ دَمِيٌّ بِوَزْنِ فَعْلٍ. وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: أَصْلُهُ دَمِيٌّ بِالتَّحْرِيكِ فَالذَّاهِبُ مِنْهُ الْيَاءُ وَهُوَ الْأَصْحُ» <sup>5</sup>	(دَمَوٌ / دَمِيٌّ) / دَمٌ
«ي د ي»: «(الْيَدُ) أَصْلُهَا يَدِيٌّ» <sup>6</sup>	يَدِيٌّ / يَدٌ
«غ د ا»: «(الْغَدُّ) أَصْلُهُ غَدَوٌ حَذَفُوا الْوَاوُ» <sup>7</sup>	غَدَوٌ / غَدٌ
«أ خ ا»: «(الْأَخُّ) أَصْلُهُ أَخَوٌ بِفَتْحِ الْخَاءِ لِأَنَّهُ جُمِعَ عَلَى (أَخَاءٍ) مِثْلُ آبَاءٍ، وَالذَّاهِبُ مِنْهُ وَآوُ» <sup>8</sup>	أَخَوٌ / أَخٌ
«ح م ي»: «وَأَصْلُ حَمٍ حَمَوٌ بِفَتْحَتَيْنِ» <sup>9</sup>	حَمَوٌ / حَمٌ
«أ ب ا»: «(الْأَبُّ) أَصْلُهُ (أَبَوٌ) بِفَتْحِ الْبَاءِ لِأَنَّ جَمْعَهُ (أَبَاءٌ)» <sup>10</sup>	أَبَوٌ / أَبٌ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص102.

2- المرجع نفسه: ص224.

3- المرجع نفسه: ص167.

4- المرجع نفسه: ص243.

5- المرجع نفسه: ص107.

6- المرجع نفسه: ص348.

7- المرجع نفسه: ص225.

8- المرجع نفسه: ص14.

9- المرجع نفسه: ص82.

10- المرجع نفسه: ص12.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

بَبَوُّ / ابْنٌ	«ب ن ي»: «(الابن) أَصْلُهُ بَبَوُّ فَالذَّاهِبُ مِنْهُ وَأُو كَالذَّاهِبِ مِنْ أَبٍ وَأَخ.» <sup>1</sup> وَأَخ.» <sup>1</sup>
البَّازِي / البَّاز	«ب و ز»: «(البَّازُ) لُغَةٌ فِي (البَّازِي).» <sup>2</sup>
لِمَا / لِمَ	«ل م م»: «(لِمَ) بِالْكَسْرِ حَرْفٌ يُسْتَفْهَمُ بِهِ تَقُولُ: لِمَ دَهَبْتَ؟ وَأَصْلُهُ لِمَا فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ تَخْفِيفًا.» <sup>3</sup>
اللَّذِي / الذي	«ل ذ ذ»: «(اللَّذِي) وَ(اللَّذِي) بِكَسْرِ الدَّالِّ وَتَسْكِينِهَا لُغَةٌ فِي الَّذِي وَالتَّنْبِيْهُ اللَّذَا بِحَذْفِ التُّونِ.» <sup>4</sup>
يَأْتِي / يَأْت	«أ ت ي»: «(فُرِيَ) يَوْمَ يَأْتِ بِحَذْفِ الْيَاءِ كَمَا قَالُوا: لَا أَدْرِي، وَهِيَ لُغَةٌ هُذَيْلٍ.» <sup>5</sup>
اِثْنَانٍ / ثِنْتَانٍ	«ث ن ي»: «(اِثْنَانٍ) لِلْمُؤَنَّثِ وَ(ثِنْتَانٍ) أَيْضًا بِحَذْفِ الْأَلْفِ.» <sup>6</sup>
السَّيْطَلُ / السَّطْلُ	«س ط ل»: «السَّطْلُ الدَّلْوُ أَوْ شِبْهُهَا وَ(السَّيْطَلُ) مِثْلُهُ.» <sup>7</sup>

ذُكِرَ أثناء الحديث عن القوانين المتحكمة في حدوث التطور الصوتي ومساره، قانون ضعف الطرف، والطرف موقع يورث الصوت أو المقطع الصوتي وهنأ، يؤدي إلى قابليته للتغيير الذي قد يصل حد الحذف، في مقابل الثبات العالي للوسط، «فكان الطرفين سياج للوسط ومبدولان للعوارض دونه، ولذلك تجد الإعلال عند التصريفين بالحذف منها فحذفوا ألفاء في المصاير من باب وعد نحو العدة والزنة والهبه واللام في نحو اليد والدم والفم والأب والأخ وقلمًا تجد الحذف في العين لما ذكرنا وبهذا يظهر لطف هذه اللغة العربية»<sup>8</sup>، ولهذا جرى حذف الحركة في آخر الكلمات عند الوقف في اللغة العربية حتى صار سنة من سنن

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص40.

2- المرجع نفسه: ص42.

3- المرجع نفسه: ص285.

4- المرجع نفسه: ص281.

5- المرجع نفسه: ص13.

6- المرجع نفسه: ص50.

7- المرجع نفسه: ص147.

8- محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج03، ص115.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

العرب، فهي «لَا تَجْمَعُ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ، وَلَا تَبْتَدِئُ بِسَاكِنٍ، وَلَا تَقِفُ عَلَى مُتَحَرِّكٍ»<sup>1</sup>، وقد برزت آثار قانون ضعف الطرف في كثير من نماذج الحذف التي في المدونة، فكان النصيب الأكبر منها لما سقطت "فاؤه" أو "لامه"، وقلما حدث الحذف في "العين".

ويُضرب لهذا مثلا بكلمة "الأب" التي أصلها "أَبُو"، قال أبو بكر الرازي في مادة «أ ب و»: «(الأب) أصله (أَبُو) يَفْتَحُ البَاءَ لِأَنَّ جَمْعَهُ (آبَاءٌ) مِثْلُ قَفَاً وَأَقْفَاءٍ وَرَحًا وَأَرْحَاءٍ فَالذَّاهِبُ مِنْهُ وَآؤُ لِأَنَّكَ تَقُولُ فِي التَّنْبِيَةِ (أَبَوَانِ)»<sup>2</sup>، سقطت الواو وهي لام الكلمة لوقوعها آخرا، ويلاحظ بأن هذا الحذف قد تكرر في نماذج عديدة غيرها، فحُذِفَ آخر البناء في "الأخ" و"الحم" و"اليد" و"الفم" و"الدم" و"الغد" و"الابن"، ويمثل لفظ "الأب" نموذجا لمسار التطور بالحذف:



### الشكل 20: تطور "أَبُو" إلى "أَب" بحذف الواو لضعف الطرف

وكما أن ضعف الطرف قد يكون باعثا على الحذف فإن ضعف الصوت نفسه قد يؤدي إلى سقوطه، وذلك بسبب ما يشتمل عليه من صفات وَهْنٍ؛ وبهذا يُبرر سقوط الهاء في كل من "الشَفَّة" و"العِضَّة" إذ الأصل فيهما "الشَفَهَةُ" و"العِضَهَةُ"، حيث جاء في المدونة في مادة «ش ف هـ»: «(الشَفَّة) أصلها شَفَهَةٌ لِأَنَّ تَصْغِيرَهَا (شَفِيهَةٌ) وَجَمْعُهَا (شِفَاءٌ) بِالْهَاءِ»<sup>3</sup>، فالحذف هنا وقع بإسقاط الهاء وهو صوت جمع صفات الضعف من همس ورخاوة وانفتاح وخفاء؛ قال مكي بن أبي طال القيسي: «فَإِذَا كَانَ أَحَدُ الصِّفَاتِ الضَّعِيفَةِ فِي حَرْفٍ، فَكَانَ فِيهِ ضَعْفٌ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ كَانَ ذَلِكَ أَضْعَفَ لَهُ، كَالْهَاءِ الَّتِي هِيَ مَهْمُوسَةٌ رَخْوَةٌ مُنْفَتِحَةٌ خَفِيَّةٌ»<sup>4</sup>، ولوقوعها ثالثة بعد صوتين رخويين مهموسين يوصفان بالضعف وهما وهما الشين والفاء، كان مجيؤها آخرا بعدهما خاتمة لسلسلة الضعف في الكلمة، فلم يكن

1- أحمد بن فارس: الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 18.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 18.

3- المرجع نفسه: ص 357.

4- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص 120/119.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

حضورها ملفتا لأنها شبيهة بالنفس هشة لينة فجرى سقوطها، وفي المخطط الآتي ما يبين مراحل التطور الصوتي بالحذف في كلمة "شَفَهَة".



الشكل 21: تطور "شَفَهَة" إلى "شَفَاة" بحذف "الهاء" لضعفها

بقي التنويه على أن العلماء قد ابتكروا طريقة لمعرفة الصوت الذاهب من البناء الفرعي، فاستدلوا على معرفة الأصل المحذوف بالتصغير والجمع، وصرح الخليل بن أحمد في مقدمة العين قائلا: «فَإِذَا أَرَدْتَ مَعْرِفَتَهَا فَاطْلُبْهَا فِي الْجَمْعِ وَالتَّصْغِيرِ، كَقَوْلِهِمْ: أَيُّدِيهِمْ فِي الْجَمْعِ، وَيُدِيَّةٌ فِي التَّصْغِيرِ»<sup>1</sup>، ذلك لأن الحذف مختلف عن بقية أنماط التطور الصوتي من إدغام وقلب وإبدال، والتي تبقى آثار الأصل فيها ماثلة مع وقوع التغيير، أما في حال الحذف فإن الصوت يسقط جملة من البناء بما لا يدع مجالا لمعرفة ماهيته أو التنبه إلى وجوده السابق إلا بالرجوع إلى صيغة أخرى مثل الجمع والتصغير والتحقيق.

### 2.2.3.6. كثرة الاستعمال:

فيما يلي عرض لنماذج الحذف بسبب كثرة الاستعمال في المدونة:

الحذف	الشاهد من المدونة على وقوع الحذف بسبب كثرة الاستعمال
أبال/ أبل	«ب ل ا»: «وَقَوْلُهُمْ لَا (أَبَالِيهِ) أَي لَا أَكْثَرْتُ، وَإِذَا قَالُوا لَمْ أَبْلُ حَذَفُوا الْأَلْفَ تَخْفِيفًا لِكثَرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ كَمَا حَذَفُوا الْيَاءَ مِنْ قَوْلِهِمْ لَا أَدْرِي» <sup>2</sup>
أدري/ أدري	«دري»: «وَيَقُولُونَ: لَا (أَدْرِي) بِحَذْفِ الْيَاءِ تَخْفِيفًا لِكثَرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ كَمَا قَالُوا: لَمْ أَبْلُ وَلَمْ يَكُ» <sup>3</sup>
يزأى/ يزأى	«رأى»: «رَأَى فِي الْفِقْهِ رَأْيًا. وَقَدْ تَرَكَتِ الْعَرَبُ الْهَمْزَ فِي مُسْتَقْبَلِهِ لِكثَرَتِهِ»

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (المقدمة)، ج01، ص50.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص40.

3- المرجع نفسه: ص104.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

أُؤْخِذُ / خُذُ	«أ خ ذ»: «وَالْأَمْرُ مِنْهُ (خُذْ) وَأَصْلُهُ أُؤْخِذُ إِلَّا أَنَّهُمْ اسْتَنْقَلُوا الْهَمْزَتَيْنِ فَحَذَفُوهُمَا تَخْفِيفًا وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْأَمْرِ مِنْ أَكَلٍ وَأَمَرَ وَشَبَّهِهُ.» <sup>2</sup>
الدخان/ الدخ	«د خ خ»: «الدخ بالضم لغة في الدخان» <sup>3</sup>
حَتَّى مَا/ حَتَّامَ بما/ بِمَ فيما/ فِيمَ عما/ عَمَ	«ح ت ت»: «وَقَوْلُهُمْ (حَتَّامَ) أَصْلُهُ حَتَّى مَا حُذِفَتْ أَلِفُ مَا الْإِسْتِفْهَامِيَّةُ تَخْفِيفًا. وَكَذَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونِي﴾ [الحجر: 54] وَ﴿فَبِمَ كُنْتُمْ﴾ [النساء: 97] وَ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: 1] وَتَحْوِ ذَلِكَ.» <sup>4</sup>
عَمَّا/ عَمَ	«ع م م»: «وَعَمَّ (عَمَّ) يَتَسَاءَلُونَ أَصْلُهُ عَمَّا فَحُذِفَتْ مِنْهُ أَلِفُ الْإِسْتِفْهَامِ.» <sup>5</sup>
نَعِمَ/ عِمَ	«ن ع م»: «(عِمَ) صَبَاحًا كَلِمَةٌ تَحِيَّةٌ كَأَنَّهُ مَحْدُوفٌ مِنْ نَعِمَ يَنْعِمُ بِالْكَسْرِ، كَمَا يُقَالُ: كُلُّ مَنْ أَكَلَ يَأْكُلُ حُذِفَ مِنْهُ الْأَلِفُ وَالنُّونُ تَخْفِيفًا.» <sup>6</sup>
النَّشَاسْتَجُ/ النَّشَا	«ن ش ا»: «(النَّشَا) هُوَ النَّشَاسْتَجُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ حُذِفَ شَطْرُهُ تَخْفِيفًا كَمَا قَالُوا لِلْمَنَازِلِ: مَنَا.» <sup>7</sup>

إن ارتفاع تكرارات اللفظ في الاستعمال كان سببا للعديد من أشكال التطور الصوتي ومن بينها الحذف، فكلما دار اللفظ على السنة المتكلمين أُحْتِجَجَ إلى خفة أكبر لتسهيل النطق به، وأقصى مراحل التخفيف هي الحذف، ولقد سجلت اللغة العربية نماذج كثيرة للحذف كان السبب الرئيس فيها هو التخفيف، منها همزة "إله"، حيث جاء في المدونة في مادة «أ ل ه»: «اللَّهُ وَأَصْلُهُ (إِلَاةٌ) عَلَى فِعَالٍ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ لِأَنَّهُ مَأْلُوهُ أَي مَعْبُودٌ كَقَوْلِنَا إِمَامٌ

1- المرجع نفسه: ص 115.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 23.

3- المرجع نفسه: ص 218.

4- المرجع نفسه: ص 66.

5- المرجع نفسه: ص 218.

6- المرجع نفسه: ص 314.

7- المرجع نفسه: ص 311.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

بِمَعْنَى مُؤْتَمِّمٍ بِهِ، فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ حُدِفَتِ الْهَمْزَةُ تَخْفِيفًا لِكَثْرَتِهِ فِي الْكَلَامِ»<sup>1</sup>، ولفظ الجلالة من أكثر ما يذكر على الألسنة، تلهج به أفواه المسلمين في عباداتهم وفي أمور دينهم ودنياهم، فكان سقوط الهمزة في أوله بعد دخول "ال" التعريف باعثا على الخفة في نطقه على النحو الآتي:



الشكل 22: سقوط الهمزة من "إله" عند دخول "ال" التعريف لكثرة الاستعمال

وما يقوي فرضية أن كثرة الاستعمال وحدها قادرة على إحداث الحذف، ما جاء في الأمر من الأفعال مهموزة الأول في مثل "أَخَذَ" حيث ورد في مادة «أ خ ذ»: «وَالأَمْرُ مِنْهُ (خُذْ) وَأَصْلُهُ أَوْخُذْ إِلَّا أَنَّهُمْ اسْتَنْقَلُوا الْهَمْزَتَيْنِ فَحَدَفُوهُمَا تَخْفِيفًا وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الأَمْرِ مِنْ أَكَلٍ وَأَمَرَ وَشَبَّهَهُ»<sup>2</sup>، لقد قرر محمد بن أبي بكر الرازي أن الحذف وقع لكلا الهمزتين، همزه الأمر وهمزة الفعل الأصلية، والعلة عنده التخفيف؛ أي تخفيف الجهد على الناطق بهما، وقد عد العلماء هذا الحذف غير قياسي؛ فالقياس عندهم هو أن تقلب الهمزة الثانية واوا لأنها سبقت بضم، والضممة تناسبها الواو كما هو معروف وثابت في القواعد الصوتية، إلا أن المانع من ذلك -إضافة إلى النقل- كثرة الاستعمال، وبسببه مضوا في التخفيف إلى منتهاه وهو الحذف التام.

فالعلة هنا إذن ليست النقل فحسب، بل كثرة الاستعمال أيضا، ولو كان النقل وحده داعيا إلى الحذف لجرى اطراد ذلك في كل نظير، وهذا ما لم يكن؛ حيث سلم من الحذف من الأفعال ما لم يكثر تداوله، إذ «التَرَمُّوا هَذَا الحَدْفَ فِي "خُذْ" وَ"كُلْ"، دُونَ "مُرْ" [...] وَذَلِكَ لِكَوْنِهِ أَقَلَّ اسْتِعْمَالًا مِنْ "خُذْ" وَ"كُلْ"»<sup>3</sup>، إذ ربط الرضي سبب عدم الحذف في الأمر من الفعل

1- المرجع نفسه: ص 37.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 23.

3- محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ج 03، ص 50.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الفعل "أَمَرَ" بقلبة دورانه على الألسنة إذا ما قورن بغيره من الأفعال التي شابهته على غرار "أَخَذَ" و"أَكَلَ" مع أن الحذف أفصح.

على هذا يكون التطور الصوتي الواقع بسبب كثرة الاستعمال في هذا المثال على النحو الآتي:



### الشكل 23: تطور أُخِذَ إلى خُذْ بالحذف لكثرة الاستعمال

لقد تم إسقاط الهمزة الثانية وهي الأصلية وذلك بغرض التخفيف لكثرة استعمال الفعل، وبسقوطها سقطت الأولى، وهي همزة الوصل التي جيء بها للتوصل بالنطق بالساكن؛ إذ لا مبرر لبقائها من بعد، قال ابن الشجري (ت542هـ): «وَأَمَّا الْأَفْعَالُ الَّتِي حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ مِنْهَا فَأَنَّ، فَمِنْهَا قَوْلُكَ إِذَا أَمَرْتَ مِنَ الْأَخْذِ وَالْأَكْلِ: "خُذْ" وَ"كُلْ"، أَصْلُهُمَا "أَخْذٌ" وَ"أَكْلٌ"، فَتَقَلَّ عَلَيْهِمْ اجْتِمَاعُ هَمْزَتَيْنِ فِيمَا يَكْتُرُ اسْتِعْمَالُهُ، فَاسْقَطُوا الثَّانِيَةَ، فَوَجَبَ بِاسْقَاطِهَا إِسْقَاطُ الْأُولَى، لِأَنَّهَا هَمْزَةٌ وَصَلٍ، وَهَمْزَةُ الْوَصْلِ إِنَّمَا تُجْتَنَّبُ تَوْصِيلاً إِلَى النَّطْقِ بِالسَّاكِنِ، فَإِذَا سَقَطَ السَّاكِنُ الَّذِي لِأَجْلِهِ تُجْتَنَّبُ، اسْتُعْنِيَ عَنْهَا»<sup>1</sup>، نخرج مما سبق بأن الدليل على أن التغير الحاصل في صيغة الأمر من الأفعال مهموزة الفاء يدخل ضمن التطور الصوتي، ذكرهم أن الحذف التام للهمزتين لم يتم مع الفعل "أَمَرَ" على خلاف ما وقع مع غيره بسبب قلة وروده ما يعد توثيقاً لإحدى المراحل التي مر بها هذا التطور الصوتي، وعبارات مثل "تخفيفاً"، "استقلوا" و"أقل استعمالاً" توحى بشدة بأن الاستعمال الذي يسبق الحذف قد وقع بالفعل عند متكلمي العربية، وبقيت آثار تلك المراحل في ما لم يكثر استعماله،

وكثرة الاستعمال هي أيضاً السبب الأبرز في حدوث نوع من الحذف يُطلق عليه اسم "الاختزال الخاص"، وهو شكل من أشكال الحذف الصوتي الناشئ عن التكرار العالي لبعض الوحدات اللغوية. فقد أُشير إلى أن «العامل الحاسم في نشوء الاختزال الخاص هو الارتفاع الشديد في تواتر الاستعمال. وبناءً على ذلك، يظهر هذا النمط من الاختزال في عبارات

1- هبة الله بن علي بن الشجري: أمالي بن الشجري، ج02، ص199.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

التحية وصيغ المخاطبة»<sup>1</sup>، وغير ذلك من التراكيب التي تستلزم الإيجاز، والتي يحتاج فيها المتكلم إلى تخفيفها إلى الحد الذي يسمح فقط بتمييزها عن غيرها؛ ذلك أنها لا تمتلك حمولة دلالية حقيقية، فقد أُفرغت من معناها لكثرة ما قيلت، ويضرب لهذا مثلا بألفاظ التحية المختلفة، فهي تقال على سبيل العادة الاجتماعية، ولا تحمل رسالة فعلية إلى المتلقي، ومن ثمَّ تعرضت للاختزال المتدرِّج، حتى صارت نسخًا مبسطة جدًا، وخير مثال على ذلك قولهم: "سلام" بدل التحية الأصلية: "السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته".

وإن كان الباعث على الحذف فيما سبق هو طول العبارة، فإنه قد سُجِّل اختزال عبارات هي بالأصل مختصرة، كقولهم "عم صباحا" بدل "أنعم صباحا" والتي ذكرها أبو بكر الرازي في مادة «ن ع م»: «(عَم) صَبَاحًا كَلِمَةً تَحِيَّةً كَأَنَّهُ مَحذُوفٌ مِنْ نَعِمَ يَنْعِمُ بِالْكَسْرِ، كَمَا يُقَالُ: كُلٌّ مِنْ أَكَلٍ يَأْكُلُ حُذِفَ مِنْهُ الْأَلْفُ وَالنُّونُ تَخْفِيفًا»<sup>2</sup>، ويكثر الحذف عند النداء أيضا، وهو موقف يتطلب خفة قصوى، وقد اختزلت العرب "يا صاحبي" إلى "يا صاح"، ووثق معجم مختار الصحاح ذلك في مادة «ص ح ب»: «وَقَوْلُهُمْ فِي النَّدَاءِ: يَا صَاحِ أَيُّ يَا صَاحِبِي»<sup>3</sup>، وهو ما اصطُح عليه بـ"الترخيم"، وقد نبه النحاة إلى علته فقالوا: «وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّرْخِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي النَّدَاءِ، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ شَاعِرٌ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي النَّدَاءِ لِكَثْرَتِهِ فِي كَلَامِهِمْ»<sup>4</sup>. وعليه، فإنَّ "الاختزال الخاص" لا يُفهم في معزل عن ظاهرة الحذف عمومًا، بل يُعدّ تجليًا مخصوصًا لها، يتميز بارتباطه بكثرة الاستعمال والتواتر العالي، فهو يبدأ حذفًا موضوعيًا يفرضه السياق التداولي، ثم يتكرس بالتكرار إلى أن يستقر في البنية الصوتية بوصفه صيغةً راسخة، الأمر الذي يكشف عن المسار التطوري للحذف من كونه آلية عفوية للتخفيف إلى كونه أداةً منتجة لإعادة تشكيل النظام الصوتي.

1- Joan bybeeand others: special reduction, language and cognition, V08, UK Cognitive Linguistics Association, 2016, p424.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص314.

3- المرجع نفسه: ص173.

4- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج02، ص239.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

### 3.2.3.6. تتابع المتماثلات والمتقاربات:

يحتوي الجدول الآتي شواهد الحذف بسبب تتابع الأصوات المتماثلة في المدونة:

الحذف	الشاهد من المدونة
هل لا/ هلاً	«هل ا»: «(هلاً) أصلها لا بُنيت مع هل فصار فيها التَّخْضِيزُ.» <sup>1</sup>
استحى/ استحي	«ح ي ا»: «(استحيت) بياءً واحدةً وأصله استحيت فأعلوا الياء الأولى وألقوا حركتها على الحاء، فقالوا: استحيت لما كثر في كلامهم. وقال الأَخْفَشُ: استحى بياءً واحدةً لغةً تميم وبياعين لغةً أهل الحجاز وهو الأصل. وإنما حذفوا الياء لكثرة استعمالهم لهذه الكلمة كما قالوا لا أدري في لا أدري.» <sup>2</sup>
لمن ما/ لمن من/ لما	«ل م م»: «وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لِيُؤْفِيَهُمْ رَبُّكَ} [هود: 111] بِالتَّشْدِيدِ قَالَ الْفَرَّاءُ: أَصْلُهُ لَمَنْ مَا فَلَمَّا كَثُرَتْ فِيهِ الْمِيمَاتُ حُدِفَتْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ. وَقَرَأَ الرَّهْرِيُّ: لَمَّا بِالتَّنْوِينِ أَيَّ جَمِيعًا. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ لَمَنْ مَنْ فَحُدِفَتْ مِنْهَا إِحْدَى الْمِيمَاتِ.» <sup>3</sup>
إني/ إنني كأنني/ كأنني لكنني/ لكنني لعلني/ لعلني	«أ ن ن»: «(إني) و(إنني) بِمَعْنَى وَكَذَا كَأَنِّي وَكَأَنَّي وَلَكِنِّي لِأَنَّهُ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ لِهَذِهِ الْحُرُوفِ وَهُمْ يَسْتَنْقِلُونَ التَّضْعِيفَ فَحَدَفُوا النُّونَ الَّتِي تَلِي الْيَاءَ وَكَذَا لَعَلِّي وَلَعَلَّنِي لِأَنَّ اللَّامَ قَرِيبَةٌ مِنَ النُّونِ.» <sup>4</sup>
ظلت/ ظللت	«ظ ل ل»: «(ظَلَّ) يَعْمَلُ كَذَا إِذَا عَمِلَهُ بِالنَّهَارِ دُونَ اللَّيْلِ تَقُولُ مِنْهُ: (ظَلَلْتُ) بِالْكَسْرِ (ظُلُولًا) بِالضَّمِّ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَظَلَّكُمْ تَفَكَّهُونَ}

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 327.

2- المرجع نفسه: ص 86.

3- المرجع نفسه: ص 285.

4- المرجع نفسه: ص 24.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

[الواقعة: 65] وَهُوَ مِنْ شَوَادِّ التَّخْفِيفِ. <sup>1</sup>	
م س س، «(مَسَّ) الشَّيْءَ [...] وَرُبَّمَا قَالُوا: (مِسْتُ) الشَّيْءَ يَحْذِفُونَ مِنْهُ السَّيْنَ الْأُولَى وَيُحَوِّلُونَ كَسْرَتَهَا إِلَى الْمِيمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُحَوِّلُ وَيَبْرُكُ الْمِيمَ عَلَى حَالِهَا مَفْتُوحَةً وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَظَلَّئِمُ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة: ٦٥] تُكْسَرُ وَتُفْتَحُ وَأَصْلُهُ ظَلَّئِمٌ وَهُوَ مِنْ شَوَادِّ التَّخْفِيفِ.» <sup>2</sup>	مِسْتُ/ مِسْتُ
ط و ع، «(الِاسْتِطَاعَةُ) الْإِطَاقَةُ. وَرُبَّمَا قَالُوا: (اسْطَاعَ) يَسْطِيعُ يَحْذِفُونَ التَّاءَ اسْتِثْقَالًا لَهَا مَعَ الطَّاءِ. وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَقُولُ: (اسْتَاعَ) يَسْتِيعُ فَيَحْذِفُ الطَّاءَ.» <sup>3</sup>	الِاسْتِطَاعَةُ الِاسْتَاعَةُ الِاسْطَاعَةُ

طالما كان تتابع الأصوات المتماثلة والمنقارية في التركيب من بواعث الثقل على الناطق، الذي يحتاج جهداً ذهنياً وعضلياً مضاعفاً، وما كان من مستعمل اللغة إلا أن يوجد طرقاً مختلفة للتخلص منه، فعمد إلى الإبدال أو الإدغام تارة وإلى الحذف أخرى، كحل يصل بالتخفيف إلى منتهاه، وقد برر الباحثون الحذف في حال تتابع الأصوات المتماثلة بعبارة «أن الذهن يختلط عليه الأمر بسبب تكرار الصوت نفسه مرة بعد مرة»<sup>4</sup>، وقد جاء حذف أحد الصوتين المتماثلين في أمثلة متنوعة في اللغة العربية على غرار اللام من "ظَلَّئِمٌ" والياء من "يَسْتَحْيِي" والسين من "مَسَسْتُ" والتي ورد ذكرها جميعاً في المدونة، مع تفصيل في بعض المداخل بذكر سبب الحذف وبيان مراحل التطور الصوتي.

جاء في المدونة في مادة (م س س): «(مَسَّ) الشَّيْءَ يَمَسُّهُ بِالْفَتْحِ (مَسًّا) وَبَابُهُ فَهَمَ وَهَذِهِ هِيَ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ. وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى مِنْ بَابِ رَدِّ. وَرُبَّمَا قَالُوا: (مِسْتُ) الشَّيْءَ يَحْذِفُونَ مِنْهُ السَّيْنَ الْأُولَى وَيُحَوِّلُونَ كَسْرَتَهَا إِلَى الْمِيمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُحَوِّلُ وَيَبْرُكُ الْمِيمَ عَلَى حَالِهَا مَفْتُوحَةً وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَظَلَّئِمُ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة: 65] تُكْسَرُ وَتُفْتَحُ وَأَصْلُهُ ظَلَّئِمٌ وَهُوَ

1- المرجع نفسه: ص196.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص294.

3- المرجع نفسه: ص193.

4- Otto Jespersen: Language Its Nature Development And Origin, p281.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

مِنْ شَوَاذِّ التَّخْفِيفِ»<sup>1</sup>، جاء التخفيف بالحذف في هذا المثال لتتابع الأمثال، فأسقطت السين الأولى في مرحلة أولى ثم نقلت حركتها إلى الميم قبلها عند جماعة من العرب، ومنهم من أبقى الميم مفتوحة ويكون بذلك قد أسقط السين وحركتها، ويوضح المخطط الآتي مراحل التطور الصوتي لمن أسقط السين الأولى ونقل حركتها للميم قبلها:



الشكل 24: تطور "مَسْت" إلى "مَسْت" بالحذف لتتابع المتماثلات

كما وقع الحذف في الأصوات المتقاربة إذا تجاورت، مثال ذلك ما ورد في مادة «ط و ع»: «(الاسْتِطَاعَةُ) الإِطَاقَةُ. وَرَبَّمَا قَالُوا: (اسْطَاعَ) يَسْتَطِيعُ يَحْذِفُونَ التَّاءَ اسْتِنْقَالًا لَهَا مَعَ الطَّاءِ. وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَقُولُ: (اسْتَاعَ) يَسْتِيعُ فَيَحْذِفُ الطَّاءَ»<sup>2</sup> وقد علل الأخفش الحذف في هذا الموضع بأنهما -الطاء والتاء- من مخرج واحد فقال: «الْعَرَبُ تَقُولُ: "اسْطَاعَ" يَسْتَطِيعُ يُرِيدُونَ بِهِ "اسْتِطَاعَ" يَسْتَطِيعُ، وَلَكِنْ حَذَفُوا التَّاءَ إِذَا جَامَعَتِ الطَّاءَ لِأَنَّ مَخْرَجَهُمَا وَاحِدٌ»<sup>3</sup>، أما سيبويه فقد فصل في الحذف هنا على هذا النحو: «وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي "يَسْتَطِيعُ": "يَسْتِيعُ". فَإِنَّ شِئْتَ قُلْتَ: حَذَفْتَ الطَّاءَ كَمَا حَذَفْتَ لَامَ "ظَلْتُ"، وَتُرِكَتِ الزِّيَادَةُ كَمَا تُرِكَتْ فِي "تَقَيْتُ". وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: أَبْدَلْتَ التَّاءَ مَكَانَ الطَّاءِ، لِيَكُونَ مَا بَعْدَ السِّينِ مَهْمُوسًا مِثْلَهَا، كَمَا قَالُوا: "إِزْدَانَ"، لِيَكُونَ مَا بَعْدَهُ مَجْهُورًا، فَأَبْدَلُوا مِنْ مَوْضِعِهَا أَشْبَهَ الْحُرُوفِ بِالسِّينِ، فَأَبْدَلُوهَا مَكَانَهَا كَمَا تُبْدَلُ هِيَ مَكَانَهَا فِي الإِطْبَاقِ»<sup>4</sup>؛ خرج سيبويه الحذف تخريجين : أول: افترض فيه أنه قد تم حذف الطاء وترك تاء البناء.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص294.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص193.

3- سعيد بن مسعدة الأخفش: معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01، 1990م، ج02، ص433.

4- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج04، ص484.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

ثانٍ: أنه قد تم إبدال التاء مكان الطاء والغرض من ذلك أن تتجاور التاء والسين لتتاسبهما في الهمس، كما فعلوا في "ازدان" وأبدلوا مكان "تاع البناء" دالا لتتاسب جهر الزاي، وكما أبدلت الطاء من التاء مع حروف الأصوات المطبقة، وتعليل سيويه صوتي محض نبه فيه إلى استحسان تجاور الأصوات المتناسبة في الصفات وكل ذلك لتخفيف الجهد على المتكلم.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من التخفيف، وهو حذف أحد الأصوات المتماثلة أو المتقاربة غير مطرد ولا يجري على كل مثال، وقد نبه الرازي على شذوذه في هذا المدخل وفي غيره من المداخل أيضا، ومما يقوي مذهب القائلين بشذوذه، ارتباطه بأقاليم بعينها، وهو اختيار القبائل التي تؤثر الاقتصاد والاختصار في الكلام ويرجع ذلك إلى تداخل العوامل البيئية والاجتماعية، «قَالَ الْأَخْفَشُ: اسْتَحَى بِيَاءٍ وَاحِدَةً لُغَةً تَمِيمٌ»<sup>1</sup>، ونُسب أيضا إلى بني سُلَيْمٍ، حيث جاء في لسان العرب: «وَحَكَى اللَّحْيَانِيُّ عَنِ بَنِي سُلَيْمٍ: لَقَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ أَيَّ ظَنَنْتُ، فَحَدَفُوا كَمَا حَدَفُوا ظَلْتُ وَمَسْتُ وَمَا أَحَسْتُ ذَلِكَ، وَهِيَ سُلَيْمِيَّةٌ»<sup>2</sup>، بينما فضلت فئة من العرب الإبقاء على الأصل مثل أهل الحجاز: «وَبِيَاءَيْنِ لُغَةً أَهْلِ الْحِجَازِ وَهُوَ الْأَصْلُ»<sup>3</sup>.

### 4.2.3.6. الثقل:

يوثق الجدول الآتي شواهد الحذف بسبب الثقل:

الحذف	الشاهد من مختار الصحاح على الحذف بسبب الثقل
لكن أنا/ لكننا	«ل ك ن»: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: 38] أَصْلُهُ لَكِنَ أَنَا فَحُدِفَتِ الْأَلِفُ فَالْتَقَتْ نُونَانِ فَجَاءَ التَّشْدِيدُ لِذَلِكَ» <sup>4</sup>
سائر/ سائر	«س ي ر»: «(سَارُ) الشَّيْءِ لُغَةً فِي سَائِرِهِ» <sup>5</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 86.

2- محمد بن منظور الإفريقي: لسان العرب (فصل الطاء)، ج 13، ص 273.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 86.

4- المرجع نفسه: ص 284.

5- المرجع نفسه: ص 159.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

لُمَاتَةٌ/ لُمْتَةٌ	ل أ م: «فِي الْحَدِيثِ: «لَيْبِرُوجِ الرَّجُلِ لُمْتَةٌ» أَي مِثْلُهُ وَشَكْلُهُ وَالْهَاءُ عِوَضٌ مِنَ الْهَمْزَةِ الدَّاهِيَةِ مِنْ وَسَطِهِ.» <sup>1</sup>
يَا آلَ/ يَا لَ	(باب اللام): «يَا لَبَكْرٍ أَنْشُرُوا لِي كَلْبًا وَقِيلَ: أَصْلُهُ يَا آلَ بَكْرٍ فَخُفِّفَ بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ.» <sup>2</sup>
الشَّنَانُ/ الشَّنَانُ	«ش ن ن: (الشَّنَانُ) بِالْفَتْحِ الْبُعْضُ لُغَةٌ فِي (الشَّنَانِ).» <sup>3</sup>

يعد الثقل باعنا أساسيا على العديد من التطورات الصوتية، وقبل الشروع في بيان أثره في حذف الأصوات والمقاطع من بناء الكلمة والتركيب في اللغة العربية، تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة، وهي وجوب التفرقة بين "الثقل" و"التخفيف" بوصف الأول سببا للحذف، والثاني غاية، حيث إن هدف التخفيف مُنْضَمَّنٌ في كل عوامل الحذف التي سيقَّت في هذا الجزء من البحث، والمتأمل لنماذج الحذف من المدونة يتبين له ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الثقل قد كان هو الآخر شريكا لأنواع متباينة من الحذف الصوتي؛ كالحذف بسبب تتابع المتماثلات والمتقاربات وغيرها، والمقصود هنا هو الثقل الكامن في الصوت ذاته، لا ثقل التركيب، حيث تتباين أصوات اللغة العربية من حيث المجهود المبذول في إخراجها، ومما يكثر الحذف فيه الهمزة، وذلك لأنها صوت قوي عصيٌّ على النطق. يقول ابن الشجري: «مِمَّا كَثُرَ حَذْفُهُ مِنَ الْحُرُوفِ الْهَمْزَةُ، وَجَاءَ ذَلِكَ فِي الْإِسْمِ وَالْفِعْلِ، فَحَذَفُوهَا فَأَاءٌ وَعَيْنًا وَلَا مَاءً، وَرَائِدَةٌ»<sup>4</sup>، ومن أمثلة حذف الهمزة ما ورد في مادة (س ي ر) من مختار الصحاح: «(سَارُ) الشَّيْءِ لُغَةٌ فِي سَائِرِهِ»<sup>5</sup>، حيث عُدَّت صيغة "سار" لغةً في "سائره"، إذ حُذفت الهمزة الوسطى الوسطى من "سائر" بعد الألف، وهو سياق صوتي ثقيل على جهاز النطق، فتحوّلت البنية إلى "سار" على سبيل التخفيف، وذلك بخلاف الشائع من أوجه التخفيف في العربية. يقول

1- المرجع نفسه: ص 277.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 277.

3- المرجع نفسه: لص 169.

4- هبة الله بن علي بن الشجري: أمالي ابن الشجري، ج 02، ص 193.

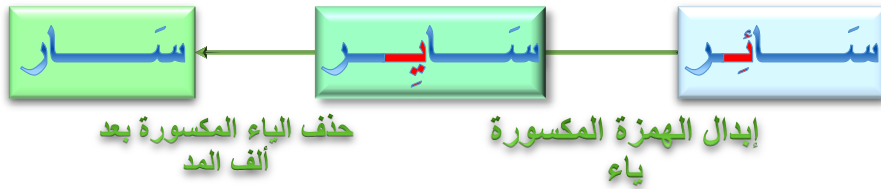
5- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 159.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

سيبويه: «وَأَدَا كَانَتْ الْهَمْزَةُ مُنْكَسِرَةً وَقَبْلَهَا فَتْحَةٌ صَارَتْ بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَالْيَاءِ السَّاكِنَةِ»<sup>1</sup>، هذا هو المعمول به في تخفيف الهمزة في مثل هذا الموضع، وهي أن تُجعل بين بين، أي أنها لا تحذف ولا تبدل، ولكنها تنطق بين "الهمزة الصريحة" و"الياء الساكنة"، غير أن المثال الذي سيق قد تجاوز هذه المرحلة، بحيث إنه لا يوجد أثر للهمزة، ما يعني أنه قد تم بالفعل حذف الهمزة، والراجح أن الحذف لم يتم في مرحلة واحدة، فقد تم إبدال الهمزة المكسورة ياءً؛ ذلك أن الياء هي أقرب الأصوات إليها في هذا الموضع الذي تتابع فيه ألف وهمزة مكسورة، وتمخض عنه بناء "سائر" والذي تتابع فيه ألف وياء مفتوحة، وهو بناء مستثقل في العربية، وانتهى الأمر بأن سقطت الياء لاستحالة انقلابها ألفاً.

ويُلخص مسار التطور الصوتي بحذف الهمزة من بناء كلمة "سائر" بسبب الثقل في

المخطط الآتي:



الشكل 25: تطور "سائر" إلى "سار" بالحذف للثقل

### 5.3.3. التقاء الساكنين:

تتص قواعد التلطف في اللغة العربية على استحالة التقاء ساكنين، وذلك بسبب «أن الساكن يحدث بحصول حبس فإذا حصل هذا في الحرف السابق امتنع الخروج منه إلى الحرف الساكن الموالي»<sup>2</sup>، وينشأ على إثر ذلك ثقل يعوق الانسياب الطبيعي للنطق، إذ تلعب الحركات دور الجسر الذي يربط بين الصوامت، ولذلك فقد عمد المتكلم إلى كسر هذا التتابع المعيق لاستكمال النطق بالكلمات والتراكيب عن طريق إشباع الساكن أو حذفه جملة، ومن أمثلة الحذف بسبب تتابع ساكنين في التركيب ما جاء في المدخل "من" بالمدونة: «ومن العرب من يحذف نونه عند الألف واللام لالتقاء الساكنين فيقول: ملكذب، أي من

1- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، ج3، ص 542.

2- عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص186.

## الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح

الكذب»<sup>1</sup>، عند وصل الكلام يسقط العربي الألف من "ال" التعريف فيلتقي على إثر ذلك ساكنان هما النون واللام، ما يسبب حبسا وإعاقة لاستمرار الاثنيان ببقية المقاطع فكان حذف أحدهما الوسيلة التي لجأ إليها المتكلم في سعيه إلى الخفة والسرعة، وهذا كان شائعا عند العرب فيقولون "بلعمبر" و"بلحارث" يريدون "بن العمبر" و"بن الحارث"، سواء كان ذلك في التركيب أم في الكلمة المفردة.

ومن أمثلة الحذف بسبب التقاء الساكنين في الكلمة حذف الواو في "لَمْ يَكُونُ" في الشاهد من مادة «ك و ن»: «وَقَوْلُهُمْ: "لَمْ يَكُ" أَصْلُهُ "لَمْ يَكُونُ" النَّقْيَ سَاكِنَانِ فَحُذِفَتِ الْوَاوُ فَبَقِيَ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ حُذِفَتِ النَّونُ تَخْفِيفًا لِكثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ فَإِذَا تَحَرَّكَتِ النَّونُ أَثْبَتُوهَا فَقَالُوا: لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ. وَأَجَازَ يُونُسُ حَذْفَهَا مَعَ الْحَرَكَةِ وَأَنْشَدَ:

إِذَا لَمْ تَكُ الْحَاجَاتُ مِنْ هِمَّةِ الْفَتَى \*\*\* فَلَيْسَ بِمُغْنٍ عَنْكَ عَقْدُ الرِّتَائِمِ»<sup>2</sup>، إذ التقت الواو الساكنة بالنون الساكنة بسبب الجازم قبلها، وهذا تتابع مرفوض في العربية، والتخلص منه يتم بإسقاط الساكن الأول وهو الواو لضعفها مقارنة بالنون، فالواو في هذا الموضع تعد من حروف المد واللين، وذلك أنه «يَكُونُ فِيهَا مَدٌّ وَلِينٌ إِذَا سَكَنَتْ وَأَنْضَمَّ مَا قَبْلَهَا»<sup>3</sup>، ومعروف أن هذا القسم من الأصوات أكثر الأصوات قابلية للتغيير في اللغة العربية؛ ولذلك ابتدئت سلسلة الحذف بالواو، وكثرة استعمال هذه العبارة على ألسنة العرب، ولأنها ساكنة «فإن الحروف الساكنة تزداد قابليتها للحذف»<sup>4</sup>، وكذلك لوقوعها طرفا، حذفت النون اختصارا كمرحلة ثانية، ويلخص المخطط الآتي مسار التطور بالحذف في "لم يكون":



الشكل 26: تطور "لم يكون" إلى "لم يك" بالحذف لالتقاء الساكنين

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 643.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 275.

3- مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، ص 235.

4- Roger Lass: Phonology An Introduction To Basic Concepts, p187.

## الفصل الأوّل: التّطوّر الصّوتي في مختار الصّاح

---

بعد عرض الأسباب المختلفة لوقوع الحذف الصوتي، قد يبدو للوهلة الأولى أن هناك حشواً وتكراراً؛ فالاستخفاف مثلاً هو عكس الاستئقال. غير أنه تجدر الإشارة إلى أن علماء العربية القدامى كانوا دقيقين في استعمال الألفاظ، فعند ذكر الاستخفاف سبباً للحذف فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن هناك ثقلاً، وإنما هو طلب لمزيد من الخفة، وعند استعمالهم استئقالاً، فهي إشارة واضحة منهم إلى وجود ثقل مرفوض، أما كثرة الاستعمال فهي سبب للحذف فيما قد لا يكون ثقيلاً أصلاً، لأن كثرة التردد وحدها كفيلاً بالتغيير ولذلك فإن أكثر الألفاظ حفاظاً على استقرارها ما كان استعمالها نادراً، ويكون هذا الاستقرار شكلياً ودلالياً أيضاً.

الفصل الثَّانِي: التَّطَوُّر الدَّلَالِي فِي

مَخْتَار الصَّحَّاح

الفصل الثَّاني: التَّطوُّر الدَّلالي في مختار الصَّحاح

1. التطور الدلالي في مختار الصحاح وأسبابه

1.1. التطور الدلالي

2.1. أسباب التطور الدلالي

2. أثر التطور الدلالي على العلاقات الدلالية في مختار الصحاح

1.2. الترادف

2.2. الاشتراك اللفظي

3.2. التضاد

3. أقسام التطور الدلالي في مختار الصحاح

1.3. أقسام تطور المعنى بحسب التقسيم المنطقي-البلاغي

2.3. أقسام تطور المعنى بحسب تقسيم غوستاف ستيرن

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

### تمهيد:

يتم في هذا الفصل تناول الشكل الثاني من أشكال التطور اللغوي، وهو التطور الدلالي والذي يجري الكشف عنه بتتبع دلالات الألفاظ وتحولات المعنى عبر الزمن، نتيجة تفاعل جملة من العوامل التاريخية واللغوية والاجتماعية والنفسية؛ فقد أسهم الانقلاب الحضاري وتبدل أنماط العيش والاحتكاك الثقافي في نقل بعض الألفاظ من دلالاتها الأصلية إلى معانٍ جديدة تلائم السياقات المستحدثة، كما أدى العامل اللغوي عبر ما يتيح النظام الداخلي من آليات دور المرافق للتغيرات الخارجية، وعمل على الجمع بين مواكبة التطور الحاصل من جهة، وتوفير الحماية ضد التحول الجذري من جهة أخرى، فضلاً عن العوامل الاجتماعية التي تعكس أثر البيئة والعلاقات الإنسانية في تشكيل المعنى وتبديله، وكذا النفسية التي ترتبط بأنماط الإدراك وطرائق التعبير الفردي والجماعي، فيتضح الإطار النظري الذي يوجه دراسة التطور الدلالي ويكشف العوامل المؤثرة في مساره.

وتتيح دراسة أقسام التطور الدلالي، كما أقرها التقسيم المنطقي، فهم الظواهر المندرجة تحت التخصيص والتعميم، والانتقال من الحقيقة إلى المجاز أو من الدلالة الحسية إلى المجردة، كما يُقدّم تقسيم غوستاف ستيرن إطاراً منهجياً يكشف آليات الإحلال والاختصار والتسمية والنقل والإبدال، واستناداً إلى هذين النسقين من التصنيف، يجيء تحليل التطور الدلالي في معجم مختار الصحاح لإبراز كيفية تجسّد هذه الظواهر في المادة اللغوية التي أثبتتها المؤلف، ولبيان مسارات المعنى داخل العربية في ضوء استعمالها التاريخي والثقافي.

### 1. التطور الدلالي في مختار الصحاح وأسبابه

يرتبط البحث في التطور الدلالي ارتباطاً وثيقاً بجملة من المفاهيم الأساسية التي لا يمكن مقارنته دون ضبطها، وقبل تقديم تعريفٍ للتطور الدلالي، تقتضي المنهجية العلمية الوقوف على مفهومي "المعنى" و"الدلالة" وبيان حدودهما وضوابط استعمالهما، والكشف عن الفروق الدقيقة؛ لما لهما من مركزية في بناء هذا السياق المعرفي، وذلك تمهيداً للانتقال إلى دراسة التطور الدلالي بوصفه الامتداد الطبيعي لتحوّلات المعنى عبر الزمن وتنوّع السياقات التداولية.

#### 1.1. التطور الدلالي:

يُعدّ مصطلح "الدلالة" من أكثر المصطلحات اقتراناً بمصطلح "المعنى" في الدراسات اللسانية، وغالباً ما يُستعمل أحدهما موضع الآخر انطلاقاً من افتراض وحدة المفهوم بينهما، غير أنّ هذا التداخل الاصطلاحي يستدعي تحرير الفرق بينهما-إن وُجد- من خلال استقصاء التعريفات اللغوية والاصطلاحية لكلّ من المصطلحين، قصد تحديد مجاليهما وحدود التمايز بينهما.

#### 1.1.1. تعريف الدلالة:

الدلالة في اللغة تفيد معنى التوجيه والهداية إلى الشيء، حيث جاء في لسان العرب: «دلّ فلان إذا هدى [...] ودلّه على الشيء يدُّهُ دلاً ودلالةً فاندلّ: سدّه إليه، ودلّته فاندلّ [...] والدليل: ما يُستدلُّ به، والدليل: الدالّ. وقد دلّه على الطريق يدُّهُ دلالةً ودلالةً ودلولةً»<sup>1</sup>. ارتبط معنى الدلالة بالفعل الحسيّ للإرشاد إلى الطريق أو إلى شيء منظور، ويعضد هذا ما أورده الزمخشري في الكشف: «ومن المجاز: الدالّ على الخير كفاعله»<sup>2</sup>، وكأننا به يريد القول بأنّ الأصل في الدلالة هو الإرشاد الماديّ، أمّا توظيفها في المعاني المجردة فانتقال مجازي من المحسوس إلى المعنوي.

أما اصطلاحاً فقد عرّف الراغب الأصفهاني (ت502هـ) الدلالة بقوله: «الدلالة: ما يُتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز،

1- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب (فصل الدال)، ج11، ص248

2- محمود بن عمر جار الله الزمخشري: أساس البلاغة مادة «د ل ل»، ج01، ص295.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

والكنائية، والعقود في الحساب، وسواءً كان ذلك بقصدٍ ممن يجعله دلالةً، أو لم يكن بقصدٍ، كمن يرى حركة إنسانٍ فيعلم أنه حيٌّ<sup>1</sup>، ويفهم من هذا التعريف أن الدلالة عنده تشمل كل ما يوصل إلى إدراك الشيء، على اختلاف الوسيلة، ودون اشتراط توفر القصد، فالمقياس هنا هو تحقق المعرفة بالشيء، لا نوع الوسيلة أو نية المتكلم.

وأضاف التهانوي على تعريف الراغب الأصفهاني تحديد طرفي العلاقة واصطلاح عليهما وسم "الدال" و"المدلول"، مؤكداً أن الرابط بينهما لا يقتصر على الألفاظ، بل يشمل كل ما يمكن أن يؤدي معنى، من رموز وإشارات وعقود وغيرها، وذلك في قوله بأن الدلالة هي «أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر [...] والشيء الأول يسمى دالاً والشيء الآخر يسمى مدلولاً، والمراد بالشيئين ما يعم اللفظ وغيره»<sup>2</sup>، وهو بذلك يرسخ البعد المنطقي في مفهوم الدلالة، باعتبارها علاقة بين طرفين تفضي معرفة أحدهما إلى معرفة الآخر.

انطلاقاً من تعريفين الآنفين، يمكن القول بأن الدلالة عند العرب القدامى هي العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول، بحيث يعدّ الأول وسيلة لإدراك الثاني، سواء أكانت هذه الوسيلة لفظاً منطوقاً أم إشارة أو رمزاً أو عددًا، وسواء أكانت مقصودة أم عفوية.

نستهلّ تعريف اللسانيين للدلالة بمفهومها عند فردينان دي سوسير، والذي يمكن استنباط تصوّره لها من تحليله لطبيعة العلامة اللغوية والعلاقة بين عنصرَيْها، إذ يقول: «العلامة اللغوية لا تجمع بين شيء واسم، وإنما تجمع بين مفهوم وصورة صوتية، وهذه الأخيرة ليست هي الصّوت المادي، أي الشّيء الفيزيائي الخالص، بل هي البصمة النفسية لهذا الصّوت»<sup>3</sup>، يحدّد دي سوسير هنا طرفي العلامة اللغوية في "المفهوم" (*le concept*) و"الصورة الصوتية" (*l'image acoustique*)، مبيّنًا أن المقصود بالصورة الصوتية ليس المظهر الفيزيائي للأصوات أو تسلسلها المادي، بل الانطباع الذهني الناتج عنها في وعي المتكلم والسامع، وهنا يظهر البعد النفسي في التحليل السوسيري، إذ تُفهم اللغة بوصفها

1- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، سورية، ط01، 1991م، ص316.

2- محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج01، ص787.

3- Ferdinand De Saussure: Cours De Linguistique Générale, p73.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصّاح

منظومة رمزية ذهنية أكثر من كونها ظاهرة مادية، ويضيف موضحاً طبيعة الترابط بين هذين العنصرين بقوله: «هذان العنصران متّحّدان بشكل وثيق، ويستدعي كلّ منهما الآخر»<sup>1</sup>، وهذا التصور يُبرز أن العلاقة بين المفهوم والصورة الصوتية علاقة تبادلية لا يمكن فيها لأحدهما أن يوجد في الذهن دون استدعاء الآخر، فهي علاقة ترابط ذهني مزدوج وليست علاقة إحالة خارجية بين "اسم" و"شيء"، ثم يقدّم سوسير تسميات جديدة لهذين المكوّنين حين يقول: «نقترح الاحتفاظ بمصطلح العلامة للتعبير عن الكلّ، واستبدال كلّ من المفهوم والصورة الصوتية بالمدلول والدالّ على التّوالي»<sup>2</sup>، وبذلك أسّس دي سوسير مفهوم الدلالة عنده وهي العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول داخل النسق اللغوي.

وقد عرض جورج موانان هذا التصور ضمن مجموعة مختلفة من الآراء، حيث ورد في معجمه: «فحسب الرؤية السوسيرية تمثل الدلالة (*signification*) العلاقة بين الدالّ والمدلول [...] وقد تمثّل عند غيره المعنى السياقي، أي مجموعة استعمالات العلامة»<sup>3</sup>، ويتّضح من كلام جورج موانان أن تعريف الدلالة لم يكن موحّداً بين اللسانيين، فبينما رآها سوسير علاقة تبادلية بين الدال والمدلول، رآها غيره علاقة متغيّرة تُحدّدها السياقات التداولية.

ومن أبرز من خالف الرؤية السوسيرية بيير جيرو (*Pierre Guiraud* 1912-1983)، الذي عرّف الدلالة بأنها: «العملية التي يتمّ من خلالها ربط شيءٍ أو كائنٍ أو مفهومٍ أو حدثٍ بعلامةٍ يمكن أن تُذكّر أو تُوحى به؛ فالسحابة علامة على المطر، وتقطيب الحاجب علامة على الحيرة، ونباح الكلب علامة على الغضب، وكلمة "حصان" علامة على الحيوان المعروف»<sup>4</sup>، حيث وسّع مفهوم الدلالة ليشمل كل علاقة بين علامة وموضوعها، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، طبيعية أم اصطلاحية، وقد أعاد بيير جيرو الاعتبار للتجربة الإدراكية المباشرة التي تربط العلامة بمدلولها في الواقع، لا في الذهن فقط، وهذا التصور قريب جداً من مفهوم الدلالة عند العرب القدامى، الذين نظروا إليها باعتبارها تلازماً بين شيئين: (الدال والمدلول)، وتنوّعت عندهم صور الدلالة بين اللفظية، والإشارية، والرمزية.

1 - Ferdinand De Saussure: Cours De Linguistique Générale, p74.

2 - Ibid: p75.

3 - George Mounin: Dictionnaire de Linguistique, p 300/ 301.

4 -Pierre Guiraud: la sémantique, presses universitaire de France, 108 boulevard saint-germain, paris, 6<sup>ème</sup> éd, 1969, p11.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

ويتبيّن مما سبق أن تعريفات المحدثين للدلالة قد تباينت باختلاف مناهجهم؛ ففريقٌ منهم، وعلى رأسه دي سوسير، ضيق مفهوماً ليقصر على العلاقة الذهنية بين الدال والمدلول داخل النسق اللغوي، بينما وسّعها آخرون، مثل بيير جيرو، لتشمل كل علاقة دلالية تربط العلامة بمضمونها في العالم الخارجي، وتراوح مفهوم الدلالة بين النسق البنوي المغلق، والنسق التداولي الموسع، الذي يلتقي في جوهره مع ما قرّره التراث العربي القديم من فهم شامل للعلاقة الدلالية.

### 2.1.1. تعريف المعنى:

المعنى لغة هو القصد من الكلام، حيث جاء في لسان العرب: «ومعنى كلّ كلامٍ ومَعْنَاهُ وَمَعْنِيَّتُهُ: مَقْصِدُهُ»<sup>1</sup>.

أما في الاصطلاح فقد تباينت آراء العلماء حول مفهومه، وانعكس تباينهم في الحدود التي وضعوها له، حيث عده البعض صوراً للموجودات الخارجية، على غرار أبي حامد الغزالي الذي يقول: «واللفظُ دالٌّ على المعنى الذي في النفس؛ والذي في النفس هو مثالُ المَوْجُودِ في الأعيان»<sup>2</sup>، وخالف الفخر الرازي هذا التعريف، فالمعنى عنده «اسمٌ للصورةِ الدّهنيّةِ لا للموجوداتِ الخارجيّةِ، لأنَّ المعنى عبارةٌ عن الشّيءِ الذي عناهُ العاني وقصدهُ القاصِدُ، وذلك بالذاتِ هو الأمورُ الدّهنيّةُ»<sup>3</sup>، بينما فرق أبو القاسم السهيلي (ت581هـ) بين ما إذا كان المشار إليه محسوساً، وما إذا كان مجرداً، فقال: «المعنى هو الشّيءُ المَوْجُودُ في العيانِ إنْ كانَ مِنَ المَحسوساتِ كزَيْدٍ وعمرو، وفي الأذهانِ إنْ كانَ مِنَ المَعقولاتِ كالعلمِ والإرادةِ. فذلك المَوْجُودُ الذي في العيانِ أو المَوْجُودُ الذي في الأذهانِ وُضِعَتْ لَهُ عبارةٌ في اللسان»<sup>4</sup>، ومما تقدم من تعريفات يتضح اختلاف العلماء العرب القدامى في وضع حد جامع للمعنى؛ إذ عده البعض صوراً لما في الذهن وربطه بقصد المتكلم، بينما رأى آخرون

1- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، ج15، ص106.

2- محمد أبو حامد الغزالي: معيار العلم في فن المنطق، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، (دط)، 1961م، ص75.

3- محمد بن عمر فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط03، 1999، ج01، ص38.

4- عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط01، 1992م، ص30.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

أن المعاني تتبع من معابنتنا للأمور المحسوسة، وبالتالي فإنه انعكاس لها، فيما فرق البعض الآخر بينما إذا كان المرجع ماديا أو مجردا.

ولم يوفق اللسانيون المحدثون بدورهم في وضع تعريف يلم شتات آرائهم المختلفة، فالمعنى عند دي سوسير مثلا هو المفهوم، أو ما أصطلح عليه "بالمدلول" وهو البعد التجريدي للعلامة اللغوية والتصور العقلي الذي يستدعيه الدال<sup>1</sup>، فيما عدّه ليونارد بلومفيلد «الموقف الذي ينطق فيه المتكلم والاستجابة التي يستدعيها عند المستمع»<sup>2</sup>، متأثرا في تعريفه للمعنى بالمنحى السلوكي، وقد ربط غوستاف ستيرن (1882-1948 *Gustaf Stern*) بين المعنى والمحتوى الذهني دون أن يساوي بينهما، فهو عنده «ليس متطابقاً مع كل المحتوى الذهني المرتبط بالكلمة، بل مع جزء منه فقط، وبهذا يكون المحتوى الذهني هو الجنس القريب لتعريف المعنى»<sup>3</sup>؛ ذلك أن المحتوى الذهني لكلمة ما يضم ملاسبات الحدث الكلامي بشكل كامل، ولا يقتصر على ما أفاده اللفظ.

إن هذا التباين في وضع حد منضبط للمعنى يعود إلى طبيعته النفسية وارتباطه بقصد المتكلم وتصور المستمع، وكذا طبيعة المراجع التي يحيل إليها، كما أن الاتصال الوثيق بين الدوال والمدلولات واستدعاء كل طرف منها للآخر جعل من التفريق بينها عملا دقيقا، ولهذا عمد اللسانيون إلى وضع مخططات قصد بيان ماهية كل طرف، وكذا توضيح طبيعة العلاقة التي تربط بينهما، ومن أشهر تلك المخططات، المثلث الدلالي الذي وضعه كل من تشارلز أوجدن (1889-1957 *Charles Kay Ogden*) وإيفور ريتشاردز (1893-1979 *Ivor Armstrong Richards*) في مؤلفهما "معنى المعنى"، والذي أحصوا فيه ما يربو عن عشرين تعريفا للمعنى، وهو ما يدل على عمق الإشكال الذي تطرحه محاولة وضع حد له، وقد أدخل غوستاف ستيرن تعديلا عليه، لخصه في المخطط الآتي<sup>4</sup>:

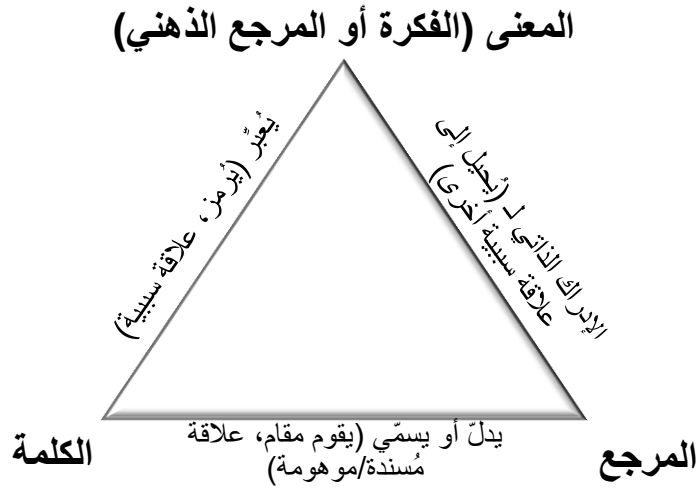
1- Ferdinand De Saussure: Cours De Linguistique Générale, p76.

2- Leonard Bloomfield: Language, p139.

3- Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, Bloomington Indiana University Press, 1<sup>st</sup>ed, 1931, p35.

4- Ibid: p37.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح



### الشكل 27: المثلث الدلالي لغوستاف ستيرن

يوضّح المخطط الذي قدّمه غوستاف ستيرن طبيعة العلاقات التي تربط بين كل من الكلمة (الرمز)، والمعنى (الفكرة)، والمرجع (مادي أو معنوي)؛ إذ يبيّن أنّ العلاقة بين الكلمة والمعنى تقوم على خاصية التعبير أو الترميز، في حين أنّ الصلة بين المعنى والمرجع تُبنى على أساس الإدراك الذاتي لما يحيل إليه المعنى، أمّا العلاقة غير المباشرة بين الكلمة والمرجع فلا تُعدّ جوهرية أو طبيعية، بل هي علاقة دلالة أو تسمية تقوم على الإسناد والافتراض أكثر من قيامها على الارتباط السببي المباشر، ومن خلال هذا البناء الثلاثي، يقدّم غوستاف ستيرن تصورًا يُظهر أنّ العلامة اللغوية لا يمكن أن تُختزل في ثنائية "الدال" و"المدلول" فقط، بل إنّها شبكة من العلاقات التي تصل بين النظام الرمزي والإدراك الذهني والواقع الخارجي، ويحيلنا هذا المخطط الذي يجلّي طبيعة العلاقة التي تربط بين أطراف العلامة اللغوية إلى فهم كيفية حدوث التطور الدلالي.

#### 3.1.1. العلاقة بين الدلالة والمعنى:

بعد عرض التعريفات اللغوية والاصطلاحية لكلّ من مصطلحي الدلالة والمعنى في التراث العربي، يمكن الخلوص إلى أنّ القديما قد ميّزوا بينهما؛ إذ حدّوا الدلالة بكونها العلاقة التي تربط بين طرفين، يقتضي إدراك أحدهما استدعاء الآخر، وسمّوا هذين الطرفين "دالا" و"مدلولاً"، دون تقييدٍ لطبيعة الدال أو شكله، ودون اشتراط القصد في عملية الدلالة، أمّا المعنى فاعتبروه الصورة الذهنية الملازمة للفظ، سواء أكان مرجعها داخليًا مجردًا أم

## الفصل الثَّاني: التطُّور الدَّلالي في مختار الصَّحاح

خارجياً عينياً، على أن يكون اقترانها باللفظ مقصوداً من المتكلِّم، ويتَّضح من ذلك أن القدماء وثقوا الدلالة بعملية الربط بين الطرفين، والمعنى بمحتوى الفهم الناتج عنها. ويبدو أن هذا التصرُّور كان أكثر اتساقاً عند العرب القدامى منه عند الدارسين المحدثين، الذين تباينت مواقفهم من طبيعة العلاقة بين الدلالة والمعنى. وقد لخص الدكتور هادي نهر هذا التباين بقوله: «أمَّا المحدثون فكانوا فرقاء، فمنهم من ذهب إلى القول بترادف مصطلحي: الدلالة والمعنى، ومنهم من رأى أنَّ المعنى أوسع من الدلالة، لاقتصار الأخير على اللفظة المفردة، وعدَّ آخرون الأمر معكوساً»<sup>1</sup>، ويفيد هذا القول أنَّ الخلاف عند المحدثين دار بين ثلاثة اتجاهات رئيسية: من رأى الترادف، ومن جعل بينهما علاقة عموم وخصوص مطلق، ومن عكس هذه العلاقة.

وقد فُصلَّ هذا التمايز في المعجم الاشتقاقي الذي نصَّ على أنَّ: «(الدلالة) أوسع من (المعنى)؛ فلفظ (المعنى) قريب إلى الاختصاص ب(المعنى اللغوي)، ولفظ (الدلالة) يستعمل في كل ما يدل على شيء؛ كالإشارة، والعقد، ومنه دلالة اللفظ على معناه. وقد شاع استعمال لغويينا المحدثين إياه في (المعنى اللغوي)»<sup>2</sup>، وهذا ما اتضح بالعودة إلى تعريف كل من القدامى والمحدثين لكل من الدلالة والمعنى.

ونجد اتجاهاً مغايراً يرى أن الفرق بين المفهومين يرتكز على زاوية النظر؛ حيث يتكوّن المعنى من العلاقات البينية بين الوحدات داخل النظام اللغوي، مثل الترادف والتضاد، بينما تشير الدلالة (المرجعية) إلى العلاقة الإحالية بين اللفظ ومرجعه الخارجي، وقد بلور جون لاينز (John Lyons 1932-2020) هذا التمييز بقوله: «المعنى الذهني يتعلق بعلاقات قائمة بين التعابير اللغوية، أي بين كيانات تنتمي جميعها إلى لغة ما، وهذا ما يميّزه بوضوح عن الدلالة المرجعية (denotation)، التي تربط التعابير بفئات من الكيانات الموجودة في العالم الخارجي»<sup>3</sup>، كما ميّز جورج مونان (Georges Mounin 1910-1993) بين المفهومين على نحو دقيق، فيقول: «دلالة وحدة لغوية ما هي مدلولها [...] أما معناها فهو القيمة الدقيقة

1- هادي نهر: علم الدلالة التّطبيقي في التّراث العربي، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط01، 2008م، ص15.

2- محمد حسن جبل: في الاشتقاق اللغوي والمعجم الاشتقاقي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (دط)، 2014م،

ص08.

3- John Lyons: Language, Meaning and Context, Fontana Paperbacks, Great Britain, 3<sup>rd</sup> ed, 1986, p58.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

التي يكتسبها هذا المدلول المجرد في سياق معين»<sup>1</sup>، ما يعني بأن الدلالة تعبر عن المدلول المجرد الكلي للفظ، بينما يتجسد المعنى في السياق الخاص الذي يحدده المقام الاستعمالي، ويميز بذلك جورج موان بين المعنى الوضعي العام والمعنى السياقي الخاص. وتأسيساً على ما سبق، يمكن القول بأن العلاقة بين الدلالة والمعنى ظلت محل خلاف بين الباحثين في الدرس اللغوي الحديث؛ حيث تباينت مواقف المحدثين بالنظر إلى اختلاف المنطلقات وتنوع تصوراتهم لمفهوم المعنى ومجال الدلالة، وعلى النقيض من ذلك، فقد اتفق العلماء العرب القدامى على التمييز بين المفهومين من حيث الوظيفة والمجال.

### 4.1.1. تعريف التطور الدلالي:

أطلق على تغيير المعنى وسم التطور الدلالي لأن ما يطرأ على اللفظ لا يقتصر على تبدل محتواه الذهني فحسب، بل يشمل تغيير شبكة العلاقات التي تربطه بمدلوله وبالوحدات الأخرى داخل النظام اللغوي، فالمعنى مرتبط بالقصد والاستعمال، في حين تُحيل الدلالة إلى العلاقة القائمة بين الدال والمدلول في نسق لغوي شامل، وعندما تتبدل طرائق استعمال الألفاظ أو تتغير وظائفها، تتحول علاقاتها الدلالية تبعاً لذلك، فينشأ ما يُعرف بالتطور الدلالي، وهذه العملية ذات طبيعة تدريجية، تُعيد توزيع القيم والمعاني في اللغة دون أن تقطع صلتها بأصولها القديمة، لذلك جاءت التسمية دقيقة من منظور لساني، إذ تعبر عن سيرورة تاريخية مستمرة تمس بنية النظام الدلالي برمته ولا تقتصر على المعاني.

وقد سبق وأن تم عرض مفهومي كل من المعنى والدلالة، وتوضيح الفرق بينهما، كما تم تعداد العناصر التي تشكل الدلالة؛ وهي الكلمات (الدوال) والمحتوى الذهني (المدلول) والمرجع، وكشف طبيعة الارتباطات بينها من منظور علم الدلالة، وبناءً على هذه المقدمات النظرية، تم تعريف التطور الدلالي: «بأنه التعديل الاعتيادي، لدى عدد كبير نسبياً من المتكلمين، في المدى الدلالي التقليدي للكلمة، وهو تعديل ينشأ عن استعمال الكلمة إمّا للدلالة على مُسمى أو أكثر لم تكن قد دلت عليه من قبل، أو للتعبير عن طريقة جديدة في تصوّر مُسمى أو أكثر من مُسمياتها»<sup>2</sup>، بتفكيك هذا التعريف الذي قدمه غوستاف ستيرن بعد توطئة طويلة فصل فيها القول بخصوص تلك العناصر وفرق بينها، نجد أنه-التعريف-

1- Georges Mounin: Clefs Pour La Linguistique , Editions SEGHERS, Paris, 1968, p152.

2- Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, p163.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

يشتمل أولاً على شرط اعتباري، وهو أن يلقي التعديل قبولا عند مستعملي اللغة، فلا تدخل التغييرات الفردية ضمن مجال التطور الدلالي حتى تذيب وتنتشر، ولا أدل على قبول التطور وذيوعه من تدوينه وتوثيقه في معجمات اللغة، وبالتالي فإن أي تطور مسجل في مدونة البحث قد توفر على هذا الشرط ابتداءً.

كما أنه أشار إلى المدى الدلالي للكلمة، والذي بين المقصود منه، وهو «إجماع الجماعة اللغوية حول المراجع التي يمكن استخدام كلمة ما عادةً للدلالة عليها، وحول المحتوى الذهني الذي يمكن للكلمة أن تعبر عنه عادةً»<sup>1</sup>، فالمدى التقليدي للكلمة يعبر عن مجموع استعمالاتها المسجلة خلال تاريخ اللغة المعلوم، وبالتالي فإن كل تطور دلالي معتمد يوسّع من هذا المدى، كما أفاد هذا التعريف بيان الكيفية التي يمكن أن يحصل بها التطور الدلالي، وهو ما سيُفصّل لاحقاً.

### 2.1. أسباب التطور الدلالي:

مسألة التطور الدلالي مسألة معقدة ومتشابكة، تتداخل في إحداثها عوامل متنوعة تمتد من التحولات التاريخية والاجتماعية إلى البنى الداخلية للغة، بل وتبلغ عمق البواعث النفسية للمتكلمين، وهذه العوامل لا تشتغل بمعزل عن بعضها، بل تتفاعل فتتسج شبكة من التأثيرات التي تُغيّر دلالة المفردات مع مرور الزمن.

ولما كانت دراسة التطور الدلالي لا تستقيم إلا بتحديد القوى المحركة له، فقد عمد الدارسون منذ بدايات البحث الدلالي الحديث إلى اقتراح تصنيفات تنظّم هذه الأسباب وتكشف عن طبيعتها وآليات تأثيرها، ومن بين تلك المقترحات، يبرز التصنيف الذي وضعه أنطوان موييه (1865-1936 Antoine meillet) في مؤلفه (*Comment les mots changent de sens*)؛ والذي اعتمده أغلب علماء الدلالة، وضمّنوه مؤلفاتهم، ويقوم تقسيم أنطوان موييه على عزو التطور الدلالي إلى ثلاثة أسباب رئيسة هي: الأسباب التاريخية، واللغوية والاجتماعية، وقد أضاف غيره الأسباب النفسية، ورأينا أن ندعم العوامل الأربعة السابقة بعاملين مساعدين، وفيما يلي بيان الكل.

1- Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, p42.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

### 1.2.1. الأسباب التاريخية:

تركز الأسباب التاريخية على التحولات التي تطرأ على حياة الناس في مختلف المجالات بمرور الزمن، «والتي تؤدي إلى تبدل الأشياء المسماة دون أن يواكب ذلك تغيير لأسمائها، ومن ثم لا تمسّ النظام اللغوي إلا بصورة غير مباشرة، وهذا الصنف يكاد يحظى بقبول معظم علماء الدلالة»<sup>1</sup>، إذ ينتج عن تطور التقنيات والعادات ووسائل العيش (المراجع)، اختلافات لا تحصى عددا في معاني الأشياء، بحيث تكاد تتلاشى الروابط بين المعاني الأصلية والحديثة، وقد أطلق أرسان دارمستتير (Arsène Darmesteter) -1846- (1888) على هذه الظاهرة مصطلح "النسيان" "Catachrèse" وكانت تعني في البلاغة القديمة "إساءة الاستعمال"<sup>2</sup> أو ما يعرف بـ"اللعن" في التراث اللغوي العربي، وبرر حدوثها بأن «العقل الذي يلاحظ أولاً العلاقة بين الشيء الثاني والشيء الأول، بعد أن يجمعهما في نظر واحد ويمنحهما الاسم ذاته، يبدأ بالتعلق تدريجياً بالثاني، ويزداد اقتران الاسم به حتى يصبح في النهاية علامة دقيقة، وتمثيلاً أميناً للشيء الجديد، ومنه فإن العادة وحدها هي التي تُحدث هذا النسيان للمعنى الأصلي، وهذا التكيّف التام للاسم القديم مع الشيء الجديد - الكتاكريز "Catachrèse" - إذن وليد الاستعمال والزمن»<sup>3</sup>، ومن مخرجات التطور الدلالي لأسباب تاريخية نوع من التسمية أطلق عليه علماء الدلالة وسم "التسمية المعرفية".

### 1.1.2.1. التسمية المعرفية:

ينشأ عن الأسباب التاريخية ما أطلق عليه بيير جيرو "التسمية المعرفية"؛ وهي: «تسمية معلّلة؛ أي أنها قائمة على دافع أو مبرر، فالغرض منها هو تسمية كائن أو شيء غير مألوف في الأصل، من خلال ربطه بشيء آخر معروف يُشبهه»<sup>4</sup>، وتشهد اللغات أعداداً هائلة من هذا القسم من أقسام التطور الدلالي، وهو في زيادة مستمرة بسبب التغيير الدؤوب في نمط حياة البشر، ومن أمثلته في العربية تطوّر مدلول اسم وسيلة التنقل البري المعروفة اليوم بـ"السيارة"؛ فهي في الأصل لم تكن إلا تعبيراً عن الرفقة أو الجماعة من

1- Pierre Guiraud: La Sémantique, p70.

2- Michel Bréal: Essai De Sémantique, Librairie Hachette Et Cie, Boulevard Saint-Germain 79, Paris, 1897, p133.

3- Arsène Darmesteter: La Vie Des Mots, Librairie Delagrave, Paris, 1887, p68/69.

4- Pierre Guiraud: La Sémantique, p56

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الناس الذين يتشاركون السير في السفر، بحيث ورد في المختار في مادة «س ي ر»: «(السِّيَارَةُ) الْقَافِلَةُ»<sup>1</sup>، والقافلة هي الجماعة من الناس التي ترافقت في السفر، يقول زين الدين الرازي في (ق ف ل): «(الْقَافِلَةُ) وَهِيَ الرُّفْقَةُ الرَّاجِعَةُ مِنَ السَّفَرِ»<sup>2</sup>، ومع تغير أنماط العيش ووسائل التنقل، زال هذا المعنى القديم وحلّ محله معنى جديد؛ إذ أُطلق اللفظ في العصر الحديث على «آلية سريعة السير تسير بالبنازين وَنَحْوَهُ وتستخدم في الرُّكُوبِ أَوْ النُّقْلِ»<sup>3</sup>، دون أن يُستحضر في الذهن أيّ معنى للقافلة بمدلولها القديم أو حتمية الرفقة.

### 2.2.1. الأسباب اللغوية:

يقصد بالأسباب اللغوية العوامل الكامنة في بنية اللغة نفسها، والتي ترتبط رأساً بالنظام الداخلي للغة وبالمستويات المختلفة له، فهي «التغيرات الناجمة عن عوامل صوتية أو صرفية أو تركيبية، مثل العدوى اللغوية، أو الاشتقاق الشعبي، أو صراع الألفاظ المتجانسة صوتياً (الاشتراك اللفظي)، أو الحذف»<sup>4</sup>، وبعد فهم هذه الأسباب مدخلا أساسيا لتفسير كثير من ظواهر التحول الدلالي.

#### 1.2.2.1. الانزياح الوظيفي (المجاز الحكمي):

يُقصد بالانزياح الوظيفي انتقال الكلمة من فئة صرفية إلى أخرى دون أن يطرأ عليها أي تغيير شكلي، مع احتفاظها بجذرها وأصواته واكتسابها خصائص الفئة الجديدة دلاليًا<sup>5</sup>، ويقارب هذا المفهوم ما يُعرف في البلاغة العربية بالمجاز الحكمي، الذي عرّفه عبد القاهر الجرجاني بأنه: «التجوُّزُ في حُكْمٍ يَجْرِي على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكةً على ظاهرها، ويكون معناها مقصوداً في نفسه ومُراداً مِنْ غَيْرِ توريةٍ ولا تعريضٍ»<sup>6</sup>، ومن أمثلة هذا الانزياح ما ورد في مختار الصحاح من استعمال الأوزان الصرفية في غير معانيها الأصلية؛ فلكل بنية صرفية في العربية دلالة ترتبط بها عادةً، غير أنّ اللغة تشهد تبادلاً

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص159.

2- المرجع نفسه: ص258.

3- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط04، 2004م، ص467.

4- Pierre Guiraud: La Sémantique, p70.

5- David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell Publishing Ltd, 6<sup>th</sup>ed, 2008, p114.

6- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط03، 1992م، ج01، ص293.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

وظيفياً بين المشتقات، بحيث تُؤدّي إحداها معنى الأخرى بحسب مقتضى السياق، الذي يحدّد المقصود ويرفع اللبس، ويزداد هذا التحديد دقة في النص القرآني لما يقتضيه من ضبط دلالي، ومن ذلك استعمال صيغة اسم الفاعل "فاعل" للدلالة على "المصدر"، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:2]، حيث جاء في مختار الصحاح في مادة «ك ذ ب»: «وَهِيَ اسْمٌ وَضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ كَالْعَاقِبَةِ وَالْعَاقِبَةُ وَالْبَاقِيَةُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:8] أَي مِنْ بَقَاءٍ»<sup>1</sup>؛ أي بمعنى "كذب"، ويؤكد الشيخ الطاهر بن عاشور هذا الوجه بقوله: «وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ "بَاقِيَةً" مَصْدَرًا عَلَى وَزْنِ فَاعِلَةٍ مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ فِي الْحَاقَّةِ، أَي فَمَا تَرَى لَهُمْ بَقَاءً»<sup>2</sup>، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء:45]، إذ قيل في أحد وجوه تفسيره: «هُوَ مَفْعُولٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ [مريم:61] أَي آتِيًا»<sup>3</sup>. كما يظهر الانزياح الوظيفي في قولهم: "يومٌ عاصف" الوارد في مادة: «ع ص ف» من مختار الصحاح: «وَيَوْمٌ (عَاصِفٌ) أَي تَعَصِفُ فِيهِ الرِّيحُ وَهُوَ فَاعِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ فِيهِ كَقَوْلِهِمْ: لَيْلٌ نَائِمٌ وَهَمٌّ نَاصِبٌ»<sup>4</sup>؛ أي اليوم الذي تُعصف فيه الرياح، وعلى نحو مماثل جاء في مادة «غ م ر»: «(الْعَامِرُ) [...] فَهُوَ فَاعِلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَسِرٌّ كَاتِمٌ وَمَاءٌ دَافِقٌ»<sup>5</sup>، للدلالة على الأرض التي يُغمرها الماء.

وتبرز هذه الأمثلة وغيرها أن التحوّل لا يصيب البنية، بل الوظيفة الدلالية المرتبطة بها، ويتولّى السياق تحديد المقصود ورفع اللبس، فالانزياح الوظيفي أو المجاز الحكمي يمثلان آلية لتوليد المعاني الجديدة، وإن كان الأمر ظرفياً مرتبطاً بسياقات لغوية، إلا أنه شائع في اللغة العربية لدرجة أن تُنبّه إليه معاجم اللغة العامة.

### 2.2.2.1. النَّحْتُ:

ومن الأسباب اللغوية للتطور الدلالي أيضاً ظاهرة النحت، والنحت لغة هو النشر والقشر والقطع، جاء في لسان العرب: «النَّحْتُ: النَّشْرُ وَالْقَشْرُ. وَالنَّحْتُ: نَحْتُ النَّجَارِ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص276.

2- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج29، ص119.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص142.

4- المرجع نفسه: ص210.

5- المرجع نفسه: ص229.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الخَشَبَ. نَحَتَ الخَشْبَةَ ونحوها يَنْحِتُها وَيَنْحَتُها نَحْتًا، فانتَحَتَتْ. والنُّحَاتَةُ: مَا نُحِتَ مِنْ الخَشَبِ. وَنَحَتَ الجَبَلَ يَنْحِتُهُ: قَطَعَهُ»<sup>1</sup>، أما في اصطلاح أهل اللغة فهو: «استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر»<sup>2</sup>، وقد شاع في اللغة العربية بغرض الاختصار دون إخلال؛ إذ يقول ابن فارس: «العرب تَنَحَّتْ من كلمتين كلمةً واحدةً، وهو جنس من الاختصار، وذلك: رجل عَبِثَمِيّ "منسوب إلى اسمين، وأنشد الخليل:

أقول لها ودمع العين جارٍ \*\*\* ألم تحزنك حيلة المنادي

مكان قوله: "حيّ علي"»<sup>3</sup>. إن نحت عبارة واستبدالها بكلمة واحدة يعد صورة من صور التطور الدلالي من حيث استبدال "الرمز" بآخر، إذ يتم خلال عملية النحت الحفاظ على المعنى وحضور جميع كلمات التركيب الأصلي ممثلين بأقل قدر من المكونات، ليتم في مراحل متقدمة الاشتقاق من العبارة المنحوتة والتصرف فيها بسهولة ويسر.

وقد وردت في مختار الصحاح شواهدٌ عديدة للمسار التطوري بطريق النحت، منها ما جاء في مادة «ه ل ل»: «وَقَوْلُهُمْ (هَلَّا) اسْتَعْجَلُ وَحَتُّ. وَفِي الْحَدِيثِ: "إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَلْ بِعُمَرَ" وَمَعْنَاهُ عَلَيْكَ بِعُمَرَ، وَادْعُ عُمَرَ [...] وَقَدْ حَيَّعَلَ الْمُؤَدُّنُ حَيْعَلَةً كَمَا يُقَالُ: حَوْلَقُ»<sup>4</sup>؛ فالفعل "حَيَّعَلَ" منحوت من عبارة "حيّ على الصلاة" أو "حيّ على الفلاح"؛ إذ تطوّر من تركيب طويل بغرض الدعاء، إلى وحدة فعلية منفردة تؤدي الوظيفة نفسها دلاليًا وتيسّر الاستعمال، وهو نوع عن انتقال الدلالة من الجملة إلى المفرد دون فقدان للمعنى الأصلي.

وكذلك قولهم: "اسْتَرْجَعَ" الوارد في مادة «ر ج ع»: «(اسْتَرْجَعَ) عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَي قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»<sup>5</sup>؛ حيث تم نحت الفعل "اسْتَرْجَعَ" من جملة تامة، ليعبر بلفظ واحد عن حدث لغوي متكرّر هو تلفظ المؤمن بالعبارة في سياق مخصوص، فيختصر العبارة ويؤدي معناها بدقة.

1- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب (فصل النون)، ج02، ص97.

2- إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص71.

3- أحمد بن فارس: الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص120.

4- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص327.

5- المرجع نفسه: ص118.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

وفي مادة «ب س م ل»: «(بَسْمَل) الرَّجُلُ إِذَا قَالَ بِسْمِ اللَّهِ، يُقَالُ: قَدْ أَكْثَرْتَ مِنَ الْبَسْمَلَةِ»<sup>1</sup>، فنشأ من ذلك الفعل «بَسْمَل»، الذي غدا قابلاً للاشتقاق (مَبْسَمِلٌ، بَسْمَلَةٌ)، ما يدل على اندماج الألفاظ (البنى) المنحوتة في النظام الصرفي للغة. تبين هذه الأمثلة أن النحت في العربية هو آلية اشتقاقية تحفظ المضمون وتنتج رموزاً جديدة تتسم بالاختصار والقدرة على التوليد الرمزي، مما يجعله أحد المسارات الحيوية الداخلية في تطور الدلالة وتنامي المعجم العربي.

### 3.2.2.1. الاشتقاق الشعبي:

ويكون التطور لأسباب لغوية عن طريق الاشتقاق الشعبي، والذي عرفه بيير جيرو بأنه «التباس يحصل في ذهن الأشخاص قليلي الثقافة، فيدفعهم إلى نسب الكلمة إلى أصل وتكوين وهميين، وهذا يؤدي حتماً إلى تغيير في قيمتها الدلالية، بل قد يفضي أحياناً إلى تغيير حقيقي في معناها»<sup>2</sup>، وأعطى له أمثلة من اللغة الفرنسية والألمانية والإنجليزية بحيث يتم استحداث لفظ جديد من لفظين أو أكثر نتيجة توهم والتباس صوتي غالباً.

أما في العربية فقد يحدث الاشتقاق الشعبي بدخول ألفاظ أعجمية يجهل العامة بناءها الصوتي الصحيح فيلنطقون ما وقع في أسماعهم منها، ثم يكتفون بما تيسر لهم من معرفة بإخضاعها إلى الذوق العربي، مثال ذلك إطلاقهم لفظة «بَرْمَورْد» على «الرُّمَّورْد»، جاء في مختار الصحاح: «(وَالرُّمَّورْدُ) مُعَرَّبٌ وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: بَرْمَورْد. قُلْتُ: وَحَقِيقَتُهُ الشَّوَاءُ الْمَدْفُوقُ الْمَفُوفُ فِي الرُّفَاقِ ثُمَّ يُقَطَعُ»<sup>3</sup>، وكذلك إطلاقهم لفظ «مُرَبِّق» يريدون «مُرَابِق»: «وَدِرْهَمٌ (مُرَابِقٌ) وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: مُرَبِّق»<sup>4</sup>، كما أنهم قد يشتقون على غير قياس العرب الأفحاح في مثل قولهم «مَا أَيَّشَمَهُ» عوض قول «مَا أَشَامَ»: «وَيُقَالُ: مَا أَشَامَ فَلَانًا. وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: مَا أَيَّشَمَهُ»<sup>5</sup>، وتدل نسبة هذه التحولات الصوتية في بناء الكلمة الأصلية للعامة في المثالين السابقين، وتقديم ذكر البناء الأصلي على إنكارها وعدها من الخطأ.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 35.

2- Pierre Guiraud: La Sémantique, p70.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة «ور د»، ص 336.

4- المرجع نفسه مادة «ز ب ق»، ص 134.

5- المرجع نفسه: مادة «ش أ م»، ص 160.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

ويمكن أن يُعد الارتجال الذي لا يخضع لقواعد اللغة شكلا من أشكال الاشتقاق الشعبي، وقد أحصينا له بعض أمثلة في المدونة نذكر منها كلمة "سَاتِيْدِمًا"، وهي «اسْمُ جَبَلٍ كَأَنَّهْمَا اسْمَانِ جُعِلَا وَاحِدًا قَبْلَ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَيُسْفَكُ عَلَيْهِ دَمٌ»<sup>1</sup>، وكذلك: «(قَالِي قَلَا)»<sup>2</sup>، و«(حَضْرَمَوْتُ) اسْمٌ بَلَدٍ وَقَبِيْلَةٍ أَيْضًا»<sup>3</sup>، و«(سَامٌ أَبْرَصٌ) مِنْ كِبَارِ الْوَزْعِ»<sup>4</sup>، وفي كل الأمثلة السابقة اشتق اللفظ المستحدث من اسمين تلازم ذكرهما معا في سياقات متنوعة حتى صارا كأنهما لفظ واحد، بحيث اندمجت نهاية الأول مع بداية الثاني، إذ ليس بالإمكان تلمس حدود الكلمات سماعا على وجه الدقة بسبب الدَّرَج في الخطابات الشفوية، وخاصة إن لم تكن الكلمات عربية، وهذا ما حدا بالمتكلمين إلى معاملتهم معاملة الاسم الواحد، بل قد يخفى عليهم أن اللفظ الجديد متركب من اسمين منفصلين ولكل منهما معنى مستقل أصلا.

### 3.2.1. الأسباب الاجتماعية:

تعد العوامل الاجتماعية من أبرز المحركات التي تؤثر في مسار التطور الدلالي؛ ذلك أن اللغة في جوهرها ظاهرة اجتماعية بالأساس، تتشكل دلالة مفرداتها وتتحول بتأثير التغيرات التي تطرأ على حياة الجماعة وثقافتها وعاداتها وأعرافها، ولقد عدد علماء الدلالة في هذا الصدد جملة من الأسباب منها: الاقتراضات وتحولات المجال الاجتماعي للكلمة والتخصيص والتعميم<sup>5</sup>؛ فالتبديل في بنية المجتمع أو في أنماط عيشه أو في العلاقات بين فئاته ينعكس مباشرة على الألفاظ ومعانيها، توسيعا وتضييقا أو تحويلا من مجال إلى آخر، كما يسهم الاحتكاك بين الشعوب في اقتراض ألفاظ تؤخذ كما هي أو تكيف لتلاءم البيئة الثقافية والاجتماعية للمتكلمين، ومن ثم فإن دراسة الأسباب الاجتماعية للتطور الدلالي تكشف كيف تتفاعل اللغة مع التحولات التاريخية والحضارية وكيف تعيد الجماعة اللغوية تشكيل معجمها بما يخدم حاجاتها المستجدة ويعكس أنماط تفكيرها وعقائدها وممارساتها.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة «د م ا»: ص 107.

2- المرجع نفسه: مادة «ق ل ا»: ص 260.

3- المرجع نفسه: مادة «ح ض ر»: ص 75.

4- المرجع نفسه: مادة «ب ر ص»: ص 33.

5- Pierre Guiraud: La Sémantique, p70.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

### 1.3.2.1. التداخل اللغوي والثقافي:

إن التحول الجذري الذي شهده المجتمع العربي ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واحتكاك العرب بالأمم المجاورة من فرس وروم وأقباط عن طريق الفتوحات والمصاهرة والتجارة قد أغنى معجم العربية بأسماء أصناف من المأكّل والمشرب والملبس والمسكن لم يكن للعرب سابق عهد بها، فافترضت العربية ألفاظ تلك الأمم على غرار: (المَارَسْتَانُ) وهي دَارُ الْمَرْضَى<sup>1</sup>، و(الصَّوْلَجَانُ) وهو الْمِحْجَنُ<sup>2</sup>، و(التَّرِّيَاقُ) وهو دَوَاءُ السُّمُومِ<sup>3</sup>، و(الْقَارُورَةُ) أو(الْقَافُورَةُ) وَهِيَ الْقَدْحُ<sup>4</sup>، و(الْكَعْكُ)<sup>5</sup> وَهُوَ الْخُبْزُ الْيَابِسُ<sup>5</sup>، و(الْمُهْرَقُ) وهي الصَّحِيفَةُ<sup>6</sup>، و(الْأَجْرُ) وهو الطُّوبُ الَّذِي يُبْنَى بِهِ<sup>7</sup>، وَ(السَّجْنَلُ) وهي الْمِرَاةُ<sup>8</sup>، وَ(الْقَيْرَوَانُ) وهي الْقَافِلَةُ<sup>9</sup>، الْقَافِلَةُ<sup>9</sup>، و(الطَّيْجَنُ) أَوْ(الطَّاجِنُ) وهو طَائِقٌ يُقْلَى عَلَيْهِ<sup>10</sup>، و(الصَّرْمُ) وهو الْجِدُّ<sup>11</sup> وغير ذلك مما سجلته كتب اللغة، وأغنى المعجم العربي بقوائم من المترادفات، وينعكس وعي علماء اللغة العرب بتأثير التداخل اللغوي والثقافي برسمهم حدود الفصاحة الزمانية والمكانية خاصة حين عكوفهم على تدوين اللغة.

### 2.3.2.1. التحول القيمي والحضاري:

لقد استوجبت أحكام الدين الجديد وتشريعاته إيجاد مصطلحات تعبر عن الشعائر وأفعال العبادات وتصف كفيياتها، وترغب المؤمنين وترهب المعرضين، فانتسعت معاني بعض الألفاظ وضيقّت أخرى، ونقلت دلالات بعضها من مجال إلى آخر، وقد سجلت معاجم اللغة هذه الحركة، وكذلك فعل محمد بن أبي بكر الرازي في معجمه، حيث ورد في المدونة

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة (م ر س)، ص 293.

2- المرجع نفسه مادة (ص ل ج): ص 178.

3- المرجع نفسه مادة (ت ر ق): ص 45.

4- المرجع نفسه مادة (ق ز ز): ص 253.

5- المرجع نفسه مادة (ك ع ك): ص 270.

6- المرجع نفسه مادة (ه ر ق): ص 326.

7- المرجع نفسه مادة (أ ج ر): ص 13.

8- المرجع نفسه مادة (س ج ل): ص 142.

9- المرجع نفسه مادة (ق ر ا): ص 252.

10- المرجع نفسه مادة (ط ج ن): ص 188.

11- المرجع نفسه مادة (ص ر م): ص 175.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

في مادة «ش ه د»: «(الشَّهَادَةُ) حَبَّرَ قَاطِعٌ [...] وَ(الشَّهِيدُ) الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ (اسْتُشْهِدَ) فَلَانَ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ وَالْإِسْمُ (الشَّهَادَةُ)»<sup>1</sup>، لا ريب أن الشهادة بمعنى الموت في سبيل الله معنى مستحدث لارتباطه باعتناق المُتَوَفَّى للإسلام وإيمانه الراسخ بالثواب والنعيم الذي ينتظره جزاء تضحيته، حيث انتقل معنى الشهادة من إفادة الخبر اليقين الذي لا شك فيه إلى إفادة معنى التمتع يقينا في الجنة لمن قتل في سبيل الله.

كما ضيق معنى "الأذان" من الإعلام مطلقا دون تحديد لنوع الإعلام، إلى معنى الإعلام عن دخول وقت الصلاة المفروضة حصرا، يقول أبو بكر الرازي: «وَالْأَذَانُ (الإِعْلَامُ)، وَأَذَانُ الصَّلَاةِ مَعْرُوفٌ»<sup>2</sup>، وكذلك الحال في "السجود" الذي كان يفيد معنى الخضوع والتذلل بأي صورة كانت، ثم صار يفيد معنى الخضوع بوضع الجبهة على الأرض كما ورد في مختار الصحاح: «(سَجَدَ) خَضَعَ وَمِنْهُ (سُجُودٌ) الصَّلَاةُ وَهُوَ وَضْعُ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ»<sup>3</sup>، وما قيل عن "الشهادة" و"الأذان" و"السجود" يقال عن "الحج" و"الزكاة" و"الصلاة" و"الإمام" و"الكافر" و"المنافق"، وغير ذلك من الألفاظ الإسلامية التي سنعرض لها بتفصيل أكبر في مواضع قادمة من البحث.

### 4.2.1. الأسباب النفسية:

لا يقتصر التأثير في مسارات التطور الدلالي على العوامل الخارجية أو البنى اللغوية فحسب، بل يتأثر أيضا بالعوامل النفسية المتعلقة بمشاعر المتكلم والمتلقي معا، فاللغة مرآة للنفس البشرية، وما يعترئها من انفعالات وحاجات تعبيرية ورغبة في التأثير، فالأسباب النفسية تمثل محركا فعالا في مسار التطور الدلالي؛ إذ تدفع المتكلمين أحيانا إلى البحث عن صيغ أكثر قدرة على الإيحاء والتعبير أو تجنب الألفاظ التي تحمل وقعا منفرا أو تخالف الأعراف الاجتماعية أو الدين، فيلجأ إلى التلطيف اللفظي والتحاشي.

كما أن شدة الانفعال قد يحمل على استخدام الألفاظ في معاني جديدة تضيف على الخطاب طابعا عاطفيا وأقوى بغرض التأثير، وهو ما ينعكس في تغير دلالة المفردات عبر الزمن.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة «ش ه د»: ص 169.

2- المرجع نفسه مادة «أ ذ ن»: ص 16.

3- المرجع نفسه مادة «س ج د»: ص 142.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

وتجدر الإشارة إلى أن العامل النفسي لم يكن ضمن التصنيف الأصلي لأنطوان موييه، وإنما هو إضافة من لدن كريستوفر نيروب (*kristoffer Nyrop* 1858-1931) الذي رأى أن العوامل النفسية والانفعالية، مثل الفرح والحزن والسخرية والغضب، يمكن أن تغيّر المعنى الأصلي للكلمات، إما بشكل مؤقت مرتبط بسياق معين أو بشكل دائم يؤدي إلى ترسيخ دلالة جديدة تحل محل القديمة، وقد تمنح السخرية للكلمات معاني معاكسة، وأحياناً تُستخدم لأغراض تلطيفية أو تهكمية حتى تزول النبرة الساخرة وتبقى الدلالة المستحدثة، كما قد ينتج عن المزاح معانٍ جديدة تستقر في الاستعمال اللغوي، بعد أن كانت في الأصل معاني عارضة<sup>1</sup>، وفي هذا السياق، ميّز بيبر غيرو نوعاً خاصاً من التسمية هو "التسمية التعبيرية"

### 1.4.2.1. التسمية التعبيرية:

التسمية التعبيرية هي أن: «تُشير إلى الشيء من منظور المتكلم، وتُعبّر عن القيمة الانفعالية أو الرغبةوية أو الجمالية أو الأخلاقية التي ينسبها إليه المتكلم. فالأمر لا يقتصر على تحديد هوية الشيء، بل يتعداه إلى التعبير عن القيم الخارجة عن المحتوى المفهومي التي تُلوّن المعنى»<sup>2</sup>، وهذا المفهوم يفتح المجال أمام إدراك دور الانفعال والرغبة في إعادة تشكيل المعنى؛ حيث تتجاوز التسمية دور التعيين وتغدو حاملة لشحنة وجدانية أو قيمية، كما في الاستعمالات التي تنطوي على تهكم وانتقاص، أو على تحسين وتلطيف. ولذلك تمثل التسمية التعبيرية مظهرًا دالاً على الأثر النفسي في التطور الدلالي، حيث تتحول الألفاظ من مجرد دوالّ موضوعية إلى رموز مشبعة بالقيم والمواقف الإنسانية، ومن أغراض التسمية التعبيرية في اللغات: التعظيم والانتقاص والتلطيف والتي تمثل لها بالشواهد الآتية من مختار الصحاح.

### 1.1.4.2.1. التعظيم:

ومن أمثلة التسمية التعبيرية في اللغة العربية بغرض التعظيم والثناء قولهم 'فلان نسيج وحده'، والتي ذكرت في المدونة في مادة 'ن س ج': «وَفُلَانٌ (نَسِيْجٌ) وَحَدِهِ أَيُّ لَا نَظِيْرَ لَهُ

1- kristoffer Nyrop: Grammaire Historique De La Langue Française, tome 4<sup>ème</sup>, Copenhagen Gyldendalske Boghandel Nordisk Forlag, 1913, p94/95

2- Pierre Guiraud: La Sémantique, 58/59.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

فِي عِلْمٍ أَوْ غَيْرِهِ وَأَصْلُهُ فِي الثُّوبِ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ رَفِيعًا لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مِثَالِهِ غَيْرُهُ<sup>1</sup>، يستخدم هذا التركيب في الأصل للتعبير عن الثوب الفاخر عالي الجودة الذي لم يصنع غيره لفرادته وفخامته ثم انتقل لوصف الإنسان، ذلك أن الأثر الذي يتركه تحسس أو ارتداء الثوب الفاخر محبوبك النسيج فريد الصنع رفيع الخامة شبيه بالانطباع الذي تتركه مخالطة الرجل الذي اجتمعت فيه الخصال النبيلة من علم وجود وإقدام، ويلعب العامل النفسي دورا محوريا في إيقاع الوصف على الرجل لتشابه الانطباعين، وهي تسمية تعبر عن إكبار وإجلال.

### 2.1.4.2.1. الانتقاص:

وكما أن الدوافع النفسية تُعلي شأن الأشخاص مَحَطَّ الإعجاب فتربطهم بما هو محبوب، فإنها تحط من شأن السفهاء وخسيس الطبع لما يتركونه من أثر مستكره في النفس، فيربطون مباشرة بكل ما يمجُّه الذوق، نورد مثالا على ذلك ربط "الرعا ع الحمقى" في العربية بـ"الهمج"، وهو الذباب الصغير، يقول محمد بن أبي بكر الرازي: «(الْهَمَجُ) بِفَتْحَتَيْنِ جَمْعُ (هَمَجَةٍ) وَهِيَ ذُبَابٌ صَغِيرٌ كَالْبُعُوضِ يَسْقُطُ عَلَى وُجُوهِ الْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ وَأَعْيُنِهَا. وَيُقَالُ لِلرَّعَا عِ الْحَمَقَى: إِنَّمَا هُمْ هَمَجٌ»<sup>2</sup>، يظهر تأثير العامل النفسي جليا في تطور معنى الهمج من الدلالة على الذباب الصغير إلى الدلالة على الرعا ع السقلة من الناس، بحيث ينتقل الذهن من الصورة الحسية للحشرات الصغيرة المزعجة كثيرة الحركة تتجمع بلا نظام وتفتقد إلى الغاية، هذه الصفات الحسية تولد في ذهن الرائي انطباعات سيئة وشحنة شعورية تُستدعى حين معاينة موقف مشابه، وهو في هذا الحال التعامل مع جماعة من البشر يتصفون بالطيش والجهل والعشوائية ويتصرفون تماما كما يتصرف الذباب.

### 3.1.4.2.1. التلطيف:

جاء في مختار الصحاح في مادة «ط ل ا»: «(الطَّلَاءُ) مَا طُبِخَ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُهُ. وَتُسَمِّيهِ الْعَجْمُ الْمَيْخَتَجَ. وَيَعْضُ الْعَرَبُ يُسَمِّي الْخَمْرَ الطَّلَاءَ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَحْسِينَ اسْمِهَا لِأَنَّهَا الطَّلَاءُ بِعَيْنِهَا»<sup>3</sup>، يعبر هذا المثال عن دور التلطيف اللغوي في تطور دلالة الألفاظ في اللغة، فالخمر بحمولتها الدلالية المستهجنة بسبب ما تفعله بعقل شاربها من

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 309.

2- المرجع نفسه مادة «ه م ج»: ص 704.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 192.

## الفصل الثّاني: التطُّور الدّالّي في مختار الصّاح

ثمّالة تُؤدّي إلى ارتكاب الأفعال الشنيعة، والهيئة التي يصير عليها المخمور من تخبط وهذيان وتلفظ بفاحش القول، والتي تحط من قيمته وتنتزع عنه هيئته ووقاره، ناهيك عن النهي الشرعي وتحريم الاقتراب منها، كل هذا دفع الناس إلى التورية بدل التصريح؛ إذ الطلاء ابتداء هو عصير عنب مطبوخ لا يُسكّر، استعمل عوض التسمية الصريحة الفجّة بغرض التحسين والتلطيف، وبعد هذا أحد أسباب تعدد أسماء الخمر في اللغة العربية، والتي تربطها بالماهيات الأصلية علاقات مختلفة، كالتي تربطها بالطلاء، حيث إن المادة الخام موحدة على اختلاف طريقة الصنع والنتائج النهائي.

وهكذا فإن الإنسان يقوم بترجمة تجاربه الحسية المختلفة والتي يعايشها يوميا في شكل استعارات يسقطها على مواقف يتشابه فيها شعوره ولها وقع نفسي مماثل، وبالتالي تتجلى أهمية العامل النفسي في تحديد نوع التطور الدلالي ومساره في اللغات المختلفة، وعلاوة على الأسباب التي ذكرها أنطوان موييه، فإنه لا بد من الحديث عن الدور الذي تؤديه العوامل المساعدة في دفع التطور الدلالي، ويأتي التكرار والانقطاع على رأسها.

### 5.2.1. التكرار:

يبرز "التكرار" بوصفه أحد القوى الفاعلة في مسار التطورات الدلالية، بحيث يؤدي إلى تلاشي العلاقة المجازية بين الدال والمدلول، ويعمل على استقرار التسمية على المراجع الجديدة مباشرة؛ «فالتكرار المستمر لفكرة ما يؤدي بسهولة إلى تلاشيها وتفاهتها، وهكذا تكف الاستعارة عن كونها حية، وتتحول إلى الاسم المباشر للشيء دون وسيط المقارنة»<sup>1</sup>، ومن جهة أخرى يسهم التكرار من خلال كثرة الاستعمال في تحريك المعاني الأصلية ودفعها إلى التبدل، وهي الفكرة التي عبّر عنها أبو بكر الزبيدي في كتابه "لحن العوام" حين قال: «الفساد إنما يقع في المستعمل على الألسنة، وأن الوحشي مصون عن التغير والإحالة؛ لقلة استعماله وجهل عوام الناس به»<sup>2</sup>، بحيث عبر عن التطور بـ"الفساد"، استنادا إلى النظرة المعيارية السائدة في زمانه، وما يهم من كلامه هذا هو إقراره بأن الألفاظ التي تدور على الألسنة وتشيع في الاستعمال اليومي هي الأكثر عرضة للتغير الدلالي، بخلاف الألفاظ النادرة التي تظل بمعزل عن التحول، فيتكامل التصوران في بيان أن الاستعمال المفرط،

1- kristoffer Nyrop: Grammaire Historique De La Langue Française, p79.

2- محمد بن حسن أبو بكر الزبيدي: لحن العوام، ص64.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

سواء أكان تداولاً مجازياً أم ترديداً اعتيادياً، يمثل قوة محرّكة في التطور الدلالي، إذ يضعف الرابطة بين الألفاظ ودلالاتها الأصلية، ويولّد معاني جديدة أكثر ملاءمة لحاجات التواصل. وقد لمسنا أثر التكرار في تطور معاني العديد من المداخل المعجمية، وعبر محمد بن أبي بكر الرازي عن الأمر بعبارات مثل: " ثُمَّ كَثُرَ " و" ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ " وغير ذلك مما قصد به إيضاح سبب التغيير، نورد على ذلك مثالا من مادة «ر ك ض»: «(الرَّكُضُ) تَحْرِيكُ الرَّجْلِ [...] وَ(رَكَضَ) الْفَرَسَ بِرِجْلِهِ اسْتَحْتَهُ لِيَعْدُوَ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى قِيلَ رَكَضَ الْفَرَسُ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ بِالْأَصْلِ وَالصَّوَابُ رُكِضَ الْفَرَسُ»<sup>1</sup>، يُبرز هذا المدخل من مختار الصحاح أثر كثرة الاستعمال في التطور الدلالي، فالفعل "رَكَضَ" كان في الأصل بمعنى "تحريك الرجل"، ثم شاعت دلالته في سياق حثّ الفرس على العدو، حتى صار يُستعمل بمعنى "عدا الفرس"، وهكذا انتقلت الدلالة من السبب إلى النتيجة بفعل التكرار، فتلاشت العلاقة الوسيطة بين الفعل وأثره، وهو ما يؤكد ما قرّره كل من أبي بكر الزبيدي وكريستوفر نيروب من أن الألفاظ المستعملة على الألسنة أكثر عرضة للتغيير، إذ يؤدي تكرار التداول في الغالب إلى طمس المعنى الأصلي أو خفوته وظهور معنى جديد أنسب للسياق التداولي.

### 6.2.1. الانقطاع:

يمثل الانقطاع عاملاً مهماً في تفسير كثير من أمثلة التطور الدلالي، ويُقصد به انقطاع سلسلة النقل اللغوي أو ضعف التواصل بين الأجيال، مما يؤدي إلى انفصام الصلة بين اللفظ ودلالته الأصلية، وتهيئة السياق لتحولات دلالية جديدة<sup>2</sup>، فالانقطاع يضعف الذاكرة الجمعية التي تحفظ المعنى، ويسبغ على الألفاظ معانٍ جديدة في ضوء سياقات استعمالية مغايرة.

وقد أدرك علماء العربية الأوائل قوة تأثير هذا العامل، فجعلوا التواتر -أي اتصال سلسلة النقل عبر عدد كافٍ من الرواة- شرطاً لصون الدلالة واستمرار المعنى، وعدّوه معياراً فصلاً لقبول الرواية والأحاديث النبوية؛ لما يحدثه الانقطاع من شرخ في التواصل المعنوي، ومن هذا الوعي نشأ حرص المحدثين واللغويين على المشافهة وضبط اللغة بالسماع من

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص128.

2- kristoffer Nyrop: Grammaire Historique De La Langue Française, p79.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

أفواه الأعراب، بل وتربية الأبناء في البداية لضمان النقاء اللغوي السليقي، بالاتصال المباشر.

وقد لخص أنطوان موييه أثر هذا العامل في التطور الدلالي بقوله: «إن هذا الانقطاع في نقل اللغة، رغم أنه لا يفسر كل شيء بمفرده، إلا أنه شرط لا غنى عنه، وبدونه لكانت جميع أسباب التغير عاجزة على الأرجح عن إحداث تغييرات جذرية في معاني الكلمات كما حدث في العديد من الحالات، وعلى نحو عام، فإن انقطاع انتقال اللغة يعد الشرط الأساس الذي يحدد إمكانات وشروط حدوث جميع التغييرات اللغوية»<sup>1</sup>، حيث إن الانقطاع يعد آلية فاعلة تعيد تشكيل العلاقات الدلالية وتسهم في وقوع التحول المعنوي عبر الزمن، مما يجعل استمرارية التداول اللغوي شرطاً للحفاظ على وحدة المعنى وثباته في الذاكرة الجماعية.

نضرب مثالا على أثر الانقطاع بمدخل "الفوم" من مادة < ف وم >: «(الفوم) الثوم وفي قراءة عبد الله «وثومها». وقيل: الفوم الحنطة. وقيل: الحمص لغة شامية. و(فوموا) لنا أي اختبروا. وقال الفراء: هي لغة قديمة»<sup>2</sup>، يظهر هذا الشاهد من مختار الصحاح أثر الانقطاع اللغوي في تطور الدلالة، إذ يعكس تعدد المعاني التي ارتبطت بلفظ "الفوم" نتيجة لاختلاف البيئات اللغوية وتباعد الأزمان، فبينما استعمل في بعض اللهجات القديمة بمعنى "الثوم"، نجد من فسره بـ "الحنطة" أو "الحمص" في لهجات أخرى، وهو ما يدل على أن الانقطاع في تداول اللفظ الأصلي أفضى إلى فقدان الترابط بين الكلمة ومعناها الأول، وانجر عن ذلك تطور المعنى وفق الاستعمال المحلي.

وتعليق الفراء: "هي لغة قديمة" يبرز وعيه بحدوث هذا الشرح الزمني الذي نقل الكلمة من بيئة لغوية إلى أخرى، فأفرز تحولاً دلالياً نتج عن انبثات الصلة التاريخية بين المعنى الأصلي والجديد.

في ختام الكلام عن أسباب التطور الدلالي، يمكن القول بأن العوامل التاريخية واللغوية والاجتماعية والنفسية بمعيرة التكرار والانقطاعات بين الأجيال، تمثل أبرز المحركات التي تسهم في إنكاء جذوة التطورات الدلالية وتحديد مساراتها، غير أن استقرار كافة الأسباب

1- Antoine Meillet: Comment les mots changent de sens, Éditions F.Alcan, L'Année sociologique, Paris, 1905, p10.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص244.

## الفصل الثّاني: التطُّور الدّالّي في مختار الصّاح

---

يظلّ عملاً إشكاليّاً؛ إذ تتشابك المؤثرات وتتداخل على نحو يجعل من العسير القطع بمسارٍ واحد للتغيير أو رده إلى عامل منفرد، ويزداد الأمر تعقيداً إذا أخذنا في الاعتبار أنّ «المعلومات المتوفرة غالباً ما تكون غير كافية، وبالتالي فإن دراسة أي مسألة دلالية تقتصر في الممارسة العملية، في أغلب الأحيان، على دراسة الاحتمالات والإمكانات، ومن غير المشروع غالباً الخروج باستنتاجات قطعية أو نهائية بشكل مبالغ فيه»<sup>1</sup>، وتبقى المقاربة الدلالية التاريخية محكومة بحدود المادة اللغوية المتاحة، وما تزودنا به المدونات من معلومات مختلفة، مع امكانية الاستفادة من الفروع اللسانية بمختلف مناهجها.

---

1-Antoine Meillet: Comment les mots changent de sens, p55.

### 2. أثر التطور على العلاقات الدلالية في مختار الصحاح

يكشف التحليل الوظيفي للمعنى، الذي ينظر إلى الدلالة بوصفها علاقة تفاعلية بين اللفظ والمعنى، عن مختلف صور التحول التي تطرأ على هذه العلاقة، أكان ذلك من خلال ارتباط لفظ جديد بمعنى قديم، أو ارتباط معنى حادث بلفظ قائم سلفاً، أو تغير الطرفين معاً، وفي هذا السياق، تُظهر صياغة تعريف التطور الدلالي «بوضوح أنها تتطوي ضمناً على تصنيف للظواهر التي تغطيها، وتشير أيضاً إلى أنه، كما توجد علاقات دلالية بسيطة وأخرى مركبة، فإن التغيرات الدلالية بدورها قد تختلف في درجة التعقيد»<sup>1</sup>، ولهذا فإن كل تغير يطرأ على العلاقة بين اللفظ والمعنى يمكن أن يفضي إلى ظهور نمط جديد من العلاقات الدلالية أو إعادة تشكيل نمط قائم، ومع تراكم هذه التغيرات عبر الزمن، تتبلور في اللغة ظواهر متميزة تحمل سمات هذا التطور، مثل تعدد الألفاظ الدالة على معنى واحد، أو تداخل المعاني المختلفة في صيغة لفظية واحدة، وتشكل هذه الظواهر مجالا لدراسة كيفية تفاعل المعجم مع التحولات الدلالية، ومن هنا سنعرض فيما يلي لأهم العلاقات الدلالية، مبينين خصائص كل منها، وأثر التطور الدلالي في ظهورها، مع إرفاق كل علاقة من تلك العلاقات الدلالية بما تيسر من نماذج موثقة من مدونة البحث.

#### 1.2. الترادف:

يعد الترادف من أكثر القضايا الدلالية إثارة للجدل في التراث اللغوي العربي وكذا في درس اللساني الحديث؛ نظراً لتعلقه بإشكالية المعنى وطبيعة العلاقات بين الوحدات المعجمية، حيث إنه ومن منظور علم الدلالة التاريخي يفسر الترادف على أنه نتاج للتحولات الزمانية التي تطرأ على النظام اللغوي؛ إذ تؤدي عوامل التطور الاجتماعية والثقافية والنفسية إلى التقارب الدلالي بين الألفاظ، دون أن يفضي ذلك بالضرورة إلى التطابق التام في جميع السياقات.

غير أن هذه الرؤية ظلت موضع خلاف بين العلماء والباحثين، ففي حين أنكر بعضهم وجود الترادف انطلاقاً من قناعتهم بتفرد كل لفظ بمعنى مستقل، قيده آخرون بضوابط صارمة تحول دون تعميمه، وتوسع فريق ثالث في قبول المترادفات دون شرط غير شرط

1- Stephen Ullmann: Semantics: An Introduction to the Science of Meaning, Oxford Basil Blackwell, Uk, 1972,p171.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

التقارب المعنوي، ومن هنا فإن مقارنة ظاهرة الترادف من وجهة نظر تاريخية تستوجب تحليل الأطر النظرية المتباينة في تعريفه وفحص الآليات التي تحكم علاقته ببنية المعجم ووظيفته التداولية عبر الزمن.

### 1.1.2. تعريف الترادف وشروط وقوعه:

يعرف الترادف لغة بأنه "التتابع"، حيث جاء في الصحاح: «والتَرَادُفُ: التتابعُ. قال الأصمعي: تعاونوا عليه وتَرَادَفُوا»<sup>1</sup>؛ أي تتابعوا في إتمام العمل.

أما في الاصطلاح فقد عرفه الشريف الجرجاني (ت816هـ) بأنه: «الاتحاد في المفهوم»<sup>2</sup>، وهو تعريف فضفاض، لم يُبَيِّن المصنف فيه عن شكل الاتحاد، هل هو اتحاد تام؟ أم جزئي ولا عن الوحدة اللغوية المقصودة، ولهذا سنورد تعريف الأصوليين للظاهرة لأنهم كانوا أكثر دقة في وضع حدود لمفاهيم المصطلحات.

يقول الفخر الرازي (ت606هـ): «الألفاظ المترادفة هي: الألفاظ المفردة الدالة على مُسَمَّى واحدٍ، باعتبارٍ واحدٍ. واحترزنا بقولنا "المفردة" عن "الرسم" و"الحد". ويقولنا "باعتبارٍ واحدٍ" عن اللفظين إذا دلَّ على شيءٍ واحدٍ باعتبارٍ صفتين: ك"الصارم" و"المهتد" أو باعتبارٍ الصفةِ وصفةِ الصفة: ك"الفصيح" و"الناطق" فإِنَّهُمَا مِنَ المتباينة»<sup>3</sup>. لقد حاول الفخر الرازي أن يعطي حدًا جامعًا مانعًا للألفاظ المترادفة، وقد أرفق تعريفه بأمثلة شارحة توضح المقصود على الوجه الأمثل، فقوله "الألفاظ المفردة" أخرج الحدَّ والرسم؛ فلا يُعدَّ رسم اللفظة أوحدها مرادفا لها، وقوله "باعتبار واحد"، أخرج الصفات الكثيرة للذات الواحدة باعتبارات مختلفة، كالصارم والمهتد والتي هي صفات للسيف؛ إذ الأولى باعتبار الصَّرم، وهو القطع، والثانية باعتبار المنشأ (الهند)، كما أخرج صفة الصفة كالناطق والفصيح؛ إذ الناطق صفة للإنسان والفصيح صفة لصفة النطق. وأضاف على ما سبق تفريقا بين الألفاظ المترادفة والتوكيد والتابع في قوله: «واعلم أن الفرق بين المترادف والمؤكد: أن المترادفين يفيدان فائدة واحدة،

1- إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ج 04، ص 1363 / 1364.

2- علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (دط)، 2004م، ص 51.

3- محمد بن عمر فخر الدين الرازي: المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 03، 1997م، ج 01، ص 253.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

من غير تفاوتٍ أصلاً. وأما "المؤكد" فإنه لا يفيدُ عينَ فائدةِ المؤكِّدِ، بل يفيدُ تقيُّدَهُ. والفرقُ بينهُ وبينَ "التابع" كقولنا: "شيطان ليطان": أنَّ التابعَ وحده لا يفيدُ، بل شرطُ كونه مفيداً تقدُّمُ الأوَّلِ عليه.<sup>1</sup>، ومنه فإنَّ المؤكِّدَ لا يعدو أن يكون مقويًا للمعنى ومُثبِّتًا له، أمَّا التَّابع فلا يحمل معنى في نفسه.

وأورد جورج مونان في معجمه: «يقال عن شكلين لغويين أو أكثر أنهما مترادفان إذا كان إحلال أحدهما محل الآخر لا يغير مطلقاً معنى الرسالة التي يردان فيها»<sup>2</sup>، في التعريفين السابقين وغيرهما من التعريفات -التي لم نذكرها اختصاراً- يقدم الترادف على أنه الاتحاد التام في المعاني بين الألفاظ المختلفة ويخرج من دائرته الألفاظ الدالة على ماهية واحدة باعتبارات مختلفة.

إن هذه التعريفات لا تنطبق إلا على فئة قليلة جداً من مفردات اللغات، تكاد لا تذكر، وهو ما دفع بالكثير من العلماء قديماً وحديثاً إلى اتخاذ موقف منكر لوقوع الترادف، أمثال أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وأبو محمد بن عبد الله بن جعفر بن درستويه وأبو علي الفارسي وأبو الحسين أحمد بن فارس<sup>3</sup>، هذا عند العلماء العرب.

أما في الدرس اللساني الحديث، فقد رأى الكثير من اللسانيين أن وقوع الترادف مسألة نظرية لا تتيحها الاستعمالات الفعلية، حيث ذهب أرسان دارمستير إلى أنه لا وجود لترادف كامل في لغة سليمة البنية، فلكل لفظ وظيفة خاصة تميزه عن غيره، وإن تقاربت الوظيفتان فإنهما لا تتطابقان تماماً<sup>4</sup>، ورأى كريستوفر نيروب أن ما يظن أنه ترادف غالباً ما يخلو من التطابق التام؛ إذ تكشف المراجعة الدقيقة عن فروق معنوية طفيفة، ولو كانت غير محسوسة ظاهرياً فهي تمنع الاستبدال المطلق بين الألفاظ<sup>5</sup>، فيما عد ستيفن أولمن ( Stephen Ullmann 1914-1976) أن الترادف يمثل ترفاً لغوياً نادراً لا تحتمله اللغة طويلاً، إذ سرعان ما تتباين الألفاظ المترادفة باكتسابها فروقاً دلالية وانفعالية وتعبيرية تميز كلا منها عن

1- محمد بن عمر فخر الدين الرازي: المحصول في علم أصول الفقه، ج01، ص253/254.

2- Georges Mounin: Dictionnaire de La Linguistique, p 317.

3- رمضان عبد التَّوَّاب: فصول في فقه العربيَّة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط03، 1994م، ص311.

4- Arsène Darmesteter: La Vie Des Mots, p138.

5- kristoffer Nyrop: Grammaire Historique De La Langue Française, p41.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الآخر<sup>1</sup>، وفي مقابل هذه المواقف المتشددة من العلماء العرب والغرب على حد سواء حول وقوع الترادف التام، تحصي المعاجم أعدادا معتبرة من الألفاظ التي تصنفها تحت باب المترادفات؛ ما يبعث على التساؤل: كيف يمكننا التوفيق بين الموقف النظري الذي يضيق دائرة الترادف، وبين الممارسة المعجمية التي توسع مجاله لتشمل ألفاظا قد لا يجمعها سوى قدر من التقارب الدلالي؟

بالعودة إلى مفهوم الترادف، نجد أن مواقف علماء اللغة مبنية أساسا على التعريفات التي وضعوها، ولهذا يجب إعادة النظر في المسألة، والتخلي عن الشروط الصارمة التي حددت من أجل عدّ لفظين من المترادفات، وعلى رأسها قابلية الاستبدال في كل السياقات، وصياغة تعريف يتماشى مع واقع اللغات ويواكب تطورها وحيويتها عبر الزمن.

وقد حاول بعض الدارسين بالفعل تجاوز عقبة التعريفات القديمة، ورسم حدود أكثر مرونة واستيعابا، وعدوا الألفاظ المترادفة «كلمتين أو أكثر في نفس اللغة، تنتمي إلى نفس الفئة النحوية، وتشارك في واحد أو أكثر من المعاني الدلالية المتطابقة أو شبه المتطابقة، بحيث يمكن تبادلها في بعض السياقات دون تغيير يُذكر في المعنى الأساسي، مع اختلافها في التكوين الصرفي، والشكل الصوتي، وظلال المعنى، والإيحاءات، والأسلوب، والتلازم اللفظي، والاستخدام الاصطلاحي، وقد تكون السمات الأسلوبية، أو اللون العاطفي، أو التلازم اللفظي الخاص بأحد عناصر مجموعة المترادفات غائبا في بعضها أو كلها»<sup>2</sup>، إن النظر إلى المترادفات انطلاقا من هذا التعريف يزيل التناقض الحاصل بين أن يعرف الترادف على أنه التطابق التام في المعنى بين ألفاظ مختلفة من جهة، وبين تخصيص جزء معتبر من الأبحاث الدلالية لمناقشة الظاهرة، ولذلك فإن هذا المبحث لا يتناول الترادف بتعريفه الكلاسيكي، وإنما يعرض الترادف من حيث هو ظاهرة تنشأ عن تطور العلاقات الدلالية ضمن علم الدلالة التاريخي.

1- Stephen Ullmann: Words And Their Use, Hawthorne Books Inc. Fifth Avenue, New York City, USA, 1960, p54.

2- Arnold Irina Vladimirovna: The English Word: A Textbook Of Modern English Lexicology, Moscow Vysshaya Shkola, 3<sup>dr</sup> ed, 1986, p195.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

### 2.1.2. أسباب وقوع الترادف:

يتناول هذا البحث ظاهرة الترادف من منظور علم الدلالة التاريخي، وبالتالي فإن الأسباب التاريخية هي أسباب محورية لوقوع الترادف، إلى جانب العوامل الاجتماعية والثقافية وكذا النفسية، حيث تنفرد كل لغة بملاساتها الخاصة التي سطرت تاريخ ألفاظها، ومن بين الأسباب التي أسهمت في كثرة المترادفات في اللغة العربية:

#### 1.2.1.2. فقدان الوصفية (تحول الصفات إلى أسماء):

الكثير من الألفاظ التي نشأت في الأصل عن صفات مختلفة لماهية مشتركة بينها، ما لبثت أن غدت مع كثرة الاستعمال أسماء غاب عنها عنصر التخصيص، أو بعبارة المناطقة صارت دالة دلالة مطابقة بعد أن كانت دالة بطريق التضمن<sup>1</sup>، وقد أُطلق على هذه الظاهرة وسم "فقدان الوصفية"<sup>2</sup>، وهي أحد أهم أسباب كثرة المترادفات في اللغة العربية.

لقد أفْتِنَ العربي ببيئته، فبالغ في وصف فُتُوته وراحلته وسيفه ونديمته، منتبها لأدق التفاصيل التي ضمنها شعره، وألزمته القافية أحيانا على استعمال الوصف وهو يريد الماهية، ومع كثرة تناوب الصفات المختلفة في مواضع عديدة، بهتت الحدود بينها وغدت جميعها مترادفة.

ولأن تعقب كل المترادفات في المدونة عمل شاق ويستهلك وقتا وجهدا في مقابل أن الغرض ليس رصد كل المترادفات وإنشاء قوائم طويلة منها، وإنما الهدف بالأساس يكمن في وضع أطر عامة لأسباب وقوع الظاهرة وبيان أثرها على المعجم، فإننا سنقصر النماذج - فيما يخص فقدان الوصفية- على أربعة مواضيع شغلت فكر الرجل العربي وخاصة في جاهليته، وقد وقع اختيارنا عليها بعد استقراء نسبة المترادفات في مختار الصحاح.

1- «الألفاظ تدل على المعاني من ثلاثة أوجه متباينة: الوجه الأول الدلالة من حيث المطابقة كالاسم الموضوع بإزاء الشيء، وذلك كدلالة لفظ الحائط على الحائط. والآخر أن تكون بطريق التضمن وذلك كدلالة لفظ البيت على الحائط ودلالة لفظ الإنسان على الحيوان، وكذلك دلالة كل وصف أخص على الوصف الأعم الجوهري. الثالث: الدلالة بطريق الالتزام والاستتباع.» محمد أبو حامد الغزالي: معيار العلم في فن المنطق، ص72.

2- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط02، 1963م، ص212.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

### 1.1.2.1.2. الخيل:

لم تمثل الخيل للعربي قديما الرحلة فحسب، بل كانت شريك مغامراته ورفيق صيده وأنيس وحدته في الفيافي والقفار؛ لذا فإنه لا يُتعب من كثرة وصفه لها، ولا ريب أن في المعجم العام للغة العربية عددا أكبر بكثير مما تم رصده في المدونة؛ لما مثله هذا الحيوان من رمزية في الحروب والفروسية والفخر، فتنوع تسمياتهم لم ينبع عن حاجة معجمية بحتة بقدر ما كان يعكس نزعة تصويرية دقيقة حرصت على إبراز صفات الخيل من حيث قوتها وسرعتها وقوامها وألوانها، وقد أدى تكرار الاستعمال وتحول بعض الصفات إلى أسماء أعلام إلى تراكم المترادفات الدالة على الخيل في معجم العربية، وقد أُحصي في المدونة ما يربو عن خمسة وعشرين اسما للخيل، فهو الأدهم والأرجل والرباط والصافن والعيار والكميت والمجلي والمصلي والكراع، وكلها أسماء ارتبطت بداية بأوصاف خاصة، ثم ما لبثت أن غدت مرادفة للخيل، معبرة عن ماهيته على اختلاف الجزئيات، وقد وثق الجدول أدناه أسماء الخيل في معجم مختار الصحاح :

مرادفات الخيل	الشاهد من مختار الصحاح
الخيـل	«خ ي ل»: «الْخَيْلُ أَيْضًا (الْخَيْلُ)» <sup>1</sup>
الأدهم	«د ه م»: «(الدُّهْمَةُ) السَّوَادُ يُقَالُ: فَرَسٌ (أَدْهَمٌ)» <sup>2</sup>
الأرجل	«ر ج ل»: «(الأَرْجَلُ) مِنَ الْخَيْلِ الَّذِي فِي إِحْدَى رِجْلَيْهِ بَيَاضٌ.» <sup>3</sup>
الجبهة	«ج ب ه»: «الْجَبْهَةُ أَيْضًا الْخَيْلُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ فِي الْجَبْهَةِ صِدْقَةٌ» <sup>4</sup>
الحجر (أنثى)	«ح ج ر»: «وَالْحَجْرُ أَيْضًا الْأُنْثَى مِنَ الْخَيْلِ» <sup>5</sup>
الحصان	«ح ص ن»: «وَفَرَسٌ (حِصَانٌ) بِالْكَسْرِ بَيْنَ (التَّحْصِينِ) وَ(التَّحْصُنِ)» <sup>1</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 99.

2- المرجع نفسه: ص 108.

3- المرجع نفسه: ص 119.

4- المرجع نفسه: ص 53.

5- المرجع نفسه: ص 67.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الرباطُ	ر ب ط: «لرَبَّاطُ الْخَيْلِ الْخَمْسُ فَمَا فَوْقَهَا» <sup>2</sup>
الصَّافِنُ	ص ف ن: «(الصَّافِنُ) مِنَ الْخَيْلِ الْقَائِمُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ وَقَدْ أَقَامَ الرَّابِعَةَ عَلَى طَرْفِ الْحَافِرِ» <sup>3</sup>
الطَّرْفُ	ط ر ف: «قَالَ الْأَصْمَعِيُّ (الطَّرْفُ) بِالْكَسْرِ الْكَرِيمُ مِنَ الْخَيْلِ» <sup>4</sup>
العِيَارُ	ع ي ر: «وَفَرَسٌ (عِيَارٌ) بِالتَّشْدِيدِ أَيُّ يَعِيرُهَا هُنَا وَهِيَ هُنَا مِنْ نَشَاطِهِ» <sup>5</sup>
الْفَرَسُ	ف ر س: «(الْفَرَسُ) يَقَعُ عَلَى الذَّكْرِ وَالْأُنْثَى» <sup>6</sup>
الْكُرَاعُ	ك ر ع: «(الْكُرَاعُ) اسْمٌ يَجْمَعُ الْخَيْلَ» <sup>7</sup>
الْكُمَيْتُ	ش ر ق: «وَفِي الْخَيْلِ حُمْرَةٌ صَافِيَةٌ يَحْمَرُ مَعَهَا الْعُرْفُ وَالذَّنْبُ فَإِنْ اسْوَدَّا فَهِيَ الْكُمَيْتُ» <sup>8</sup>
المُجَلِّي / المُصَلِّي / المُسَلِّي / التَّالِي / العَاطِفُ / المُرْتَاخُ / المُؤَمَّلُ / الْحَظِي / اللَّطِيمُ / السُّكَيْتُ = الْفِسْكَلُ = الْقَاشُورُ	ف س ك ل: «(الْفِسْكَلُ) بِكَسْرِ الْفَاءِ وَالْكَافِ الَّذِي يَجِيءُ فِي الْحَلْبَةِ آخِرَ الْخَيْلِ. [...] قَالَ أَبُو الْغَوْتِ: أَوْلَاهَا الْمُجَلِّي وَهُوَ السَّابِقُ ثُمَّ الْمُصَلِّي ثُمَّ الْمُسَلِّي ثُمَّ التَّالِي ثُمَّ الْعَاطِفُ ثُمَّ الْمُرْتَاخُ ثُمَّ الْمُؤَمَّلُ ثُمَّ الْحَظِي ثُمَّ اللَّطِيمُ ثُمَّ السُّكَيْتُ وَهُوَ الْفِسْكَلُ وَالْقَاشُورُ» <sup>9</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 75.

2- المرجع نفسه: ص 116.

3- المرجع نفسه: ص 177.

4- المرجع نفسه: ص 189.

5- المرجع نفسه: ص 222.

6- المرجع نفسه: ص 236.

7- المرجع نفسه: ص 268.

8- المرجع نفسه: ص 167.

9- المرجع نفسه: ص 239.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

المُلمَعُ	ل م ع: «(المُلمَعُ) مِنَ الْخَيْلِ الَّذِي يَكُونُ فِي جَسَدِهِ بُقَعٌ تُخَالِفُ سَائِرَ لَوْنِهِ» <sup>1</sup>
-----------	---

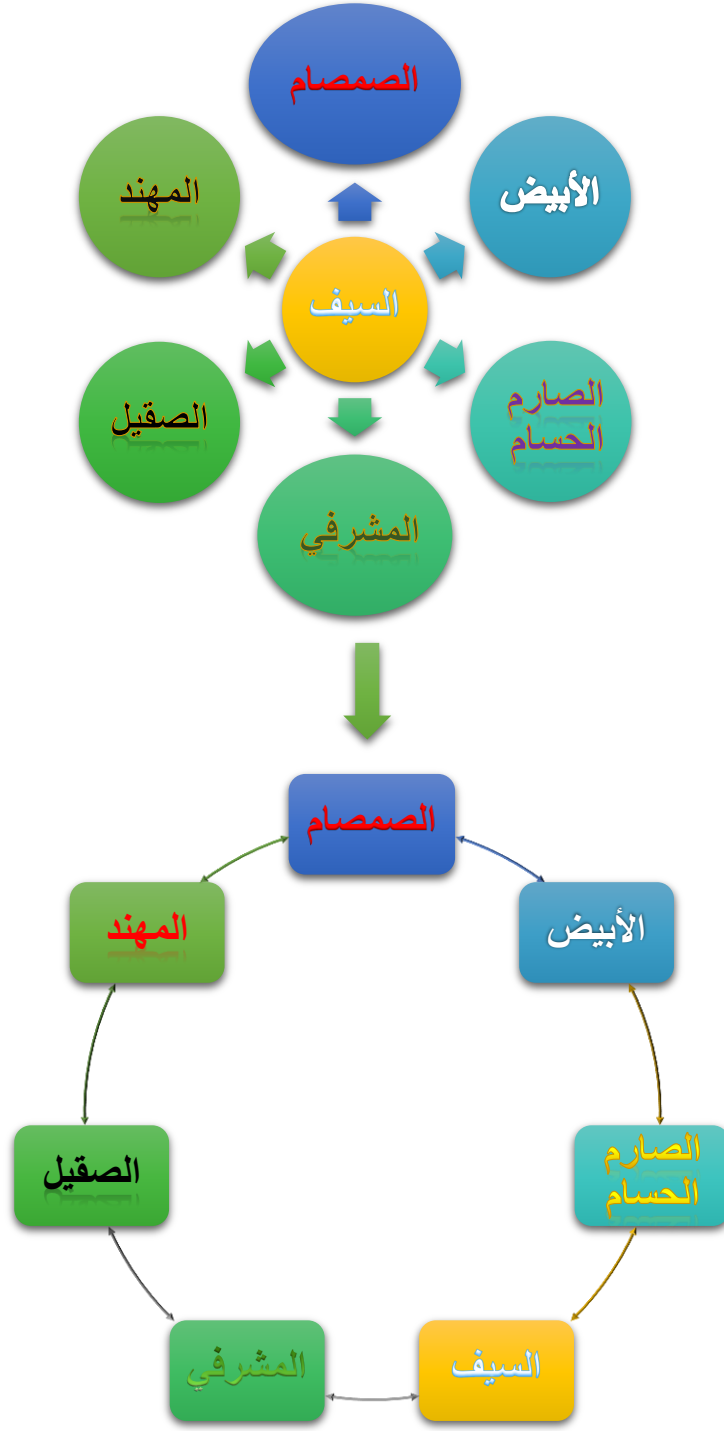
### 2.1.2.1.2. السيف:

لا يَقِلُّ السيف أهمية عن الخيل عند العربي قديماً، وقد كان ولعه بهما راجعاً لكونهما ركيزتين من ركائز حياته، حتى أن أخبار بعض السيوف والخيول تناقلتها العرب كما نقلت أخبار فرسانها، ولا نزال نحتفظ بتسمية السيف الذي أهداه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد جاء ذكره في مدونة البحث في مادة «ف ق ر»: «ذُو (الْفَقَّارِ) اسْمُ سَيْفِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»<sup>2</sup>، كل هذا يبرر العدد الهائل من مرادفاته التي بلغ من ابن خالويه أن يدعي أنه يحصى للسيف خمسين اسماً<sup>3</sup>، وسنحاول بيان المسار المسار التطوري لفقدان الوصفية للمتردفات المعبرة عن السيف في المخطط الآتي:

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 285.

2- المرجع نفسه: ص 241.

3- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ج 01، ص 318.



الشكل 29: علاقة السيف بأوصافه المختلفة

يبين المخطط أعلاه علاقة السيف بأوصافه المختلفة، فهو "صارم" و"حسام" من حيث الوظيفة، وهو "صقيل" من حيث الشكل، وهو "أبيض" من حيث اللون، وهو "مشرفي" من

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

حيث النسبة، وهو "مهند" من حيث المنشأ، وكل تلك الأوصاف، والتي هي سمات دلالية لآلة الحرب والقتال، تجتمع لتشكيل ماهية "السيف"، إلا أنه ومع كثرة الاستبدال بين السيف وأوصافه من جهة، وبين تلك الأوصاف من جهة أخرى، فقد تغيرت العلاقة التي تربط السيف بمكوناته لتصبح علاقة أفقية، حيث إن الفروق الدلالية «لم تصمد أمام عوامل التطور بل تغيرت أو انكشيت وتوسيت»<sup>1</sup>، وبالتالي سقطت الوصفية عنها وصارت دالة على الاسم دلالة تامة، وقد وثقت شواهد مرادفات السيف في مختار الصحاح ضمن الجدول الآتي:

مرادفات السيف	الشاهد من مختار الصحاح
الصَّقِيلُ	«ص ق ل»: «(الصَّقِيلُ) السَّيْفُ» <sup>2</sup>
المُهَنْدُ	«ه ن د»: «(المُهَنْدُ) السَّيْفُ الْمَطْبُوعُ مِنْ حَدِيدِ (الْهَنْدِ)» <sup>3</sup>
الحَسَامُ	«ح س م»: «(الحَسَامُ) السَّيْفُ الْقَاطِعُ» <sup>4</sup>
الصَّارِمُ	«ص ر م»: «(الصَّارِمُ) السَّيْفُ الْقَاطِعُ» <sup>5</sup>
الصَّمْصَامُ / الصَّمْصَامَةُ	«ص م م»: «(الصَّمْصَامُ) وَ(الصَّمْصَامَةُ) السَّيْفُ الصَّارِمُ الَّذِي لَا يَنْتَنِي» <sup>6</sup>
الأَبْيَضُ	«ب ي ض»: «(الأَبْيَضُ) السَّيْفُ وَجَمْعُهُ (بَيْضٌ)» <sup>7</sup>
المَشْرَفِيُّ	«ش ر ف»: «(المَشْرَفِيُّ) سَيْوْفٌ مَنَسُوبَةٌ إِلَى مَشَارِفٍ وَهِيَ فُرَى مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ تَدْنُو مِنَ الرَّيْفِ. يُقَالُ: سَيْفٌ (مَشْرَفِيٌّ)» <sup>8</sup>

1- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص313.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص177.

3- المرجع نفسه: ص328.

4- المرجع نفسه: ص37.

5- المرجع نفسه: ص175.

6- المرجع نفسه: ص179.

7- المرجع نفسه: ص42.

8- المرجع نفسه: ص164.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

وما قيل عن السيف وأوصافه ينطبق على الخمر وعلى الفرس وعلى الأسد وعلى الصحراء والجمال وغيرها من الماهيات المختلفة، ومن هذا المسار التطوري نشأت فئة كبيرة من المترادفات في معجم اللغة كانت بالأساس أوصافا متباينة لماهية مشتركة بينها، ولأن سبب نشوء المترادفات في المواضيع المركزية للعربي هي عينها، نورد ما تبقى من مترادفات في موضوعي "الخمر و"الأسد" في الجدولين الآتيين:

### 3.1.2.1.2. الخمر:

مرادفات الخمر	الشاهد من مختار الصحاح
الإِثْمُ	«أ ت م»: «وَقَدْ تُسَمَّى الْخَمْرُ إِثْمًا وَقَالَ: شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي *** كَذَلِكَ الْإِثْمُ تَذَهَبُ بِالْعُقُولِ» <sup>1</sup>
الْجِرْيَالُ	«ج ر ل»: «(الْجِرْيَالُ) الْخَمْرُ وَهُوَ دُونَ السَّلَافِ فِي الْجَوْدَةِ وَقِيلَ: جِرْيَالُ الْخَمْرِ لَوْنُهَا كَمَا أَنَّ جِرْيَالَ الذَّهَبِ حُمْرُهُ» <sup>2</sup>
الْخَنْدَرِيسُ	«خ ر د س»: «(الْخَنْدَرِيسُ) بَفَتْحِ الْخَاءِ وَالذَّالِ الْخَمْرُ» <sup>3</sup>
الرَّاحُ	«ر و ح»: «و(الرَّاحُ) الْخَمْرُ» <sup>4</sup>
الرَّحِيقُ	«ر ح ق»: «(الرَّحِيقُ) صَفْوَةُ الْخَمْرِ» <sup>5</sup>
ز ر ج ن:	«ز ر ج ن»: «(الزَّرَجُونُ) بِالتَّحْرِيكِ الْخَمْرُ» <sup>6</sup>
الزَّنَجَبِيلُ	«ز ج ل»: «وَالزَّنَجَبِيلُ أَيْضًا الْخَمْرُ» <sup>7</sup>
السَّلَافُ	«س ل ف»: «(السَّلَافُ) مَا سَالَ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ قَبْلَ أَنْ يُعْصَرَ وَيُسَمَّى الْخَمْرُ سَلَافًا» <sup>8</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص13.

2- المرجع نفسه: ص56.

3- المرجع نفسه: ص88.

4- المرجع نفسه ص131.

5- المرجع نفسه: ص120.

6- المرجع نفسه: ص135.

7- المرجع نفسه: ص135.

8- المرجع نفسه: ص152.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

«ش م ل»: «(الشَّمُولُ) الخَمْرُ» <sup>1</sup>	الشَّمُولُ
«طل ا»: «وَبِعَضُّ الْعَرَبِ يُسَمَّى الْخَمْرَ الطَّلًا» <sup>2</sup>	الطَّلَا
«ع ق ر»: «(الْعَقَارُ) بِالضَّمِّ الْخَمْرُ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا عَقَرَتِ الْعَقْلَ أَوْ (عَاقَرَتْ) الذَّنَّ أَي لَأَزَمَتْهُ» <sup>3</sup>	الْعَقَارُ
«نق ر ق ف»: «(الْقَرْقَفُ) الْخَمْرُ.» <sup>4</sup>	الْقَرْقَفُ
«د و م»: «(الْمُدَامُ) وَ (الْمُدَامَةُ) الْخَمْرُ.» <sup>5</sup>	الْمُدَامُ / الْمُدَامَةُ

### 4.1.2.1.2. الأسد:

مرادفات الأسد	الشاهد من مختار الصحاح
الضَّرْعَامُ	«ض ر غ م»: «(الضَّرْعَامُ) الْأَسَدُ» <sup>6</sup>
الضَّيْعَمُ	«ض غ م»: «(الضَّيْعَمُ) الْأَسَدُ» <sup>7</sup>
الْعَضَنَفَرُ	«غ ض ف ر»: «(الْعَضَنَفَرُ) الْأَسَدُ» <sup>8</sup>
الْقَسُورُ / الْقَسُورَةُ	«ق س ر»: «(الْقَسُورُ) وَ (الْقَسُورَةُ) الْأَسَدُ» <sup>9</sup>
الْهَزِيرُ	«ه ز ب ر»: «(الْهَزِيرُ) الْأَسَدُ الْقَوِيُّ» <sup>10</sup>
أَبُو فِرَاسٍ	«ف ر س»: «أَبُو (فِرَاسٍ) كُنْيَةُ الْأَسَدِ» <sup>11</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 169.

2- المرجع نفسه: ص 192.

3- المرجع نفسه: ص 214.

4- المرجع نفسه: ص 252.

5- المرجع نفسه: ص 109.

6- المرجع نفسه: ص 184.

7- المرجع نفسه: ص 184.

8- المرجع نفسه: ص 227.

9- المرجع نفسه: ص 253.

10- المرجع نفسه: ص 326.

11- المرجع نفسه: ص 236.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

اللَّيْثُ

«ع ر ن»: «يُقَالُ: لَيْثٌ عَرَبِيَّةٌ.»<sup>1</sup>

### 2.2.1.2. الاقتراض:

تعد الحدود الجغرافية بين الأمم مناطق تبادل عام من حيث العادات واللباس والمأكل وطريقة العيش، ولم تسلم اللغات من هذا التبادل؛ حيث تأخذ كل أمة بقدر ما تعطي؛ الشيء الذي قد ينعكس على أنظمتها اللغوية الخاصة، وقد طال اللسان العربي خلال تاريخه الطويل ما طال غيره من التغيير بسبب هذا الاتصال اللغوي (*language contact*)، إذ يعد «الاقتراض المعجمي أكثر أشكال الاتصال اللغوي شيوعاً»<sup>2</sup>، حيث أخذت العربية خلال تاريخها العديد من ألفاظ لغات الأمم المجاورة، وأطلق على تلكم الألفاظ اسم "المعرب" و"الدخيل" وكذلك "المولد" أحياناً.

و"التعريب" في أبسط تعريفاته هو: «نقل اللفظ من العجمية إلى العربية»<sup>3</sup>، ولن نخوض في تفاصيل التمييز بين "المعرب" و"الدخيل" و"المولد"، فغرضنا في هذا المقام هو الإبانة عن أثر الاقتراض في نشوء المترادفات، وسنكتفي بما صرح محمد بن أبي بكر الرازي بعجمته من الألفاظ لندرجه في خانة الأعجمي، ويضم الجدول الآتي قائمة المترادفات في معجم مختار الصحاح بسبب الاقتراض:

المترادفات	الشاهد على وقوع الترادف بسبب الاقتراض من مختار الصحاح
الْأَجْرُ = الطُّوبُ	«أ ج ر»: «(الْأَجْرُ) الطُّوبُ الَّذِي يُبْنَى بِهِ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ» <sup>4</sup>
الْبَقَمُّ = الْعُنْدَمُ	«ب ق م»: «(الْبَقَمُّ) صِبْغٌ مَعْرُوفٌ وَهُوَ الْعُنْدَمُ. وَقُلْتُ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَسَوِيِّ: أَعَرَبِيٌّ هُوَ؟ فَقَالَ: مُعَرَّبٌ» <sup>5</sup>
الْبَوْسُ = التَّقْبِيلُ	«ب و س»: «(الْبَوْسُ) التَّقْبِيلُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ» <sup>1</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 207.

2- Sarah G. Thomason: Language Contact, Edinburgh University Press Ltd 22 George Square, Square, Edinburgh, 2001, p10.

3- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل فيما في كلم العرب من الدخيل، ص 27.

4- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 13.

5- المرجع نفسه: ص 38

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

ح ب ب: «(الْحُبُّ) بِالضَّمِّ الْخَابِيَةُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ» <sup>2</sup>	الْحُبُّ = الْخَابِيَةُ
خ ي ر: «(الْخِيَارُ) [...] الْقِتَاءُ وَلَيْسَ بِعَرَبِيٍّ» <sup>3</sup>	الْخِيَارُ = الْقِتَاءُ
د ك ن: «(الدُّكَانُ) وَاحِدٌ (الدَّكَائِنِ) وَهِيَ الْحَوَانِيْتُ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ» <sup>4</sup>	الدُّكَانُ = الحانوت
ز م ر ذ: «(الرُّمْرُدُ) بِضَمِّ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِهَا الزَّرْبُودُ الْمَعْرُوفُ وَهُوَ مُعَرَّبٌ» <sup>5</sup>	الرُّمْرُدُ = الزَّرْبُودُ
س ج ل: «(السَّجَنَجَلُ) الْمِرْأَةُ وَهُوَ رُومِيٌّ مُعَرَّبٌ» <sup>6</sup>	السَّجَنَجَلُ = الْمِرْأَةُ
ص ر م: «(الصَّرْمُ) الْجِدُّ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَ (الصَّرَامُ) بَفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِهَا جِدَادٌ» <sup>7</sup>	الصَّرْمُ = الْجِدُّ
ص ل ج: «(الصَّوَلَجَانُ) بَفَتْحِ اللَّامِ الْمِحْجَنُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ» <sup>8</sup>	الصَّوَلَجَانُ = الْمِحْجَنُ
ق ب ن: «(الْقَبَانُ) (الْقُسْطَاسُ) مُعَرَّبٌ» <sup>9</sup>	الْقَبَانُ = الْقُسْطَاسُ
ق ر ا: «(الْقَيْرَوَانُ) بِضَمِّ الرَّاءِ الْقَافِلَةُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. وَفِي حَدِيثٍ مُجَاهِدٍ: «يَعْدُو الشَّيْطَانُ بِقَيْرَوَانِهِ إِلَى السُّوقِ» <sup>10</sup>	الْقَيْرَوَانُ = الْقَافِلَةُ
ك ب ر: «(الْكَبْرُ) بِفَتْحَيْنِ الْأَصْفُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ» <sup>11</sup>	الْكَبْرُ = الْأَصْفُ
ك و س: «(الْكُوسُ) بِالضَّمِّ الطَّبْلُ. وَقِيلَ: هُوَ مُعَرَّبٌ» <sup>12</sup>	الْكُوسُ = الطَّبْلُ
ك س ج: «(الْكُوسَجُ) بَفَتْحِ الْكَافِ الْأَنْطُ وَهُوَ مُعَرَّبٌ» <sup>1</sup>	الْكُوسَجُ = الْأَنْطُ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص42

2- المرجع نفسه: ص65

3- المرجع نفسه: ص99

4- المرجع نفسه: ص106.

5- المرجع نفسه: ص137.

6- المرجع نفسه: ص142.

7- المرجع نفسه: ص175

8- المرجع نفسه: ص178.

9- المرجع نفسه: ص247

10- المرجع نفسه: ص252

11- المرجع نفسه: ص265

12- المرجع نفسه: ص275.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

المِسْكُ = المَشْمُومُ	م س ك: «(المِسْكُ) مِنَ الطَّيِّبِ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ المَشْمُومُ» <sup>2</sup>
المُهْرَقُ = الصَّحِيفَةُ	ه ر ق: «(المُهْرَقُ) بِفَتْحِ الرَّاءِ الصَّحِيفَةُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ» <sup>3</sup>
المُومُ = الشَّمْعُ	م و م: «(المُومُ) الشَّمْعُ مُعَرَّبٌ» <sup>4</sup>
المِيزَابُ = المَثْعَبُ	و ز ب: «(المِيزَابُ) المَثْعَبُ فَارِسِيٌّ» <sup>5</sup>
الْيَلْمَقُ = الْفَبَاءُ	ي ل م ق: «(الْيَلْمَقُ) الْفَبَاءُ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ وَجَمْعُهُ (يَلْمَقُ)» <sup>6</sup>
الرَّرْزَوْنَةُ = الْكُوَّةُ	ر ز ن: «(الرَّرْزَوْنَةُ) الْكُوَّةُ وَهِيَ مُعَرَّبَةٌ» <sup>7</sup>
الرَّرْجُونُ = الْخَمْرُ	ز ر ج ن: «(الرَّرْجُونُ) بِالتَّحْرِيكِ الْخَمْرُ. وَقِيلَ: الْكَرْمُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هِيَ فَارِسِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ أَيْ لَوْنُ الذَّهَبِ. وَقَالَ الْجَزْمِيُّ: هُوَ صَبْعٌ أَحْمَرٌ» <sup>8</sup>
الْفَجُّ = البِطِيخُ الشَّامِيُّ = الهِنْدِيُّ	ف ج ج: «(الْفَجُّ) بِالْكَسْرِ البِطِيخُ الشَّامِيُّ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْفَرَسُ الهِنْدِيُّ. وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ البِطِيخِ وَالْفَوَاكِهِ لَمْ يَنْضَجْ فَهُوَ فَجٌّ بِالْكَسْرِ» <sup>9</sup>
الْقَصْفُ = اللَّهُوُ	ق ص ف: «(الْقَصْفُ) اللَّهُوُ وَاللَّعْبُ وَيُقَالُ: إِنَّهُ مُؤَلَّدٌ» <sup>10</sup>
الْجَعْسُ = الرَّجِيعُ	ج ع س: «(الْجَعْسُ) الرَّجِيعُ وَهُوَ مُؤَلَّدٌ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: الْجُعْمُوسُ بزيَادَةِ المِيمِ» <sup>11</sup>
البريد = الرسول	ب ر د: «وَالرَّسُولُ (بَرِيدٌ). قُلْتُ: قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: قِيلَ لِداَبَّةِ الْبَرِيدِ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 269.

2- المرجع نفسه: ص 294

3- المرجع نفسه: ص 326

4- المرجع نفسه: ص 301.

5- المرجع نفسه: ص 337.

6- المرجع نفسه: ص 349.

7- المرجع نفسه: ص 122.

8- المرجع نفسه: ص 135.

9- المرجع نفسه: ص 134.

10- المرجع نفسه: ص 255.

11- المرجع نفسه: ص 58.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

بَرِيدٌ لِسَيْرِهِ فِي الْبَرِيدِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: الْبَرِيدُ الْبَغْلَةُ الْمُرْتَبَّةُ فِي الرِّبَاطِ  
تَعْرِيبُ بَرِيدِهِ دَمٌ ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ الرَّسُولُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ثُمَّ سُمِّيَتْ بِهِ  
الْمَسَافَةُ»<sup>1</sup>

قد تختلف مسببات الافتراض اللغوي، إلا أن الاتصال وحده كان كافياً لدخول ألفاظ أعجمية إلى المعجم العربي؛ حيث يشرح الجاحظ ذلك قائلاً: «أَلَا تَرَى أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَمَّا نَزَلَ فِيهِمْ نَاسٌ مِنَ الْفُرْسِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ، عَلَفُوا بِالْأَفَاطِ مِنْ أَلْفَاطِهِمْ، وَلِذَلِكَ يُسَمُّونَ الْبَطِيخَ: الْخَرِيزَ، وَيُسَمُّونَ السَّمِيطَ: الرُّزْدَقَ، وَيُسَمُّونَ الْمَصُوصَ: الْمَزُورَ، وَيُسَمُّونَ الشَّطْرُنَجَ: الْأَشْطْرُنَجَ، فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ. وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ، فَإِنَّهُمْ يُسَمُّونَ الْمِسْحَاةَ: بِالْأَلَا، وَبِالْفَارِسِيَّةِ. وَلَوْ عَلِقَ ذَلِكَ لُغَةً أَهْلُ الْبَصْرَةِ، إِذْ نَزَلُوا بِأَدْنَى بِلَادِ فَارِسَ وَأَقْصَى بِلَادِ الْعَرَبِ، كَانَ ذَلِكَ أَشْبَهَ، إِذْ كَانَ أَهْلُ الْكُوفَةِ قَدْ نَزَلُوا بِأَدْنَى بِلَادِ النَّبَطِ وَأَقْصَى بِلَادِ الْعَرَبِ. وَيُسَمِّي أَهْلُ الْكُوفَةِ الْحَوْكَ: الْبَادِرُوجَ، وَالْبَادِرُوجَ بِالْفَارِسِيَّةِ، وَالْحَوْكَ كَلِمَةً عَرَبِيَّةً. وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ، إِذْ نَقَّتْ أَرْبَعُ طُرُقٍ، يُسَمُّونَهَا: مُرْبَعَةً، وَيُسَمِّيَهَا أَهْلُ الْكُوفَةِ: الْجِهَارْسُوكَ، وَالْجِهَارْسُوكَ بِالْفَارِسِيَّةِ. وَيُسَمُّونَ السُّوقَ وَالسُّوَيْقَةَ: وَازَّارَ، وَالْوَزَارَ بِالْفَارِسِيَّةِ. وَيُسَمُّونَ الْقِتَاءَ: خِيَارًا، وَالْخِيَارَ بِالْفَارِسِيَّةِ. وَيُسَمُّونَ الْمَجْدُومَ: وَيَذِي بِالْفَارِسِيَّةِ»<sup>2</sup>، لقد ذكر الجاحظ في هذا المقطع القصير فقط ما يربو عن عشرة أزواج من المترادفات، يرجع وجودها جميعاً إلى الافتراض، ما يؤكد أن قسماً لا بأس به من المترادفات في اللغة العربية يرجع إلى الاحتكاك بالأمم المجاورة.

وقد اختلفت أغراض العرب وهم يستعيرون الألفاظ الأعجمية، فقد يكون استخفاف اللفظ الأعجمي باعثاً على استعماله بدل مقابله العربي، أو قد يكون السبب أوزان الشعر وقوافيه، حيث «ذكر أبو حاتم أن رؤبة بن العجاج والفصحاء كالأعشى وغيره ربما استعاروا

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص32.

2- عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج01، ص20/19.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الكلمة من كلام العجم للقافية لتستطرف»<sup>1</sup>، وقد لا يحتاج الأمر لمسوغ أصلاً؛ لأن سنن التطور ماثلة في اللغات جميعها على الرغم من حرص العرب الشديد على نقاء لغتهم. إن وجود المترادفات التي يكون شق منها أعجمي والآخر عربي لا يعني بالضرورة أن معنيي اللفظين متطابقان أصلاً، فالزَّرْجُونُ وهو كلمة فارسية مرادفة للْحَمْرُ<sup>2</sup> كانت تدل في لغتها الأصلية على لون الذهب، إذ هو اسم «مركب من زَرُّ أي ذهب ومن كُون أي لَوْن»<sup>3</sup>، وبدخولها إلى العربية تحول معناها ليدل على الخمر، وينشأ بذلك زوج جديد من المترادفات في اللغة العربية أحد طرفيه أعجمي قد تطورت دلالاته لمشابهة لون الذهب للون الخمر، والآخر عربي أصيل، وكذلك الحال بالنسبة للبريد والرسول؛ فالبريد كلمة فارسية مشتقة من "بردن" أي نقل<sup>4</sup>، دخلت العربية وارتبط معناها بالدابة التي تنقل الرسائل وعليها الرسول، ومن ثم صارت مرادفة للفظ العربي الرسول<sup>5</sup>، مع أن معانها الأصلي خلاف ذلك.

وهكذا فقد أسهم الاقتراض من اللغات الأعجمية في نشوء كثير من المترادفات التي تطورت معانيها لتتنجم مع ما قوبلت به من الألفاظ العربية، واستناداً لما تم ذكره، نعرض في الجدول الآتي أزواج المترادفات التي أحصيناها في المعجم، والتي يعود شق منها إلى العربية والشق الآخر إلى الفارسية أو الرومية أو غيرها من لغات الأمم التي احتك بها العرب.

### 3.2.1.2. المجاز:

سبب آخر يندرج ضمن أسباب وقوع الترادف في اللغة نتيجة التطور الدلالي وهو المجاز، والمجاز هو «كلُّ كلمة أريد بها غيرُ ما وقعت له في وَضْعٍ واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل»<sup>6</sup>؛ أي أنه اكتساب اللفظ لمعنى غير المعنى الأصلي أو الوضعي، وجزئية المعنى الوضعي أو الاستعمال الأول كانت محل جدال واسع بين العلماء قديماً وحديثاً، إلا

1- موهوب بن أحمد الجواليقي: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: خليل عمران المنصق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م، ص09.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص135.

3- أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، (دط)، 1908م، ص77.

4- المرجع نفسه: ص18.

5- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة «ر س ل»، ص32.

6- عبد القاهر الجرجاني: أساس البلاغة، تح: هلموت رينتر، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط03، 1983م، ص325.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

أنه ومع توفر معاجم تاريخية للغة العربية فإنه سيفترض أن المعنى الوضعي هو أول استعمال موثق للكلمة دون الخوض في تفاصيل استحالة الوصول للمعنى الأول. إن أمثلة وقوع المترادفات في اللغة العربية بسبب المجازات أكبر من أن تُحصى في هذا العمل المتواضع، لذلك فإن النماذج ستكون منتقاة من المدونة لتكون شاهدة على دور المجاز في حدوث الترادف بشكل جلي تمثيلاً لا استغراقاً.

ورد في المدونة في مادة «غ ي ث»: «(الغَيْثُ) الْمَطْرُ وَ(عَاثُ) الْغَيْثُ الْأَرْضَ أَصَابَهَا. وَعَاثَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَبَابُهُمَا بَاعَ. وَ(غَيْثُ) الْأَرْضِ تُعَاثُ (غَيْثًا) فَهِيَ أَرْضٌ (مَغِيثَةٌ) وَ(مَغِيوُثَةٌ). وَرُبَّمَا سُمِّيَ السَّحَابُ وَالنَّبَاتُ (غَيْثًا)»<sup>1</sup>، موضع الشاهد هنا إطلاق "الغيث" على "النبات" أو "السحاب"، بحيث يظهر زوجان من المترادفات هما: (الغيث = النبات)، (الغيث = السحاب)

وقد جاء في معجم الدوحة التاريخي في مادة «غ ي ث» بأن أقدم استعمال موثق للغيث كان بمعنى المطر، وذلك قبل (150 ق.هـ)، واستعمل بمعنى: «العُشْبُ الْبَرِّيُّ الَّذِي يَنْبُتُ مِنْ مَاءِ الْمَطْرِ»<sup>2</sup> حوالي (50 ق.هـ) في بيت لمرّة بن الرواح الأسدي يَصِفُ مَرَعَى مُقْفَرًا كَثِيرَ الْبَعُوضِ وَالذُّبَابِ:

وقد أَقْوَدُ لِيغِيثُ لَا أَنْيَسَ بِهِ \*\*\* إِلَّا الْبَعُوضُ وَالْأَزْرَقُ الْهَرَجُ<sup>3</sup>

كما سجل معجم الشارقة التاريخي استعمالات عديدة للسحاب بمعنى الغيث<sup>4</sup>، عبر عنها بلفظ "ابن السحاب" كما في قول ابن الفياض (ت356هـ):

نحن الشُّهُودُ وَخَفَقُ الْعُودِ خَاطِبُنَا \*\*\* نَزَّوَجُ ابْنِ السَّحَابِ بِنْتٌ عُنُقُودِ

أو بلفظ "بنات السحابة" كما في قول عدي بن الرقاع (ت95هـ):

كَأَنَّ تَنَايَاهَا بِنَاتُ سَحَابَةٍ \*\*\* سَقَاهُنَّ شَوْئُوبٌ مِنَ الْغَيْثِ بَاكِرٌ

الأصل أن "الغيث" يدل على المطر وأن "النبات" يدل على ما ينبت من الأرض، وأن "السحاب" يدل على الغيم، لكن من خلال استعمالهم المتكرر متجاورين في سياقات عديدة،

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص232.

2- <https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%BA%D9%8A%D8%AB> تاريخ الاستلال: 2025/12/01

3- <https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%BA%D9%8A%D8%AB> تاريخ الاستلال: 2025/12/01

4- <https://almojam.org/?id=2809&wordId=17189> تاريخ الاستلال: 2025/08/20

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

وقع تلازم سياقي بين "الغيث" و"السحاب" من جهة، وبين "الغيث" و"النبات" من جهة أخرى، هذا التلازم أدى مع الزمن إلى إمكانية استبدال لفظ بآخر، حيث إن «التطور الدلالي ينشأ من الارتباط التركيبي بين أسماء ترد كثيرا في السياق نفسه»<sup>1</sup>، حتى يصبح ذكر أحدها ينوب عن ذكر الآخر، ومع كثرة التبادل ينشأ زوج من المفردات التي يعبر كل منهما عن المعنى نفسه، وهو تماما ما حدث مع "الغيث" و"النبات"، وكذلك "الغيث" و"السحاب".

الأمر نفسه وقع ل: "الحرب" و"الوغي"، اللذان ورد ذكرهما في مادة (و غ ي): «(الْوَعْيُ) الْجَلْبَةُ وَالْأَصْوَاتُ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحَرْبِ: (وَعْيٌ) لِمَا فِيهَا مِنَ الصَّوْتِ وَالْجَلْبَةُ»<sup>2</sup>، إذ يعد هذا الزوج (الوغي=الحرب) مثالا عن أثر المجاز في توليد المترادفات، فالمعنى الأصلي للكلمة هو الجلبة وارتفاع الأصوات، غير أن الاستعمال نقله إلى معنى ملازم عادة للضوضاء والاضطراب ومسبب له وهو: "الحرب"، ومع تعدد تكرارات الكلمتين معا في سياقات كثيرة، انتقل معنى "الوغي" ليبدل على "الحرب" نفسها.

وسنسوق فيما يأتي بعضا من استعمالات العرب للفظ "الوغي" في المعنيين (الجلبة/الحرب) استنادا إلى معجم الشارقة التاريخي، وأولها بيت للشاعر عمرو بن قميئة (ت58ق.هـ) يمدح قومه وكانت بمعنى "الصوت والجلبة":

فَوَجَّهْتُهُنَّ عَلَى مَهْمَةٍ \*\*\* قَلِيلِ الْوَعْيِ غَيْرِ صَوْتِ الرَّئَالِ<sup>3</sup>

كما جاءت بمعنى "أصوات البعوض إذا اجتمعت" في بيت المتنخل الهذلي (ت63ق.هـ):

كَأَنَّ وَعْيَ الْخَمُوشِ بِجَانِبِيهِ \*\*\* وَعْيِ رَكْبٍ أُمِيمٍ أُولَى زِيَاطٍ<sup>4</sup>

وأفادت معنى "الحرب" في بيت البراق بن روحان (ت155ق.هـ) وهو يفخر بقومه:

يَقُولُ إِلَى الْوَعْيِ ذُهْلًا وَعِجْلًا \*\*\* بَنِي شَيْبَانَ فُرْسَانَ الْوَقَارِ<sup>5</sup>

لقد أخذت هذه الاستعمالات من مدونات مختلفة، بعضها من دواوين شعراء جاهليين وبعضها من معاجم تراثية، والتواريخ تبرز التداخل الكبير في المعنيين؛ إذ يشير أقدم

1- Stephen Ullmann: The Principles Of Semantics, Basil Blackwell & Mott Ltd, UK, 2nded, 1957, p238

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص342.

3- <https://almojam.org/?id=28293> تاريخ الاستلال: 2025/08/20

4- <https://almojam.org/?id=28293> تاريخ الاستلال: 2025/08/17

5- <https://almojam.org/?id=28293> تاريخ الاستلال: 2025/08/17

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

استعمال موثق في معجم الشارقة التاريخي - وهو بيت البراق بن روحان - إلى أن "الوغي" استعمل بمعنى "الحرب"، بينما نص أبو بكر الرازي ومن قبله الجوهري وغيرهم من أئمة اللغة أن أصل "الوغي" الجلبة والأصوات، ما يوضح أن الاستبدال وقع في وقت مبكر من تاريخ العربية، إلا أن بقاء المعنى الأصلي في الاستعمال حال دون استبدال معنى الحرب باللفظة.

مثال آخر على نشوء المترادفات بفعل المجاز وهو لفظ "اليد"؛ إذ تمثل أعضاء الجسد تربة خصبة لأنواع المجازات والاستعارات التي تولد عنها علاقات دلالية مثل الترادف والمشارك اللفظي، «فالجسم البشري هو حقاً قطاع متميز، مركز للتوسيع وال جذب»<sup>1</sup>، ويظهر التتابع التاريخي لمعاني كلمة "اليد" أن أول استعمال موثق أفاد معنى "الجارحة" أو "العضو من الجسد" وذلك قبل (150ق.هـ) في بيت نسب لمالك بن زيد الأسدي يدعو فيه على ولده ويشكو عقوقه:<sup>2</sup>

تَوَخَّانِي بِقَدْحِ شَكِّ قَلْبِي \*\*\* دَقِيقٌ قَدْ بَرَّتْهُ الرَّاحَتَانِ

فَلَا ظَفِرَتْ يَدَاهُ حِينَ يَرْمِي \*\*\* وَشَلَّتْ مِنْهُ حَامِلَةُ الْبَنَانِ<sup>3</sup>

ويتبين من البيت أن لفظ "اليد" استعمل استعمالاً خالصاً في سياقه الواقعي المادي، أي اليد العضوية التي تمسك القوس وترمي السهم، وهذا المعنى هو الأصل الذي تفرعت عنه بقية المعاني، غير أن الاستعمال لم يلبث أن تجاوز المجال الحسي فانتقل بالاستعارة إلى مجال رمزي أرحب، هو مجال الإحسان والنعمة، وبعد قول عامر بن الضرب العدواني حوالي (50ق.هـ) شاهداً مبكراً؛ إذ خاطب حُمَمَةَ بن رافع الدوسي قائلاً: «أَيُّنَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ أَيَادِيكَ؟»<sup>4</sup>، والمراد هنا "نعمتك" أو "معروفك"، فاليد في هذا الموضع انتقلت من الإحالة إلى الجارحة الجسدية، إلى العطاء والمنة عبر علاقة مجازية قائمة على كون اليد أداة الفعل والإنفاق.

هذا التطور يتم بأن ينتقل اللفظ من الدلالة الحسية إلى الدلالة المعنوية، ثم يترسخ هذا المعنى الجديد في الاستعمال حتى يغدو مشتركاً مع ألفاظ أخرى تؤدي المعنى ذاته، وبهذا

1- Stephen Ullmann: Words And Their Use, p82.

2- <https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D9%8A%D8%AF> 2025/08/17 تاريخ الاستلال

3- <https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D9%8A%D8%AF> 2025/08/17 تاريخ الاستلال

4- <https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D9%8A%D8%AF> 2025/08/17 تاريخ الاستلال

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

صارت "اليد" مرادفة لـ "النعمة" و"المعروف" و"الإحسان"، وهو ما يبرهن على أن الترادف في العربية كثيرا ما يُردُّ إلى التطور الدلالي الناتج عن الاستعمال المجازي، وهنا يمكننا القول بأن "اليد" ومعها مختلف الجوارح كـ"العين" و"الأذن" و"الرأس" تعد مجالا مناسباً لدراسة كيفية تشكل شبكة من المترادفات بفعل انتقال لفظ واحد من معناه الأصلي إلى معنى مجازي جديد.

وقد سجل مختار الصحاح الاستعمالين معاً، وبالعودة إلى كل من مادتي (ي د ي) و(ن ع م): «(الْيَدُ) أَصْلُهَا يَدِي عَلَى فِعْلِ سَاكِنَةٍ الْعَيْنِ لِأَنَّ جَمْعَهَا (أَيْدٍ) وَ (يَدِيٌّ) [...] (الْيَدُ) الْقُوَّةُ. وَ (أَيْدَهُ) قَوَاهُ. وَمَا لِي بِفُلَانٍ (يَدَانٍ) أَيْ طَاقَةً»<sup>1</sup>، و«(النَّعْمَةُ) الْيَدُ وَالصَّنِيْعَةُ وَالْمِنَّةُ وَمَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَيْكَ»<sup>2</sup>، ونكتفي بهذا القدر من أمثلة نشوء المترادفات بفعل المجازات والتي لا نحصيها عدداً؛ ذلك أن اللغة في حركية مستمرة، بحيث تولد الاستعمالات المستحدثة علاقات دلالية جديدة في كل مرة.

### 4.2.1.2. تداخل اللغات:

يُختتم الحديث عن أسباب وقوع الترادف الناشئ عن التطور الدلالي، بالإشارة إلى ما كان منه بفعل تداخل لغات العرب قديماً، وهو سبب شاع ذكره بوصفه مبرراً لكثير من المترادفات في العربية، وفي هذا يقول ابن جني: «وَكُلَّمَا كَثُرَتْ الْأَلْفَاظُ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ، كَانَ ذَلِكَ أَوْلَى بِأَنْ تَكُونَ لُغَاتٍ لِحِمَاةٍ اجْتَمَعَتْ لِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا»<sup>3</sup>، غير أننا نود التنويه إلى أن الاختلاف الذي نقصده ليس الاختلاف الناشئ عن أصل الوضع، وإنما هو اختلاف قائم على افتراض أن اللغة العربية كانت لساناً جامعاً، ثم تفرع عنه من اللغات بقدر ما تفرق أهلها في شبه الجزيرة العربية، فإن «هذا التعدد الحاصل في التسمية هو في الواقع مما أملتة العزلة اللغوية للقبائل بعضها عن بعض وما كان من أمر انقسام وتشعب اللغة الواحدة إلى بيئات مختلفة جزئياً»<sup>4</sup>، وهو تشعب لم يصل حد القطيعة بين

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص348.

2- المرجع نفسه: ص314

3- عثمان بن جني: الخصائص، ج01، ص375.

4- حاكم مالك الزيادي: الترادف في اللغة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (دط)، 1980م، ص161.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

لغات العرب لكنه أفرز ظواهر دلالية برزت بشكل جلي مع حركة التدوين التي جمعت شتات اللسان العربي ثانية، وكان من نتائجها كثرة المسميات الدالة على معنى واحد. ولم تفصح المدونات اللغوية عن أصول المترادفات جميعا ما خلا النزر اليسير منها، وقد عزا محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح بعضا من الأسماء المترادفة إلى أصحابها وأعرض عن بعض، ومما ألحقه بمستعمليه ما نوره في الجدول الآتي:

المترادفات	شواهد المترادفات بسبب تداخل لغات العرب من مختار الصحاح
التَّسْمِينُ = التَّبْرِيدُ	«س م ن»: «(التَّسْمِينُ) فِي لُغَةِ أَهْلِ الطَّائِفِ وَالْيَمَنِ التَّبْرِيدُ» <sup>1</sup>
الرَّؤُوقُ = الرُّبِقُ	«ز وق»: «(الرَّؤُوقُ) الرُّبِقُ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» <sup>2</sup>
الرِّمَّهَرِيرُ = الْقَمَرُ	«ز م ه ر»: «(الرِّمَّهَرِيرُ) شِدَّةُ الْبَرْدِ. قُلْتُ: وَقَالَ ثَعْلَبُ: الرِّمَّهَرِيرُ أَيْضًا الْقَمَرُ فِي لُغَةِ طَيِّبٍ وَأَنْشَدَ: وَأَيْلَةَ ظَلَامِهَا قَدْ اعْتَكَرَ قَطَعْتُهَا *** وَالرِّمَّهَرِيرُ مَا زَهَرَ» <sup>3</sup>
الصَّفْرُ = الدِّبْسُ	«ص ق ر»: «الصَّفْرُ الطَّائِرُ الَّذِي يُصَادُ بِهِ. وَالصَّفْرُ أَيْضًا الدِّبْسُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» <sup>4</sup>
الْقَصَّةُ = الْجِصُّ	«ق ص ص»: «الْقَصَّةُ بِالْفَتْحِ الْجِصُّ لُغَةٌ حِجَازِيَّةٌ» <sup>5</sup>
الْقَيْطُونُ = الْمُخْدَعُ	«ق ط ن»: «الْقَيْطُونُ (الْمُخْدَعُ) بِلُغَةِ أَهْلِ مِصْرَ» <sup>6</sup>
الْوَافِيَةُ = قَيْمُ الْبَيْعَةِ	«و ف ه»: «الْوَافِيَةُ قَيْمُ الْبَيْعَةِ بِلُغَةِ أَهْلِ الْحَيْرَةِ» <sup>7</sup>
بَيْسَ = عِلْمَ	«ي أس»: «وَبَيْسَ أَيْضًا بِمَعْنَى عِلْمٍ فِي لُغَةِ النَّخَعِ» <sup>8</sup>
الْفُومُ = الْحِنِطَةُ	«ف وم»: «الْفُومُ الثُّومُ وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ «وَتُومِهَا». وَقِيلَ: الْفُومُ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص154.

2- المرجع نفسه: ص139.

3- المرجع نفسه: ص137.

4- المرجع نفسه: ص177.

5- المرجع نفسه: ص254.

6- المرجع نفسه: ص257.

7- المرجع نفسه: ص343.

8- المرجع نفسه: ص348.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الْحِنْطَةُ = الْحِمَصُ | الْحِنْطَةُ. وَقِيلَ: الْحِمَصُ لُغَةٌ شَامِيَّةٌ<sup>1</sup>

على الرغم من نسبة كل من المسميات الآنفة إلى أصحابها (قبائل العرب والشعوب المجاورة) إلا أن المعجم لا يقدم أي تفاصيل عن المسار التطوري لنشوتها، وهذا راجع إلى التاريخ الطويل للعربية وخفاء شطر كبير منه، بحيث يصبح البحث عن الأسباب أقرب إلى التكهن منه للنهج العلمي الموثوق، إلا أننا لا نعدم وسيلة لمحاولة الكشف عن مسببات التطور التي قد تكون صوتية في مثل "الزَّأُووقُ" و"الزَّبْبِقُ" و"الْقَصَّةُ" و"الْحِصُّ" أو قد تكون بسبب العجمة كـ"الْقَيْطُونُ" و"المُخَدَعُ"، أو بسبب تعميم الدلالة كما في "البُرُّ" و"الْحِنْطَةُ"، حيث إن الحنطة كانت تطلق على البُرِّ الأسمر فسميت بذلك "السمراء"، يقول الرازي: «(السمراء) بِالْمَدِّ الْحِنْطَةُ»<sup>2</sup>؛ ثم وَسَّعَ معناها ليدل على "البُرِّ" و"القمح" مطلقاً أياً كان لونه.

إلى جانب المترادفات التي أوردناها والتي صرح الرازي بنسبتها إلى قبائل العرب المختلفة، فإننا قد سجلنا بعض أمثلة لم يشير المعجم إلى نسبتها على غرار "الْقَدْرِ" و"الْبُرْمَةِ" و"العَلِيَّةِ" و"العُرْفَةِ" و"الكافورِ" و"الطَّلَعِ" والتي وجدنا نسبتها عند الجاحظ في سياق حديثه عن مفاخرة أحد الشعراء بفصاحة لغة أهل البصرة التي وافقت ألفاظ القرآن قائلاً: «أَمَّا أَلْفَاظُنَا فَأَحْكَى أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَأَكْثَرَهَا لَهُ مُوَافَقَةٌ، فَضَعُوا الْقُرْآنَ بَعْدَ هَذَا حَيْثُ شِئْتُمْ. أَنْتُمْ تُسَمُّونَ الْقَدْرَ بُرْمَةً وَتَجْمَعُونَ الْبُرْمَةَ عَلَى بَرَامٍ، وَنَحْنُ نَقُولُ قَدْرٌ وَنَجْمَعُهَا عَلَى قُدُورٍ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾، وَأَنْتُمْ تُسَمُّونَ الْبَيْتَ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْبَيْتِ عَلِيَّةً، وَتَجْمَعُونَ هَذَا الْإِسْمَ عَلَى عَلَالِيٍّ، وَنَحْنُ نُسَمِّيهِ عُرْفَةً وَنَجْمَعُهُ عَلَى عُرْفَاتٍ وَعُرْفٍ، وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾، وَقَالَ: ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ﴾. وَأَنْتُمْ تُسَمُّونَ الطَّلَعَ الْكَافُورَ وَالْإَغْرِيضَ، وَنَحْنُ نُسَمِّيهِ الطَّلَعِ، وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ﴾»<sup>3</sup>، وفي هذا المقطع نُسَبِتُ "الْبُرْمَةَ" لأهل مكة، و"الْقَدْرَ" لأهل البصرة، وقد سويَّ بينهما في المعنى، إلا أن الأصل أن البُرْمَةَ مصنوعة من الحجارة على ما جاء في

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص244.

2- المرجع نفسه: ص153.

3- عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج01، ص19.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

العين: «والبرام: جمع البرمة، وهو قَدْرٌ من حَجَرٍ»<sup>1</sup>، ومع كثرة الاستعمال، وبسبب تداخل اللغات صار يطلق لفظ "البرمة" على "القدر" أيضا، لهذا نجد ابن منظور يعقب قائلا: «البرمة: القدر مطلقاً، وهي في الأصل المخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن»<sup>2</sup>، وبهذا يرجع وجود كل زوج من المترادفات بسبب تداخل لغات العرب إلى مسار تطوري تؤثر فيه عوامل مختلفة نعرف بعضها ونجهل الكثير منها.

يتضح مما سبق أن ظاهرة كثرة المترادفات في العربية هي ثمرة مباشرة للتطور الذي شهدته العلاقات الدلالية عبر العصور، فقد أسهم فقدان الوصفية في تجاوز الفروق الدقيقة بين الألفاظ، كما أتاحت الاقتراض من اللغات المجاورة إغناء المعجم ببدائل متقاربة، في حين وفر المجاز مجالاً رحباً لانتقال دلالات الألفاظ من معانيها الأصلية إلى معاني ملازمة، أما تداخل اللغات فقد سرع من حركة هذا التفاعل وأنتج صيغاً متعددة للمعنى الواحد.

غير أن هذه العوامل الرئيسية ليست سوى انعكاس لما أثبتته غالبية شواهد مدونة البحث، إذ تظل هناك أسباب ثانوية تسهم في نشوء الترادف، من أبرزها "الكنى" التي أطلقتها العرب على الكائنات والأشخاص، فكنوا الأسد بـ"أبي فراس"<sup>3</sup>، والثعلب بـ"أبي الحُصين"<sup>4</sup>، وإبليس بـ"أبي مرة"<sup>5</sup>، وجحا بـ"أبي الغُصن"<sup>6</sup>، وهذه الكنى راجعة لأسباب نفسية واجتماعية وثقافية، وهو ما أضاف إلى المعجم العربي ألواناً أخرى من المشترك المعنوي، يظهر على إثرها بأن الترادف في اللغة العربية نتاج تداخل منظومة متشعبة من الأسباب الداخلية والخارجية التي اجتمعت لتشكيل ثراء معجمياً يعكس حركية اللغة وقدرتها على توليد صيغ تعبيرية متعددة للمعنى الواحد.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين (باب الراء والباء والميم معهما)، ج8، ص272.

2- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، ج12، ص45.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص236.

4- المرجع نفسه: ص75.

5- المرجع نفسه: ص293.

6- المرجع نفسه: ص227.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

### 2.2. الاشتراك اللفظي:

ينشأ المشترك اللفظي من تعدد المعاني التي يحملها الدال الواحد، وهو من أبرز مظاهر التطور الدلالي في اللغات عامة، وفي العربية بشكل خاص، حيث حفلت معاجمها ومدوناتها بهذا النمط من العلاقات، وقد يتنوع معنى اللفظ الواحد تنوعاً يفضي إلى تباعد دلالاتها، بل قد يصل أحياناً إلى حدّ التقابل العكسي، الذي يعد نوعاً خاصاً من أنواع العلاقات الدلالية عرف بـ"التضاد"، وسنفرد له لاحقاً عنصراً مستقلاً.

كما أنّ العلاقة بين الاشتراك اللفظي والترادف وثيقة، إذ كثيراً ما نجد أمثلة يمكن النظر إليها من زاويتين: فمن جهة يكون اللفظ الواحد مشتركاً لاشتماله على معانٍ مختلفة، ومن جهة أخرى يرتبط كل معنى من تلك المعاني بلفظ آخر يؤدي الدلالة نفسها، فينشأ الترادف، ومثال ذلك لفظ "السّن" الذي يدلّ على العضو المعروف في الفم، ويُطلق أيضاً على العمر، وكل معنى منه يقابله في الاستعمال ألفاظ مترادفة مثل "العُمر" و"الحياة"، ما يوضح أنّ المشترك اللفظي وغيره من العلاقات الدلالية لا ينشأ معزولاً، وإنما هي جميعاً جزء من شبكة العلاقات الدلالية التي تكشف عن حيوية اللغة وقابليتها للتطور عبر الزمن.

### 1.2.2. تعريف الاشتراك اللفظي وشروط وقوعه:

الاشتراك لغة: «هو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفردُ به أحدهما. ويقال شاركتُ فلاناً في الشيء إذا صرّيتَ شريكه. وأشركتُ فلاناً، إذا جعلته شريكاً لك. قال الله جلّ ثناؤه في قصة موسى: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾. ويقال في الدعاء: اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين، أي اجعلنا لهم شركاء في ذلك. وشركت الرجل في الأمر أشركه»<sup>1</sup>؛ فالاشتراك لغة هو أن يتقاسم اثنان أو أكثر شيئاً واحداً، ويأخذ كلٌّ منهم بنصيبه منه.

أما في الاصطلاح فقد عرف بأنه: «ما وُضِعَ لمعنى كثيرٍ بوضعٍ كثيرٍ»<sup>2</sup>، ولم يشترط الجرجاني في هذا التعريف أن يكون الوضع الكثير أولاً، على خلاف من شدد في المسألة، والحق أن تشدد بعض الأصوليين ومن وافقهم مُبرّرٌ؛ ذلك لارتباط المسألة بدلالات مفردات

1- أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج3، ص265.

2- علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، ص180

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

القرآن الكريم، والذي يحتاج تفسير معاني ألفاظه إلى ضبط دقيق لحدود المصطلحات بما يتسق مع مذهب أهل السنة في التفسير.

وقد وُجد من العلماء من لم يشترط اشتراك اللفظ الواحد في أكثر من معنى في أصل الوضع، فكان تعريفهم للمشترك بأنه: «اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين مُختلفين أو أكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللُّغة، سواءً أكانت الدلالات مُستفادتين من الوضع الأوَّل، أو من كثرة الاستعمال، أو كانت إحداها مُستفادَةً من الوضع والأخرى من كثرة الاستعمال»<sup>1</sup>، ونحن نرى أن هذا التعريف هو الأقرب للواقع اللغوي، إذ إن دلالة اللفظة الواحدة على أكثر من معنى في أصل الوضع مستبعدة؛ ولا مبرر لتعدد المعاني للفظ الواحد ابتداءً، وهذا ما حدا بالبعض إلى إنكار وقوع المشترك في اللغة جملة كما فعل ابن درستويه، وكانت حجته ووجهة غيره من المنكرين على القائلين به مستمدة من نظرتهم التوقيفية للغة، والتي لا يصح معها القول بأن الاشتراك واقع في أصل الوضع.

وقد أبان ابن درستويه عن رأيه بعد أن جعل تعدد المعاني للفظ الواحد مطية لوقوع اللبس قائلاً: «وليس إدخال الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب. وواضع اللُّغة . عزَّ وجلَّ . حكيمٌ عليمٌ. وإنما اللُّغة موضوعةٌ للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظٍ واحدٍ، للدلالة على معنيين مُختلفين، أو أحدهما ضدًا للآخر، لما كان في ذلك إبانةً، بل كان تعميةً وتغطيةً»<sup>2</sup>، ولسنا هنا في مقام عرض تفصيلي للأراء المختلفة حول وقوع ظاهرة الاشتراك في اللغة، ولا تأييد رأي دون آخر لأن الاستعمال الفعلي فصل في المسألة، كما أن الاشتراك لم يكن خاصية للعربية فحسب، بل هو ظاهرة تشترك فيه لغات العالم وذلك لأنه نتيجة لناموس كوني وهو التطور بفعل الزمن، وتعد إشارة تقي الدين السبكي (ت756هـ) في تعريفه إلى أن تعدد الدلالات قد يكون ناجماً على الاستعمال هو المدخل الذي نلج منه إلى ربط الاشتراك بالتطور الزمني.

1- علي بن عبد الكافي السبكي: الإبهاج في شرح المنهاج، تحقيق: أحمد جمال الزمزمي ونور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط01، 2004م، ج03، ص637.

2- عبد الله بن درستويه: تصحيح الفصيح وشرحه، تح: محمّد بدوي المختون، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، (دط)، 2004م، ص71.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

لقد حفلت معاجم اللغة العامة ناهيك عن المتخصصة منها بزمرة لا بأس بها من الألفاظ المشتركة، وقبل الشروع في عرض أمثلة المشترك اللفظي في المدونة لا بد من إعادة التنويه على أن معالجتنا لموضوع الاشتراك اللفظي في هذا المقام تنتزل في إطار بحثنا في تطور دلالات الألفاظ، ومنه فإننا سنعد كل لفظ تعددت معانيه من المشترك اللفظي، إلا أن تكون العلاقة بين المعاني واضحة بالقدر الذي لا يمكن معها عد كل منها معنى مستقلاً بذاته، ولن نبنى النظرة المتشددة التي يرى أصحابها أن المشترك كل ما دل على أكثر معنى بأصل الوضع، وهو أمر بعيد التحقق، كما أنه لا يدخل في صلب عملنا الذي يركز على إبراز أثر التطور الدلالي ومساراته في وقوع المشترك اللفظي في اللغة.

### 2.2.2. أسباب وقوع الاشتراك اللفظي:

لقد أغنانا العلماء عن استقصاء ألفاظ المشترك اللفظي بإفراد كتب خاصة جمعوا فيها ما ظهر لهم أنه ينضوي تحت هذا الباب، وإن هذا العمل لن يكون إحصائياً لأمثلة المشترك اللفظي في المدونة بقدر ما هو انتقائي، تُبين من خلاله الأسباب الكامنة وراء وقوعه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن محمداً بن أبي بكر الرازي لم يشر في كثير مما عدّ من المشترك اللفظي عند غيره أنه كذلك، إلا ما كان مشهوراً معلوماً في معظمه، مثال ذلك لفظ "الصيَاصِي"، حيث نص أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت224هـ) في كتابه "الأجناس" على أنها تعني الحصون وتعني القرون وكذا الصنارة التي ينسج بها: «الصيَاصِي: القُرُونُ. والصيَاصِي: الحُصُونُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾. والصيَاصِي: الكَرَاتِيدُ الَّتِي يُنْسَجُ بِهَا»<sup>1</sup>، بينما لم يذكر محمد بن أبي بكر الرازي من تلك المعاني إلا واحداً، وهو ما جاء في القرآن الكريم: «(الصيَاصِي) الحُصُونُ»<sup>2</sup>، مقتصرًا بذلك على المعنى الأشهر، وقد كان لطبيعة المعجم دور في هذا.

### 1.2.2.2. تداخل لغات العرب:

انفردت بعض القبائل في جزء من مدلولات مفرداتها وتميزت عن سواها من العرب بمعاني خاصة كانت محصورة في نطاقها الجغرافي الضيق، ومع عودة الاحتكاك بين القبائل

1- القاسم بن سلام أبو عبيدة: كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبّه في اللفظ واختلف في المعنى، تح: امتياز علي

عرشي الرامفوري، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1983م، ص30.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة (ص ي ص)، ص181

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

وبفعل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها، انتقلت هذه المعاني إلى اللغة العربية المدونة وتمخض عن هذا اجتماع مدلولات عديدة على دال واحد وارتباطها جميعا به، ومن ثم نشأ قسم كبير من المشترك اللفظي في العربية.

وقد كان هذا هو التفسير الذي ركن إليه علماء اللغة ممن تبنا النظر التوفيقية حول وقوع المشترك اللفظي في العربية، وعلى رأسهم أبو علي الفارسي الذي يقول: «اتَّفَاقُ اللَّفْظَيْنِ وَاخْتِلَافُ الْمَعْنَيَيْنِ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ قَصْدًا فِي الْوَضْعِ وَلَا أَصْلًا لَهُ، وَلَكِنَّهُ مِنْ لُغَاتٍ تَدَاخَلَتْ، أَوْ تَكُونُ كُلُّ لَفْظَةٍ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى ثُمَّ تُسْتَعَارُ لِشَيْءٍ، فَتَكْتُمُ وَتَغْلِبُ فَتَصِيرُ بِمَنْزِلَةِ الْأَصْلِ»<sup>1</sup>، وسواء احتفظت كتب اللغة بنسبة المعاني المختلفة إلى قبائلها أم أهملت ذلك، فإن تداخل اللغات يبقى من أهم العوامل التي أسهمت في نشوء المشترك اللفظي.

وقد ورد في مدونة البحث بعض أمثلة عن المشترك مع نسبة المعاني لأصحابها من القبائل العربية، مثال ذلك: "الزَّمْهَرِيرُ"، وهو شدة البرد عند عامة العرب، و"القَمْرُ" عند طَيِّئٍ<sup>2</sup>، وكذلك: "مَتَى" التي تستخدم للسؤال عن الزمان عند عامة العرب، وتستعملها هذيل بمعنى "من؟" أو قد تكون بمعنى "وسط"<sup>3</sup>، و"الصَّقْرُ" وهو الطائر الجارح المعروف عند سائر العرب بهذا الاسم، والذي يشير عند أهل المدينة على "الدَّبْس"<sup>4</sup>.

لقد أرجع بعض الباحثين وقوع المشترك اللفظي بسبب تداخل اللغات إلى اكتساب الكلمات دلالات جديدة عند فئة من العرب وبقائها على حالها عند من سواهم<sup>5</sup>؛ وذلك بالتخصيص أو التعميم أو الانتقال عن طريق المجازات والاستعارات، ومع تقادم العهد يُنسى المعنى القديم ويُهجر، وباختلاط القبائل يبرز للفظ الواحد أكثر من معنى، مثال ذلك "السَّلَيْطُ": الذي يدل عند العرب عامة على الزيت، بينما يطلق عند أهل اليمن على زيت السمسم حصرا، حيث جاء في مادة «س ل ط»: «(السَّلَيْطُ) بوزن البَسِيطِ الزَّيْتُ عِنْدَ عَامَّةِ

1- علي بن إسماعيل بن سيده: المخصص، ج4، ص173.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة «ز م ه ر»، ص137.

3- المرجع نفسه مادة «م ت ي»: ص290.

4- المرجع نفسه مادة «ص ق ر»: ص177.

5- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1996م ص197.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

العَرَبِ وَعِنْدَ أَهْلِ الْيَمَنِ دُهْنُ السَّمْسِمِ»<sup>1</sup>، لقد اقتضت دلالة "السَّليطُ" عند أهل اليمن على زيت السمسم لملايسات خاصة بتلك البلاد التي اشتهرت بزراعة السمسم وتحويل المحصول إلى زيت منذ قرون عديدة، ولذلك نحا التطور منحى التخصيص وحُصر المعنى في ما كَثُرَت معانيته عندهم وهو "دهن السمسم"، ويبين المخطط الآتي المسار الذي اتخذه نشوء المشترك اللفظي: (السَّليطُ: الزيت/دهن السمسم) بفعل تداخل اللغات.



الشكل 30: نشوء المشترك اللفظي (السَّليطُ: الزيت/دهن) لتداخل اللغات

### 2.2.2.2. تقاطع الصفات البارزة:

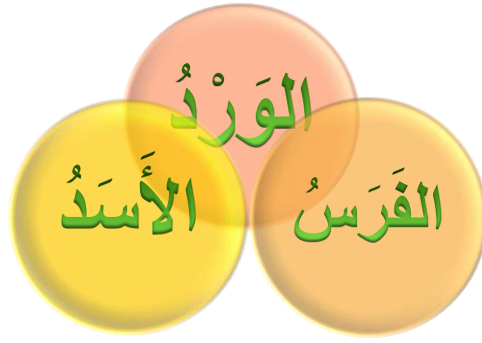
من أسباب نشأة المشترك اللفظي أن تتعدد الماهيات وتختلف حقائها مع الاشتراك في صفة بارزة؛ فيُطلق عليها جميعا لفظ واحد يعكس تلك الصفة بعد اختيار إحدى الماهيات مرجعا للتسمية الجديدة، ومع كثرة الاستعمال يستقر هذا اللفظ في اللغة معبرا في جزء من معناه عما اشتركت فيه الحقائق المتباينة وهو الجانب الذي يطفو على السطح، في حين يظل حاملا في الوقت ذاته لمعانٍ متعددة تبعا لكل ماهية من تلك الماهيات، فيظهر المشترك اللفظي بوصفه نتيجة لامتداد دلالة اللفظ من مدلوله الأول إلى مدلولات أخرى تشاركه صفة أساسية رغم اختلاف ذواتها.

ويمثل هذ الصنف من الألفاظ قسما معتبرا من رصيد اللغات من المشترك اللفظي، وقد لمسنا ذلك بشكل فعلي حين معاينتنا للأمثلة الواردة في المدونة، بحيث يمكن بسهولة رد العلاقة بين المعاني المختلفة للفظ الواحد إلى ما بين الماهيات المتباينة من صفات جامعة كما في مدخل "الورد" من مادة «و ر د»: «(الْوَرْدُ) الَّذِي يُشَمُّ الْوَأَحِدَةَ (وَرْدَةً) وَبِلَوْنِهِ قِيلَ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص152.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

لِلْأَسَدِ: (وَرْدٌ)، وَلِلْفَرَسِ (وَرْدٌ) وَهُوَ الَّذِي بَيْنَ الْكُمَيْتِ وَالْأَشْقَرِ<sup>1</sup>، إن تقاطع كل من "الأسد" و"الفرس" و"الورد" في صفة اللون، جعل الربط بين هذه الأشياء يكون عن طريقها، وقد وقع الاختيار على "الورد" ليكون التسمية الجديدة الجامعة للماهيات الثلاث، فعند الإطلاق فإن لفظ "الورد" يدل على "الورد" دلالة مطابقة، بينما يدل على "الفرس" و"الأسد" دلالة تضمن لاشتماله على جزء من الصفات فحسب، ونورد المخطط أدناه الذي بين طبيعة العلاقة بين الماهيات الثلاث، والتي كانت سببا في نشوء المشترك اللفظي في المثال السابق:



الشكل 31: نشوء المشترك اللفظي (الورد: الأسد/الفرس) لتقاطع الصفات البارزة

### 3.2.2.2. التوافق اللفظي بين العربي والمعرب:

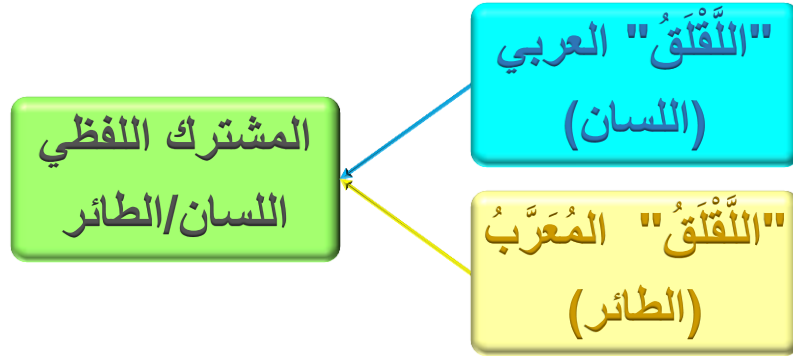
ومن أسباب نشوء المشترك اللفظي في العربية ما قد ينجم عن التوافق الصوتي بين العربي والمُعَرَّب، بحيث يقارب لفظ أعجمي في مبناه آخر عربيا أصيلا فيُتوهم أنه منه، فيُؤوَّلُ إلى لفظ واحد يتشارك فيه معنيان؛ أول عربي، وثانٍ منحدر من المعرب، وهذا اللون من التداخل يعد من صور التطور الدلالي الذي وسعت به العربية معجمها عبر استيعاب الألفاظ الدخيلة وصهرها في بنيتها الصوتية، وفي هذا السياق يؤكد شهاب الدين الخفاجي أنه «لا يضرُّ المُعَرَّبُ كونه مُوَافِقًا لِلْفِظِّ عَرَبِيٍّ كَسَكَّرَ، فَإِنَّهُ مُعَرَّبٌ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا الْمَادَّةَ بِمَعْنَى أَغْلَقَ [...] وَكَذَا لَا يَضُرُّ مَا صَحَّتْ عَرَبِيَّتُهُ مُوَافَقَتُهُ لَفْظًا فَارِسِيًّا أَوْ قُرْبُهُ مِنْهُ كَضَنْكَ وَتَنَّاكَ وَجَنَاحٍ وَكِنَاهُ، فَلِذَا وَهَمَّ مَنْ ظَنَّهُ مُعَرَّبًا»<sup>2</sup>، ويتجلى هذا النمط من أنماط المشترك اللفظي في المثال الآتي من المدونة: «(اللَّقْلُقُ) اللِّسَانُ وَفِي الْحَدِيثِ: "مَنْ وَقِيَ شَرًّا لَقَلِقَهُ".

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص336.

2- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل فيما في كلم العرب من الدخيل، ص30.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

وَ(الْفَلَّاقُ) طَائِرٌ أَعْجَمِيٌّ طَوِيلُ الْعُنُقِ يَأْكُلُ الْحَيَاتِ وَرُبَّمَا قَالُوا: (الْفَلَّاقُ)<sup>1</sup>، يبرز المشترك اللفظي في الشاهد بفعل الصدفة الصوتية التي جمعت بين "الْفَلَّاقُ" العربي الدال على "اللسان"، و"الْفَلَّاقُ" الأعجمي الدال على "الطائر"، وهذه الصدفة وإن كانت في أصلها عاملا خارجيا عرضيا، فإنه ما إن استقر اللفظ المعرب في الاستعمال العربي حتى أفضى إلى نشوء ظاهرة دلالية تمثل ثمرة من ثمار التطور الدلالي الذي أسهم في إثراء المعجم العربي. ويبرز المخطط أدناه المسار الذي اتخذته نشوء المشترك اللفظي "الْفَلَّاقُ"، الذي يعود جزء من معناه إلى شق عربي، ويعود الجزء الآخر إلى معنى مرتبط بلفظ أعجمي وافق العربي في نطقه.



الشكل 32: نشوء المشترك اللفظي (الفلق: الطائر/اللسان) للتوافق اللفظي بين العربي والمعرب

### 4.2.2.2. المجاز:

سبق عرض مقولة أبي علي الفارسي التي أبان فيها عن رأيه حول كيفية وقوع المشترك اللفظي، وردّه إلى تداخل اللغات، أو إلى المجازات والاستعارات، والتي أوردها ابن سيده (ت458هـ) في المخصص: «اتَّفَاقُ اللَّفْظَيْنِ وَاحْتِلَافُ الْمَعْنِيَيْنِ، فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ قَصْدًا فِي الْوَضْعِ وَلَا أَصْلًا لَهُ، وَلَكِنَّهُ مِنْ لُغَاتٍ تَدَاخَلَتْ، أَوْ تَكُونُ كُلُّ لَفْظَةٍ تُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى ثُمَّ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح مادة ل ق ق، ص284

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

تُسْتَعَارُ لِشَيْءٍ، فَتَكْثُرُ وَتَغْلِبُ فَتَصِيرُ بِمَنْزِلَةِ الْأَصْلِ»<sup>1</sup>، وسَيُبَيَّنُ ها هنا دور المجاز في نشوء المشترك اللفظي وذلك بعد أن يستقر الاستعمال المجازي ويثبت في المعجم اللغوي. يتخذ نشوء المشترك اللفظي بطريق المجاز أشكالاً عديدة، يمكن أن يدخل في حياضها اختلاف المعاني للفظ الواحد الناشئ عن اختلاف الطبقات الاجتماعية والمهن والحرف، الأمر الذي شدد عليه علماء الدلالة الأوائل بقولهم: «كلما ازدادت الحضارة تنوعاً وثراءً، تقاسمت المهن والأعمال والاهتمامات التي تتكوّن منها الحياة الاجتماعية بين مجموعات مختلفة من الناس؛ فلا الحالة الذهنية، ولا توجّه النشاط هو نفسه لدى الكاهن، والجندي، والسياسي، والمزارع. فعلى الرغم من أنهم ورثوا نفس اللغة، فإن الكلمات تتلوّن لدى كل منهم بظلال خاصة، تثبت فيها وتلتصق بها في نهاية المطاف»<sup>2</sup>، ويكشف هذا القول عن أن اختلاف التجارب العملية والأنماط الفكرية بين طبقات البشر يؤدي إلى تنوع معاني الكلمة الواحدة، وهو ما يمهّد السبيل إلى نشوء المشترك اللفظي حين استقرار المعاني المستحدثة في الاستعمال.

ويأتي دور المجاز في هذا السياق بوصفه الأداة الرئيسة لنقل الألفاظ عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تفرضها طبيعة البيئة أو حاجات الاستعمال، ولعل ما أورده الرازي في مختار الصحاح في مادة «س ن ن» مثال على ذلك: «(السِّنُّ) وَاحِدَةٌ (الأسنان) [...] وَقَدْ يُعْبَرُ (بالسِّنِّ) عَنِ الْعُمْرِ. وَسِنَّةٌ مِنْ نُومٍ أَيْ فَصٌّ مِنْهُ. وَ(سِنٌّ) الْقَلَمُ مَوْضِعُ الْبُرِّيِّ مِنْهُ»<sup>3</sup>، انتقلت "السِّنُّ" من الدلالة على معناها الأصلي إلى الدلالة على معانٍ متعددة عبر مجازات تنوعت بتنوع البيئات الاجتماعية، فاستعملت بمعنى "العمر" لأهمية الأسنان في معرفة المرحلة العمرية للإنسان والحيوان أيضاً، حتى أن العرب كانت تسمي أنعامها تبعاً لحال أسنانها، فتسمي "الجذع" وهو الذي «فِي زَمَنِ لَيْسَ بِسِنَّ تَنْبُتُ وَلَا تَسْقُطُ. وَقِيلَ فِي وَدِّ النَّعْجَةِ إِنَّهُ يُجْذَعُ فِي سِنَّةٍ أَشْهُرٍ أَوْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ»<sup>4</sup>، و"النَّيِّ" «الَّذِي يُلْقَى تَنْبِئُهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ

1- علي بن إسماعيل بن سيده: المخصص (كتاب الأضداد)، ج04، ص173.

2- Antoine Meillet: Comment les mots changent de sens, p21/22.

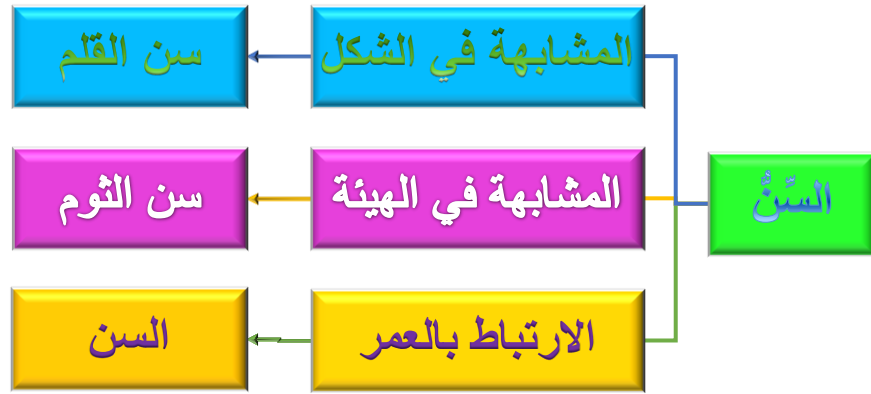
3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص155.

4- المرجع نفسه: ص55.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

في الظِّلْفِ وَالْحَافِرِ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَفِي الْحُفِّ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ<sup>1</sup>، واستعملت بمعنى "قص الثوم" عند المزارعين وغيرهم للشبه في الهيئة؛ بحيث تصطف فصوص الثوم كاصطفاف الأسنان في الفم، كما أفادت معنى "موضع البري" من القلم مشابهة لها في الدقة وحدة الطرف.

فهذه الاستعمالات المختلفة تكشف عن انتقال اللفظ عبر مسالك المجاز من المحسوس إلى المجرد تارة، وبين المجالات الحيوية تارة أخرى، ويمكن تمثيل مسار التطور الدلالي لهذا المثال وما شابهه بالمخطط الآتي:



الشكل 33: نشوء المشترك اللفظي "السن" بطريق المجاز

لقد عُدَّ إسقاط أسماء أعضاء الجسد البشري على الأشياء من أبرز المسالك النفسية التي تفسر نشوء المشترك اللفظي عبر المجاز، فاستناداً إلى التقسيم النفسي لأشكال التطور الدلالي والذي ذكره ستيفن أولمن، فإن جميع اللغات تميل إلى نقل أسماء الأعضاء البشرية إلى موجودات أخرى بحكم التشابه الحسي أو الوظيفي<sup>2</sup>، وليس أدل على ذلك من المثال المعروف في اللغة العربية: "العين" الذي يستدل به في كل مقام مشابه، كما ورد في المدونة في مادة «ع ي ن»: «(الْعَيْنُ) حَاسَّةُ الرُّؤْيَةِ [...] (الْعَيْنُ) أَيْضًا عَيْنُ الْمَاءِ وَعَيْنُ الرُّكْبَةِ. وَلِكُلِّ رُكْبَةٍ عَيْنَانِ وَهُمَا نَقْرَتَانِ فِي مَقْدَمِهَا عِنْدَ السَّاقِ. وَالْعَيْنُ عَيْنُ الشَّمْسِ. وَالْعَيْنُ الدَّيْنَارُ. وَالْعَيْنُ الْمَالُ النَّاضِ. وَالْعَيْنُ الدَّيْدَبَانُ وَالْجَاسُوسُ. وَعَيْنُ الشَّيْءِ خِيَارُهُ. وَعَيْنُ الشَّيْءِ نَفْسُهُ،

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 50.

2- Stephen Ullmann: Words And Their Use, p82.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

يُقَالُ: هُوَ هُوَ بَعِيْنِهِ. [...] وَعَيْنُ الْبَقْرِ جِنْسٌ مِنَ الْعَيْنِ يَكُونُ بِالشَّامِ»<sup>1</sup>، هذا التوسع الدلالي لا يقف عند حدود التشبيه المحسوس بل يعكس قدرة الذهن البشري على التجريد المعرفي، لكن ما إن تستقر الاستعارة في الاستعمال الجماعي حتى تخف تلك الروابط بين الجارحة الحسية والمعاني المجازية، فلا يكاد يربط الذهن بين "عين الماء" مثلا و"العين" التي هي الجارحة إلا بعد تمعن وتدبر، كما تسهم السياقات الداخلية والخارجية في استبعاد الاحتمالات غير الممكنة، لتُبقَى على ما يوافق المقام، ولهذا عد بعض الدارسين مسألة تعدد المعنى للكلمة الواحدة مسألة صورية، فالاستعمال الفعلي لا يحتمل أكثر من معنى واحد للفظ الواحد؛ «فحينما نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى جميعا فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقاً»<sup>2</sup>، وهذا ما يصون الكلام من الالتباس على الرغم من وجود أكثر من احتمال نظري لمعنى اللفظ، ويضمن التواصل بين مستعملي اللغة.

### 5.2.2.2. الاصطلاح:

يتميز الاصطلاح عن غيره من أسباب نشوء المشترك اللفظي بأنه عملية واعية ومقصودة، حيث يُعمد إليه لنقل معنى كلمة من مجال عام إلى آخر خاص، وقد يشبه في جوهرة تباين المعاني للفظ بسبب اختلاف فئات المجتمع واهتماماتهم، إلا أنه في الحالة الأولى أكثر عفوية بينما يكون في الاصطلاح مقصودا لغاية، ومعروف المنشأ، وغير متدرج.

وقد وسم بيير جيرو هذا الشكل من أشكال تغيير المعنى باسم "التسمية المعرفية"، وبين بأنه يحدث عندما «يُمنح شيء ما اسماً يعود في الأصل إلى شيء آخر يُربط به عبر علاقة ترابط قائم على التشابه في حالة الاستعارة، أو على المجاورة في حالة المجاز الجزئي والمجاز المرسل [...] وفي كل هذه الحالات تكون التسمية معللة»<sup>3</sup>، وقد سبق وأن رأينا كيف أثرت الشريعة الإسلامية في تحويل معاني العديد من الألفاظ من اللغة العامة إلى اللغة

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص223.

2- Joseph Vendryes: le langage; introduction linguistique a l'histoire, p207.

3- Pierre Guiraud: La Sémantique, p57.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الخاصة، ونتج عن ذلك تحول معاني معظمها وتخصيصها بما لا يدع مجالاً لعدّها من المشترك اللفظي، بحيث غلب المعنى الاصطلاحي وحجب بشكل كلي تقريباً المعنى السابق، واستحال بذلك معنى رئيسياً لا ثانوياً، بينما احتفظ جزء صغير منها بمعانيه العامة؛ بسبب أن تداول المعنى الاصطلاحي بقي محصوراً في دوائر ضيقة بين الفقهاء والمتخصصين.

نورد مثلاً على ذلك لفظ "المُتَعَّة" بمعنى التلذذ بالشيء في اللغة، وتفيد في الاصطلاح الشرعي ضمّ العمرة إلى الحج<sup>1</sup>، حيث جاء في مادة (م ت ع): «وَتَمَتَّعَ بِكَذَا وَاسْتَمْتَعَ بِهِ بِمَعْنَى، وَالِاسْمُ (الْمُتَعَّةُ). وَمِنْهُ مُتَعَّةُ الْحَجِّ لِأَنَّهَا انْتِفَاعٌ»<sup>2</sup>، لقد أسهم التطور الدلالي في توليد حالة من المشترك اللفظي؛ فكلمة "المُتَعَّة" في أصل استعمالها اللغوي تحيل إلى معنى عام هو الانتفاع واللذة بما يُتاح للإنسان من عَرْض الدنيا، غير أن استعمالها في السياق الشرعي -وخاصة في اصطلاح الفقهاء- نقلها إلى معنى خاص، وهو ما عُرف بـ"متعّة الحج" التي تعني الانتفاع بجمع نُسَكَي العمرة والحج في سفر واحد، وهذا أدى إلى انفتاح اللفظ الواحد على مجالين دلاليين: أحدهما لغوي عام، والآخر شرعي خاص.

وتكمن خصوصية هذا المثال في أن لفظ "المُتَعَّة" لم يفقد دلالاته العامة في الاستعمال العربي المتداول، بل ظلّ حاضراً في سياقات الحياة اليومية للدلالة على اللذة والانتفاع، في الوقت الذي حافظ فيه على دلالاته الشرعية المخصوصة عند الفقهاء، وهذا ما يميّزه عن كثير من المصطلحات الشرعية الأخرى مثل "الصلاة" و"الزكاة" و"الصيام" و"الحج" والتي هيمنت فيها الدلالة الاصطلاحية الخاصة حتى كادت تمحو من الذهن دلالاتها اللغوية الأصلية، بحيث لا يتبادر إلى ذهن المستعمل عند إطلاقها سوى المعنى الشرعي، و يقَدِّم هذا الشاهد نموذجاً واضحاً عن التوازي بين الدلالة العامة والدلالة الاصطلاحية، حيث نشأ المشترك اللفظي نتيجة التطور الدلالي دون أن يفضي إلى إلغاء أحد المعنيين أو إضعاف حضوره، بل استمرّ كلاهما فاعلاً بحسب السياق.

وما قيل على الألفاظ الإسلامية يقال على بقية اصطلاحات العلوم المختلفة، خاصة المرتبطة بتاريخ العربية كالفلسفة والمنطق وعلم الكلام والنحو والبلاغة وغيرها، شريطة أن لا

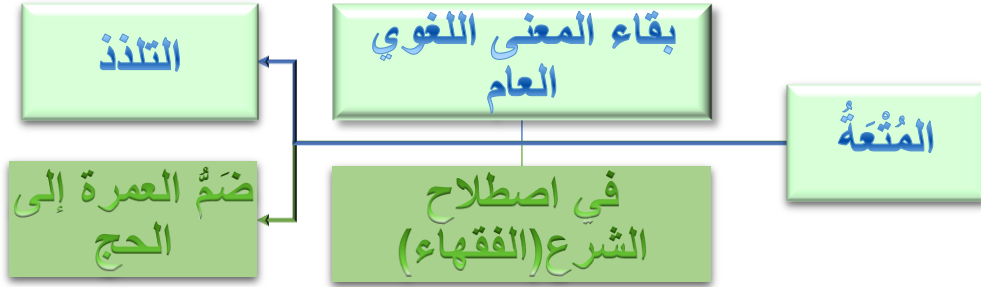
1- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص758.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص290.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

يلغي أحد المعنيين الآخر، وإلا فإنه يدخل في حياض تضيق المعنى وتخصيصه لا المشترك اللفظي.

ويمكن بيان أثر الاصطلاح في نشوء المشترك اللفظي في المخطط الآتي:



### الشكل 34: نشوء المشترك اللفظي (المتعّة: التلذذ/ ضم العمرة إلى الحج) للاصطلاح

يتضح من كل ما سبق في هذا الجزء أن نشوء المشترك اللفظي في اللغة العربية كان نتيجة طبيعية لتفاعل عوامل متعددة؛ فقد أسهم تداخل لغات العرب في إثرائه عبر اجتماع الألفاظ من بيئات لغوية متباينة، كما أوجد تقاطع الصفات البارزة حاجةً للتعبير عن الماهيات المتعددة بلفظ جامع لها، وزاد التوافق اللفظي بين العربي والمعرب من اتساع الظاهرة من خلال تشابه البنى والأصوات بين كلمات دخيلة وأخرى أصيلة في العربية، أما المجازات والاستعارات فقد فتحت المجال لتوسيع الدلالات وربطها بمعان جديدة متقابلة أو متجاوزة، في حين أن الاصطلاح أو التسمية المعرفية مكنت العلماء وأهل الصنائع من إضفاء معان خاصة على ألفاظ مألوفة مما عزز التعدد الدلالي، وتكشف هذه الأسباب مجتمعة عن مرونة اللغة العربية، وقدرتها على استيعاب المؤثرات الخارجية والتفاعل مع المستجدات العلمية والحضارية والثقافية بما يجعل المشترك اللفظي سمة بارزة في بنيتها الدلالية.

### 3.2. التّضاد:

قد يكون التضاد أكثر العلاقات الدلالية ارتباطاً بالتطور الدلالي؛ لأن إفادة الكلمة للمعنى وضده منافٍ لمقصد اللغات التي وضعت للإفهام لا الإبهام، حيث نجد أن الأصل أن يوضع كل لفظ لمعنى مختلف عن المعنى الذي وضع له غيره، وفي الحالات الخاصة قد تنتوع معاني اللفظ الواحد، أو قد تتعدد الألفاظ المعبرة عن معنى واحد نتيجة عوامل مختلفة

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

قد ذكرنا بعضاً منها آنفاً، أما أن يفيد اللفظ الواحد معنيين متضادين فإن هذا هو النادر، وسنحاول أن نكشف عن الأسباب التي تؤدي إلى سلوك الدلالات هذا المسلك بالاستناد إلى الأمثلة المستقاة من المدونة، والتي أحصيناها في الجدول الآتي:

الأضداد	الشواهد من المدونة
(أَشْكَاهُ): فَعَلَ بِهِ فِعْلاً أَحْوَجَهُ إِلَى أَنْ يَشْكُوهُ. وَأَشْكَاهُ أَيْضًا أَعْتَبَهُ مِنْ شَكْوَاهُ وَنَزَعَ عَنْهُ شِكَايَتَهُ وَأَزَالَهُ عَمَّا يَشْكُوهُ. وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>1</sup>	« ش ك أ: (أَشْكَاهُ) فَعَلَ بِهِ فِعْلاً أَحْوَجَهُ إِلَى أَنْ يَشْكُوهُ. وَأَشْكَاهُ أَيْضًا أَعْتَبَهُ مِنْ شَكْوَاهُ وَنَزَعَ عَنْهُ شِكَايَتَهُ وَأَزَالَهُ عَمَّا يَشْكُوهُ، وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>1</sup> »
(الْبَيْنُ): الْفِرَاقُ ≠ الْوَصْلُ.	« ب ي ن: (الْبَيْنُ) الْفِرَاقُ [...] وَالْبَيْنُ الْوَصْلُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>2</sup> »
(التَّلْعَةُ): مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ ≠ مَا انْهَبَطَ مِنَ الْأَرْضِ.	« ت ل ع: (التَّلْعَةُ) بَوْرِنِ الْقَلْعَةِ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا انْهَبَطَ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ عَنِ أَبِي عُبَيْدَةَ <sup>3</sup> »
(الْجَوْنُ): الْأَبْيَضُ ≠ الْأَسْوَدُ.	« ج و ن: (الْجَوْنُ) الْأَبْيَضُ وَالْجَوْنُ أَيْضًا الْأَسْوَدُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>4</sup> »
(الصَّرِيحُ): الْمَغِيثُ ≠ الْمُسْتَغِيثُ.	« ص ر خ: (الصَّرِيحُ) صَوْتُ الْمُسْتَصْرِخِ وَ (الصَّرِيحُ) أَيْضًا (الصَّارِخُ) وَهُوَ أَيْضًا الْمَغِيثُ وَالْمُسْتَغِيثُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>5</sup> »
(الصَّرِيمُ): اللَّيْلُ الْمُظْلِمُ ≠ الصُّبْحُ.	« ص ر م: (الصَّرِيمُ) اللَّيْلُ الْمُظْلِمُ. وَالصَّرِيمُ أَيْضًا الصُّبْحُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>6</sup> »
(الْقَرَةُ): الْحَيْضُ ≠ الطُّهْرُ.	« ق ر أ: (الْقَرَةُ) بِالْفَتْحِ الْحَيْضُ [...] وَ (الْقَرَةُ) أَيْضًا

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 168.

2- المرجع نفسه: ص 43.

3- المرجع نفسه: ص 46.

4- المرجع نفسه: ص 64.

5- المرجع نفسه: ص 175.

6- المرجع نفسه: ص 175.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الطَّهْرُ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ. <sup>1</sup>	
« ن ه ل: (النَّاهِلُ) الْعَطْشَانُ وَالرِّيَّانُ أَيْضًا وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ » <sup>2</sup>	(النَّاهِلُ): الْعَطْشَانُ ≠ الرِّيَّانُ
« و د ع: (أَوْدَعَهُ) مَا لَا أَيْ دَفَعَهُ إِلَيْهِ لِيَكُونَ وَدِيعَةً عِنْدَهُ. وَ (أَوْدَعَهُ) مَا لَا أَيْضًا قَبْلَهُ مِنْهُ وَدِيعَةً وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ » <sup>3</sup>	(أَوْدَعُ): دَفَعُ ≠ قَبْلُ
« ب ي ع: (بَاعَ) الشَّيْءَ [...] شَرَاهُ [...] وَ (بَاعَهُ) أَيْضًا اشْتَرَاهُ فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ » <sup>4</sup>	(بَاعُ): شَرَى ≠ اشْتَرَى.
« خ ف ي: (خَفَاهُ) [...] كَتَمَهُ وَأَظْهَرَهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ » <sup>5</sup>	(خَفَاهُ): كَتَمَهُ ≠ أَظْهَرَهُ.
« ش ر ي: (شَرَى) الشَّيْءَ يَشْرِيهِ [...] إِذَا بَاعَهُ وَإِذَا اشْتَرَاهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ » <sup>6</sup>	(شَرَى): اشْتَرَى ≠ بَاعَ.
« ش ع ب: (شَعَبَ) الشَّيْءَ فَرَّقَهُ. وَ (شَعَبَهُ) أَيْضًا جَمَعَهُ مِنْ بَابِ قَطَعَ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا هَذِهِ الْفُتْيَا الَّتِي شَعَبْتَ بِهَا النَّاسَ» أَيْ فَرَّقْتَهُمْ » <sup>7</sup>	(شَعَبَ): فَرَّقَهُ ≠ جَمَعَهُ.
« غ ب ر: (غَبَرَ) الشَّيْءُ بَقِيَ. وَغَبَرَ أَيْضًا مَضَى. وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ » <sup>8</sup>	(غَبَرَ): بَقِيَ ≠ مَضَى.
« ن ص ل: (نَصَلَ) السَّهْمُ حَرَجَ نَصْلُهُ. وَنَصَلَ السَّهْمُ أَيْضًا نَبَتَ نَصْلُهُ فِي الشَّيْءِ فَلَمْ يَخْرُجْ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ	(نَصَلَ): خَرَجَ ≠ ثَبَتَ. (نَصَلَ): نَزَعَ ≠ رَكَّبَ.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 249.

2- المرجع نفسه: ص 320.

3- المرجع نفسه: ص 335.

4- المرجع نفسه: ص 43.

5- المرجع نفسه: ص 94.

6- المرجع نفسه: ص 164.

7- المرجع نفسه: ص 165.

8- المرجع نفسه: ص 224.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

[...] وَ (تَصَلَّ) السَّهْمَ (تَنْصِيلاً) نَزَعَ نَصْلَهُ. وَ (تَصَلَّهُ) أَيْضًا رَكَّبَ عَلَيْهِ النَّصْلَ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>1</sup>	
« ه ج د: (هَجَدَ) وَ (تَهَجَّدَ) سَهَرَ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>2</sup> »	(هَجَدَ) // (تَهَجَّدَ): نَامٌ ≠ سَهَرَ.
« و ر ي: (وَرَاءَ) بِمَعْنَى خَلْفٍ. وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى قُدَّامٍ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ <sup>3</sup> »	(وَرَاءَ): خَلْفٌ ≠ قُدَّامٌ.

### 1.3.2. تعريف التَّضَاد

التضاد لغة هو الاختلاف حد التناقض، جاء في العين: «الضدُّ كُلُّ شَيْءٍ ضَادٌّ شَيْئًا لِيَغْلِبَهُ، وَالسَّوَادُ ضِدُّ الْبَيَاضِ، وَالْمَوْتُ ضِدُّ الْحَيَاةِ، تَقُولُ: هَذَا ضِدُّهُ وَضِدِيدُهُ، وَاللَّيْلُ ضِدُّ النَّهَارِ، إِذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ ذَلِكَ، وَيُجْمَعُ عَلَى الْأَضْدَادِ»<sup>4</sup>.

أما في الاصطلاح فقد اقترن ذكر الأضداد عند أهل اللغة بالمشارك؛ ذلك أنه فرع عنه، فالاختلاف إما أن يكون اختلاف تنوع - كما رأينا في المشترك - أو أن يكون اختلاف تضاد، وقد بين أحمد بن فارس الأمر بقوله: «وَمِنَ الْإِخْتِلَافِ: اخْتِلَافُ التَّضَادِّ، وَذَلِكَ قَوْلُ حَمِيرٍ لِلْقَائِمِ: "ثَبُّ" أَيِ اقْعُدُ»<sup>5</sup>، وعلاقة التضاد هي إحدى صور استدعاء المعاني في الذهن الذهن البشري، والتي يلحقها علم النفس بعلاقة التشابه أو التجاور؛ «إذ إنَّ التضاد يفترض دومًا تشابهًا من نوع ما؛ فلا يتضادَّ إلا الأطراف القصوى من فئة واحدة: كالسواد والبياض، لا السواد والحموضة، أو البياض والوخز، والآلية التي تستدعي المشابهة يمكنها أن تستدعي أيضًا المشابهة المضاد، فضلًا عن أي حدٍّ وسطيٍّ، وعلاوةً على ذلك، فإنَّ معظم أزواج المتضادات مقترنةً اعتياديًا في الكلام، مثل: شاب وشيخ، حياة وموت، غني وفقير»<sup>6</sup>، فالتضاد في اللغة يعكس آلية ذهنية أساسية؛ إذ ينظم العقل معارفه عبر ثنائيات متقابلة

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص312.

2- المرجع نفسه: ص324.

3- المرجع نفسه: ص337.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج07، ص06.

5- أحمد بن فارس: كتاب الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص27.

6- William James: The Principles Of Psychology, Henry Holt And Company, New York, V1, 1905, p593.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

تسهل الإدراك والتمييز، فاقتران الألفاظ المتضادة في الذاكرة هو مرآة لطريقة التفكير القائمة على المقابلة والمقارنة، ومن هنا نشأ الألفاظ المتضادة -التي تفيد المعنى وضده- بوصفها صورة للعمليات الذهنية الداخلية من جهة، وللارتباطات بين الأزواج المتضادة في الاستعمال من جهة أخرى.

### 2.3.2. أسباب وقوع التّضاد:

تتجاذب ظاهرة التضاد في اللغة العربية جملةً من العوامل المفسّرة، غير أنّ شواهد المدونة تكشف بوضوح عن سببين رئيسيين كان لهما الأثر الأبرز في نشأتها، وهما: "اختلاف اللغات" وما يفضي إليه من تباين في المعاني، و"التلطيف اللغوي" الذي يدفع إلى استبدال بعض الألفاظ اتقاءً لوقعها المستكره.

### 1.2.3.2. اختلاف لغات العرب:

بما أن التضاد فرع عن المشترك اللفظي؛ فإن أسباب نشوء الأول جارية على الثاني أيضاً، على غرار اختلاف اللغات، حيث تضرب كتب اللغة على وقوع التضاد بفعل تباين لغات العرب المثال الشهير "وثب"، والذي جاء في المدونة أيضاً في مادة «و ث ب»: «(وَتَبَّ) طَفَّرَ [...]» و(تَبَّ) بِالْكَسْرِ فِي لُغَةِ حِمَيْرٍ بِمَعْنَى أَفْعُدُ<sup>1</sup>، ويشير معجم الشارقة التاريخي إلى ورود الجذر في عدد من النقوش العربية الجنوبية، منها نقش سبئي يعود تاريخه إلى الثاني ميلادي، ورد فيه الاسم "وثب" أي جلوس، كما اشتملت كل من الأكادية والأوجاريتية، والفينيقية، والعبرية، والسريانية على الجذر «و ث ب»، وأفاد في جميع تلك اللغات السامية معنى الجلوس<sup>2</sup>، ويمكننا من خلال المعطيات الأنفة أن نطمئن إلى أن المعنى الأصلي للوثوب هو "الجلوس" أو "العود"، وأن إفادة معنى "الوقوف" ناجمة عن تطور وقع في لغة عرب الشمال؛ ذلك أن "حمير" من ساكنة جنوب شبه الجزيرة العربية، ونمثل لنشوء التضاد في هذا المثال بسبب اختلاف اللغات بالمخطط الآتي:

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص332.

2- تاريخ الاستلال 2025 /08/22 <https://almojam.org/?id=27955&wordId=165338>

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح



الشكل 35: نشوء التضاد (وثب: قعد ≠ قام) لاختلاف اللغات

### 2.2.3.2. المحظورات (TABOU):

يؤمن البشر من جُلِّ الثقافات والأعراق بسحر الكلمات، لذلك نجد أن لكل أمة مهمما بلغ تحضرها محظورات لفظية تُتوقى، وتستبدل بأخرى أطف وقعا، ويسمى هذا "التلطيف اللغوي"، وهو «وسيلة لغوية رئيسة للتستر وتخفيف حدة كل ما هو خطير أو مقدس أو يبعث على الرهبة، وكذلك كل ما هو بغيض أو فاحش، فنحن نلجأ باستمرار إلى التلميحات الرقيقة والعبارات الملتوية عندما نضطر إلى إيصال أخبار غير سارة، لا سيما عن المرض أو الموت، أو عندما نحاول تخفيف حدة النقد»<sup>1</sup>، ويسهم هذا النفور من التصريح إلى التلميح في نشوء كثير من الأضداد في اللغات، وقد كان بالفعل ذلك؛ إذ سمّت العرب "اللدیغ" "سليما" تفاعلا له بالسلامة، حيث ورد في المدونة في مادة «س ل م»: «(السليم) اللدیع كأنهم تفاعلوا له بالسلامة»<sup>2</sup>، وأطلقوا على الصحراء القفر التي لا ماء فيها ولا كلاً "مفازة" تفاعلا بالسلامة والفوز من الهلاك المحتم؛ وجاء هذا في مادة «ف و ز»: «(الفوز) النجاة والظفر بالخير. وهو الهلاك أيضا [...] و(المفازة) أيضا واحدة (المفاوز) قال ابن الأعرابي: سميت بذلك لأنها مهلكة من (فوز تقييرا) أي هلك. وقال الأصمعي: سميت بذلك تفاعلا بالسلامة والفوز»<sup>3</sup>، وهكذا فقد كانت العرب تتحاشى ذكر بعض الألفاظ نفورا من وقعها السيئ في النفس.

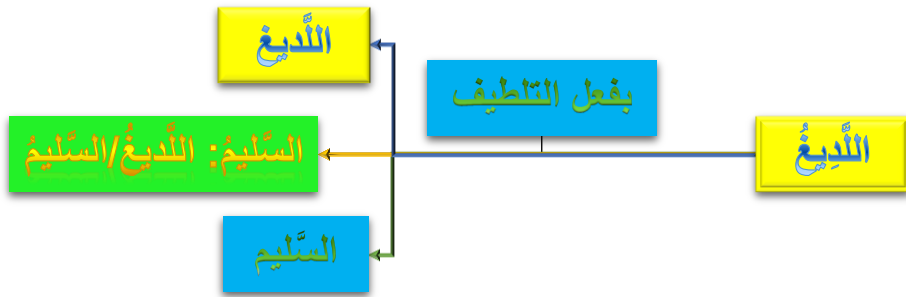
1- Stephen Ullmann: Words And Their Use, p87.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص153.

3- المرجع نفسه: ص244.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

ومع انتشار الإسلام وتهذيب نفوس الداخلين فيه، غدا تغيير الأسماء المستكرهة إلى ما يقابلها من ألفاظ حسنة مظهرًا من مظاهر الارتقاء بالذوق العام، وقد روت كتب السير أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيّر أسماء بعض الصحابة لما تضمنته من معانٍ منكرة؛ فسَمَّى سهلاً بن سعدٍ الساعديّ "سهلاً" بعد أن كان اسمه "حَزْنًا"<sup>1</sup>، وروي أنّ رجلاً «كَانَ يُقَالُ لَهُ حَبِيبُ بْنُ بَغِيضٍ، فَوَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ حَبِيبُ بْنُ حَبِيبٍ»<sup>2</sup>، وهذا ما جعل الناس تتحاشى التصريح في كثير من المواقف، وتجنح للتلميح والتلطيف، وفيما يلي بيان لمسار نشوء المشترك اللفظي "السليم" بفعل التلطيف:



الشكل 36: نشوء التضاد (الدبيع: الدبيع/السليم) للتطيف

ويُكتفى بهذين السببين، لأنهما أشد العوامل أثراً في نشوء الأضداد في اللغة العربية. يتبين مما سبق أن التضاد ظاهرة دلالية عميقة الجذور في البنية اللغوية، تتجلى في تقابل المعاني داخل نسق لغوي واحد، وتعكس قدرة اللغة على التعبير عن التجربة الإنسانية في تبايناتها وتناقضاتها، إن العلاقة بين التطور الدلالي والتضاد تتجلى بوضوح في كون كثير من الألفاظ التي تشهد تقلبات دلالية عبر الحقب الزمنية، تكتسب إبانها معاني متضادة أو تتزاح من معنى إلى آخر يقع على طرف نقيض، وتكشف دراسة هذه العلاقة عن حركية في العلاقة التي تربط الدوال بمدلولاتها بحيث لا يكتفى بالتوسع أو التضييق في المعاني وإنما قد يصل الحال لحد الانتقال إلى النقيض، مع بقاء المعنيين في الاستعمال.

1- أحمد بن عبد الله أبو نعيم: معرفة الصحابة، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01، 1998م، ج03، ص1321.

2- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1995م، ج02، ص15.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

---

إن بيان أثر التطور الدلالي في بناء العلاقات الدلالية الكبرى، المتمثلة في "الترادف" و"الاشتراك اللفظي" و"التضاد"، مع محاولة استكناه العوامل المتعددة التي أسهمت في نشوء هذه الظواهر وتوسعها، على الرغم مما يزودنا به من معلومات قيمة، لا يعكس بصدق مسارات التطور الدلالي التي لا تكون دائما وفق منطق نفعي صرف، أو غايات واضحة المعالم، ولا يمكن اختزالها في حاجات تواصلية أو معرفية ثابتة ومنضبطة، حيث إن «الأسباب وراء تغير المعاني أعقد بكثير من أن تُختزل في حاجات نفعية بحتة»<sup>1</sup>، فثمة تطورات دلالية تبدو وكأنها لا تؤدي وظيفة عملية مباشرة، ولا تملأ فراغا تعبيريا، بل تقتصر على حشد المزيد من المرادفات إلى المجموعة الموجودة سلفا، ولهذا فإن أسباب تغير المعنى أكثر غموضا وتعقيدا من أن تُرد إلى مبدأ النفعية، بل إنها تكشف عن طبيعة اللغة بوصفها أداة تتجاوز حدود الحاجة إلى الإبداع والتنوع الدلالي.

---

1- Stephen Ullmann: Words And Their Use, p75.

### 3. أقسام تطور المعنى في مختار الصحاح

على الرغم من أنّ أغلب الدراسات الدلالية الغربية قد جعلت مسألة تصنيف أنماط التطور الدلالي محوراً رئيساً في بنيتها، إلا أن البعض قد رفض صياغة مخططات تدّعي الإحاطة التامة بالمسألة على غرار هانس شبرير (Hans Sperber 1885-1963)\* الذي برر موقفه بضالة المادّة البحثية المتاحة وعدم كفايتها لإرساء نظام شامل ذي صلاحية عامّة قائلاً: «من بين جميع المسائل العالقة التي يطرحها علم الدلالة، لا أرى مسألة أقلّ قابلية للحسم من هذه، ولا ينبغي إغفال أن الحالات المدروسة من التغيّر الدلالي بدقة كافية لا تتجاوز بضع عشرات، ومحاولة استنباط نظام تصنيفي شامل من هذه الشواهد المحدودة أشبه بمحاولة تصنيف للمملكة النباتية، يضعه شخص لا يملك معرفة تفصيلية إلا عن الصفصاف، وفطر عش الغراب، والأقحوان»<sup>1</sup>، ومع ذلك تبقى الحاجة إلى التصنيف أمراً لا غنى عنه لضبط التنوع الهائل من صور التطور الدلالي وفهم آلياتها الداخلية، وقد رأى ستيفن أولمن أنّ المسألة لا يجب أن تنحصر في الاختيار بين التصنيف وعدمه، بل في المفاضلة بين أنظمة تصنيفية أكثر إحكاماً وأخرى أقلّ جودة<sup>2</sup>، وقد ارتأينا أن نزاوج بين التصنيف البلاغي المنطقي (العام)، وهو أقدم التصنيفات التي وضعها علماء الدلالة، وبين تصنيف غوستاف ستيرن، الذي تأسس على استقراء واسع لعدد كبير من شواهد التطور الدلالي في اللغة الإنجليزية، فكان تقسيماً ذا طابع تطبيقي عملي.

ويعود هذا الخيار إلى أنّ التصنيف الأول -على عموميته- يستغرق جميع صور التطور الممكنة، لكنه لا يمدّنا بمعلومات وافية عن الكيفيات التي تجري بها عملية التغيّر، أما تقسيم غوستاف ستيرن، فمع أنه يختص باللغة الإنجليزية على نحو دقيق، فإنه يتيح تفصيلات أوفى عن مسارات التطور، ويستوعب أنماطاً عديدة منه، كما أنّ نتائجه تتقاطع في جزء معتبر مع ما نجده في اللغة العربية، ولهذا ارتأينا المزاججة بين التصنيفين في سبيل

\* هو لساني ألماني ولد في فيينا، وتوفي في الولايات المتحدة الأمريكية أين كان أستاذاً بجامعة أوهايو، اهتم بالدراسات التاريخية واللسانيات النفسية، من أبرز مؤلفاته: تاريخ اللغة الألمانية، وله أبحاث تربط بين نشأة اللغة والعوامل النفسية والغرائز البشرية.

1- Stephen Ullmann: The Principles Of Semantics, Basil Blackwell & Mott Ltd, UK, 2<sup>nd</sup>ed, 1957, p199/200.  
2- Ibid: p201.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الجمع بين عموم الأول وشموله النظري، وبين دقة الثاني وثرائه التطبيقي، بما يحقق فائدة أوفر في دراسة آليات التطور الدلالي، وبناء على ما تقدم ذكره فإننا نستفتح دراستنا لأنماط التطور الدلالي في معجم مختار الصحاح باعتماد التقسيم المنطقي بوصفه إطاراً عاماً لأشكال التطور، ثم نتبعه بالتقسيم الذي اجترحه غوستاف ستيرن.

### 1.3. أقسام تطور المعنى بحسب التقسيم المنطقي-البلاغي:

يُمثل التصنيف المنطقي-البلاغي أحد الأطر النظرية الأساسية في دراسة التطور الدلالي، حيث تعود أصوله إلى التقسيم الأرسطي للنقل بطريق المجاز، والذي حدده في أربعة أنماط في قوله: «والمجاز نقل اسم يدل على شيء إلى شيء آخر: والنقل يتم إما من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع، أو بحسب التمثيل»<sup>1</sup>، وقد تبنى علماء الدلالة الأوائل أمثال ميشال بريال<sup>2</sup> وأرسان دارمستير<sup>3</sup> النظرة المنطقية، وأفرزوا بذلك التقسيم الثلاثي الذي يحصر طرق تغير المعنى في ثلاث احتمالات لا يخرج عنها؛ وهي: أن يكون المعنى المستحدث أوسع من الأول، أو أضيق منه، أو أن ينتقل من مجال إلى آخر؛ بحيث يستند على معيار منطقي يقوم على مقارنة النطاق الدلالي للفظ قبل التغير وبعده.

### 1.1.3. توسيع المعنى:

يتجلى نمط توسيع المعنى في امتداد مدلول الكلمة الأصلي، بحيث يغدو أرحب مجالاً بأن يضم معانٍ جديدة، وذلك بتوسيع دائرة المرجع الذي ينطبق عليه اللفظ، أو بتخطي استعماله في الجزئي الخاص إلى ما هو أشمل وأعم، وتكمن أهمية هذا المسلك في أنه يوضح كيفية استجابة المعجم اللغوي للمتغيرات الاجتماعية والثقافية، فيتحول اللفظ من إطار ضيق إلى فضاء تداولي أرحب دون أن يفقد صلته بالمعنى الأول.

وسينصرف هذا القسم إلى عرض طائفة من الشواهد المعجمية التي تُبرز مظاهر التطور الدلالي عبر آلية التوسيع، في محاولة للكشف عن الدوافع التي أسهمت في توجيه

1- أرسطوطاليس: فن الشعر: تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1953م، ص58.

2- Michel Bréal: Essai De Sémantique, p118-148

3- Arsène Darmesteter: La Vie Des Mots, p54-63.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

هذا المسار، ورسم خطوط عامة تستند إلى استقرار الشواهد الموثقة، بما يتيح مقارنة منهجية تبين الصلات بين التحولات الدلالية والسياقات الثقافية والاجتماعية التي احتضنتها.

### 1.1.1.3. توسيع المعنى بتخطي الجزئيات:

يجري توسيع المعنى بصور مختلفة من أبرزها تخطي الجزئيات، بحيث يتم تجاوز السمات المميزة للألفاظ المتقاربة في المعنى، وقد رأى علماء الدلالة بأن هذا النمط هو الغالب على توسيع المعنى ووصفوا ما يحدث فيه بالإفقار الدلالي<sup>1</sup>، بحيث يصدق التعبير ذاته على مواقف مختلفة، ومن شواهد هذا القسم في مختار الصحاح ما ورد في مادة <ع ش>: «(عَشَاهُ) أَي قَصَدَهُ لَيْلًا. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ ثُمَّ صَارَ كُلُّ قَاصِدٍ (عَاشِيًا)»<sup>2</sup>، الأصل في الفعل "عشا" أن يُستعمل في معنى القصد ليلًا، أي إن الدلالة كانت مقيدة بقرينة زمانية واضحة هي "الليل"، هذه القرينة الزمانية تمثل العلامة الدالة على المعنى الأول، فهي التي تضبط الاستعمال وتمنع التباسه بغيره، غير أن هذا التقييد لم يثبت طويلاً في التداول، وصار اللفظ يُطلق ويراد به مطلق القصد في أي وقت، ومن ثم اتسعت الدلالة وتحولت من معنى جزئي مخصوص إلى معنى كلي أشمل.

وقد تنبّه محمد بن أبي بكر الرازي إلى هذا التحول، فأشار بوضوح إلى أن المعنى الأول هو القصد ليلًا، ثم جرى اللسان على إطلاقه على كل قاصد، وهذا التنبه من زين الدين الرازي يُعدّ توثيقاً صريحاً لمسار التوسع، ويكشف رصد علماء اللغة القدامى لظاهرة التطور الدلالي، ويمكننا تلمس هذا الوعي في غير هذا الشاهد، بحيث تمت الإشارة بشكل جلي إلى وقوع التطور الدلالي وتوثيق التوسيع على نحو ما جاء في مادة <ح م م>: «(الْحَمِيمُ) الْمَاءُ الْحَارُّ وَقَدْ (اسْتَحَمَ) أَي اغْتَسَلَ بِالْحَمِيمِ. هَذَا هُوَ الْأَصْلُ ثُمَّ صَارَ كُلُّ اغْتِسَالٍ اسْتِحْمَامًا بِأَيِّ مَاءٍ كَانَ»<sup>3</sup>، ويكشف تعليق محمد بن أبي بكر الرازي عن وعيه بحدوث تحول دلالي، ويسجل بوضوح انتقال الكلمة من معناها الأول إلى معنى أوسع، مستعملًا صيغة "هَذَا هُوَ الْأَصْلُ ثُمَّ صَارَ" الدالة على التغيير، وقد أشار ميشال بريال إلى أن أكثر أقسام الكلم عرضة للتوسيع هو الفعل بقوله: «ويُعدّ الفعل أكثر أقسام الكلم عرضة

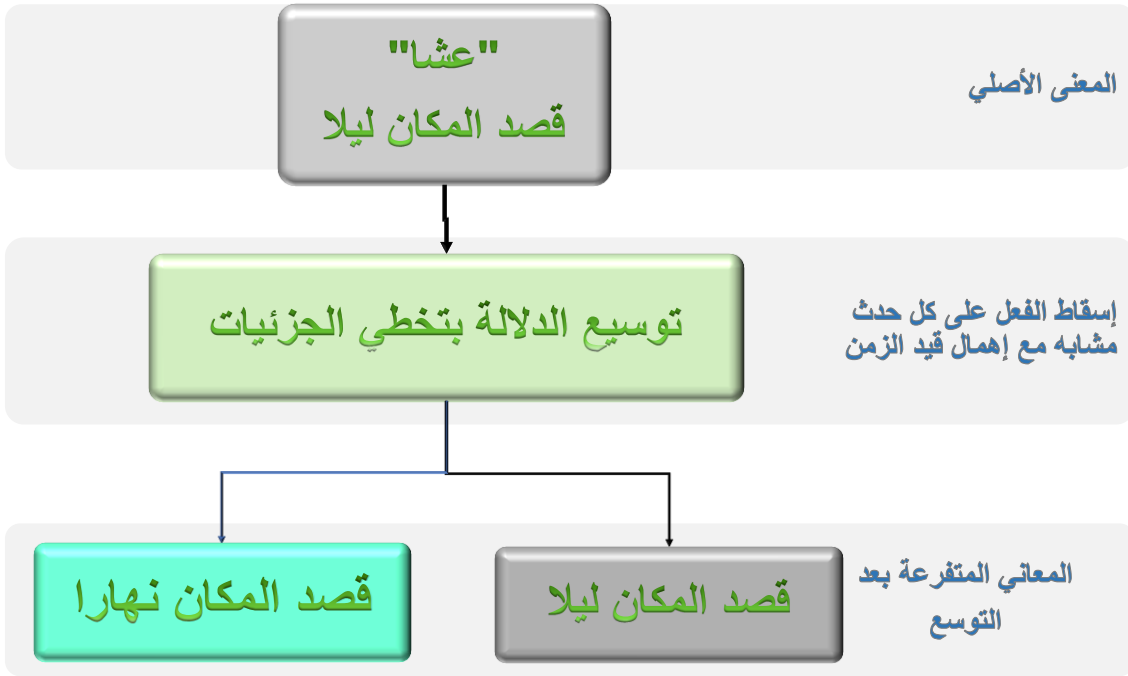
1- Stephen Ullmann: The Principles Of Semantics, p204.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص210.

3- المرجع نفسه: 82.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

لظاهرة الاتساع، فعندما تختار اللغة، لسبب ما، تعبيراً معيناً للدلالة على فعلٍ محدد، لا يلبث المتكلم أن ينسى الظرف - أحياناً يكون عرضياً أو اعتباطياً - الذي جعل الكلمة تُستعمل بهذا الشكل<sup>1</sup>، وهو ما لاحظناه في أمثلة عديدة، إذ يعود توسيع المعنى إلى إهمال الملابسات المرتبطة بالمعنى الأول، وتعميم الفعل على كل حدث مشابه وإن اختلفت التفاصيل والجزئيات، ويبين المخطط الآتي مسار تطور معنى الفعل "عشا" من الدلالة على القصد ليلاً، إلى الدلالة على القصد مطلقاً دون قيد الزمن.



الشكل 37: توسع معنى "عشى" بتخطي الجزئيات

### 2.1.1.3. توسيع المعنى بتعدد المراجع:

ومن شواهد توسع المعنى بسبب ارتباط المدلول بمراجع جديدة بفعل تأثير العادات والقيم المجتمعية والرموز الثقافية عند العرب ما جاء في مادة <ع ط ل>: «عَطَلْتُ الْمَرْأَةَ [...] إِذَا خَلَا جِيدُهَا مِنَ الْقَلَائِدِ فَهِيَ (عَطَلْتُ) [...] وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الْعَطَلُ فِي الْخُلُوفِ مِنَ الشَّيْءِ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ فِي الْحَلِيِّ. يُقَالُ: (عَطَلَ) الرَّجُلُ مِنَ الْمَالِ وَالْأَدَبِ [...] وَ(التَّعْطِيلُ) التَّفْرِيفُ. وَبِنَزْرِ (مُعْطَلَةٌ) لِبُيُودِ أَهْلِهَا [...] وَ(المُعْطَلُ) المَوَاتُ مِنَ الْأَرْضِ. وَابِلٌ (مُعْطَلَةٌ) لَا رَاعِيَ

1- Michel Bréal: Essai De Sémantique, p131.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

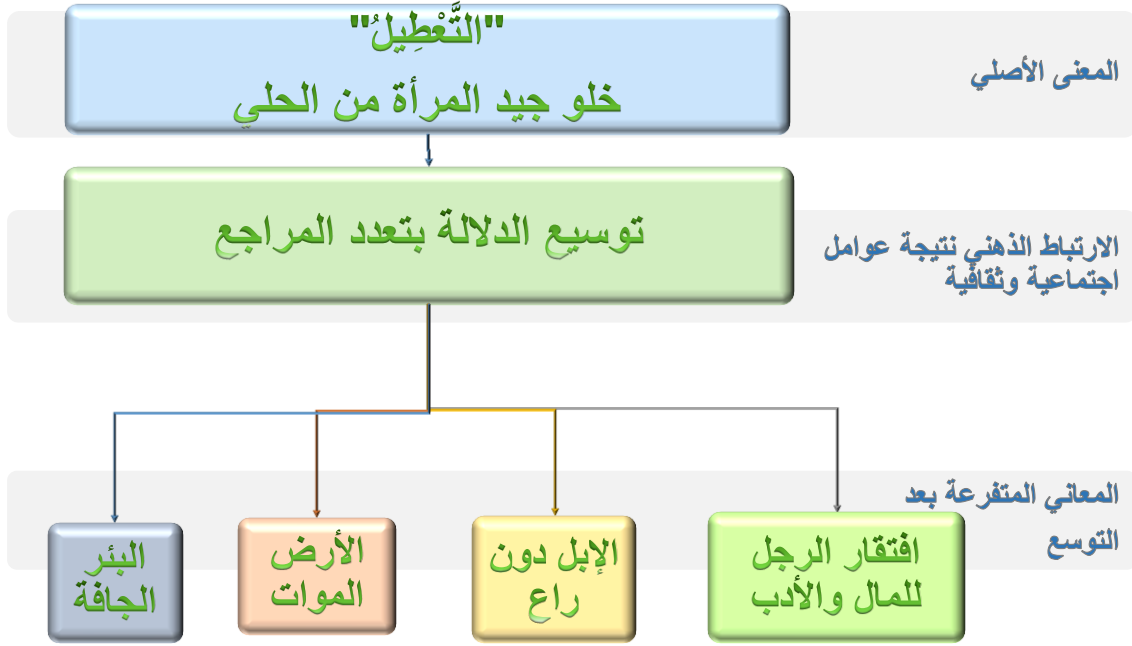
لَهَا»<sup>1</sup>، ينطلق الاستعمال الأصلي من دلالة اجتماعية حسية وثيقة الصلة بعادات التزيّن عند المرأة، حيث اعتُبر الحلي جزءاً من كمال صورتها ومظهراً اجتماعياً لا ينفك عنها، فالتعطيل في هذا السياق يعني نزع الحلي؛ أي الخلوّ من رمز الزينة والوجاهة، ومن هنا يبرز العامل الاجتماعي بوضوح، إذ لم يكن الحلي مجرد أداة تجميل، بل علامة ثقافية على الحضور الاجتماعي، يؤدي خلوّ المرأة منه إلى حالة نقص يُعبّر عنها بالفعل: "عَطِلَتْ".

انطلاقاً من هذا الاستعمال الحسي المرتبط بالتقاليد، جرى توسيع الدلالة لتشمل كل صورة من صور الخلوّ أو النقص، حتى ولو لم تتصل بالزينة الظاهرة، فقيل "عَطِلَ الرَّجُلُ مِنَ الْمَالِ وَالْأَدَبِ" أي صار خالياً مما يُفترض أن يكون عليه، وقيل "بئر معطّلة" أي خلت من الماء لهجران أهلها إياها، و"إبل معطّلة" أي بلا راعٍ، و"أرض معطّلة" أي موات لا زرع فيها، وفي جميع هذه السياقات يظل القاسم المشترك هو غياب ما ينبغي حضوره، وهو انتقال تأسس على نموذج اجتماعي محدّد ثم تحرّر من خصوصيته ليغدو إطاراً دلالياً واسعاً.

يظهر في هذا المثال أن مبدأ التحوّل في العناصر الدلالية وفق المثلث الدلالي يكمن في "التصور الذهني"، حيث ارتبطت فكرة التعطيل بداية بخلو المرأة من الحلي، ثم اتسع مجالها المرجعي ليشمل كل خلوّ عمّا هو مضمون وجوده، ويعود هذا الاتساع إلى تشابك مفهومي ناشئ عن العادات الاجتماعية التي أولت الحلي مكانة مركزية في إبراز صورة المرأة وهيئتها، ووجّهت المسار الدلالي للكلمة، فانتقلت من تخصيصها بمرجع اجتماعي محدّد إلى شمولها مجالات أوسع، دون أن تتفك عن البنية الذهنية الأولى التي مثّلت منطلق التطور، ونقترح المخطط الآتي الذي يبين مسار توسع المعنى في هذا الشاهد وأسباب ذلك:

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص212.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح



الشكل 38: توسع معنى "التعطيل" بتعدد المراجع

وإذا كان معيار الزينة عند المرأة قد شكّل منطلقاً لتوسيع المعنى عبر شبكة من العلاقات الرمزية، فإن الغذاء بدوره يمثل ركيزة أساسية في تشكيل المعاني وتوجيه مسارها الدلالي، ويبرز ذلك بجلاء في أمثلة عديدة منها ما جاء في مادة «م ح ض»: «(المَحْضُ) بَوَزْنِ الْفَلْسِ اللَّبْنُ الْخَالِصُ الَّذِي لَمْ يُخَالِطْهُ الْمَاءُ حُلُوءًا كَانَ أَوْ حَامِضًا [...] وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْلَصْتَهُ فَقَدْ (مَحَضْتَهُ). وَعَرَبِيٌّ (مَحْضٌ) أَي خَالِصُ النَّسَبِ، الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى وَالْجَمْعُ فِيهِ سَوَاءٌ»<sup>1</sup>، حيث يتضح إسهام العادات والرموز الثقافية إسهاماً مباشراً في توجيه التطور الدلالي، فالأصل الحسي للكلمة مرتبط باللبن الخالص الذي لم يُخالطه ماء، وهو مشتركٌ معيشيٌّ بارزٌ في الثقافة العربية القديمة، لما للبن من مكانة غذائية ورمزية في حياة البدو، ومن هذا الأصل تفرّعت المعاني لتدلّ على كل ما كان خالصاً من الشوائب في الأعيان أو في المجردات: «وكل شيء أخلصته فقد (محضته)»<sup>2</sup>، هذا التوسيع في الدلالة جاء نتيجة لتمثّل ثقافي يرى في اللبن مثلاً أعلى للنقاء والصفاء.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 291.

2- المرجع نفسه: ص 291.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

ويتعزز هذا البعد الثقافي في الاستعمال الخاص بـ "عربي محض" أي خالص النسب، إذ لم يكن المقصود مجرد الوصف العفوي الخالي من أي حكم، وإنما هو انعكاس لبنية اجتماعية تُعلي من شأن النسب الصافي وتعدّه معياراً للفخر، وبذلك يتضح أن استعارة صفة النقاء في اللبن هي نتاج نسق اجتماعي وثقافي يربط بين النقاء المادي (اللبن الخالص) والنقاء الرمزي (صفاء النسب).

وعلى منوال المثالين السابقين، يمثّل مركوب العربي وفي مقدمته "الفرس" أحد أبرز الرموز الثقافية التي استقرت في الوجدان الجمعي، بما تحمله من دلالات على القوة والجمال والرفعة، وقد غدا هذا الحيوان، ولا سيما بما يتميز به من سمات بارزة كالغُرّة في جبهته، مجالاً خصباً لانطلاق عملية التجريد وتوسيع الدلالة، حيث تجاوز الوصف الحسي المباشر ليصبح علامة على معانٍ اجتماعية وثقافية أرحب، مثل السيادة والشرف والمكانة الرفيعة، نورد شاهداً على ذلك ما ورد في مادة < غ ر ر >: «(الغُرّة) بِالضَّمِّ بِيَاضٍ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ فَوْقَ الدَّرْهِمِ. يُقَالُ: فَرَسٌ (أَغْرٌ). وَ(الْأَغْرُ) أَيْضًا الْأَبْيَضُ. وَقَوْمٌ (غُرَانٌ) وَرَجُلٌ (أَغْرٌ) أَيْضًا أَيْ شَرِيفٌ. وَفُلَانٌ (غُرّةٌ) قَوْمِهِ أَيْ سَيِّدُهُمْ. وَغُرّةٌ كُلُّ شَيْءٍ أَوْلُهُ وَأَكْرَمُهُ. وَ(الغُرّة) الْعَبْدُ وَالْأَمَةُ. وَفِي الْحَدِيثِ: "قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنِينِ بَغْرَةً" وَكَأَنَّهُ عَبْرَ عَنِ الْجِسْمِ كُلِّهِ بِالْغُرّةِ»<sup>1</sup>، هذا الشاهد من الأمثلة التي تُظهر أثر العوامل الاجتماعية والثقافية في توجيه مسار التطور الدلالي عبر آلية التوسيع، فالمدلول الأصلي للغُرّة هو البياض في جبهة الفرس، وهو موضع بارز في الحيوان استقر في المخيال العربي بوصفه سمة جمالية ودليلاً على النقاء والصفاء، ومن هذا الأصل الحسي الضيق انطلقت عملية توسيع الدلالة، فشملت أولاً وصف الفرس كله بالأغْر إذا غلب عليه البياض، ثم امتدت لتصبح الغُرّة علامة للشرف والرفعة، لما للجبهة من مكانة رمزية مرتبطة بالعلو والكبرياء في الثقافة العربية، وقد انعكس هذا التداخل بين الحسي والرمزي في الاستعمالات المجازية، حيث قيل: "فلان غُرّة قومه" أي سيدهم، في إشارة إلى موقع الصدارة والتميز، ثم امتد التوسيع إلى مجالات أخرى؛ منها إطلاق الغُرّة على "أول الشيء وأفضله"، وعلى "العبد والأمة" في سياق الدية كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قضى في الجنين بغُرّة؛ أي عبد أو أمة.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص225.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

ومن ثمّ يُمكن القول بأن التطور الدلالي في مثل هذه الأمثلة يكشف عن التفاعل العميق بين المعيش اليومي (الغذاء، المركب، الملبس، المسكن..) والقيم الاجتماعية (النسب، الهوية، الشرف، الشجاعة..)، بحيث يغدو التوسيع أداةً لترسيخ التصورات الجماعية وتجذيرها في اللغة، فتتحوّل الكلمة من وصف مادّي محدود إلى وعاءٍ لمدلولات معنوية وقيمية واسعة، تعكس رؤية المجتمع لعناصر الجمال والشرف والعلو، وتُرسّخ دور الرموز الثقافية في توجيه المسارات الدلالية.

وبمكا ضرب العديد من الأمثلة على المعيش اليومي واعتمادها منطلقاً ورمزاً تتوسع منها دلالة الكلمات وتسقط على مراجع جديدة بعلاقات تنسج نتيجة العوامل الثقافية والاجتماعية.

الأصل / الفرع	الشاهد من المدونة على توسع المعنى بتعدد المراجع
من الدلالة على اختلاف اللون بين عيني الراحلة إلى الدلالة على كل اختلاف.	«خ ي ف»: «وَفَرَسٌ (أَخِيفُ) بَيْنُ (الْأَخِيفِ) إِذَا كَانَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ زَرْقَاءَ وَالْأُخْرَى سَوْدَاءَ وَكَذَلِكَ هُوَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَمِنْهُ قِيلَ: النَّاسُ (أَخِيفٌ) أَيُّ مُخْتَلِفُونَ. وَإِخْوَةٌ أَخِيفٌ إِذَا كَانَتْ أُمَّهُمْ وَاحِدَةً وَالْأَبَاءُ شَتَّى.» <sup>1</sup>
من الدلالة على التفرد بفقدان أحد الوالدين إلى الدلالة على كل تفرد.	«ي ت م»: «(وَالْيَتِيمُ) فِي النَّاسِ مِنْ قَبْلِ الْآبِ وَفِي الْبَهَائِمِ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ. وَكُلُّ شَيْءٍ مُفْرَدٍ يَعِزُّ نَظِيرُهُ فَهُوَ (يَتِيمٌ) ، يُقَالُ: دُرَّةٌ يَتِيمَةٌ» <sup>2</sup>
من الدلالة على الحبل إلى الدلالة على كل وسيلة توصل إلى الغاية	«س ب ب»: «(السَّبَبُ) الْحَبْلُ وَكُلُّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ» <sup>3</sup>
من الدلالة على من الراكب	«ر د ف»: «(الرِّدْفُ) (الْمُرْتَدِفُ) وَهُوَ الَّذِي يَرْكَبُ خَلْفَ

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 99.

2- المرجع نفسه: ص 348.

3- المرجع نفسه: ص 140.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

<p>الرَّاكِبِ وَ (أَرَدَفَهُ) أَرْكَبُهُ خَلْفَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ تَبَعَ شَيْئًا فَهُوَ رِدْفُهُ»<sup>1</sup></p>	<p>خلف غيره إلى الدلالة على كل تابع.</p>
<p>«ف ط ر»: (الْفَطِيرُ) ضِدُّ الْخَمِيرِ وَهُوَ الْعَجِينُ الَّذِي لَمْ يَخْتَمِرْ. وَكُلُّ شَيْءٍ أَعَجَلْتَهُ عَنْ إِدْرَاكِهِ فَهُوَ فَطِيرٌ. يُقَالُ: إِيَّاكَ وَالرَّأْيَ الْفَطِيرَ. وَيُقَالُ: عِنْدِي خُبْرٌ خَمِيرٌ وَحَيْسٌ فَطِيرٌ أَي طَرِيٌّ.»<sup>2</sup></p>	<p>من الدلالة على العجين الذي لم يختمر إلى الدلالة على كل شيء حصل قبل أوانه.</p>
<p>«ط ب ب»: (الطَّيِّبُ) الْعَالِمُ بِالطَّبِّ [...] وَكُلُّ حَازِقٍ عِنْدَ الْعَرَبِ (طَيِّبٌ).»<sup>3</sup></p>	<p>من الدلالة على العالم بالطب إلى الدلالة على كل حاذق في أي مجال.</p>
<p>«ز وق»: (الزَّوْوقُ) الزَّيْبِقُ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. وَهُوَ يَقَعُ فِي (التَّرَاوِيقِ) لِأَنَّهُ يُجْعَلُ مَعَ الذَّهَبِ عَلَى الْحَدِيدِ ثُمَّ يَدْخُلُ فِي النَّارِ فَيَذْهَبُ مِنْهُ وَيَبْقَى الذَّهَبُ ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ مَنْقَشٍ (مَزَوَّقٌ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ الزَّيْبِقُ. وَ (زَوَّقَ) الْكَلَامَ وَالْكِتَابَ حَسَنَةً وَقَوْمَهُ.»<sup>4</sup></p>	<p>من الدلالة على المزين باستعمال الزئبق إلى الدلالة على كل منقش.</p>
<p>«ط م م»: «جَاءَ السَّيْلُ (فَطَمَ) الرِّكِيَّةَ أَي دَفَنَهَا وَسَوَّاهَا. وَكُلُّ شَيْءٍ كَثُرَ حَتَّى عَلَا وَغَلَبَ فَقَدَّ (طَمَّ)»<sup>5</sup></p>	<p>من الدلالة على غمر بالمياه إلى الدلالة على كل شيء علا وغلب.</p>
<p>«ط م ح»: «(طَمَحَ) بَصَرُهُ إِلَى شَيْءٍ ارْتَفَعَ وَبَابُهُ خَضَعَ وَ (طَمَاحًا) أَيْضًا بِالْكَسْرِ. وَكُلُّ مُرْتَفِعٍ طَامِحٌ. وَرَجُلٌ (طَمَاحٌ) بِالْفَتْحِ وَالشَّدِيدِ أَي شَرٌّ.»<sup>6</sup></p>	<p>من الدلالة على ارتفاع البصر إلى الدلالة على كل مرتفع.</p>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 121.

2- المرجع نفسه: ص 241.

3- المرجع نفسه: ص 118.

4- المرجع نفسه: ص 139.

5- المرجع نفسه: ص 192.

6- المرجع نفسه: ص 192.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

<p>«ح ث ل»: «(الْحُنَّالَةُ) بِالضَّمِّ مَا يَسْفُطُ مِنْ قِشْرِ الشَّعِيرِ وَالْأَرْزِ وَالتَّمْرِ وَكُلِّ ذِي فُشَارَةٍ إِذَا نُقِيَ. وَحُنَّالَةُ الدُّهْنِ نُقْلُهُ فَكَأَنَّهُ الرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.»<sup>1</sup></p>	<p>من الدلالة على القشر الساقط إلى الدلالة على الرديء من كل شيء.</p>
<p>«ه ي ل»: «(هَال) الدَّقِيقَ فِي الْجِرَابِ صَبَّهُ مِنْ غَيْرِ كَيْلٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ أَرْسَلَهُ إِرسَالًا مِنْ رَمَلٍ أَوْ تُرَابٍ أَوْ طَعَامٍ وَنَحْوِهِ فَقَدْ هَالَهُ فَانْهَالَ أَي جَرَى وَأَنْصَبَ وَبَابُهُ بَاعَ.»<sup>2</sup></p>	<p>من الدلالة على صب الدقيق إلى الدلالة على إرسال كل شيء.</p>

### 3.1.1.3. الانتقال من الحسي إلى المجرد

أثناء تتبع نماذج التطور الدلالي بطريق توسيع المعنى ضمن مدونة البحث، لوحظ أن نسبة معتبرة من هذه النماذج اتجه فيها التطور من مرجع مادي محدود إلى مرجع ذهني أو مجرد، ويكثر ذلك في الأمثال والعبارات المسكوكة؛ إذ تنفصل الدلالة فيها تدريجياً عن معناها الحسي الأول لتكتسب بعداً تجريدياً أوسع، وعليه رأينا أنه من الضروري أن نخص هذه الصورة من صور التوسع بعنصر مستقل، ورغم إمكانية تتبعها في بعض الأمثلة السابقة أيضاً (عطل، محض، غرة..)، فإن هذا التفريع يُعدّ إجراءً منهجياً هدفه تنظيم العمل وتحليل الظواهر على نحو أدق، لأن العوامل الدلالية تتشابك في كثير من الأحيان بحيث يتعذر الفصل التام بينها، كما أوضحنا في موضع سابق.

إن الانتقال من المادي إلى المجرد يعد من أبرز مسالك التوسع، وتقوم هذه العملية في جوهرها على آلية المجاز بأنواعه، عبر ما يتيح من تجاوز لحدود التجربة الحسية ونقل خصائصها إلى مجالات مجردة أرحب، وقد أشار ستيفن أولمن إلى هذا بقوله: «إحدى النزعات الأساسية في الاستعارة تحويل التجارب الحسية الملموسة إلى صور مجردة، ففي حالات كثيرة يبقى هذا النقل شفافاً يمكن إدراكه بسهولة، بينما يتطلب في حالات أخرى تنقيباً اشتقاقياً لاستعادة الصورة المادية الكامنة خلف اللفظ المجرد...» مثل هذه النقلات الاستعارية تحدث باستمرار؛ بل في الواقع سيكون من المتعذر تناول أي موضوع ذهني مجرد من

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص66.

2- المرجع نفسه: ص330.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

دونها»<sup>1</sup>، وهذا ما لمسناه في جل شواهد المدونة التي توسع فيها المعنى بالانتقال من الأصل المادي إلى الفرع المعنوي، على غرار قول محمد بن أبي بكر الرازي: «(حَبِطَ) عَمَلُهُ بِطَلِ ثَوَابُهُ وَبَابُهُ فَهَمَّ وَ(حُبُوطًا) أَيْضًا وَ(أَحْبَطَهُ) اللَّهُ. وَ(الْحَبِطُ) بِفَتْحَتَيْنِ أَنْ تَأْكَلَ الْمَاشِيَةُ فَتُكْثِرَ حَتَّى تَنْتَفِخَ لِذَلِكَ بُطُونُهَا وَلَا يَخْرُجُ عَنْهَا مَا فِيهَا»<sup>2</sup>. فبحسب معجم الشارقة التاريخي فإن الجذر (ح ب ط)، قد ورد في الأكدية بمعنى "وَرِمَ" و"تَشَنَّجَ"، موافقًا للفعل العربي معنًى ومبنيً، كما جاء بمعنى "انتفخ" في الجعزية<sup>3</sup>، وهكذا يمكن الركون إلى أن أقدم استعمال موثق للمدخل "حَبِطَ" هو "الانتفاخ"، وعليه فإن حبوط العمل بمعنى بطلانه وذهاب أجره متطور عن المعنى الأول المتعلق بإكثار الماشية من أكل العشب دون أن تستفيد منه، مثل انتقالاً من صورة حسيّة ملموسة إلى دلالة معنوية مجردة تعبر عن فساد العمل وضياح ثمرته، ويبرز بوضوح المسار الاستعاري الذي وجّه التطور الدلالي، وإن لم يُشر إليه محمد بن أبي بكر الرازي صراحةً.

المسلك التطوري عينه سلك في مدخل "المنوال" من مادة (ن و ل) في مختار الصحاح: «(الْمُنَوَالُ) الْحَشَبُ الَّذِي يَلْفُ عَلَيْهِ الْحَائِكُ الثَّوْبَ، وَهُوَ (النَّوَالُ) أَيْضًا وَجَمَعُهُ (أَنْوَالٌ). وَيُقَالُ لِلْفُومِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَافُهُمْ: هُمْ عَلَى (مِنْوَالٍ) وَاحِدٍ»<sup>4</sup>، يُظهر هذا الشاهد انتقالاً دلاليًا واضحًا من المجال الحسيّ المادي إلى المجال المجرد، وهو من أنماط التوسع في المعنى الناتج عن توظيف المجازات والاستعارات، ففي الأصل، يدلّ اللفظ على آلة محسوسة تُستعمل في النسيج في عالم الحرفة اليدوية، ثم انتقل الاستعمال إلى مجال علاقات السلوك الإنساني، في قولهم: "هم على منوال واحد"، أي على سيرة أو طريقة واحدة، وهذا الاستخدام لا يحيل إلى الآلة نفسها، بل إلى النمط المنتظم أو النسق المتكرر الذي تمثّله في الأصل عملية النسيج، فكما يُنسج الثوب بخيوط متوازية وفق نظام واحد، تُشبّه الأخلاق أو الأفعال المنتظمة بذلك النسق، فينشأ المعنى المجرد من انتظام السلوك وتجانس الطباع.

1- Stephen Ullmann: Semantics: An Introduction To The Science Of Meaning, p215.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص65.

3- تاريخ الاستلال: 2025/09/26 <https://almojam.org/?id=5239&wordId=32407>

4- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص322.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

### 1.3.1.1.3. العبارات الاصطلاحية المسكوكة:

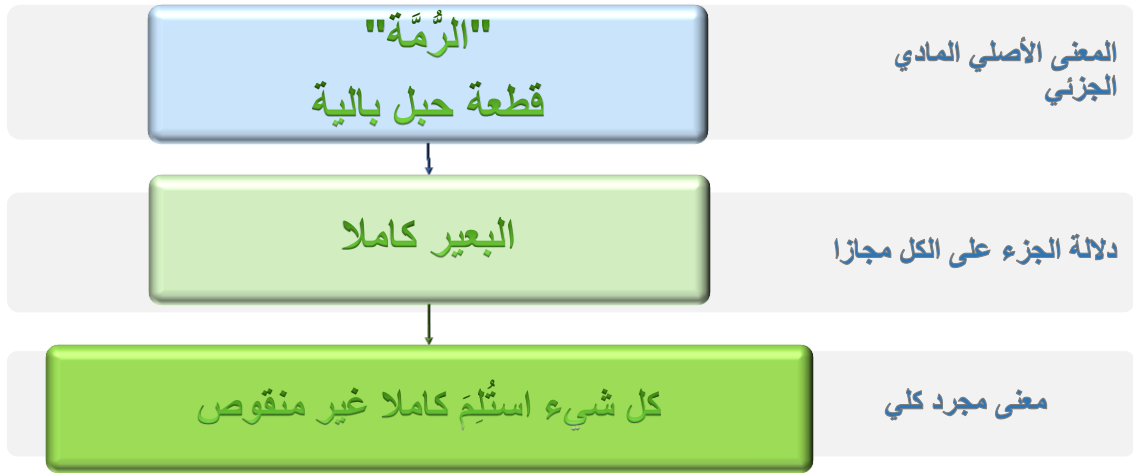
ذُكر في بداية الحديث عن توسع المعنى بالانتقال من المحسوس الجزئي إلى المجرد الكلي أنه يتمثل بجلاء في الأمثال والعبارات المسكوكة، التي تنشأ في الغالب عن حدث فردي توسع وتم إسقاطه على كل موقف مشابه، ومن العبارات الاصطلاحية المسكوكة المنبثقة عن توسع المعنى بالانتقال من المحسوس إلى المجرد قولهم: "دَفَعَ إِلَيْهِ الشَّيْءَ بِرُمَّتِهِ" الواردة في مادة «ر م م»: «(الرُّمَّةُ) بِالضَّمِّ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَبْلِ بِالْيَاءِ وَالْجَمْعُ (رُمَمٌ) وَ(رِمَامٌ) [...] وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: دَفَعَ إِلَيْهِ الشَّيْءَ (بِرُمَّتِهِ). وَأَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا دَفَعَ إِلَى رَجُلٍ بَعِيرًا بِحَبْلِ فِي عُنُقِهِ فَقِيلَ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ دَفَعَ شَيْئًا بِجُمْلَتِهِ»<sup>1</sup>، يُجسّد مسار تطور المعنى في هذا المدخل نموذجاً لآلية الانزياح الدلالي من الحسي إلى المجرد في اللغة العربية، حيث ينطلق هذا المسار من دلالة أصلية محسوسة تتمثل في "الرُّمَّة"، والتي تعني "قِطْعَةٌ مِنَ الْحَبْلِ بِالْيَاءِ"، ثم يتوسط الانزياح المجازي تعبير اصطلاحى يعزوه المعجم إلى أصل قصصي يتمثل في تسليم بعيرٍ مع الحبل في عنقه، وفي هذه المرحلة، يتم الانتقال من الدلالة الحسية عبر مجاز علاقته الجزء بالكل حيث تُمثّل الرمة "الجزء" التافه للدلالة على "الكل" المتمثل في البعير وسلبه معاً.

أما المرحلة النهائية في التطور فتمثل تجريداً كاملاً للمعنى، تتحرر فيه العبارة من سياقها القصصي المحدد لتدل على مفهوم كلي مجرد هو "التسليم الكامل غير المنقوص"، بشمولية تامة ودون إغفال لأي متعلقات، فنقل المعنى عبر ثلاث مراحل متتالية: مرحلة المعنى المادي الجزئي (الحبل البالي)، مروراً بمرحلة المعنى المجازي (قصة التسليم)، وصولاً إلى مرحلة المعنى المجرد الكلي (مفهوم الشمولية والتمام).

وهذا التطور يبرز كيفية تحوّل الحادثة الجزئية إلى قاعدة سلوكية مجردة، مؤكدةً على قدرة اللغة على توليد المفاهيم العقلية انطلاقاً من إشارات مادية بسيطة، ويبرز المخطط أدناه مراحل هذا التطور:

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص129.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح



الشكل 39: تطور معنى "الرِّمَّة"

### 2.1.3. تضيق المعنى:

التضيق هو الشكل الثاني من أشكال تطور المعنى بحسب التقسيم المنطقي البلاغي، وهو أن يخصص اللفظ ويحصر في جزء من معناه، وقد ورد ما يشبه هذا القسم في مباحث دلالة الألفاظ عند الأصوليين تحت مسمى "الحقيقة العرفية"، وهي: «أَنْ يَكُونَ الْإِسْمُ قَدْ وُضِعَ لِمَعْنَى عَامٍّ ثُمَّ يُخَصَّصُ بِعُرْفِ اسْتِعْمَالِ أَهْلِ اللُّغَةِ بِبَعْضِ مُسَمِّيَاتِهِ، كَاخْتِصَاصِ لَفْظِ الدَّابَّةِ بِذَوَاتِ الْأَرْبَعِ عُرْفًا وَإِنْ كَانَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ لِكُلِّ مَا دَبَّ، وَذَلِكَ إِمَّا لِسُرْعَةِ دَبِّيهِ أَوْ كَثْرَةِ مُشَاهَدَتِهِ أَوْ كَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ»<sup>1</sup>، وتستمد تسمية الحقيقة العرفية وجاقتها من المسار الذي يسلكه المعنى في انتقاله من العام إلى الخاص في الاستعمال العرفي، ويكون الأمر إما عفويا أو مقصودا.

### 1.2.1.3. التضيق العفوي:

قد يسلك تخصيص المعنى مسلكا عفويا ينتج عن قوة التداول والاستعمال كما هو الحال في المثال المذكور آنفا -الدابة- وغيره مما ورد في المدونة، على غرار كلمة "الْحَوْتِ" التي تستعمل للإشارة إلى السمكة العظيمة، جاء في مادة <ح وت>: «الْحَوْتُ الْعَظِيمُ مِنَ السَّمَكِ»<sup>2</sup>، أي السمكة الكبيرة، بينما تشير في أصل وضعها إلى مطلق السمك، وحصُر

1- علي بن محمد الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تع: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01، 2003م، ج01، ص46.

2- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ص83.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

استعمالها في الدلالة على نوع معين من الأسماك هو تخصيص لها، وقد بين محمد بن أبي بكر الرازي الأمر بقوله: «(الْحُوتُ) السَّمَكَةُ وَالْجَمْعُ (الْحَيْتَانُ). قُلْتُ: وَهَكَذَا قَالَ الْأَزْهَرِيُّ. وَيُؤَيَّدُ كَوْنُهُ مُطْلَقَ السَّمَكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف:61] وَالْمَنْقُولُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهَا كَانَتْ سَمَكَةً فِي مِثْلٍ. وَمَا ظَنُّكَ بِرِوَاةِ اثْنَيْنِ خُصُوصًا مُوسَى وَصَاحِبَهُ؟! وَأَدْلُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيْثَانُهُمْ﴾ [الأعراف:163] وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ [الصفوات:142] فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ إِطْلَاقِ الْحُوتِ عَلَى السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ لَا عَلَى حَصْرِ مُسَمَى الْحُوتِ فِيهَا كَمَا يَظُنُّهُ الْعَامَّةُ»<sup>1</sup>.

وشهدت كلمة "المأتم" في العربية تضيقا لمعناها أيضا، حيث جاء في المدونة في مادة «أ ت م»: «(الْمَأْتَمُ) عِنْدَ الْعَرَبِ نِسَاءٌ يَجْتَمِعْنَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْجَمْعُ (الْمَأْتَمُ) وَعِنْدَ الْعَامَّةِ الْمُصِيبَةُ يَقُولُونَ: كُنَّا فِي مَأْتَمِ فُلَانٍ، وَالصَّوَابُ كُنَّا فِي مَنَاحَةِ فُلَانٍ»<sup>2</sup>، بحيث ضيق معنى كلمة "المأتم" وخصص للإشارة إلى اجتماع النساء في المصيبة، بينما كان في الأصل يدل على الاجتماع مطلقا دون تحديد المناسبة من الاجتماع.

وكذلك الأمر في مدخل "الحمام" من مادة «ح م م»: «و(الْحَمَامُ) عِنْدَ الْعَرَبِ ذَوَاتُ الْأَطْوَاقِ نَحْوُ الْفَوَاحِشِ وَالْقَمَارِيِّ وَسَاقِ حُرٍّ وَالْقَطَا وَالْوَرَّاشِيِّ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، [...] وَعِنْدَ الْعَامَّةِ أَنَّهَا الذَّوَابُّ فَقَطٌ»<sup>3</sup>، حيث يشير المعنى الأصلي للحمام إلى ذوات الأطواق، فيما ينحصر المعنى عند العامة في الدواجن، في إشارة بيّنة إلى التطور الدلالي بألية التضيق والذي تبنته العامة، وكأننا بأبي بكر الرازي لا يقبل هذا التطور، إذ غالبا ما يحمل عزوه لاستعمال ما إلى العامة حكما قيميا وانتقاصا مبطنا، الشيء الذي ترفضه اللسانيات الحديثة، والتي تعد التطور ظاهرة صحية للغات، «فإنه من السذاجة أن يُمنع استعمال الألفاظ التي أبعدها طول الاستعمال عن معناها الأصلي» [...] بدعوى التقيّد بأصلها الأول، فتطور اللغة يقوم على تحررها التدريجي من جذورها الأولى دون عنف، ولو أراد الإنسان أن يعيد كل لفظ إلى معناه الدقيق الأول، لما استطاع الكلام أصلاً»<sup>4</sup>.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص83.

2- المرجع نفسه: ص13.

3- المرجع نفسه: ص82.

4- Michel Bréal: Essai De Sémantique, p134.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

هذا عن تخصيص معنى الكلمة في جزء من معناها والذي يتم بصورة عفوية غير مقصودة، تتحكم فيه ملابسات اجتماعية، وقد أشار الأمدي إلى بعض هذه الملابسات في حديثه عن الحقيقة العرفية، حيث يؤدي اقتران اللفظة بمرجع محدد أو شيوع استعمالها في معنى بعينه إلى تغليبها على المعنى الأصلي، وبهذا يصبح تضيق المعنى نتيجة للتداول الاجتماعي والاعتیاد الاستعمالي، مما يرسخ انتقال الدلالة من سعة أولى إلى خصوصية لاحقة.

### 2.2.1.3. التضييق المقصود:

وقد يكون التخصيص عن وعي وقصد، حيث تشيع أمثلة تضيق المعنى في الاصطلاحات في شتى العلوم، إذ يقوم الاصطلاح على حصر دلالة الكلمة في جزء من معانها، حيث إن «تضييق المعنى يتنوع أكثر كلما كانت الأمة أكثر تقدماً في الحضارة؛ إذ تميل كل فئة من فئات المجتمع إلى استخدام الألفاظ العامة في اللغة لاحتياجاتها الخاصة، ثم تعيدها لاحقاً إلى الاستعمال العام وهي تحمل بصمة أفكارها واهتماماتها الخاصة»<sup>1</sup>، وأكثر ما يبرز في اللغة العربية وفي المدونة أيضاً في المصطلحات الشرعية، إذ نجد في اللغة العربية قطاعاً كبيراً من هذا النمط الذي سلك مسلك التخصيص وخاصة بعد مجيء الإسلام، وقد تناولها علماء العربية الأوائل أمثال أحمد بن فارس في كتابه "الصاحبي" في باب "الأسباب الإسلامية"، ومما جاء فيه: «كَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ آبَائِهِمْ فِي لُغَاتِهِمْ وَأَدَابِهِمْ وَنُسُكِهِمْ وَقَرَابِيِّهِمْ. فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ جَلَّ تَنَازُهُ بِالْإِسْلَامِ حَالَتْ أَحْوَالٌ، وَنُسِخَتْ دِيَانَاتٌ، وَأَبْطُلَتْ أُمُورٌ، وَنُقِلَتْ مِنَ اللُّغَةِ أَلْفَاظٌ مِنْ مَوَاضِعَ إِلَى مَوَاضِعَ أُخَرَ بِزِيَادَاتٍ زِيدَتْ، وَشَرَائِعُ شُرِعَتْ، وَشَرَائِطُ شُرِطَتْ»<sup>2</sup>، ويبيّن من خلاله انتقال معاني ما أطلق عليه فيما بعد وسم "الألفاظ الإسلامية"، وأعطى أمثلة على ذلك في قوله: «فَكَانَ مِمَّا جَاءَ فِي الْإِسْلَامِ ذِكْرُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ. وَأَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا عَرَفَتِ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْأَمَانِ وَالْإِيمَانِ وَهُوَ التَّصَدِيقُ. ثُمَّ زَادَتِ الشَّرِيعَةُ شَرَائِطَ وَأَوْصَافًا بِهَا سُمِّيَ الْمُؤْمِنُ بِالْإِطْلَاقِ مُؤْمِنًا. وَكَذَلِكَ الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُ، إِنَّمَا عَرَفَتْ مِنْهُ إِسْلَامَ الشَّيْءِ ثُمَّ جَاءَ فِي الشَّرْعِ مِنْ أَوْصَافِهِ مَا جَاءَ. وَكَذَلِكَ كَانَتْ لَا تَعْرِفُ مِنَ الْكُفْرِ إِلَّا الْغَطَاءَ وَالسُّتْرَ. فَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَاسْمٌ جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ لِقَوْمٍ

1- Michel Bréal: Essai De Sémantique, p221/222.

2- أحمد بن فارس: كتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص44.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

أَبْطَنُوا غَيْرَ مَا أَظْهَرُوهُ، وَكَانَ الْأَصْلُ مِنَ نَافِقَاءِ الْيَرْبُوعِ. وَلَمْ يَعْرِفُوا فِي الْفِسْقِ إِلَّا قَوْلَهُمْ: «فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ» إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قَشْرِهَا، وَجَاءَ الشَّرْعُ بِأَنَّ الْفِسْقَ الْإِفْحَاشُ فِي الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ»<sup>1</sup>، وفي كل الأمثلة التي ذكرها ابن فارس تم توضيح المجال الدلالي للكلمة، ولفرط ما تكرر استعمالها في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وكذا في النصوص الفقهية والمتون وغيرها، تتوسيت معانيها العامة واستقرت بدلا عنها المعاني الاصطلاحية المستحدثة في الاستعمال اليومي.

وقد سجلت مدونة البحث ثلة من الألفاظ المندرجة تحت وصف الألفاظ الإسلامية، والتي كان لها معنى عام أوسع، وقد سبق وأن ذكرنا بعض الشواهد حين عَرَضْنَا لِلْأَسْبَابِ الاجتماعية وراء التطور الدلالي، وفيما يلي بيان للبقية نورده في الجدول أدناه:

المعنى الأصلي/الخاص	الشاهد على وقوع التخصيص بسبب الاصطلاح من المدونة
الْحَجُّ: الْقَصْدُ/ قَصْدُ مَكَّةَ لِلنَّسْكِ	«ح ج ج»: «(الْحَجُّ) فِي الْأَصْلِ الْقَصْدُ وَفِي الْعُرْفِ قَصْدُ مَكَّةَ لِلنَّسْكِ» <sup>2</sup>
الإمام: الهادي/ من يتقدم المصلين	«أ م م»: «(أَمُّ) الْقَوْمِ فِي الصَّلَاةِ يَوْمٌ مِثْلُ رَدِّ يَرْدُ (إِمَامَةً) وَ (أَتَمَّ) بِهِ أَقْتَدَى. وَ (الإِمَامُ) الصُّنْعُ مِنَ الْأَرْضِ وَالطَّرِيقُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: 79] وَ (الإِمَامُ) الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ وَجَمَعُهُ (أَيْمَةٌ)» <sup>3</sup>
الكافر: اللئيلُ الْمُظْلِمُ/ الجاحد	«ك ف ر»: «(الْكَافِرُ) اللَّيْلُ الْمُظْلِمُ لِأَنَّهُ سَتَرَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ شَيْءٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ غَطَّى شَيْئًا فَقَدْ (كَفَرَهُ). قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: وَمِنْهُ سُمِّيَ (الْكَافِرُ) لِأَنَّهُ يَسْتُرُ نَعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» <sup>4</sup>
الرُّكُوعُ: الْإِنْحِنَاءُ/ فعل من أفعال الصلاة	«ر ك ع»: «(الرُّكُوعُ) الْإِنْحِنَاءُ وَبَابُهُ خَضَعَ وَمِنْهُ رُكُوعُ الصَّلَاةِ. وَ (رَكَعَ) الشَّيْخُ انْحَنَى مِنَ الْكِبَرِ» <sup>1</sup>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص45.

2- المرجع نفسه: ص66.

3- المرجع نفسه: ص22.

4- المرجع نفسه: ص271.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

<p>«ي م م»: «(تَيْمَمٌ) الصَّعِيدَ لِلصَّلَاةِ وَأَصْلُهُ التَّعَمُّدُ وَالتَّوْحِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ تَيْمَمَهُ وَتَأَمَّمَهُ. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: قَوْلُهُ - تَعَالَى: ﴿فَتَيْمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:43] أَي أَقْصِدُوا لِصَعِيدٍ طَيِّبٍ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ حَتَّى صَارَ (التَّيْمُمُ) مَسْحَ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ بِالتُّرَابِ»<sup>2</sup></p>	<p>التَّيْمُمُ: التَّعَمُّدُ/ مَسْحَ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ بِالتُّرَابِ.</p>
<p>«ف ر ض»: «(الْفَرَضُ) الْحَزُّ فِي الشَّيْءِ. وَالْفَرَضُ أَيضًا مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ لَهُ مَعَالِمَ وَحُدُودًا»<sup>3</sup></p>	<p>الْفَرَضُ: الْحَزُّ فِي الشَّيْءِ/ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى</p>
<p>«ب ر ز خ»: «(الْبَرَزُخُ) الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَهُوَ أَيضًا مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ وَقْتِ الْمَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ، فَمَنْ مَاتَ فَقَدْ دَخَلَ الْبَرَزُخَ»<sup>4</sup></p>	<p>الْبَرَزُخُ: الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ/ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ</p>
<p>«ح ر ب»: «(الْمِحْرَابُ) صَدْرُ الْمَجْلِسِ وَمِنْهُ مِحْرَابُ الْمَسْجِدِ. وَ (الْمِحْرَابُ) أَيضًا الْغُرْفَةُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ [مريم:11] قِيلَ مِنَ الْمَسْجِدِ»<sup>5</sup></p>	<p>الْمِحْرَابُ: صَدْرُ الْمَجْلِسِ/ مِقَامُ الْإِمَامِ</p>
<p>«ن ف ل»: «(النَّفْلُ) وَ (النَّافِلَةُ) عَطِيَّةُ التَّطَوُّعِ وَمِنْهُ (نَافِلَةٌ) الصَّلَاةِ. وَ (النَّافِلَةُ) أَيضًا وَلَدُ الْوَالِدِ. وَ (النَّفْلُ) بِفَتْحَتَيْنِ الْغَنِيمَةُ وَالْجَمْعُ (الْأَنْفَالُ)»<sup>6</sup></p>	<p>النَّافِلَةُ: عَطِيَّةُ التَّطَوُّعِ/ الْعِبَادَةُ الْمَتَطَوُّعُ بِهَا</p>
<p>«ع ك ف»: «(عَكَفَهُ) حَبَسَهُ وَوَقَفَهُ وَبَابُهُ ضَرَبَ وَتَصَرَّ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾ [الفتح:25]. وَمِنْهُ (الْإِعْتِكَافُ) فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ الْإِحْتِيَاسُ»<sup>7</sup></p>	<p>الْإِعْتِكَافُ: الْإِحْتِيَاسُ/ مَلَازِمَةُ الْمَسْجِدِ لِلْعِبَادَةِ.</p>

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص128.

2- المرجع نفسه: ص349.

3- المرجع نفسه: ص237.

4- المرجع نفسه: ص32.

5- المرجع نفسه: ص69.

6- المرجع نفسه: ص317.

7- المرجع نفسه: ص216.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الإيمانُ:	«أ م ن»: «(الإيمانُ) التَّصْدِيقُ وَاللَّهُ تَعَالَى (المُؤْمِنُ) لِأَنَّهُ (أَمَنَ) عِبَادَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ» <sup>1</sup>
التَّصْدِيقُ/التصديق الجازم	بالله وبما جاء به رسوله

يتبين لنا مما سبق بأنّ تخصيص المعنى يمثل آلية أساسية في تطور دلالات الألفاظ؛ حيث تنتقل الكلمة من اتساعها الأول إلى دائرة أضيق، وقد يأتي هذا التحول على نحو عفوي استجابةً لمؤثرات اجتماعية وثقافية مختلفة، كما قد يكون شبه مقصود حين تكتسب الألفاظ معنى اصطلاحياً يحدد مجالها بدقة، فيجمع التخصيص بين عفوية الاستعمال العام وقصدية الاستعمال الخاص.

### 3.1.3. انتقال المعنى:

القسم الأخير من أقسام التطور الدلالي وذلك استناداً إلى التقسيم المنطقي هو انتقال المعنى، وهو حقل يضم أنماطاً متعددة تتضافر في إحداثها أسباب لغوية ونفسية واجتماعية، ويتصدرُ المجاز اللغوي والاستعارة هذا الحقل.

#### 1.3.1.1. الانتقال بطريق المجاز:

يعد المجاز بعلاقاته المختلفة مجالاً رحباً للتطور الدلالي، وليس الغرض في هذا المقام تناول المجاز من منظور بلاغي، ولكن الهدف هو إبراز دوره في تحديث المعاني وتمكين مستعمل اللغة من التعبير عن مقاصده بأقل كلفة لفظية، وتنويع طرق التعبير وتوسيعها في مقابل محدودية الثروة اللغوية، وقد أدرك العرب دور المجاز في توليد المعاني وعنوا به عناية بالغة وألّفوا فيه، وبينوا أثره على اللغة العربية، ومن أشهر ما ألف فيه معجم أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، القائم على فكرة المعنى الحقيقي والمجازي، وفي مقابل ذلك أنكرت فئة من العلماء وقوع المجاز كما وضعت حدوده البلاغة الكلاسيكية واعتدوا بالاستعمال العربي\*، وعدوا ما سمي مجازاً طريقة في الاستعمال انتهجتها العرب.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 22.

\* يأتي على رأس هؤلاء أبو إسحاق الإسفراييني (ت 418هـ) وأحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت 728هـ) وتلميذه ابن القيم الجوزية (ت 751هـ).

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

والقصد هنا هو بيان هذه الطريقة التي وظف بها العقل العربي المجاز من خلال عرض بعض الأمثلة من مختار الصحاح؛ ذلك أن تناول المجاز كمبحث ضمن مباحث البلاغة العربية لا يمدنا بالمعلومات التي تبرر سلوك المعاني هذا المسلك، وإنما هو تقسيم آلي غرضه التصنيف لا التفسير والتحليل.

المجاز لغة هو العبور والانتقال من جهة إلى جهة، جاء في الصحاح: «جُزْتُ الموضوع أجورُهُ جَوَازًا: سلكته وسرت فيه [...] وجَاوَزْتُ الشيءَ إلى غيره وتَجَاوَزْتُهُ [...]» وقولهم: جعل فلانٌ ذلك مَجَازًا إلى حاجته، أي طريقًا ومسلكًا<sup>1</sup>، أما في الاصطلاح فهو «الْفُظُّ الْمُتَوَاضِعُ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ، أَوْ الْمُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ أَوَّلًا، فِي الْإِصْطِلَاحِ الَّذِي بِهِ الْمُخَاطَبَةُ؛ لِمَا بَيَّنَّهُمَا مِنَ التَّعَلُّقِ»<sup>2</sup>، ويبين حد المجاز الأنف بأنه انتقال الاستعمال من معنى أول إلى آخر لعلاقة بينهما، وقد تُرجمت هذه الرابطة في البلاغة العربية بعلاقات المجاز المرسل، كالسببية والحالية والمكانية والجزئية وغيرها.

يُمثل لتطور المعنى بالانتقال عن طريق علاقات المجاز بمدخل "الأذن" من مادة «أذ ن»: «(الأذُن) يُخَفَّفُ وَيُنْقَلُ وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ وَتَصْغِيرُهَا (أُذْيَنَةٌ) وَرَجُلٌ (أُذْنٌ) إِذَا كَانَ يَسْمَعُ مَقَالَ كُلِّ أَحَدٍ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ»<sup>3</sup>، سمّت العرب الرجل الذي يتحرى سماع كل خبر، ولا يبالي بصحته أذنا مجازا بطريق الجزئية، حيث أطلق عليه جزء الجسم وهو الأذن وأريد به الكل وهو الرجل، فكأنه في حرصه على سماع كل خبر، دقيقه وعظيمه، صحيحه وكاذبه، كأنه استحال أذنا، لما في هذا العضو من قدرة على سماع كل صوت بقصد أو بغير قصد، وهي أول الجوارح استقبالا للأخبار، واللطفية هنا أنه تم إطلاق وصف الأذن على الرجل، ولم يُأت على ذكر المرأة التي تسمع مقال كل أحد، يعود هذا على الأرجح إلى أن هذه الصفة مجبول عليها النساء دوناً عن الرجال، فلو اتصفت المرأة بأنها كثيرة السماع للأخبار حريصة على نقلها، لما عدّ ذلك نقيصة بقدر ما هو مثلبة للرجل الذي يُرجى منه أن يترفع عن مثل هذا، وقد استوى في الصفة الواحد والجمع، فيقال "رجل أذن" و"رجال أذن"، إذ

1- إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية (باب الزاي، فصل الجيم)، ج3، ص871/870.

2- علي بن محمد الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج01، ص48.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص16.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الوصف لا لما يُسمع وإن تعدد بل لمن يسمع، حيث إنه لم يلتفت إلى المسموع ولا إلى عدد السامعين وإنما توافر صفة الإنصات تلتصق بالمتصف بها صفة الأذن.

ويتجلى أثر المجاز في تطور المعاني في مدخل "العَبْقَر" من مادة: «ع ب ق ر»: «(العَبْقَرُ) بِوَزْنِ العَنْبَرِ مَوْضِعٌ تَزْعُمُ العَرَبُ أَنَّهُ مِنْ أَرْضِ الجِنِّ ثُمَّ نَسَبُوا إِلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ تَعَجَّبُوا مِنْ حَذْقِهِ أَوْ جَوْدَةِ صَنَعَتِهِ وَقُوَّتِهِ. فَقَالُوا: (عَبْقَرِيٌّ) [...] يُقَالُ: ثِيَابٌ عَبْقَرِيَّةٌ وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ كَانَ يَسْجُدُ عَلَى عَبْقَرِيٍّ» وَهُوَ هَذِهِ البُسْطُ الَّتِي فِيهَا الْأَصْبَاغُ وَالنُقُوشُ. حَتَّى قَالُوا: ظَلَمَ (عَبْقَرِيٌّ)»<sup>1</sup>، حيث انتقل اللفظ من دلالاته الأصلية المكانية، وهي اسم لموضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، إلى دلالة جديدة، تستعمل لوصف كل ما يُتَعَجَّب من إحكامه وجودة صنعه، ثم اتسع الاستعمال ليشمل المفروشات الفاخرة ذات النقوش، وكل ما بلغ الغاية في الإتقان، وجاوز الطور كما في قولهم: "ظلم عبقرى".

هذا التحول تحقق عبر مسار دلالي متدرج:

-الدلالة الأصلية: "عبقر" اسم مكان أسطوري منسوب إلى عالم الجن.

-الانتقال المجازي الأول: إطلاق النسبة "عبقرى" على كل ما يُظن أنه من صنع

الجن، أي بالغ الإتقان، لعلاقة السببية بين الموضع (الجن) والمصنوع العجيب المنسوب إليهم.

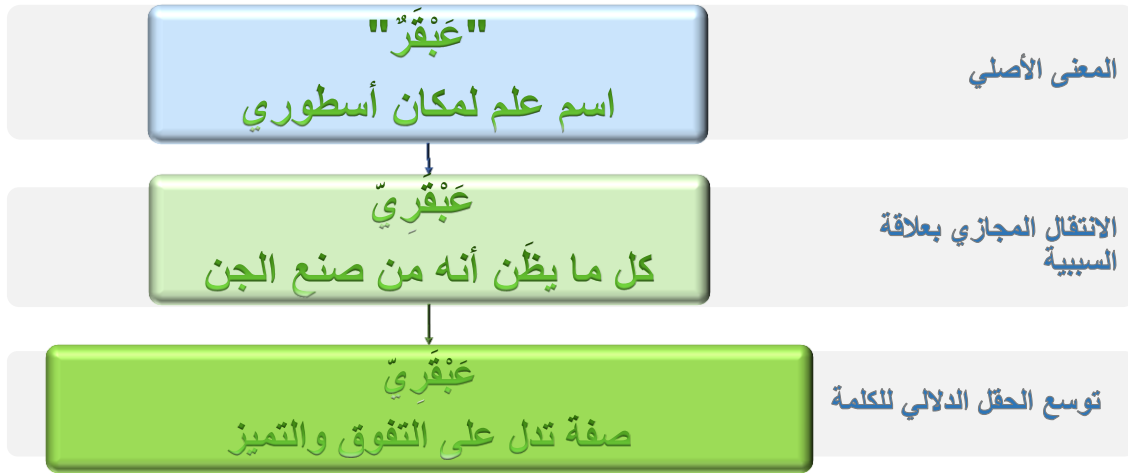
-الاتساع الدلالي: بانتقال اللفظ من الدلالة على الصنع العجيب إلى كل ما هو فائق

الجودة أو الحسن، مادياً كان أو معنوياً.

وبتلخص هذا المسار في المخطط الآتي:

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 199.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح



### الشكل 40: تطور معنى "عَبَقْرٌ" بالانتقال بطريق المجاز

إن الهدف في هذا المقام هو بيان إسهام المجاز بوصفه آلية من آليات التطور الدلالي عن طريق انتقال المعنى، وليس استغراق كل علاقات المجاز المرسل في اللغة العربية بالأمثلة والشواهد من المدونة؛ إذ يتدخل في مسارات التطور بطريق المجاز عوامل سبق ذكرها، ويتخذ العامل الاجتماعي أحد أبرز تلك العوامل في تحديد مسار التطور، بحيث تشكل الحياة الاجتماعية وما تقتضيه من أنماط عيش وعلاقات إنتاج ورموز ثقافية، الإطار العام للتطور المعنوي، ويتجلى ذلك بوضوح في مدخل "الدَّرُّ" من مادة «د ر ر» في مختار الصحاح: «(الدَّرُّ) اللَّبْنُ يُقَالُ فِي الذَّمِّ: لَا دَرَّ دَرُهُ أَي لَا كَثُرَ خَيْرُهُ. وَيُقَالُ فِي الْمَدْحِ: لِلَّهِ تَعَالَى دَرُهُ أَي عَمَلُهُ وَلِلَّهِ دَرُهُ مِنْ رَجُلٍ»<sup>1</sup>، إن المعنى الأصلي للدَّرُّ هو اللبن، وهو مادة أساسية في حياة العرب اليومية، يرتبط بالماشية التي تشكل عماد الثروة ومصدر العيش، ونشأ عن هذا انتقال من المعنى الحسي -اللبن- إلى معنى مجرد اجتماعي هو الغنى وكثرة الخير، فارتبط وُفُورُ اللبن بُوُفُورِ المال والعيش الرغيد، ومع شيوع هذا الارتباط في المخيال الجمعي، تحوّل اللفظ إلى رمز ثقافي يحمل دلالة المديح أو الذم بحسب السياق.

ويكشف هذا المثال وغيره عن أثر النظم الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل الاستعارات والمجازات؛ لأن اللبن كان في وعي الجماعة اللغوية مقياساً للثراء ومؤشراً على

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص103.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الرفاه، والتطور الدلالي لا ينفصل عن البيئة الاجتماعية، فهو يتغذى منها ويعكس بنيتها، فيحوّل الملموس المعيشي إلى رمز لغوي يُستعمل في التعبير عن القيم والمعاني المجردة.

### 2.3.1.1. الانتقال بطريق الاستعارة:

الاستعارة هي قسيمة المجاز في تطور المعنى بالانتقال من مجال إلى آخر، وتقوم الاستعارة على علاقة المشابهة الضمنية أو الصريحة بين مرجعين، أحدهما أصل والثاني فرع، وذلك لاشتراكهما في المحتوى الذهني، وتناول مبحث الاستعارة بوصفها آلية من آليات التطور الدلالي من منظور بلاغي صرف، لا يكشف عن الدوافع الكامنة وراء نشوء هذا النمط من أنماط تحول المعنى، ولذا فإنه سيتم عرض وتحليل الأمثلة المختارة بخلاف ما درج عليه الأمر في المباحث البلاغية.

### 1.2.3.1.1. تعريف الاستعارة:

الاستعارة في أصلها اللغوي مأخوذة العارية، وهي المنيحة التي تعطى للغير، جاء في لسان العرب: «والعاريَةُ المَنِيحَةُ [...] والاستِعَارَةُ مِنَ العَارِيَةِ»<sup>1</sup>. أما في الاصطلاح فهي «تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ غَيْرِهِ إِذَا قَامَ مَقَامَهُ»<sup>2</sup>، بحيث يراد من الكلام معنى آخر غير المعنى الأصلي، نتيجة نقلٍ دلاليٍّ يُعيد بناء العلاقة بين الدالِّ والمدلول.

وتعتمد اللغات كثيرًا على آلية الاستعارة لتوسيع طاقتها الدلالية عبر توليد تعبيرات مبتكرة تكثف المعاني، وذلك بإنشاء روابط جديدة بين مراجع لم يكن بينها ارتباط سابق، ويخضع هذا النقل الدلالي لجملة من العوامل المختلفة؛ إذ يتأثر بتراكم الخبرات، والعادات، والأعراف، كما ينتج عن عمليات معرفية وسوسيلغوية معقدة يتم فيها «انتقاء الأشكال اللغوية الجديدة من خلال آليات مثل التكيف (accommodation) والهوية (identity) والوجاهة الاجتماعية أو المكانة (prestige)»<sup>3</sup>، وقد تتضافر هاته العوامل لتشكيل المعنى الجديد، كما هو الحال في المثال الآتي:

1- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب (فصل العين)، ج04، ص625.

2- عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ج01، ص153.

3- Vyvyan Evans And Melanie Green :Cognitive Linguistics An Introduction, Edinburgh University Press, Ltd 22 George Square, Edinburgh, 2006, p132/133.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

جاء في مادة «ب ص ص»: «(بَصَبَصَ) الْكَلْبُ وَ(تَبَصَبَصَ) أَي حَرَكَ ذَنْبَهُ وَ(التَّبَصَّبُصُ) التَّمَلُّقُ»<sup>1</sup>، يُمَثِّلُ التطور الدلالي للفعل "تَبَصَّبَصَ" مثال النظرية "انتقاء التلقظ" كونها «نظرية استعمالية في تفسير التغير اللغوي، لأنها ترى اللغة بوصفها نظام استعمال تحكمه الأعراف»<sup>2</sup>، فالمعنى الأصلي للفعل يحيل إلى تحريك الكلب لذيله طلباً للودّ، وهي حركة تترك انطباعاً في الذهن يرتبط بملايسات الحدث، غير أنّ الأعراف الدلالية التي تنظم هذا الاستعمال تُكسرت تدريجياً، وتظهر أشكال جديدة نتيجة لهذا الانحراف، لتنتقل الدلالة من مجال حيواني إلى مجال بشري، يصف المبالغة في التقرب والتملق من خلال الابتسامة المصطنعة، والانحناءات، وحركات اليد والرأس، وكلها سلوكيات تشترك مع الأصل في البنية الإدراكية القائمة على طلب المصلحة، ويُفسر انتشار هذا المعنى الجديد بما تذكره النظرية من أنّ الانتقاء قد يكون ناتجاً عن آليات غير مقصودة ترتبط بالإدراك، كما يسهم فيه انتشار اجتماعي واسع مرتبط بعمليات التكيف والهوية والوجاهة، وينتقل على إثر ذلك الاستعمال الاستعاري العابر إلى تحوّل دلالي راسخ يكشف آليات عمل النظام اللغوي وفاعلية الاستعمال في تشكيل المعنى عبر الزمن.

ويرسم المخطط الآتي مسار تطور معنى "بَصَبَصَ" من الدلالة على تحريك الكلب لذيله يمناً ويسرة وهو يطلب حاجة من صاحبه، إلى الدلالة على فعل تملق الإنسان وامتهانه لنفسه في سبيل بلوغ مأربه من صاحب جاه أو سلطان، ويتبع مسار التطور في هذا المدخل انتقال المعنى عن طريق الاستعارة القائمة على انتقاء الشكل اللغوي الجديد بإعادة بناء هوية الشخص المتملق وربطه بالكلب، ويخضع هذا التعريف الجديد للأعراف المجتمعية والاستعمالات.

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص35.

2- Vyvyan Evans And Melanie Green: Cognitive Linguistics An Introduction, p132/133.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح



### الشكل 41: تطور معنى "بَصَبَصَ"

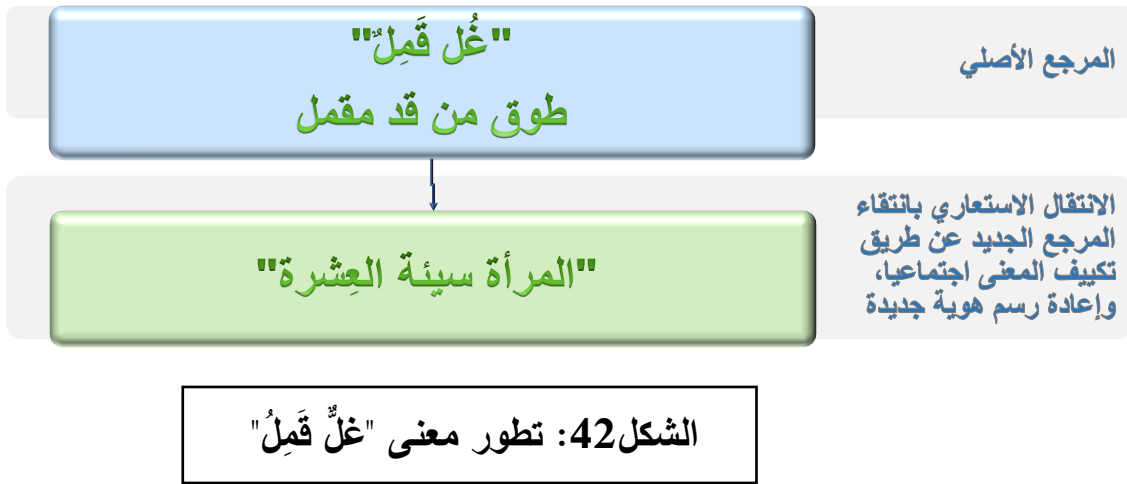
وفي ضوء مبادئ نظرية انتقاء التلفظ، يُفسر تطور المعنى في الشاهد من مادة < غ ل > لـ: «(الْغُلُّ) بِالضَّمِّ وَاحِدٌ (الْأَغْلَالِ) يُقَالُ: فِي رَقَبَتِهِ (غُلٌّ) مِنْ حَدِيدٍ. وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَرْأَةِ السَّيِّئَةِ الْخُلُقِ: غُلٌّ قَمَلٌ. وَأَصْلُهُ أَنَّ الْغُلَّ كَانَ يَكُونُ مِنْ قِدِّ وَعَلَيْهِ شَعْرٌ فَيَقْمَلُ»<sup>1</sup>، يُمثّل الانتقال الدلالي في مثال "غُلٌّ قَمَلٌ" نموذجاً لتكييف المعنى من جهة، وآلية الهوية والمثابفة الرمزية من جهة أخرى، فأصل الغُلِّ قيد يُطَوَّق العنق، وكان يُصنع قديماً من قِدِّ مُشعر فيورث القمل إذا طال بقاؤه في رقبة صاحبه، ثم استُعيرت هذه الصورة الحسية للدلالة على المرأة سيئة الخلق.

ويكشف الربط بين الداليتين عن مسار ذهني اجتماعي تتكيف فيه اللغة مع التجربة الإنسانية؛ فيتم بناء علاقات بين مراجع مختلفة تبعا للوظيفة المشتركة؛ فالغُلُّ ربقٌ يخنق صاحبه ويقنّده، والزوجة السيئة تُصبح في الوعي الجمع يقيدا معنوياً يورث الضيق والاشمئزاز، هذا النقل الدلالي يخضع لآلية التكييف الاجتماعي التي تدفع المتكلمين إلى اختيار تعبير شديد الإيحاء يجسد شعور النفور والانزعاج، كما تعمل آلية الهوية الرمزية على تعزيز هذا التحويل؛ فربط المرأة السيئة بالغُلِّ القمّل يعكس رغبة المتكلم في بناء صورة هوية سلبية مكثفة، تُظهر العلاقة بين المعنى الأصلي (التطويق والتقدّر) والمعنى الجديد

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص229.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

(سوء المعاشرة)، وفي نصّ الرازي إشارتان صريحتان إلى هذا التطور الدلالي؛ استعماله "ومنه" لبيان الاشتقاق الدلالي، و"أصله" لتحديد المرجع الأول الذي بُني عليه النقل، وهما علامتان تدلان على وعي لغوي يُقرّ بأنّ الاستعمال الجديد يعد ثمرة عملية عقلية اجتماعية تربط التجارب السلبية ببعضها، وتبتكر صورًا جديدة للتعبير عن مشاعر الضيق والنفور. ويوضح المخطط أدناه الانتقال الدلالي بطريقة الاستعارة القائمة على انتقاء الشكل اللغوي الجديد بتكييفه مع النظم الاجتماعية وإعادة بناء هوية جديدة للمرأة سيئة العشرة بما يناسب الصورة الذهنية التي رسمت لها من قبل المجتمع.



يتخذ التطور الدلالي بحسب التقسيم المنطقي البلاغي، في مختار الصحاح أشكالاً ثلاثة تتجلى أساساً في التوسيع، والتضييق، ونقل المعنى عبر المجازات والاستعارات؛ فأما توسيع المعنى فيتحقق بأشكال متنوّعة؛ منها تجاوز الجزئيات الدقيقة الفاصلة بين المعاني المتقاربة، وكذلك تعدّد المراجع للمعنى الواحد، ويأتي التوسيع أيضاً عبر الانتقال من الحسيّ إلى المجرد، وتمثّل العبارات المسكوكة والأمثال التي تنشأ في سياق حادثة فردية مخصوصة، ثم تعمّ دلالتها لتُستعمل في كلّ موقف مماثل هذا النوع أصدق تمثيل. أما تضييق المعنى، وهو انتقال الدلالة من العموم إلى الخصوص، فقد يكون تضييقاً عفويّاً ناتجاً عن الاستعمال، أو تضييقاً مقصوداً كما في المصطلحات العلمية والشرعية التي تُحمّل الألفاظ فيها دلالات محدّدة ودقيقة. وأما الشكل الثالث من أشكال التطور الدلالي فيتمثّل في انتقال المعنى بطريق المجازات والاستعارات، حيث تتحول الألفاظ عن مجالاتها الأصلية إلى مجالات جديدة، تحت تأثير الخبرة الإنسانية والتجربة الشعورية والاجتماعية.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

### 2.3. أنماط تطور المعنى بحسب تقسيم غوستاف ستيرن:

يُعدّ تصنيف غوستاف ستيرن من أبرز التصنيفات التجريبية في دراسة التطور الدلالي، وقد ارتضاه ثلة من العلماء وعلى رأسهم بيير جيرو وستيفن أولمن، الذي رأى بأنه تصنيف علمي مكتمل البنية، يبنّي على استقراء كمّ واسع من الشواهد، ويتميّز بالترتيب الهرمي والفصل الصارم بين الاعتبارات النفسية والمنطقية، وكذلك بوصفه نظاماً يتجاوز كونه أنماطاً إحصائيةً محضة بفضل اعتماده على الاعتبارات السببية وربطها بتحليلاته للعلاقات الدلالية<sup>1</sup>، ويتميز تصنيف غوستاف ستيرن بالرصانة التجريبية والعمق النظري، ولا أدل على ذلك من إيراد علماء الدلالة له ضمن مؤلفاتهم على الرغم من اجتراحهم تصنيفات خاصة بهم، وقد لخص غوستاف ستيرن أشكال التطور الدلالي في:

### 1.2.3. الإحلال (substitution):

جاء في تعريف غوستاف ستيرن للإحلال بأنه «تغيّر دلالي ناتج عن أسباب خارجية غير لغوية» [...] تقع بالكامل خارج نطاق اللغة ونشاط الكلام، وتكتفي اللغة بتسجيل هذا التغيّر<sup>2</sup>؛ وهو نمط من التطور الدلالي يرتبط بعوامل ثقافية أو اجتماعية أو تقنية، تتجاوز حدود النشاط اللغوي المباشر، ويمكن التمثيل له بالشاهد الوارد في مختار الصحاح في مادة «(ي م م)»: «(وَالْيَمَامَةُ) اسْمُ جَارِيَةٍ رَزَقَاءَ كَانَتْ تُبْصِرُ الرَّكَّابَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. يُقَالُ: أَبْصَرَ مِنْ رَزَقَاءِ الْيَمَامَةِ. وَالْيَمَامَةُ أَيْضًا بِلَادٌ وَكَانَ اسْمُهَا الْجَوْ فَسُمِّيَتْ بِاسْمِ هَذِهِ الْجَارِيَةِ لِكَثْرَةِ مَا أُضِيفَ إِلَيْهَا، وَقِيلَ: جَوْ الْيَمَامَةِ»<sup>3</sup>، نلاحظ في المثال انتقال الكلمة من الدلالة على اسم علم لامرأة مشهورة بحدّة بصرها، إلى دلالة جديدة تشير إلى موضع جغرافي، غير أن هذا النقل لا يستند إلى علاقة مشابهة أو مجاز لغوي، ولا إلى قصد تعبيريّ من المتكلم، بل هو نتيجة تكرار الاستعمال الاجتماعي والثقافي الذي ربط الموضع باسم الشخصية، حتى غلب هذا الارتباط في التداول فصار الاسم علمًا على المكان ذاته.

إنّ ما حدث هنا هو تحوّل ناجم عن تواضع جمعيّ واستعمالٍ متراكم، لا عن آلية لغوية داخلية؛ ومنه يُعدّ هذا النموذج تمثيلًا دقيقًا للإحلال كما حدّده غوستاف ستيرن، إذ

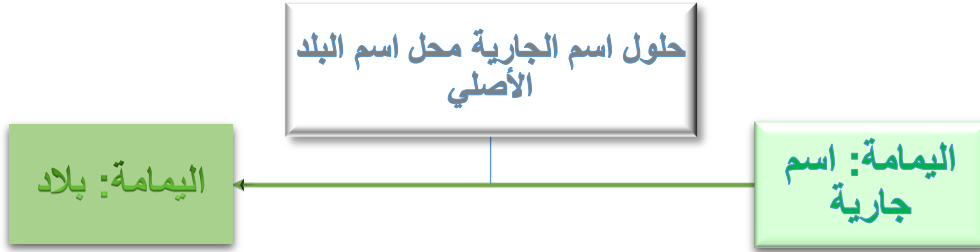
1- Stephen Ullmann: The Principles Of Semantics, p246.

2- Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, p166.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص349.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

تسجل اللغة التحول ولا تنشئه، مكتفيةً بعكس أثر التغيير الثقافي والاجتماعي في بنيتها الدلالية.



الشكل 43: تطور معنى "اليمامة" بالإحلال

### 2.2.3. الاختصار بالحذف (Shortening):

حين تأمل مسارات تغيير الألفاظ عبر الاستعمال، يُلاحظ أن بعض الكلمات قد شهدت أنماطاً فريدة من التغيير الذي لم يكن بالتضييق ولا التوسيع أو الانتقال فحسب، وإنما أشربت تعبيراً مركباً كان يضمها، لتتحمل بمفردها الدلالة التي كانت موزعة على عدة عناصر لغوية، هذا النمط من التحول الدلالي وصفه غوستاف ستيرن بدقة حين قال: «إذا حُذفت كلمة ما - لسبب ما - من عبارة مركبة مع بقاء معناها، فإن الكلمات أو الكلمة الباقية تصبح مضطرة لحمل المعنى الكامل الذي كان في السابق يخص العبارة كلها، وإذا أصبح هذا الحذف أمراً معتاداً، فقد ينشأ عن ذلك تغيير معنى الكلمة أو الكلمات الباقية»<sup>1</sup>، ومن هنا يتجلى ما سماه "الاختصار بالحذف"، وهو آلية يُعاد فيها توزيع المعنى نتيجة الاستعمال المتكرر الذي يستغني عن بعض عناصر التركيب، ويبقى على أخرى.

يُمثل لهذا النمط بما ورد ضمن مدونة العمل في مادة «خ ر ف»: «و(خُرَافَةُ) اسْمُ رَجُلٍ مِنْ عُدْرَةَ اسْتَهْوَتْهُ الْجِنُّ فَكَانَ يُحَدِّثُ بِمَا رَأَى فَكَذَّبُوهُ وَقَالُوا: حَدِيثُ خُرَافَةٍ [...] وَ(الْخَرْفُ) بِفَتْحَتَيْنِ فَسَادُ الْعَقْلِ مِنَ الْكِبَرِ وَبَابُهُ طَرِبَ فَهُوَ (خَرْفٌ)»<sup>2</sup>، يُمثل هذا الشاهد تطبيقاً واضحاً لآلية الاختصار بالحذف كما صاغها غوستاف ستيرن، فخُرَافَةُ في أصلها اسْمٌ عَلَّمَ لرجل من قبيلة عُدْرَةَ كان يروي قصصاً نسبها إلى الجن، فاستُكرت رواياته وقيل في كل قول يُستبعد صدقه "حديث خرافة"، غير أن هذا التركيب لم يبق على حاله، إذ وقع فيه حذف لأحد

1- Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, p167.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص192.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

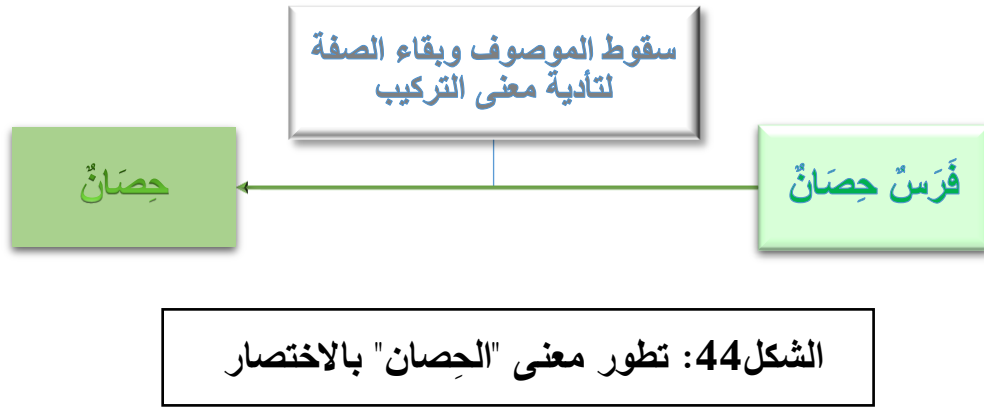
أجزائه وهو لفظ "حديث" وبقية "خرافة" وحدها لتنهض بحمل المعنى الذي كان يفيد التركيب كاملاً، وهو الكلام المتوهم والمجانب للحقيقة، ومع شيوع هذا الاستعمال وتكراره، تجاوزت الكلمة معناها الذي يشير إلى علم مخصوص، لتغدو دالة على كل ما يشبه الأساطير والقصص المتخيّلة وأحاديث السمر الليلية الموشاة بالمبالغة والتهويل.

ومن هذا السياق التداولي انفتح مسار ثانٍ للتطور، تجلّى في معنى "الخرف"؛ أي فساد العقل عند الكبر، إذ يبرز رابط دلالي بين فقدان التمييز في الحكايات الوهمية وضعف التمييز العقلي عند المسنّ، وبذلك يكون التطور قد سلك مسارين متميزين: أول مباشر يقوم على الاختصار بالحذف، وثانٍ ناتج عن أثر الاستعمال الثقافي والاجتماعي الذي هياّل لانتقال المعنى من الوهم التخيلي إلى اضطراب الملكة العقلية.

ومن أمثلة التطور الدلالي عن طريق الاختصار بالحذف إطلاق وصف "الحصان" على جنس من الدواب، حيث جاء في مختار الصحاح في مادة «ح ص ن»: «وَفَرَسٌ (حِصَانٌ) بِالْكَسْرِ بَيْنُ (التَّحْصِينِ) وَ(التَّحْصُنِ) وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ حِصَانًا لِأَنَّهُ ضَنَّ بِمَائِهِ فَلَمْ يُنْزَ إِلَّا عَلَى كَرِيمَةٍ ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى سَمَّوْا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْخَيْلِ حِصَانًا»<sup>1</sup>، يبين الشاهد أن التسمية الأولى كانت مركبة من لفظ "فرس" الذي يحدد الجنس، والصفة "حصان" التي تشير إلى خاصية التمتع إلا على كريمة، ومع كثرة الاستعمال وقع اختصار في البنية، فحذف الموصوف (فرس)، وصارت الصفة (حصان) منفردة تؤدي وظيفة الاسم وتدلّ على كل ذكر من الخيل، وقد نتج عن هذا الحذف انتقال الوصف من موقعه التبعي إلى موقع مستقل، بحيث غدا علامة على الجنس بعد أن كان مجرد قيد إضافي، ويختلف هذا المسار عن المثال السابق الذي تحوّل فيه اسم علم إلى دلالة نوعية؛ إذ إن التطور هنا جرى عبر انتقال الصفة العرضية إلى اسم قائم بذاته استوعب معنى التركيب وبذلك يكشف هذان الشاهدان وغيرهما عن أثر هذه الآلية وثرأ مخرجاتها الدلالية في ضوء الاستعمال الثقافي والاجتماعي وتلخيصاً لما تم ذكره، نورد المخطط أدناه والذي يوضح مسار نمط الاختصار بالحذف عند غوستاف ستيرن ممثلاً في شاهد "الحصان":

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص75.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح



### 3.2.3. التسمية (Nomination):

التسمية هي أحد أنماط التطور الدلالي المندرجة ضمن انتقال المعنى الذي يُعنى بتحويل الاسم من مجال دلالي إلى آخر وفق حاجات الخطاب أو مقتضيات السياق الثقافي، وقد عرفها غوستاف ستيرن بأنها «عمليات نقل يتحول فيها الاسم عمداً من مُسمّى إلى آخر»<sup>1</sup>. تقوم التسمية على نقل الاسم من مدلوله الأصلي إلى مدلول جديد عن قصد وإرادة، استجابةً لحاجة المتكلم إلى توسيع أدواته التعبيرية أو إضفاء دلالة مخصوصة على خطابه، ويُعد هذا النقل عملاً واعياً في الغالب؛ إذ يسعى المتكلم إلى اختيار ألفاظ بعينها لإيصال فكرته أو التأثير في المتلقي، غير أن غوستاف ستيرن ينبه إلى أن الحدّ الفاصل بين النقل المقصود وغير المقصود يظل أحياناً غامضاً<sup>2</sup>، مما يضيف على التسمية طابعاً مركباً يجمع بين قصدية التوظيف ومرونة الاستعمال.

وتتضح القصدية في التسمية ضمن شواهد عديدة من المدونة، منها إطلاق "المَعْقِل" الذي يشير في أصل الوضع إلى الملجأ والملاذ الآمن على "الرجل"، حيث جاء في مختار الصحاح في مادة <ع ق ل>: «(المَعْقِل) المَلْجَأُ وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ»<sup>3</sup>، يظهر في هذا الاستعمال أن الدلالة انتقلت من معنى المكان الذي يُلجأ إليه ويُعتصم به -المعقل- إلى الإنسان الذي يُلجأ إليه طلباً للحماية أو النُصرة؛ وذلك استناداً إلى ما يمثله "الرجل" في المجتمع من قوامة ورعاية، وتعظيماً لدوره في غوث اللاجئين إليه ونصرته لهم، بالانتقال من الدلالة على المكان إلى الدلالة على الشخص المتصف بخصائص ذلك المكان؛ أي من

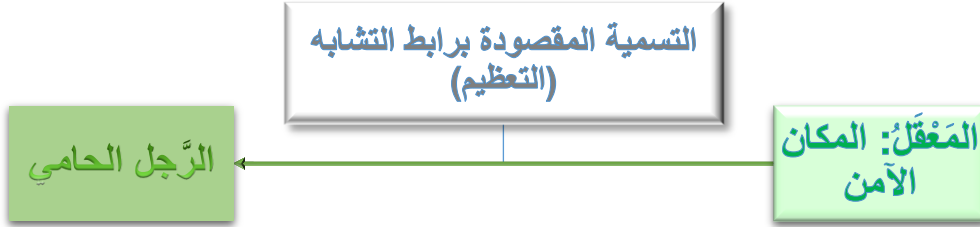
1- Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, p167/168.

2- Ibid: p167/168.

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص215.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

دلالة حسية خارجية إلى دلالة مجردة قيمية، تركز على علاقة المشابهة في الوظيفة، فالعملية هنا تمثل نقلاً دلاليًا مقصودًا يستثمر العلاقة الرمزية بين المرجع الأول والمرجع الجديد.



### الشكل 45: تطور معنى "المعقل" بالتسمية تعظيمًا

ونجد النمط نفسه في قول محمد بن أبي بكر الرازي في مادة «ك ل م»: «وَعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ (كَلِمَةً) اللَّهُ لِأَنَّهُ لَمَّا انْتَفَعَ بِهِ فِي الدِّينِ كَمَا انْتَفَعَ بِكَلَامِهِ سُمِّيَ بِهِ، كَمَا يُقَالُ: فَلَانٌ سَيْفٌ لِلَّهِ وَأَسَدٌ لِلَّهِ»<sup>1</sup>، حيث انتقل اللفظ من مدلوله الأصلي وهو الكلام إلى مدلول رمزي جديد يدل على شخص عيسى عليه السلام، بوصفه آيةً إلهيةً أُريد بها الهداية والانتفاع. وإن كنا لا نستطيع الجزم بوقوع القصد عند المتكلم حال إطلاق المعقل على الرجل في المثال السابق بغرض التعظيم - وإن كان يغلب عليه ذلك -، فإن توجيه المعاني إلى التحقير والازدراء تكون أوضح وأكثر دلالة على القصد والتعمد، مثال ذلك إطلاق اسم "العفر" على الرجل خبيث الطبع، قال زين الدين الرازي في مادة «ع ف ر»: «(العفر) بِالْكَسْرِ الْخُنْزِيرُ الذَّكْرُ. وَهُوَ أَيْضًا الرَّجُلُ الْخَبِيثُ الدَّاهِي»<sup>2</sup>، في هذا الشاهد يتبين نمط التسمية القائم على النقل المقصود، وذلك بانتقاء لفظ يرتبط بمعنى مقصود يرمي إلى التحقير والازدراء، فالعلاقة التي أتاحت هذا النقل لم تكن علاقة مجاورة أو تلازم واقعي، بل علاقة مشابهة في الصفات السلوكية والمعنوية، إذ يُستدعى في ذهن المتكلم ما يرمز إليه الحيوان من دنسٍ ومكرٍ ودهاءٍ وسوء طبع، فيتم إسقاط تلك السمات على الإنسان المقصود بالوصف، ومن ثم تتولد الدلالة

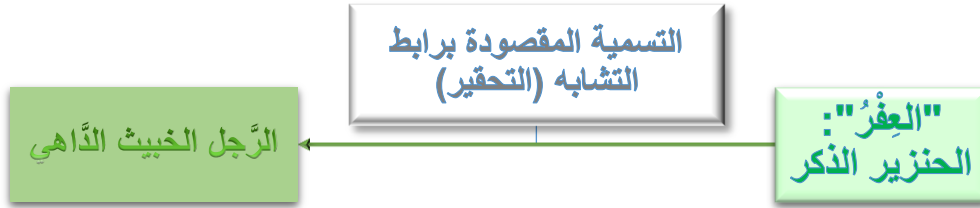
1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص272.

2- المرجع نفسه: ص212

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

الجديدة عبر عملية ترميزٍ واعيةٍ تستبدل المرجع الحيواني بالمرجع الإنساني، مع الاحتفاظ بالشحنة الشعورية السلبية ذاتها.

ويُظهر هذا المثال بوضوح ما أشار إليه غوستاف ستيرن من أن التسمية فعل لغوي مقصود يهدف إلى بناء أثرٍ دلاليٍّ أو نفسيٍّ معيّن في المتلقي؛ فالمتكلم هنا قد انتقى كلمة "العُفر" تحديداً لتكثيف المعنى عبر إحياءٍ ثقافيٍّ واجتماعيٍّ راسخ في الذاكرة اللغوية، يجعل الصورة أكثر تجسيداً وإيغالاً في التحقير، وهذا ما يبيّنه المخطط الآتي:



### الشكل 46: تطور معنى "العُفر" بالتسمية تحقيراً

تكشف الأمثلة السابقة -وغيرها مما لا يسعنا المقام لبسطها جميعاً- أن التسمية تمثل نمطاً واعياً من أنماط النقل الدلالي، تبعاً للحاجة إلى التعبير عن معنى جديد بصورة أعمق وأكثر كثافة، بحيث يبرز هذا النمط بوصفه أداة لخلق علاقات جديدة دون الانفصال عن الجذر الأصلي للمعنى، وتنعكس من خلاله قدرة اللغة على تنويع المجالات الدلالية استجابة لحاجات التعبير والتواصل في سياق اجتماعي وثقافي محدد.

### 4.2.3. النقل الاعتيادي (Regular Transfer):

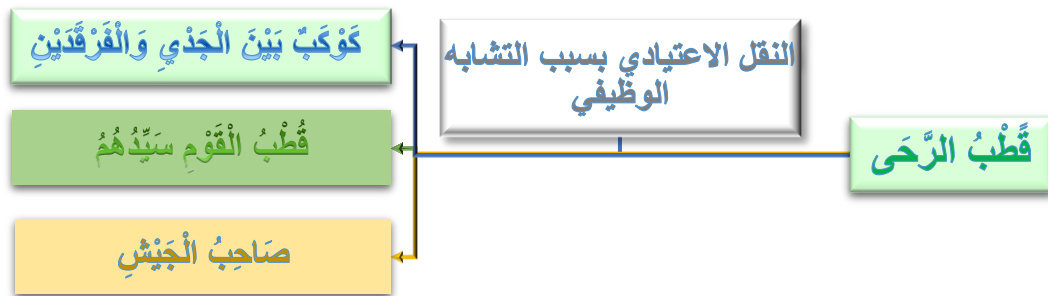
قدم غوستاف ستيرن النقل الاعتيادي بوصفه نمطاً يقوم على التلقائية المعززة بوجود تشابه شكلي أو وظيفي بين المرجع الأصلي والجديد، إذ يقول: «أدرج في هذا القسم عمليات النقل غير المقصودة، والتي تقوم على أساس وجود تشابه بين المرجع الأصلي (الأولي) للكلمة والمرجع الجديد (الثانوي)، وشرط هذا النقل هو إدراك المتكلم لهذا التشابه»<sup>1</sup>، بحيث يُعاد توجيه المعنى وفق مقتضيات السياق، وبما أنّ العملية تحدث دون قصد مباشر، فإنها قد تؤدي ضمناً إلى توسيع المدلول ليشمل استخدامات أعم، أو إلى تضيقه عبر حصره في

1- Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, p168.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

جانب محدد من المرجع الجديد، ويمثل شاهد مادة «ق ط ب» من المدونة هذا النمط، حيث يقول محمد بن أبي بكر الرازي: «(قُطْبُ) الرَّحَى [...] وَ(الْقُطْبُ) كَوَكَبٌ بَيْنَ الْجَدْيِ وَالْفَرْقَدَيْنِ يَدُورُ عَلَيْهِ الْفَلَكُ. قُلْتُ: قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهُوَ صَغِيرٌ أَبْيَضٌ لَا يَبْرُحُ مَكَانَهُ أَبَدًا وَإِنَّمَا شُبِّهَ بِقُطْبِ الرَّحَى وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي فِي الطَّبَقِ الْأَسْفَلِ مِنَ الرَّحِيِّينِ يَدُورُ عَلَيْهَا الطَّبَقُ الْأَعْلَى فَكَذَا تَدُورُ الْكَوَاكِبُ عَلَى هَذَا الْكَوَكَبِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْقُطْبُ [...] وَ(قُطْبُ) الْقَوْمِ سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ. وَصَاحِبُ الْجَيْشِ قُطْبُ رَحَى الْحَرْبِ»<sup>1</sup>، تشير كلمة "القُطْبُ" في الأصل إلى الجزء المركزي السفلي من الرحي، الذي يدور حوله الطبق الأعلى، فهو موضع محوري يقوم بوظيفة محددة داخل جهاز ميكانيكي (الرَّحَى)، وقد وقع النقل الاعتيادي حين شَبَّه المتكلمون محور الرحي بكوكب تدور حوله الأجرام والأفلاك، واستخدم لفظ "قُطْبُ" للدلالة على هذا الكوكب الثابت، فانقل المعنى من الدلالة على مرجع أصلي أولي هو جزء مهم من أداة الطحن، إلى الدلالة على آخر ثانوي، هو جرم سماوي بناءً على التشابه الوظيفي والمكاني بين مركز الرَّحَى ومركز الحركة الفلكية.

كما تم توظيف اللفظ عينه في سياق اجتماعي للإشارة إلى الشخص الذي يدور حوله أمر قومه -قائدهم أو رئيسهم-، وكذا في الاستخدام العسكري -قُطْبُ رَحَى الْحَرْبِ- للدلالة على قائد الجيش، وتقوم عملية النقل في جل الاستعمالات المتطورة على إدراك المتكلم للتشابه بين وظيفة المحور في الجهاز أو النظام وبين موقع الجرم السماوي أو رتبة الشخص المركزي في الجماعة، أي على التشابه الوظيفي، ونقترح تمثيلاً لما تم بسطه في مثال "قُطْبُ الرَّحَى" المخطط الآتي:



الشكل 47: تطور معنى "القُطْبُ" بالنقل الاعتيادي للتشابه الوظيفي

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 256.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

وبالتشابه في الهيئة يُبرر النقل الاعتيادي في مادة «ب ر ك» من المدونة، والتي جاء فيها: «(بَرَكَ) الْبُعِيرُ مِنْ بَابِ دَخَلَ أَيِ اسْتَنَاحَ [...] وَ(الْبِرْكَةُ) كَالْحَوْضِ وَالْجَمْعُ (الْبِرْكُ) قِيلَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِإِقَامَةِ الْمَاءِ فِيهَا، وَكُلُّ شَيْءٍ ثَبَتَ وَأَقَامَ فَقَدَ (بَرَكَ)»<sup>1</sup>، يُظهر هذا المدخل تطوراً دلالياً يقوم على النقل الاعتيادي بالمعنى الذي صاغه غوستاف ستيرن، إذ انطلق الاستعمال من الدلالة الأصلية للفعل "بَرَكَ" بمعنى أناخ البعير واستقر في مكانه، لينقل إلى تسمية "الْبِرْكَةِ" بوصفها موضعاً يستقر فيه الماء ويركد.

ويؤكد معجم الشارقة التاريخي للغة العربية أن هذا الاستعمال الأصلي للفعل -الإناخة والثبوت- قديم الجذور في العربية، وأنه يرد مماثلاً في اللغات السامية الأخرى كالسريانية والحشبية، من حيث المبنى والمعنى<sup>2</sup>، مما يعزز أن المعنى الأول هو الثبوت الحسي والاستقرار عند الدواب.

وبالانتقال من هذا الأصل إلى الاستعمال الجديد، يتضح أن الرابط بين المرجع الأول (برك البعير) والمرجع الثاني (موضع الماء) يقوم على إدراك المتكلم لتقاطع دلالي هو "الثبوت"، فالناقة إذا بركت فقد ثبتت في مكانها، وكذلك الماء فيما دنا من الأرض إذا اجتمع فقد استقر، ومن ثم فإن تسمية الحوض بالبركة جاءت استجابة اعتيادية للشعور بالتشابه، ثم رسخت في الاستعمال اليومي.

ونمثل لنمط النقل الاعتيادي المنبثق عن تشابه الشكل أو الهيئة بالشاهد من مادة «رث» ث: «(الرَّثُ) بِالْفَتْحِ الْبَالِي [...] وَأَرَثَ الثَّوْبُ أَخْلَقَ. وَارْتَثَ فُلَانٌ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَأَعْلَهُ حُمَلٌ مِنَ الْمَعْرَكَةِ (رَثِيئًا) أَي جَرِيحًا وَبِهِ رَمَقٌ»<sup>3</sup>، والذي يتجلى فيه الربط بين المعنى الأصلي للكلمة في إشارة إلى الثوب الخلق أو البالي، وهو وصف مباشر يُظهر حالة الثوب المهترئ والمتآكل، وقد نص ابن منظور في اللسان على أصلية هذا المعنى في قوله: «وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ مِنَ الرَّثِّ: الثَّوْبُ الْخَلْقُ»<sup>4</sup>، ويقع جوهر النقل الاعتيادي هنا في الربط بين الثوب المتآكل والجسم المصاب؛ فالثوب البالي تظهر عليه آثار التمزق والهشاشة ويبدو مهلهلاً، وبالموازاة

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص33.

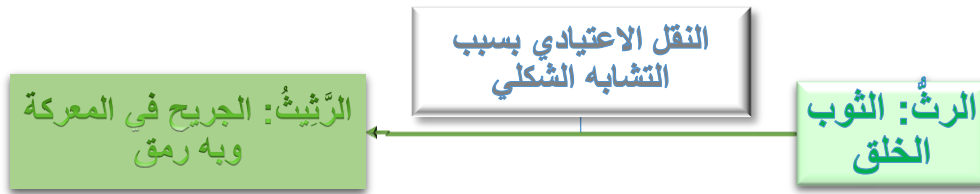
2- <https://almojam.org/?id=1939&wordId=11205> تاريخ الاستلال 03/10/2025

3- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص118.

4- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب (فصل الزاء)، ج02، ص152.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

يُصوّر الجريح الذي أصيب في المعركة بجسد متأثر ومثخن بالجراح، بحيث تبرز عليه آثار الضعف تمامًا كما في الثوب المهترئ، هذا التشابه بين الحالتين حمل المتكلم على نقل الكلمة من مرجعها الأول إلى مرجع ثانوي، فاستخدمت للدلالة على الشخص المصاب أو الجريح، وتوضح هذه العملية أن النقل الاعتيادي لم يكن مقصودًا بالضرورة، بل نشأ عن إدراك المتكلم للتشابه بين المرجع الأصلي والثانوي، وهو ما نعهده تمثلاً للشرط الذي وضعه غوستاف ستيرن لحدوث هذا النمط من التطور الدلالي.



الشكل 48: تطور معنى "الرث" بالنقل الاعتيادي للتشابه الشكلي

### 5.2.3. الإبدال (Permutation):

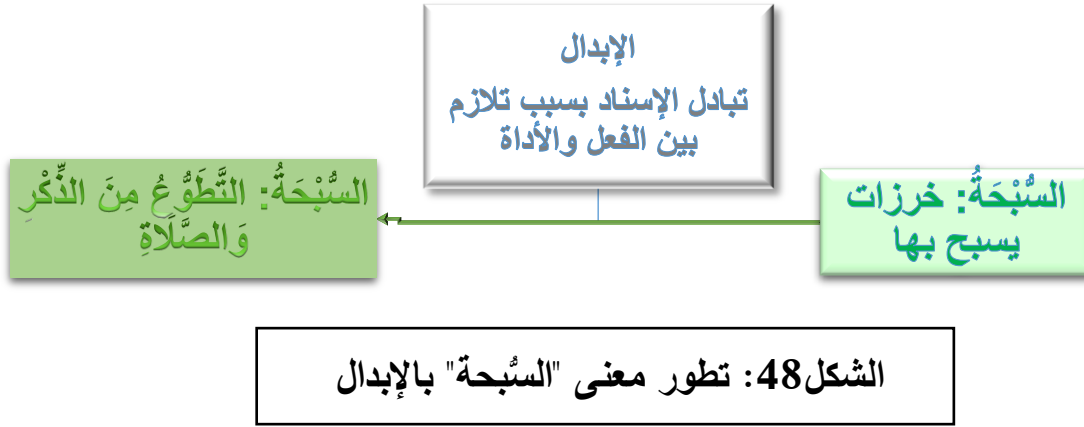
يُعرّف نمط التطور الدلالي بآلية الإبدال عند غوستاف ستيرن بأنه انتقال الدلالة من معنى أصلي إلى آخر مجاور له نتيجة تبادل في علاقة الإسناد داخل السياق<sup>1</sup>، بحيث يُستبدل أحد طرفي العلاقة (الفعل أو المفعول به أو غيرهما) بمعنى يرتبط به ذهنيًا أو وظيفيًا دون انقطاع تام عن المرجع الأول، بحيث تظل العبارة الكلية صالحة للإشارة إلى نفس الحدث أو الموقف، رغم تغيير الدلالة الجزئية لأحد عناصرها، ويختلف عن غيره من الأنماط التي تقوم على المجاز أو النقل الاستعاري، فهو يعبر عن تداخل وظيفي بين معنيين يتبادلان الموقع داخل بنية دلالية واحدة، ولتقريب الفكرة نمثل لنمط التطور بآلية الإبدال حسب تقسيم غوستاف ستيرن بالشاهد من مادة «س ب ح»: «و(السُّبْحَةُ) خَرَزَاتٌ يُسَبَّحُ بِهَا. وَهِيَ أَيْضًا النَّطْوَعُ مِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ تَقُولُ مِنْهُ قَصَيْتُ سُبْحَتِي»<sup>2</sup>، يتجلى في هذا المثال انتقال الدلالة من المعنى الأصلي الحسي، وهو الخرزات المخصصة لعدّ الأذكار، إلى معنى مجرد هو "الذكر التطوعي أو الصلاة"، وقد نشأ هذا التحول عن تلازم واقعي بين الأداة

1- Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, p168.

2- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص140.

## الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح

والفعل، إذ ارتبطت السبحة ارتباطاً وثيقاً بممارسة الذكر حتى أصبح الاسم يُستعمل للدلالة على الفعل ذاته، عبر علاقة تجاورٍ تداوليٍّ بين شيئين متلازمين في الممارسة التعبدية، وهو ما يوافق ما وصفه غوستاف ستيرن بالإبدال، حيث ينتقل الاسم من مدلوله الأول إلى مدلولٍ ملازمٍ له نتيجة التباسٍ للمراجع في الاستعمال المتكرر داخل بيئة واحدة، ويوضح المخطط أدناه تطور معنى السُّبْحَة من الدلالة على خرزات التسييح إلى الدلالة على فعل التسييح نفسه:



وقد يترجم الإبدال أحيانا عند العلماء العرب القدامى بوصفه نوعا من الخطأ ويعبر عنه بعبارات من قبيل "وَمِمَّا يَضَعُهُ النَّاسُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ"، مثلما ورد في الشاهد من مادة «أر ي»: «وَمِمَّا يَضَعُهُ النَّاسُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ قَوْلُهُمْ لِلْمَعْلَفِ أَرِيٌّ وَإِنَّمَا (الْأَرِيُّ) مَحْبَسُ الدَّابَّةِ. وَقَدْ تُسَمَّى الْأَخِيَّةُ أَيْضًا أَرِيًّا»<sup>1</sup>؛ ذلك أن هذا القسم يختلف من حيث جوهر العلاقة التي تربط المعنى السابق باللاحق، وينماز عن التشبيه في الاستعارات أو العلاقات المجازية التي استقرت في اللغة العربية وأوجدت لها مكانا وتهايا لها من القبول ما لم يتهيا لغيرها، وتكشف عبارة "وَمِمَّا يَضَعُهُ النَّاسُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ" عن وعي بظاهرة التطور -الإبدال في هذه الحال-، وإن صيغت في إطار معياري يَعدّها نوعاً من الخطأ اللغوي أو الاستعمال غير الصحيح.

إنّ تطبيق تقسيم غوستاف ستيرن لأنماط تطوّر المعنى على مادة معجم مختار الصحاح بغرض رصد التحولات الدلالية يُعدّ إجراءً منهجياً ذا جدوى تفسيرية عالية، إذ يوفر إطاراً تحليلياً منظماً يتيح توصيف الظواهر الدلالية وتعليلها في ضوء تفاعل اللغة مع

1- محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، ص17.

## الفصل الثّاني: التطوّر الدّالّي في مختار الصّاح

المحيط الاجتماعي والثقافي؛ فقد بيّن نمط "الإحلال" أثر العوامل الخارجية غير اللغوية في إعادة توجيه الدلالة خارج آليات التوليد الداخلي، كما تجلّى في انتقال اسم (اليمامة) من علمٍ شخصي إلى علمٍ مكانيّ بفعل الاستعمال الاجتماعي المتراكم. وأبرز (الاختصار بالحذف) آلية انتقال المعنى التركيبي إلى المفردة بفعل التكرار، كما في (خرافة) و(حصان)، بما يكشف عن مرونة البنية الدلالية وقابليتها لإعادة التشكّل تحت ضغط الاستعمال. وأكّد نمط (التسمية)، بوصفه نقلًا مقصودًا، أنّ المتكلم لا يقتصر على تمثيل الواقع، بل يسهم في إعادة بنائه دلاليًا بقصد تكثيف المعنى أو توجيهه تداوليًا وتقويمًا، كما في (المعقل) و(العُفر). أمّا (النقل الاعتيادي) فقد أبرز دور المشابهة الوظيفية أو الشكلية في توليد دلالات جديدة على نحو تلقائي غير قصدي، كما في (قُطْب) و(رثيث). وجاء "الإبدال" ليكشف نمطًا أدقّ من التداخل الدلالي القائم على تبادل المواقع الإسنادية داخل السياق، حيث تحلّ الكلمة محلّ ملازمتها، كما في (السُّبحة)، وهو نمط كثيرًا ما نظر إليه التراث العربي نظرة معيارية بوصفه خروجًا عن الوضع الأصلي للاستعمال. وتتجلّى قيمة تقسيم غوستاف سنتيرن في كونه تصنيفًا تفسيريًا يتجاوز الوصف السطحي إلى تحليل مسارات التغيّر، ويرسم التطوّر الدلالي بوصفه عملية منتظمة تحكمها شروط اجتماعية وتداولية ووظيفية.

خاتمة

### خاتمة:

مع نهاية البحث، ثم التوصل إلى جملة من النتائج أبرزها:

1. يعد معجم مختار الصحاح تمثلاً فعلياً لظاهرة التطور في اللغة العربية سواء في مادته، أو في ترتيب المداخل وانتقائها، وكذلك توثيق التطورات اللغوية المختلفة.
2. التطور اللغوي هو مجموع التغيرات التي تطرأ على لغة ما مع مرور الزمن، ويتخذ أشكالاً مختلفة تلحق جميع اللغات المستعملة، وتقف اللسانيات الحديثة موقف الحياد تجاه تلك التطورات، فلا يعد التبدل عيباً ولا الثبات مزياً وإنما هي سنة تجري على كل لغات العالم.
3. إن دراسة التطور اللغوي هي مزيج من الدراسات الآنية والزمانية، حيث يتم التركيز على محطات مختلفة للغة في سيرها عبر الزمن، وذلك بوصف عناصرها في كل مرحلة بمعزل عن السابق واللاحق، في هذه الخطوة تعد الدراسة مقارنة آنية للغة، يتم بعدها تجميع النتائج وإبراز الاختلافات الحاصلة بين مراحل اللغة المختلفة وتصنيفها ومحاولة الكشف عن أسبابها والسعي ما أمكن لصياغة قوانين عامة تضبط تلك التغيرات، وتساعد على توقع المسلك الذي ستسلكه اللغة في مستقبلها، وهذا لرسم خط زمني تنتظم فيه أطوار اللغة من الأصل إلى الفرع تبعاً للنتائج المتحصل عليها والتباينات المتوقعة، واستناداً للقوانين المستنبطة سلفاً، وهذا ما يعد مقارنة تاريخية للغة، وكل دراسة تطويرية تسلك هذا المسلك، ويتم ذلك بوصف سكوني لأطوار اللغة عبر الزمن.
4. يلحق التطور جميع مستويات اللغة، بيد أن قوى التغيير لا تكون متساوية التأثير في جميع جوانبها؛ فالثابت أن اللغات تحتفظ بنظامها التركيبي (النحوي) كونه الركيزة التي ينبني عليها الهيكل العام للغة، وهو المستوى الذي يبدي ممانعة أكبر ومن الصعب جدا تغييره لأنه الرمز التعريفي لأي لغة، وبه تنماز اللغات بعضها عن بعض، وبانهياره تنهار اللغة وتتحول لتصبح لغة مغايرة تماماً لسابقتها، فيما يعد المستوى الدلالي أكثر مستويات اللغة عرضة للتبدل وأكثرها طواعية واستجابة لمستجدات الحياة، ومواكبة للتغيرات الاجتماعية والثقافية والتقنية لمستعملي اللغة.

5. لا يمس التطور جميع مفردات اللغة بنفس القدر؛ فغالبا ما يكون التحول أعمق في المفردات أو العبارات الأكثر جريانا على الألسنة بحكم تكرارها العالي وتداولها المستمر بين المتخاطبين، الشيء الذي يجعلها عرضة للتغيير والاختصار صوتا ومعنى، والألفاظ التي تعبر عن مظاهر الحياة في فترة ما تتحول هي الأخرى بما يناسب نمط عيش الأفراد في كل مرحلة.

6. بينما يستمر استعمال بعض الألفاظ لحيويتها وقدرتها على استيعاب المعاني الجديدة ووجود نوع من العلاقة بين المعنى القديم والحديث، تُهجر ألفاظ أخرى وتُنسى إذا غابت مراجعها عن حياة المستعملين؛ لارتباطها بظروف معيشة مختلفة.

7. تحافظ الكلمات المعزولة قليلة الاستعمال على ثبات أعلى، أما الألفاظ الغريبة والحوشية فهي أقرب للتندر منها للتداول العادي، وتعد ترفا لغويا خاصا بالشعراء والأدباء وهي على الأغلب تكون مخبوءة في جوف المعاجم وكتب النوادر والأدب، أقرب لأن تكون تحفا أثرية منها إلى مفردات لغوية.

8. تشتمل معاجم اللغة ومن ضمنها معجم مختار الصحاح على إشارات واضحة (قد تكون قرائن لفظية أو سياقية) تدل على وقوع التطور اللغوي، ما يفند ادعاءات بعض المستشرقين القائلة بأن العرب لم يوثقوا تطور اللغة العربية، ويختلف موقفهم من تلك التطورات، فقد تُعتمد وتُقبل أحيانا وقد ترفض أخرى، لكن الغالب أنها تُوثَّق.

9. تقابل بعض التطورات اللغوية بأحكام قيمية مبطنة، ويستعاض عن التصريح بعدم فصاحة الصيغة المتطورة أو رداءتها بنسبتها إلى العامة مثلا.

10. يقتصر البحث غالبًا على الترتيب الزمني للصيغ المتطورة وفق ما تصرّح به المعاجم بشأن أصالة صيغة معينة وفرعية أخرى؛ لأن الرجوع إلى المعاجم التاريخية وحدها لا يمكن من تحديد أصالة أي صيغة بصورة قاطعة، وذلك بسبب التداخل الكبير في تواريخ استعمال الصيغ وورودها في المدونات التراثية، إلا ما كان من ورود أحد الصيغ في اللغات السامية فإن ذلك يعد مؤشرا قويا على أصالتها.

11. إن عدم توفر اللغة على نظائر قديمة للكلمات المستحدثة نتيجة التطور العلمي يبعث على إنتاج مصطلحات تعبر عنها باستخدام ما توفره اللغة من آليات توليد

داخلية كالأشتقاق والنحت والاستعارات، أما إن عجزت لغة من اللغات عن تلبية الحاجات المتزايدة لمستعمليها، حينها يُلجأ إلى الاقتراض من لغات أخرى لسد تلك الفجوات.

**12.** ينتج التطور اللغوي من تفاعل العوامل الداخلية والخارجية، مع اختلاف في درجة تأثير كلٍّ منها، وفي الغالب يتصدر العامل الاجتماعي والثقافي توجيه مسار التغيير، بينما تؤدي العوامل التاريخية والاقتصادية دورًا مكملًا يسهم في تعزيز هذا المسار أو تسريعه.

**13.** تتوافر في كل لغة آليات داخلية تمكّنها من مواكبة التحولات الاجتماعية والثقافية لمستعمليها، وتعمل هذه الآليات على مستويين متكاملين: مستوى يتيح للغة إمكان التغيير وفق طبيعتها البنوية ووظائفها التواصلية، ومستوى يحفظ لها عناصر الثبات التي تصون هويتها وتمنع اندثارها، ويمزج هذا التفاعل بين الثبات والتغيير؛ بحيث تستمر اللغة في التطور دون أن تفقد هويتها وخصائصها الجوهرية.

**14.** يمثل الإدغام في النظام الصوتي العربي خيارًا أصيلاً ومقدّمًا على الإبدال والحذف، إذ يُعدّ وسيلةً للحفاظ على الأثر الصوتي للأصل وتقليل التغيير المخلّ بالبنية، بخلاف الحذف الذي يؤدي غالبًا إلى طمس ملامح الصوت المستبدل، فلا يُعرف إلا بالعودة إلى أصله (بالتصغير والتحقيق)، ويمكن القول بأن ميل العربية إلى الإدغام يعكس نزوعها نحو الاقتصاد الصوتي مع صون الهوية المميزة للأصوات، خاصة في حال الإدغام الذي لم يسبق بمماثلة، في حين يُلجأ إلى الإبدال بوصفه حلًّا تعويضيًّا عند تعذر الإدغام، كما في الأفعال الرباعية المضغفة العين على غرار "كَبَب".

**15.** توثق المعاجم الصيغ الأصلية والمتطورة، لكنها لا تلتزم الترتيب الزمني دائمًا، فقد تقدّم الصيغة المستحدثة إذا غلبت في الاستعمال.

**16.** تعمل المماثلة الصوتية في العربية على محورين متكاملين؛ محور أفقي، يتمثل في تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض داخل السلسلة الكلامية، ومحور عمودي، يتصل بالبدائل المتاحة (الألوفونات) لمعالجة التفاعل الخطي بين الأصوات المتجاورة، مما يُبرز الطبيعة المزدوجة للمماثلة باعتبارها ظاهرة تتوزع بين البنية الخطية للفظ والنظام الفونولوجي الكامن وراءها.

17. يتعلق كل من الإبدال المعجمي والحذف بالمحور الاستبدالي (العمودي)، إذ لا يظهر تأثير تجاور الأصوات قويا كما هو الحال في كلٍّ من المماثلة والمخالفة، وإنما يكون التركيز على البدائل الفونولوجية التي من شأنها أن تسد فجوة الصوت الأصلي الضعيف كما هو الحال في حروف العلة، أو العصي على النطق كما هو الحال في الهمزة، ويتعلق بالصوت عينة في حال الحذف، بحيث تؤثر طبيعة الصوت على سقوطه بالكلية من بناء الكلمة.

18. تعمل القوانين الصوتية بصورة متكاملة على توجيه التطورات الصوتية وتحديد مسارها؛ إذ يسهم كل قانون في إحداث جزء من التغيير، ثم يسلم مخرجاته للمرحلة الموالية التي يتكفل بها قانون آخر؛ كأن يعمل "قانون الأقوى" على تحديد الصوت المهيمن وإسباغ صفاته، ثم يتدخل "قانون الاقتصاد في الجهد" لتقليل العبء النطقي عبر تغيير الحركات أو تخفيف الثقل النطقي بالإبدال أو الحذف، وينتج عن تفاعل تلك القوانين عدد من الظواهر الصوتية، مثل المماثلة والمخالفة، أو القلب والإبدال والحذف، بوصفها جميعا استجابات وآليات داخلية للتكيف مع التطورات الخاصة، فتتكامل مسارات التطور الصوتي وتتنظم في نسق يمكن تتبّعه واستنباط مراحلها.

19. الكثير من التطورات التي تبدو في ظاهرها صرفية ترجع في أصلها إلى تفاعل الأصوات داخل البنية الصرفية نفسها، فالقراءة السطحية قد توحى بأنّ التحول ناتج عن تغيير في الصيغة أو الوزن، غير أنّ التحليل الدقيق يكشف أنّ منشأ التغيير صوتي، وأنّ ما يُعدّ تطورا صرفيا ليس إلا الناتج الأخير لسلسلة من العمليات الصوتية المتعاقبة، ويتضح بأنّ التطور الصوتي يشكّل الأساس المحرّك لكثير من الظواهر الصرفية التي تستقرّ في الصورة النهائية للفظ.

20. كثيرا ما تتشابك العوامل الصرفية والصوتية في إحداث أنماطٍ من التطور الصوتي؛ على غرار وقوع المماثلة ضمن بعض الأبنية الصرفية، مثل وزن "اِفْتَعَلَ" الذي تكون فيه "فاء الفعل" أحد حروف الإطباق، فينشأ عن هذا التفاعل تعديل صوتي يهدف إلى تحقيق الانسجام النطقي بين مكونات البنية الصرفية والصوتية للكلمة.

21. قد يتعدى أثر التطور اللغوي المستوى الذي يحدث فيه مباشرة؛ فبعض التغيرات الصوتية مثل الإبدال يمتد أثرها إلى المستوى الدلالي، فيؤدي الإبدال أحيانا إلى ظهور صيغ متعددة تعود إلى أصل واحد، ويؤهم أنها ألفاظ مترادفة، بينما هي في الحقيقة نواتج لتطور صوتي، واعتماد رأي من يضيّقون دائرة الإبدال، يفضي إلى عدّ هذه الثنائيات وأمثالها مترادفات لا تقوم على تنوع دلالي حقيقي، بل على تحوّل صوتي فحسب، وهذا لا يضيف للغة شيئا ذال بال، وإنما يتقل معجمها بمترادفات لا تغني رصيدها بحق.

22. إن فهم آلية عمل القوانين الصوتية في بنية الكلمة يفسر بعضا من اختلاف القراءات القرآنية (طلع/طلع).

23. تتشابه الأسباب المؤدية إلى نشوء علاقات دلالية جديدة (ترادف، اشتراك لفظي، تضاد) إلا أن النتائج المترتبة عنها تختلف باختلاف السياق؛ فقد يؤدي عامل ما إلى إحداث ترادف في موقف لغوي معين، بينما يسفر ذات العامل عن اشتراك لفظي في موقف آخر، هذا يشير إلى أن التطورات الدلالية لا يمكن توقّعها بدقة، على عكس التطورات الصوتية التي تحكمها قوانين ثابتة ومنضبطة في الغالب.

24. تُظهر العلاقات الدلالية في اللغة ارتباطاً وثيقاً بآليات المعالجة الذهنية للمعنى؛ إذ تكشف ظاهرة التضاد -على سبيل المثال- ميل العقل البشري عند استدعاء مفهوم معيّن إلى استحضار نقيضه في السياق نفسه، بوصفهما حدّين متقابلين ضمن نسق إدراكي واحد، ويمكن فهم نشأة التضاد الدلالي تاريخياً باعتباره امتداداً لطبيعة التفكير الإنساني القائمة على تنظيم خبراته من خلال المقابلة، واللغة لا تُنشئ ألفاظاً متقابلة ومتضادة ابتداءً، لأن هذا ينافي مبدأ الإفهام ويعيق التواصل، بل تنشأ علاقة التضاد من تطوّر الاستعمال وتراكم الخبرة الذهنية التي تربط بين الشيء وضده داخل نسق مفهومي موحد ينظّم المتكلم بها تصوّره للعالم.

25. تختلف طبيعة التغيرات الدلالية، فبينما يستغرق البعض منها حيزاً زمنياً يختمر فيه التغير تدريجياً وينفذ المعنى الجديد بهدوء وتؤدّة، وأكثر ما يكون ذلك في نمط "توسيع المعنى"، تكون بعض التطورات في شكل انقلاب فوري وتنشأ عنها ارتباطات لحظية جديدة بين عناصر الدلالة، ويتجسد ذلك في الاستعارات والاستعمالات المجازية خاصة.

26. تعكس الاستعارات المختارة كثيرًا من أنماط تفكير مستعمل اللغة؛ إذ يكشف توظيف حقول دلالية معينة للتعبير عن الانفعالات عن الطريقة التي ينظم بها المجتمع خبرته ويصوغ تمثلاته للعالم، فاختيار صور حسية بعينها (غُلّ قَمْلٌ، قطب، همج)، أو الاستناد إلى مجالات معرفية محدّدة كالطبيعة أو الجسد أو الغذاء، يبرز البنية المفهومية التي يعتمدها المتكلّمون في فهم ذواتهم وعلاقاتهم بمحيطهم، ويتيح تحليل الاستعارات والاستعمالات المجازية الكشف عن أنماط الإدراك الجمعية، ورصد التحوّلات الثقافية والاجتماعية التي تطرأ على طرائق التفكير والتصور داخل المجتمع.

27. تُفسّر التطوّرات الدلالية في ضوء سياقها التاريخي، وفي المقابل يوفّر تتبّع هذه التطوّرات عبر الزمن معطيات تاريخية تتجاوز حدود النظام اللغوي نفسه، مما يجعل اللغة سجلًا موثوقًا لحياة مستعمليها وتحوّلاتهم الحضارية، وفي هذا الصدد تكتسب الدراسات البيئية أهميتها، كونها تدمج المعطيات اللغوية بالتاريخية والثقافية لإعادة بناء صورة أشمل لمسار التطور الدلالي وعلاقته بالتغيّرات الاجتماعية.

28. يسهم التطور الدلالي في إغناء اللغة بثروة لفظية متجدّدة، ويبرز هذا النمط بوضوح في الأمثال، إذ يرتبط المثل في أصله بواقعة محدّدة أو بصورة مادية محسوسة، ثم تتسع دلالاته تدريجيًا لِيُسْقَطَ على معانٍ عامة ومواقف كلية، وبهذا الانتقال من الجزئي إلى الكلي يكتسب المثل طابعًا تجريديًا يجعله قابلاً للتداول في سياقات مختلفة، ويُحوّله إلى وعاء دلالي تتراكم فيه الخبرة اللغوية والثقافية عبر الزمن.

29. تتقاطع الأشكال المختلفة لتطور المعنى وتتداخل بشكل ملحوظ، بحيث يصعب حصرها ضمن تصنيف واحد، أو فصلها عن بعض، وتعد المقترحات المتنوعة (التصنيف المنطقي البلاغي، تصنيف غوستاف ستيرن، تصنيف ستيفن أولمن، تصنيف بيير جيرو.. إلخ) مقاربات منهجية تهدف إلى تنظيم هذه التطورات، إلا أنها لا تعكس التنوع الفعلي والطبيعة المعقدة لأشكال التطور الدلالي في اللغات، والتي تنفرد كل منها بملاسات تاريخية واجتماعية وثقافية خاصة، كما أن الثراء الهائل في أنماط التطورات الدلالية يجعل من أي تصنيف عاجزًا على استيعاب الكم الهائل من تنوع التطور الدلالي.

في ضوء النتائج التي أسفر عنها هذا البحث، يمكن اقتراح جملة من التوصيات العلمية أبرزها:

1. الدعوة إلى إعادة قراءة التراث المعجمي قراءةً علميةً موضوعيةً، متحررةً من الأحكام المسبقة، ولا سيما تلك التي رُوِّجت في بعض الدراسات الاستشراقية، والتي ذهبت إلى القول بإعراض علماء العربية عن رصد التطورات اللغوية. وقد بيّنت هذه الدراسة بطلان هذا الزعم؛ إذ ظهر بجلاء أنّ معجم مختار الصحاح، على الرغم من طابعه المختصر، إلا أنه اشتمل على مادة وافرة تتصل بأشكال متعددة من التطور اللغوي. ومن باب أولى أن تحوي المعاجم الموسّعة، مثل لسان العرب وتاج العروس، ثروة تاريخية أوسع، تحتاج إلى فحص منهجي، وإعادة ترتيب زمني يستند إلى القرائن النصية والسياقية المختلفة.

2. التأكيد على أهمية تحليل القوانين الصوتية وآليات اشتغالها في بنية الكلمة العربية؛ إذ يسهم ذلك في تفسير ظاهرة تعدد الصيغ المتقاربة دلاليًا، وبحول دون عدّها أصولًا مستقلة دون مسوّغ تاريخي أو اشتقاقي. ويقضي هذا إعادة النظر في بعض مواد المعاجم التي عدّت أصولًا متباينة مع اشتراكها في المعنى، بما يؤدي إلى تنقية المعجم من التكرار غير المبرّر، وإبراز الثروة اللفظية الحقيقية في العربية.

3. الاستفادة من المعاجم التاريخية والمدونات اللغوية العربية في إعادة ترتيب المواد ضمن المداخل ترتيبًا زمنيًا، كلما توفرت الأدلة الكافية على أسبقية صيغة على أخرى. ومع الإقرار بأنّ عدداً من المعجميين قد وعى هذا البعد التاريخي وأشار إليه في مواضع متعددة، فإنّ هذا المنهج لم يُستثمر على نحو مطّرد، إذ غلب في كثير من الأحيان الجمع الموسوعي على الترتيب التاريخي الدقيق؛ وهو ما يستدعي مزيداً من الضبط المنهجي في الأعمال المعجمية المستقبلية.

4. يوصى بإدماج نتائج الدرس الصوتي، ولا سيما ما يتصل بالقوانين التي تحكم تآلف الأصوات في بنية الكلمة العربية، في السياسات اللغوية والتربوية والتقويمية؛ إذ إن الوقوف على أنماط التراكيب الصوتية الميسورة على النطق، وتمييزها عن غيرها من البنى الأشد تعقيداً، يتيح اختيار الرصيد اللغوي الملائم للفئات العمرية المختلفة، وفق خصائصها النمائية والإدراكية. كما يسهم هذا المنظور في بناء مواد تعليمية أكثر اتساقاً مع قدرات

## الخاتمة

---

المتعلمين من غير الناطقين بالعربية، من خلال اعتماد تدرّج صوتي يقوم على البساطة البنوية والتآلف الصوتي قبل الانتقال إلى التراكيب الأثقل نطقاً. وإلى جانب ذلك، يمكن استثمار هذه المعطيات في مجال علاج اضطرابات النطق وأمراض الكلام، عبر توظيف المعرفة الدقيقة بالبنى الصوتية الأسهل إنتاجاً في تصميم البرامج العلاجية، بما يحقق تدرّجاً وظيفياً يراعي طبيعة الصعوبات الصوتية، ويسهم في تحسين الكفاءة النطقية على أسس علمية مضبوطة.



# قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1436هـ.

### المدوّنة:

1. محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط05، 1999م.

### المعاجم:

2. أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط02، 1969م.
3. إسماعيل بن حماد الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط04، 1987م.
4. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (دط)، 1982م.
5. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، سورية، ط01، 1991م.
6. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (دط)، (دت).
7. علي بن إسماعيل بن سيده: المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط01، 1996م.
8. علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (دط)، 2004م.

## قائمة المصادر والمراجع

9. مجمع اللغة العربية القاهرة: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د ط)، 1983م.
10. مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط04، 2004م.
11. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط03، 1993م.
12. محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 1985م.
13. محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط01، 1996م.
14. محمود بن عمر جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م.

### المراجع التُّراثيَّة:

15. أحمد بن عبد الله أبو نعيم: معرفة الصحابة، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01، 1998م.
16. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1995م.
17. أحمد بن فارس: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1997م.
18. أحمد بن محمد المرزوقي: الأمالي، تح: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، 1995م.
19. الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي: الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث بيروت، لبنان، ط02، 1993م.

## قائمة المصادر والمراجع

20. الحسين بن أحمد بن خالويه: ليس في كلام العرب، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مكة، المملكة العربية السعودية، ط02، 1979م.
21. الحسين بن عبد الله بن سينا: أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية، (دط)، (دت).
22. سعيد بن مسعدة الأخفش: معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01، 1990م.
23. شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل فيما في كلم العرب من الدخيل، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحرم الحسيني التجارية الكبرى، مصر، ط01، 1952م.
24. عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، سورية، ط01، 2004م.
25. عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي: نتائج الفكر في النحو، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط01، 1992م.
26. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م.
27. عبد القاهر الجرجاني: أساس البلاغة، تح: هلموت ريتز، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط03، 1983م.
28. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمود محمد شاکر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ط03، 1992م.
29. عبد الله بن درستويه: تصحيح الفصيح وشرحه، تح: محمد بدوي المختون، منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، مصر، (دط)، 2004م.
30. عبد الله بن محمد البطلليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تح: محمد السقا وحامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1996م.
31. عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1982م.

## قائمة المصادر والمراجع

32. عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي: الإبدال، تح: عز الدين التتوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (دط)، 1961م.
33. عثمان بن جني: التصريف الملوكي، تح: محمد سعيد بن مصطفى النعسان، دار المعارف، دمشق، سورية، ط02، (دت)،
34. عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط04، (دت).
35. عثمان بن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1966م.
36. عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط01، 2000م.
37. عثمان بن عمر بن الحاجب: الشافية في علمي التصريف والخط، تح: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط01، 2010م.
38. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاکر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
39. علي بن الجهم: الديوان، تح: خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي بدمشق، (دط)، 1949م.
40. علي بن عبد الكافي السبكي: الإبهاج في شرح المنهاج، تح: أحمد جمال الزمزمي ونور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط01، 2004م.
41. علي بن محمد الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تع: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01، 2003م.
42. علي بن مؤمن بن عصفور الإشبيلي: الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط01، 1987م.

## قائمة المصادر والمراجع

43. عمر بن خلف بن مكي الصقلي: تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1990م.
44. عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
45. عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط02، 1965م.
46. عمرو بن عثمان بن قنبر سيوييه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط03، 1988م.
47. القاسم بن سلام أبو عبيدة: كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتمبه في اللفظ واختلف في المعنى، تح: امتياز علي عرشي الرامفوري، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، (دط)، 1983م.
48. محمد أبو حامد الغزالي: معيار العلم في فن المنطق، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، (دط)، 1961م.
49. محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط03، 1991م.
50. محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، 1975م.
51. محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي: الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط01، 2001م.
52. محمد بن حسن أبو بكر الزبيدي: لحن العوام، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 2000م.
53. محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر، ط01، 1957م.

## قائمة المصادر والمراجع

54. محمد بن عمر فخر الدين الرازي: المحصول في علم أصول الفقه، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط03، 1997م.
55. محمد بن عمر فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط03، 1999م.
56. محمد بن محمد بن الجزري: النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
57. محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي: المبدع الملخص من الممتع في علم الصرف، تح: مصطفى أحمد خليل النماس، المكتبة الأزهرية والجزيرة للنشر والتوزيع، مصر، (دط)، 2007م.
58. مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية، تح: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، الأردن، ط03، 1996م.
59. مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط02، 1981م.
60. هبة الله بن علي بن الشجري: أمالي بن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط01، 1991م.
61. يحيى بن زياد الفراء: معاني القرآن، تح: أحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط01، 1955م.
62. يعقوب بن إسحاق بن السكيت: الكنز اللغوي في اللسن العربي (كتاب القلب والإبدال)، تح: أوغست هفغر، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، (دط)، 1903.
63. يعيش بن علي بن يعيش: شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2001م.
64. يعيش بن علي بن يعيش: شرح الملوكي في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، سوريا، ط01، 1973م.

المراجع الحديثة:

## قائمة المصادر والمراجع

65. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط05، 1975م.
66. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط02، 1963م.
67. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط08، 1996م.
68. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط03، 1966م.
69. أدي شير: الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، (دط)، 1908م.
70. أرسطوطاليس: فن الشعر: تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1953م.
71. أمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، (دط)، 2005م.
72. جودة محمود الطحلاوي: تاريخ اللغات السامية، مطبعة الطلبة، مصر، (دط)، 1932م.
73. حاكم مالك الزيادي: الترادف في اللغة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (دط)، 1980م.
74. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط03، 1997م.
75. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط03، 1994م.
76. شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط07، (دت).
77. ضاحي عبد الباقي: لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (دط)، 1985م.
78. عبد البديع النيرباني: الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، حلب، سورية، ط01، 2006م.

## قائمة المصادر والمراجع

79. عبد الرحمان الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، (دط)، 2012م.
80. عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، (دط)، 2012م.
81. عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الرغاية، الجزائر، (دط)، 2012م.
82. عبد الفتاح الحموز: ظاهرة القلب المكاني في العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط01، 1986م
83. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (دط)، 1996م.
84. غونلف برجاشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط02، 1994م.
85. فوزي حسن الشايب : أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01، 2004م.
86. كارل بروكلمان : فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، (دط)، (دت).
87. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، مصر، (دط)، 2000م.
88. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984م.
89. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
90. محمود عكاشة: التطور الصوتي في الألفاظ: أسبابه وظواهره، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، (دط)، 2009م.

## قائمة المصادر والمراجع

91. ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر النخب- الهوية- اللغة ( دراسة تاريخية نقدية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط01، 2021م.
92. هادي نهر: علم الدلالة التّطبيقي في التّراث العربي، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط01، 2008م.

### المراجع الأجنبية:

93. André Martinet: Economie Des Changements Phonétique, A .francke AG Verlag , Bern, 3<sup>ème</sup> éd, 1970.
94. André Martinet: Eléments De Linguistique Générale, Armand Colin, Boulevard Saint-Michel, Paris, 1980.
95. Antoine meillet et marcel cohen: les langues du monde, librairie ancienne edouard champion, paris, 6<sup>ème</sup> éd, 1924 .
96. Antoine Meillet: Comment les mots changent de sens, Éditions F. Alcan, L'Année sociologique , Paris, 1905 .
97. Arnold Irina Vladimirovna: The English Word: A Textbook Of Modern English Lexicology, Moscow VysshayaShkola, 3<sup>dr</sup> ed, 1986.
98. Arsène Darmesteter: La Vie Des Mots, Libraire Delagrave, Paris, 1887
99. David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell Publishing Ltd, 6<sup>th</sup>ed, 2008.
100. Ferdinand De Saussure: Cours De Linguistique Générale, Arbre D'or, Genève, La Suisse, 3<sup>ème</sup> éd, 2005.
101. George Kingsley Zipf : Human Behavior And Principle of least effort- an introduction to human ecology, Addition-Wesley Press Ink, USA, 1949.
102. Georges Mounin : Dictionnaire De La Linguistique, Quadrigé, Presses Universitaires De France, Boulevard Saint-Germain, Paris, 2<sup>éd</sup>, 1995.
103. Georges Mounin: Clefs Pour La Linguistique , Editions SEGHERS, Paris, 1968.
104. Gustaf Stern: Meaning and Change of Meaning, Bloomington Indiana University Press, 1<sup>rst</sup> ed, 1931.
105. Joan bybee : language change, cambridge university press, united kingdom, 1<sup>st</sup> ed, 2015.
106. John Lyons: Language, Meaning and Context, Fontana Paperbacks, Great Britain, 3<sup>rd</sup>ed, 1986.

107. Joseph Vendryes: le langage introduction linguistique a l'histoire, La Renaissance Du Livre, Boulevard Saint Michel, Paris, 1921.
108. Keith brown and Jim Miller: the Cambridge dictionary of linguistics, Cambridge university press, UK, 1<sup>st</sup> ed, 2013.
109. kristoffer Nyrop: Grammaire Historique De La Langue Française, tome 4<sup>ème</sup>, Copenhague Gyldendalske Boghandel Nordisk Forlag, 1913.
110. Leonard Bloomfield: Language, Routledge, London, 2010.
111. Mario Pei: Invitation To Linguistics A Basic Introduction To The Science Of Language, Doubleday & Company Inc, Garden City, New York, 1965.
112. Maurice Grammont: Traité De Phonétique, Librairie Delagrave, Paris, 1933.
113. Michel Bréal: Essai De Sémantique, Librairie Hachette Et Cie, Boulevard Saint-Germain 79, Paris, 1897.
114. Nicolai Trubetzkoy: principles of phonology, translated by Christiane A.M. Baltaxe, University Of California Press, USA, 2<sup>nd</sup> ed, 1971.
115. Otto Jespersen: Language Its Nature Development And Origin, George Allen & Unwin LTD, London, Uk, 1<sup>st</sup> ed, 1922.
116. Pierre Guiraud: la sémantique, Presses Universitaire De France, 108 Boulevard Saint-Germain, Paris, 6<sup>ème</sup> éd, 1969.
117. R. L. Trask: A Dictionary of Phonetics and Phonology, Routledge, London and New York, 1<sup>st</sup> ed, 1996.
118. Roger Lass: Phonology An Introduction To Basic Concepts, Cambridge University Press, New York, USA, 8<sup>th</sup> ed, 1998.
119. Ronald Wardhaugh And Janet M. Fuller: an introduction to sociolinguistics, willy black well, 7<sup>th</sup> ed, 2015.
120. Sarah G. Thomason: Language Contact, Edinburgh University Press Ltd 22 George Square, Edinburgh, 2001.
121. Stephen Ullmann: Semantics: An Introduction To The Science Of Meaning, Oxford Basil Blackwell, Uk, 1972.
122. Stephen Ullmann: The Principles Of Semantics, Basil Blackwell & Mott Ltd, UK, 2<sup>nd</sup> ed, 1957.
123. Stephen Ullmann: Words And Their Use, Hawthorne Books Inc. Fifth Avenue, New York City, USA, 1960.
124. Uriel Weinreich: Languages In Contact, Mouton & Co, London MOUTON & CO The Hague 4<sup>th</sup> ed, 1966.

## قائمة المصادر والمراجع

125. Victoria Fromkin Robert rodman and ninahyams: an introduction to language, wadsworthcengage learning, USA, 10<sup>th</sup> ed, 2014.
126. Vyvyan Evans And Melanie Green: Cognitive Linguistics An Introduction, Edinburgh University Press, Ltd 22 George Square, Edinburgh, 2006.
127. William James :The Principles Of Psychology, Henry Holt And Company, New York, 1905.

### المجَلَّات والدَّورِيَّات:

128. إبراهيم أنيس: مسطرة اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة، مصر، ع29، مارس 1972م.
129. أحمد عبد المجيد هريدي: القلب المكاني دراسة تاريخية في المفهوم والمصطلح، علوم اللغة، مج03، ع2003م، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
130. جواد مصطفى: أثر التضعيف في تطور العربية والإبدال الذي غفل عنه علماء اللغة، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1965م، ج19.
131. علي سليمان الجوابرة: أثر حروف الحلق في بنية الكلمة العربية في ضوء علم اللغة الحديث، مجلة جامعة شقراء، ع06، نوفمبر 2016م.
132. يحيى علي يحيى مباركي: صوت الهمزة في اللغة العربية بين القدماء والمحدثين، مجلة جامعة أم القرى، ع12، 1996م.
133. Joan bybee and others: special reduction, language and cognition, v08, UK Cognitive Linguistics Association, 2016

### المراجع الإلكترونيَّة:

134. المعجم التاريخي للغة العربية (معجم الشارقة) <https://almojam.org/>
135. معجم الدوحة التاريخي للغة العربية <https://www.dohadictionary.org>

## قائمة المصادر والمراجع

---

# فهرس المحتويات

## فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
12-5	مقدمة
37-13	مدخل
15	1. التطور اللغوي
16	1.1. تعريف التطور
19	2.1. تعريف التطور اللغوي
20	2. التطور اللغوي والدراسات التاريخية والمقارنة
22	3. عوامل التغير والثبات في اللغة
25	1.3. اعتبارية العلامة اللغوية
25	2.3. تعدد العلامة اللغوية
25	3.3. الطبيعة المعقدة للنظام اللغوي
26	4.3. مقاومة الجمود الجماعي لأي ابتكار لغوي
27	4. أسباب التطور اللغوي
27	1.4. العامل السياسي
30	2.4. العامل البيئي
31	3.4. العامل الثقافي والديني
33	4.4. العامل الجغرافي (الاتصال اللغوي <i>linguistic contact</i> )
35	5.4. العامل الاجتماعي
181-38	الفصل الأول: التطور الصوتي في مختار الصحاح
41	1. علم الأصوات والتطور الصوتي: المفاهيم والأسس والقوانين
41	1.1. علم الأصوات
41	1.1.1. علم الأصوات النطقي ( <i>la phonétique</i> )
41	2.1.1. علم الأصوات الوظيفي ( <i>la phonologie</i> )
43	2.1. تعريف الصوت
44	3.1. تعريف الفونيم

## فهرس المحتويات

46	2. التطور الصوتي في مختار الصحاح: المفهوم والخصائص والأسباب
46	1.2. تعريف التطور الصوتي
47	2.2. خصائص التطور الصوتي
47	1.2.2. الانتظام
48	2.2.2. التدرج
48	3.2. أسباب التطور الصوتي
49	1.3.2. العرق
49	2.3.2. البيئة (المناخ/التضاريس)
50	3.3.2. الأخطاء
50	4.3.2. الوضع السياسي والاجتماعي
51	5.3.2. الموضة والتقليد
52	3. أقسام التطور الصوتي في مختار الصحاح وقوانينه
52	1.3. أقسام التطور الصوتي
52	1.1.3. تطورات حرة
55	2.1.3. تطورات تابعة
56	2.3. قوانين التطور الصوتي
56	1.2.3. قانون الأقوى
57	2.2.3. قانون الجهد الأدنى
58	3.2.3. قانون ضعف الطرف
59	4.2.3. القياس (الطرد على النظر)
61	3.3. قواعد التلفظ في اللغة العربية
62	4. المخالفة الصوتية في مختار الصحاح
62	1.4. مفهوم المخالفة الصوتية ( <i>dissimilation</i> )
64	2.4. المخالفة بفك التضعيف
64	1.2.4. قلب ثالث المتماثلات "ياء"

## فهرس المحتويات

69	2.2.4. مجانسة أحد الأصوات المتماثلة لفاء البناء
72	3.2.4. التخفيف بالتسكين
81	4.2.4. المخالفة بالتحريك لالتقاء الساكنين
84	5. المماثلة الصوتية في مختار الصحاح
84	1.5. مفهوم المماثلة الصوتية (assimilation)
86	2.5. الإدغام
94	3.5. المماثلة الجزئية
99	4.5. إيثار الأصوات الحلقية للفتح
102	1.4.5. أصوات الحلق
104	2.4.5. المسلك الفونولوجي لأصوات الحلق
115	6. القلب المكاني والإبدال والحذف في مختار الصحاح
115	1.6. القلب المكاني
115	1.1.6. تعريف القلب المكاني وشروطه
121	2.1.6. أدلة وقوع القلب المكاني
121	1.2.1.6. المقارنة مع اللغات السامية
121	2.2.1.6. الاستعمال اللهجي والعودة إلى الأصل
122	3.2.1.6. التصحيح مع موجب الاعتلال
123	3.1.6. أسباب وقوع القلب المكاني
123	1.3.1.6. الاقتصاد في الجهد
125	2.3.1.6. كثرة الاستعمال
126	3.3.1.6. التوهم السمعي
127	4.3.1.6. اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية
129	5.3.1.6. أوجه التصريف والدلالة الأصلية
132	2.6. الإبدال
132	1.2.6. تعريف الإبدال وشروطه

## فهرس المحتويات

134	2.2.6. أسباب وقوع الإبدال
134	1.2.2.6. التقارب الصوتي
139	2.2.2.6. التداخل الصوتي
142	3.2.2.6. التصحيف والتحريف
145	3.2.6. الإبدال في الهمزة
145	1.3.2.6. إبدال الهمزة من الهاء
148	2.3.2.6. إبدال الهمزة من الواو
150	3.3.2.6. إبدال الهمزة حروف لين
158	4.3.2.6. إبدال الهمزة من حروف المد واللين
162	3.6. الحذف الصوتي
162	1.3.6. تعريف الحذف الصوتي وأقسامه
162	1.1.3.6. تعريف الحذف الصوتي
163	2.1.3.6. أقسام الحذف الصوتي
163	1.2.1.3.6. الحذف المقيس
164	2.2.1.3.6. الحذف غير المقيس
165	2.3.6. أسباب الحذف الصوتي
165	1.2.3.6. ضعف المقطع أو الصوت
169	2.2.3.6. كثرة الاستعمال
174	3.2.3.6. تتابع المتماثلات أو المتقاربات
177	4.2.3.6. الثقل
179	5.2.3.6. التقاء الساكنين
286-182	الفصل الثاني: التطور الدلالي في مختار الصحاح
185	1. التطور الدلالي في مختار الصحاح وأسبابه
185	1.1. التطور الدلالي
185	1.1.1. تعريف الدلالة

## فهرس المحتويات

188	2.1.1. تعريف المعنى
190	3.1.1. العلاقة بين الدلالة والمعنى
192	3.1.1. تعريف التطور الدلالي
193	2.1. أسباب التطور الدلالي
194	1.2.1. الأسباب التاريخية
195	2.2.1. الأسباب اللغوية
199	3.2.1. الأسباب الاجتماعية
201	4.2.1. الأسباب النفسية
204	5.2.1. التكرار
205	6.2.1. الانقطاع
208	2. أثر التطور على العلاقات الدلالي في مختار الصحاح
208	1.2. الترادف
209	1.1.2. تعريف الترادف وشروط وقوعه
212	2.1.2. أسباب وقوع الترادف
212	1.2.1.2. فقدان الوصفية
220	2.2.1.2. الاقتراض
224	3.2.1.2. المجاز
228	4.2.1.2. تداخل لغات العرب
232	2.2. الاشتراك اللفظي
232	1.2.2. تعريف الاشتراك اللفظي وشروط وقوعه
234	2.2.2. أسباب وقوع الاشتراك اللفظي
234	1.2.2.2. تداخل لغات العرب
236	2.2.2.2. تقاطع الصفات البارزة
237	3.2.2.2. التوافق اللفظي بين العربي والمعرب
238	4.2.2.2. المجاز

## فهرس المحتويات

241	5.2.2.2. الاصطلاح
243	3.2. التضاد
246	1.3.2. تعريف التضاد
247	2.3.2. أسباب وقوع التضاد
247	1.2.3.2. اختلاف لغات العرب
248	2.2.3.2. المحظورات (Tabou)
251	3. أقسام التطور الدلالي في مختار الصحاح
252	1.3. أقسام التطور الدلالي في مختار الصحاح بحسب التقسيم المنطقي- البلاغي
252	1.1.3. توسيع المعنى
253	1.1.1.3. توسيع المعنى بتخطي الجزئيات
254	2.1.1.3. توسيع المعنى بتعدد المراجع
260	3.1.1.3. الانتقال من الحسي إلى المجرد
263	2.1.3. تضيق المعنى
263	1.2.1.3. التضيق العفوي
265	2.2.1.3. التضيق المقصود
268	3.1.3. انتقال المعنى
268	1.3.1.3. الانتقال بطريق المجاز
272	2.3.1.3. الانتقال بطريق الاستعارة
276	2.3. أنماط تطور المعنى بحسب تقسيم غوستاف ستيرن
276	1.2.3. الإحلال (substitution)
277	2.2.3. الاختصار بالحذف (Shortening)
279	3.2.3. التسمية (Nomination)
281	4.2.3. النقل الاعتيادي (Regular Transfer)
284	5.2.3. الإبدال (Permutation)

## فهرس المحتويات

295-287	الخاتمة
308-296	قائمة المصادر والمراجع
316-309	فهرس المحتويات
317	الملخص

## ملخص:

ينتزل هذا البحث الموسوم بـ"التطور اللغوي في معجم مختار الصحاح لأبي بكر الرازي" ضمن الدراسات التي تعنى برصد التحوّلات الصوتية والدلالية في العربية، ويسعى إلى الكشف عن الكيفية التي يوثق بها المعجم ما طرأ على بنية الألفاظ من تغير، وما شهدته معانيها من تطوّر. وتتمثّل إشكالية البحث في تتبع مظاهر هذا التطوّر كما يعرضها المعجم، والكشف عن أنماطها والقوانين التي تحكمها، بما يبرز قدرة العربية على مواكبة التحوّلات المستجدة مع الحفاظ على هويتها اللسانية.

وينطلق البحث من تحديد العوامل المؤثرة في حدوث التطوّر اللغوي، وفي مقدّمها الحاجات التواصلية، والاقتصاد النطقي، وتنوع البيئات اللهجية، ودور الاستعمال. ثم يفحص مظاهر التطوّر الصوتي من مماثلة ومخالفة وإبدال وحذف وقلب، كما يدرس مظاهر التطوّر الدلالي وما تفضي إليه من تغير في العلاقات الدلالية، كالتخصيص والتعميم والانزياح المجازي والتحوّل السياقي، مستقصياً طرائق المعجم في عرض الدلالات وتعدّها.

وتعتمد الدراسة على المنهج التاريخي الذي يتتبع اتجاه هذا التطوّر من خلال الإسقاط الزمني ومحاولة تأريخ التحوّلات، ولا سيما الدلالية منها. وتهدف هذه المقاربة إلى إبراز الدور الذي ينهض به معجم مختار الصحاح في توثيق التطوّر اللغوي، وتأكيد قيمته بوصفه مرجعاً لفهم تحوّلات العربية صوتاً ودلالة.

## كلمات مفتاحية:

تطور اللغوي، تطور صوتي، تطور دلالي، معجم مختار الصحاح.

## Abstract:

*This study, entitled "Linguistic Development in Mukhtār al-Ṣiḥāḥ by Abū Bakr al-Rāzī," is situated within research concerned with tracing phonological and semantic change in Arabic. It seeks to examine the manner in which the lexicon documents structural modifications affecting lexical forms and the semantic developments undergone by their meanings. The central research problem lies in*

*identifying and analyzing the manifestations of such change as presented in the dictionary, uncovering their patterns and the governing principles underlying them, and thereby demonstrating the capacity of Arabic to accommodate emerging transformations while preserving its linguistic identity.*

*The study begins by delineating the principal factors contributing to linguistic change, foremost among them communicative needs, articulatory economy, dialectal variation, and the role of usage. It then investigates the major types of phonological change, including assimilation, dissimilation, substitution, deletion, and metathesis. In addition, it examines patterns of semantic change and their implications for semantic relations, such as specialization, generalization, metaphorical extension, and contextual shift, while analyzing the lexicographical strategies employed in presenting and organizing polysemy.*

*Methodologically, the study adopts a historical approach, tracing the direction of linguistic development through diachronic projection and attempting to date the transformations, particularly semantic ones. This approach aims to highlight the role of Mukhtār al-Şihāḥ in documenting linguistic change and to affirm its value as a reference work for understanding the phonological and semantic evolution of Arabic.*

*Keywords:*

*Linguistic change; phonological change; semantic change; Mukhtār al-Şihāḥ.*